

الدُّرَّةُ الْخُسْرَى

سِرِّح

الْبَيَاقُوتَةُ الْفَرْدَةُ

للمزنب الضعيف الراجي تسعة عفو مولاة اللطيف

محمد فتحي بن عبد الواحد السوسي النظيف

عامله الله وأهل الإيمان بالعفو والغفران

بجاه سيد الأكوان صلى الله عليه وعلى آله وسلم

ما اختلف الملوأان آمين

الجزء الثاني

الطبعة الأخيرة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار الفكر

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَانِهِمْ افْتَدَى
(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[فصل في بعض الآداب المطلوبة من الإخوان]

وفي البغية : لا ريب أن حقوق الصحبة والأخوة وآدابها من أعظم الحقوق وأكد الآداب إذ هي العصمة في سائر السير والسلوك إلى حضرة رب الأرباب ، وخصوصا في طريقنا هذه الأحمدية النجانية لقول سيدنا رضى الله عنه : من ابتلى بتضييع حقوق الإخوان ابتلاه الله تعالى بتضييع الحقوق الإلهية . وقد سمعت بعض أصحابه رضى الله عنه يقول : سمعت سيدنا ومولانا الشيخ رضى الله عنه يقول : إنى لكثيرا ما أهتم بوضع مؤلف في آداب الطريق تنبيهها منه رضى الله عنه على أن الآداب من أهم المهمات وأكدها في الطريق وأن من تمسك بها فيها فقد تمسك بالسبب الأقوى والحبل الوثيق انتهى . وفي [شب] قال ابن القاسم : خدمت مالكا عشرين سنة فكانت ثمانية عشر منها في تعليم الأدب وستان منها في تعليم العلم فليتنى جعلت المدة كلها في الأدب ، ورحم الله من قال :

جلسة مع أديب في مذاكرة أنقى بها الهم أو استجلب الطربا
أشهى إلى من الدنيا وزخرفها وملئها فضا وملئها ذهابا انتهى

وأخبرني من أثق به أنه لما وصل هنا في لسخ المبيضة ألقى في روعه ^(١) أن منيع الآداب كلها قوله تعالى - وما أناكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا - وقوله - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة الآية - فمن تمسك بهاتين الآيتين الشريفتين فقد حاز قصبة السبق في الآداب ومن حاد عنهما فهو بمنزل من ساحة الآداب ، وهما القسطاس المستقيم والمنهج القويم لكل أخ صادق وحبيب فائق : وعن محمد ابن أسلم رحمه الله أنه قال : أصل الإسلام في هذه الفرائض ، وهذه الفرائض في حرفين : ما قال الله ورسوله افعل ففعله فريضة ينبغي أن يفعل ، وما قال الله ورسوله لا تفعل فتركه فريضة ينبغي أن ينتهى عنه اه . فما أبيع افعل ودع ما لم يبيع . وفي [عف] روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أدبى ربى فأحسن تأديبى » فالأدب تهذيب الظاهر والباطن ، فإذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا أديبا ، وإنما سميت المأدبة مأدبة لاجتماعها على أشياء ، ولا يتكامل الأدب في العبد إلا بتكامل مكارم الأخلاق ، ثم قال : وفي لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى »

(١) بضم راه كقول: القلب اه .

ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، قال يوسف ابن الحسين : بالأدب يفهم العلم ، وبالعلم يصح العمل ، وبالعلم تنال الحكمة ، وبالحكمة يقام الزهد ، وبالزهد تترك الدنيا ، وتترك الدنيا يرغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى اهـ وفيه عن ابن المبارك : أدب الخدمة أعز من الخدمة قال تعالى - ليلوكم أيكم أحسن عملا - وفيه عنه أيضا من تهاون بالأدب حوقب بحرمان السنن ، ومن تهاون بالسنن حوقب بحرمان الفرائض ، ومن تهاون بالفرائض حوقب بحرمان المعرفة . وفيه عنه : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم ، وقال أيضا : الأدب للعارف بمنزلة للتوبة للمستأنف : وفيه عنه : قد أكثر الناس في الأدب ونحوه نقول هو معرفة النفس ، وهذه إشارة منه إلى أن النفس هي منبع الجهالات وترك الأدب من غامرة الجهل ، فإذا عرف النفس - ادفع نور العرفان على ما ورد من هرف نفسه فقد عرف ربه ، وفيه قال ابن عطاء الله : النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب ، والنفس تجري بطباعها في ميدان المخالفة والعبد يردّها بجهد إلى حسن المطالبة ، فمن أعرض عن الجهد فقد أطلق عنان النفس وغفل عن الرعاية مهما أعانها فهو شريكها . وقال الجنيد : من أعان نفسه على هواها فقد أشرك في قتل نفسه ، لأن العبودية ملازمة الأدب ، والطغيان سوء الأدب اهـ . وفي [غ] قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه في قوت القلوب : معناه أي معنى الحديث السابق وهو : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » إذا هرفت صفة نفسك في معاملة الخلق وأنت تكره الاعتراض عليك في أفعالك وأن يعاب عليك ما تصنع هرفت منه صفات خالك ، وأنه يكره ذلك فارض بقضائه وعامله بما تحب أن تعامل به . وفيها : وما أحسن قول بعضهم في الأدب : الأدب أن يؤدب العبد ظاهره وباطنه ، أما ظاهره فبالشريعة بأن يتبع السنة قولاً وفعلًا ، وأما باطنه فبالحقيقة بأن يرضى بما يرد عليه من الله ويتلقاه بالقبول ، ويرى أن الكل نعمة عليه من الله تعالى إما عاجلة وإما آجلة ، فالعاجلة بلوغ النفس محبوبها عاجلا ، والآجلة كأنواع المضار والمكاره فإنه يثاب عليها آجلا ويحط بها عنه من خطيئاته ، فهي نعمة بهذا الاعتبار اهـ . وصاحب هذا الأدب هو الخصوص برؤية النعم في طي النقم فيرى نعم الله تعالى عليه ظاهرة وباطنة اهـ . وفي [عف] أيضا عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع » وروى أيضا عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام « ما نحل والد ولدا من نخلة أفضل من أدب حسن » وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » اهـ أي بأن يعلمه الآداب الشرعية الواجبة والمندوبة ويحثه على مكارم الأخلاق ، وأما تحسين الموضع بأن تكون أمه ذات دين من أصل طيب وأن يكون موضع إقامته يسهل فيه تحصيل القرآن والعلم لكثرة القراء والعلماء : وفي [جص] « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسياسة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيبا » وفيه « حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأن يزوجه إذا أدرك وأن يعلمه الكتابة » انظره . وفي [نخل] وكتب عمر رضي الله عنه لأهل حمص « علموا أولادكم السياسة والرماية والفروسية والاحتفاء بين الأغراض ، وقال احتفوا وتجردوا واخشوشنوا وتمعدوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا وارموا الأغراض ، وإياكم ولباس العجم : البسوا الأزر والأردية وألقوا السراويلات واستقبلوا

حر الشمس بوجوهكم فإنها شامات العرب ، واطرحوا الخفاف والبسوا النعال اه . وروى عليكم باللبسة المعديّة قال رحمه الله :

(وَعِنْدَ اللَّقَا تَصَافَحُوا دُونَ كَلْفَةٍ بِدَشٍّ وَرُحْبٍ دُونَ قَبْضٍ عَيْوَسَةٍ)

(وعند اللقاء بكسر اللام ممدود وقصره للوزن أو بضمها مع القصر كهدى كلاهما مصدران للقي (تصافحوا) وفي [س] المصافحة الأخذ باليد كالتمصّيح اه : وسئل أبو ذر رضى الله عنه هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافحكم ؟ قال ما لقيته قط إلا صافحتنى ، وبعث إلى ذات يوم ولم أكن في أهلى فلما جئت أخبرته أنه أرسل إلى فاتيته وهو على سريرته فالتزمتى وكانت تلك أجود : وأجود : وعن أنس رضى الله عنه « إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده بصافحه تناثر خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر » وروى الطبرانى « إن المسلمين إذا التقيا وتصافحا وضحك كل واحد منهما فى وجه صاحبه لا يفعلان ذلك إلا لله لم يتفرقا حتى يغفر لهما » وفى [جص] « كان إذا لقي أصحابه لم يصافحهم حتى يسلم عليهم » أى فيندب تقديم السلام على المصافحة . وفيه « كان إذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذى ينصرف عنه ، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناوله إياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذى ينزع يده منه ، وإذا لقي أحدا من أصحابه فتناول أذنه ناوله إياها ثم لم ينزعها عنه حتى يكون الرجل هو الذى ينزعها عنه » وفيه « إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمد الله واستغفرا غفر لهما » وفى رواية « قبل أن يتفرقا » وفيه « إذا التقى المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشرا بصاحبه ، فإذا تصافحا أنزل الله عليهما مائة رحمة للبادى تسعون وللمصافح عشرة » وفيه « إذا اصطحب رجلان مسلمان فحال بينهما شجر أو حجر أو مدر فليسلم أحدهما على الآخر ويتبادلا السلام » وفيه « تمام تحيتكم بينكم المصافحة » أى مع حمد الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم والدعاء له ولنفسه ولأخيه بالمغفرة لحديث « ما من مسلمين يلتقيان ويتصافحان ويصليان على لا يفترقان حتى يغفر لهما ما تقدم من ذنوبهما وما تأخر » وفيه « تصافحوا يذهب الغل عن قلوبكم » وفيه « قبله ^(١) المسلم أخاه المصافحة » أى فالمصافحة قائمة مقام القبلة لأن المصافحة مشروعة والقبلة غير مشروعة إلا لنحو والد وشيخ . وفيه « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان » وفى رواية ابن السنّى « ويتكاثران بؤد ونصيحة إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » قال الحنفى : ويؤخذ من قوله « يلتقيان » أن المصافحة بعد صلاة الصبح أو للعصر مثلا بدعة لكن لا بأس بها ، وكذا المعانقة مع تقبيل نحو الرأس بدعة لا بأس بها لأن ذلك أبلغ فى الود . وقد قال بعض الصحابة « أياهم أحدانا أخاه إذا لقيه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ، فقال أيعانقه ويقبله ؟ فقال : لا ، فقال أياصافحه ويسلم عليه ؟ فقال : نعم » وذكر الحديث . وأما الانحناء كالركوع فنهى عنه وإن قصد تعظيمه كتعظيم الله فهو كفر اه . وثبت أن ما يدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين قال لمن قبل الأرض بين يديه كفرت قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأمره بتجديد النكاح ، لأن نكاحه فسخ بذلك لأنه ردة والعياذ بالله ، وأنه قال مثل ذلك لامرأة قبلت الأرض بين يديه .

(١) قبله بضم قاف كعرفة: بمعنى التقبيل .

وفي غنية الأصحاب :

تقبيل قبر منبر ضريح يجوز أو يكره في التصحيح
أما سجودهم على الجباه في الأرض فالكفر بلا اشتباه

وفي [خل] وينبغي له : أي للعالم أن يمنع ما أحدثوه من المصافحة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر وبعد صلاة الجمعة بل زاد بعضهم في هذا الوقت فعل ذلك بعد الصلوات الخمس وذلك كله من البدع ، وموضع المصافحة في الشرع إنما هو عند لقاء المسلم لأخيه لا في أدبار الصلوات الخمس ، وذلك كله من البدع فحيث وضعها الشرع نضعها فينبى عن ذلك ويترجر فاعله لما أتى من خلاف السنة انظره . وعمل النهي والزجر إن ظن الإفادة ولم يترتب على ذلك مفسدة أعظم وإلا فلا لحديث « إذا رأيتم الأمر لا تستطيعون تغييره فاصبروا حتى يكون الله هو الذي يغيره » اه قال تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

[تنبيه] التسليم بالإشارة بانكف أو بالأصابع من تسليم أهل الكتاب . وفي [جص] « ليس منامن تشبه بغيرنا لانتشبهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسليم اليهود بالإشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالإشارة بالأكف » وفيه « تسليم الرجل بأصبع واحدة يشير بها فعل اليهود » اه قال العزيرى : فيكره الاقتصار على الإشارة بالتسليم إذا لم يكن في حالة تمنعه من التكلم اه يعنى كالصلاة وإن لافلا كراهة . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصافح إخواننا عند اللقاء ولا نترك ذلك إلا لضرورة كأن لم يرض من نصافحه أن يصافحنا لفخامته كالباشات ثم قال : أو لجهل وغلظة كعند السلطان ثم قال وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : الحكمة في المصافحة استجلاب اللود والتعاهد كأن كلا منهما يقول لصاحبه أنا معك في جميع ما تريد من الخير ، فإن صورة المصافحة صورة العهد ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يصافح أحدا إلا ويشد على يده فيشايكه إشارة لقوه التلازم ، فاهل ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك اه . وانظر ما عمت به البلوى والعياذ بالله جل طلبة العلم من حسم مادة المصافحة بينهم وبين أشياخهم جهلا منهم بالسنة وزعما منهم أن ذلك من حسن الأدب ، وقد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصافح كل من لقي من أصحابه قال تعالى - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - الآية ، وروى ابن السنى عن أنس رضى الله عنه قال « ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد رجل ففارقه إلا قال اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » اه (دون) أى من غير (كلفه) بضم الكاف ما تكلفته من نائبة أو حق : أى من غير إظهار ما فيه كلفة ومشقة من تملق وقصنع وتركية فإن ذلك مملوم شرعا وطبعيا . وفي [خل] سيما إن انصاف إلى ذلك : أى إلى القيام للغير ما لا ينبغي من الكلام المعتاد في سلام بعضنا على بعض من التملق والتركية والإيمان بوجود المحبة وحلول البركة وإحناء الرأس وركوعه بل يقرب بعضهم من السجود ، بل يفعلونه لبعض كبرائهم ومشايخهم أعاذنا الله من بلائه بمنه . وقد روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال : « سمعت رجلا يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله : الرجل منا يلقى أخاه وصديقه أينحنى له ؟ قال لا قال : أفيلترمه ويقبله ؟ قال : لا . زاد ابن رزين إلا أن يأتي من سفره » انظره . روى الطبرانى عن أنس رضى الله عنه قال « كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا تلاقوا تصافحوا وإن قدموا من سفر تعانقوا » اه ثم قال : فإن وقع منا السلام أى عند القيام للغير كان قولنا صبحك الله بالخير . مساك الله بالخير . يوم مبارك ليلة مباركة . وذلك كله من البدع والحوادث . إن كان دعاء والدعاء كله حسن ، لكن إذا لم يصادم سنة كان مباحا أو مندوبا بحسب

الواقع والنية ، وأما إن صادم سنة فلا يختلفون في منعه لأن علماءنا رضى الله عنهم قد اختلفوا في البدع هل تمنع مطلقا؟ وهو مذهب مالك وأكثر أهل العلم أولا تمنع إلا إذا عارضت السنن وهو مذهب الشافعي ومن تبعه ، وهذا من القسم الذى عارض سنة لأنه ترك السلام للشرعى وأحل القيام والدعاء محله ولا قائل به من المسلمين ، فإن قال العالم مثلا أنا أفعل ذلك بعد السلام فجوابه أن العوام يقتدون به في البدع وهم لا يعرفون السنة فيظنون أن تلك هى السنة التى ارتكبوها انظروا ، بل صار السلام عند الملاقاة نسيا منسيا ونهد وراء ظهرها وبقيت ألفاظ منمقة وأدعية مزوقة بالسنة ملقة^(١) وأذهان حنقة - إنا لله وإنا إليه راجعون - ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا آمين .

وفى [جلد] أوصانى شيخى رضى الله عنه وقال : لا تقم لأحد من الإخوان وغيرهم إلا أن لا تعلم من نفسه الميل إلى ذلك فلذلك إذا قت له حينئذ كبرت نفسه بغير حق وأسأت فى حقه من حيث لا يشعر هو ، فقلت له ومن أين لى العلم بذلك وحسن الظن واجب بالمسلمين ؟ فقال رضى الله عنه عند حسن الظن لا علم فقم له إكراما ولو كان فى الباطن بخلاف ما ظننت وأمرك بمحمول هناك ، فقلت له فلأن كان مشهدى أنى دون كل الخلق فى الرتبة ؟ فقال رضى الله عنه : صاحب هذا المشهد يقوم لكل وارد عليه من عصاة هذه الأمة لأن الناس كلهم عنده أهل فضل عليه والقيام لأهل الفضل مطلوب لاسيما إن حصل بذلك جبر خاطر أخيك المحجوب وقد بلغنا أن سيدى مدين رضى الله عنه امتحن مرة الشيخ عبادة وكان من أعيان المالكية وكان يحط على سيدى مدين ، فدهاه سيدى مدين فى يوم بجمع للناس ليحضر وقال للناس إذا جاء الشيخ عبادة لا أحد يقوم له فلما جاء فعل للناس معه ذلك ، فوقف عند النعال وضاعت على نفسه الدنيا بما رحبت ، ثم إن سيدى مدين رفع رأسه فرأى الشيخ عبادة واقفا فقام له وأجلسه بجانبه ، ثم قال ما عندكم من العلم فيمن يقوم للمشرىكين وهو آمن من شرهم ؟ فقال هو حرام ، فقال له سيدى مدين : الله عليك ما تكذرت لعدم قيامنا لك ؟ فقال نعم ، قال تريد أن تقوم لك كما تقوم لله فى الصلاة ، فتأبى الشيخ عبادة ولزم الشيخ إلى أن مات وكان يقول : ما دخلت فى الإسلام حقيقة إلا من حين صحبت سيدى مدين رضى الله عنه اه (ببش) بفتح موحدة طلاقة الوجه والإقبال على الأخ والضحك إليه وفرح الصديق بالصديق . وفى (عف) ومن أخلاق الصوفية البش وطلاقة الوجه ، الصوفى يكاؤه فى خلوته وبشره وطلاقة وجهه مع الناس : وفيه عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك فى أناء أخيك » وقال سعد بن عبد الرحمن الزبيرى : يعجبني من القراء كل سهل طاق مضحك فأما من تلقاه بالبشر وبلقائك بالعبوس كأنه يمن عليك فلا أكثر الله فى القراء مثله اه . وفى [جص] « إن الله يحب السهل الطلق » قال العزبى : أى المتهلل الوجه للبسام لأنه تعالى يحب من تخلق بشىء من أسمائه وصفاته ، ومنها السهولة والطلاقة لأنهما من الحلم والرحمة ، ورحم الله من قال :

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق

وفيه « اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك فى أناء المستسقى وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط » وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من الخيلة ولا يحبها الله ، وإن

(١) بفتح ميم وكسر لام : من ملق الرجل أعطى بلسانه ما ليس فى قلبه اه .

أمرؤ شتمك وعيرك بأمر هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه ودعه يكون وباله عليه وأجره لك ولا تسبني أحداً » وفيه « إن في الجنة أعمدا من ياقوت عليها غرف من زبرجد لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدرى يسكنها المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتلاقون في الله » قال الحنفى : أى تلاقى بشاشة وود ومصافحة ، وسلام لأجل الله تعالى اه. وفى [حى] وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يفتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين اه. وقال مجاهد : المتحابون في الله إذا اتفقوا فكشروا بعضهم إلى بعضهم تحانت عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس اه وكشروا كضرب تبسم (ورحب) بضم الراء من رحب ككرم وسمع اتسع والمراد اتساع الصدر وانتشراحه عند ملاقة أخيه ومصافحته ليوافق باطنه ظاهره فإن الإخلاص في الأخوة استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والعمر والعلاية والجماعة والخلوة ، ومن لم يكن مخلصا في إخوته فهو منافق فيها ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فلا تقطع أولى من المؤاخاة ، ومن أراد أن يعرف محبة شخص له فليظفر إلى محبته هو له في قلبه ، ورحم الله من قال :

سلوا عن مودة الرجال قلوبكم فتلك شهود لم تكن تقبل الرشا
ولا تسألوا عنها العيون فإنها ^(١) أقرت بشئ لم يكن داخل الحشا

وفى [شب] ومن جملة بر الإخوان المصافحة كلما لقيهم لما في الحديث « إذا تصافح المسلمان لم تفرق أكفهما حتى يغفر لهما » ومن جملة برهم ملاقاتهم بالترحيب وطلاقة الوجه لما في الحديث « إن للقادم دهشة فتلقوه بالترحيب » وفى آخر « إذا أتاكم الزائر فأكرموه » وفى آخر « أبدأ ^(٢) المودة لمن وادك فإنه أثبت » وفى آخر « إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره أنه يحبه لله » أى فإنه أبقى للألفة وأزيد في المودة وأدوم للصدقة (دون قبض) أى من غير وجود انقباض في الباطن فضلا عن الظاهر ، وفى [صف] ومنهم أدبهم في الصحبة رعاية الاعتدال بين الانقباض والانبساط : نقل عن الشافعى رحمه الله أنه قال : الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكان بين المنقبض والمنبسط اه : أى لأن خير الأمور أوسطها ومن غير وجود (عبوسة) من عبس وجهه كلع وتكشر. وفى [حص] « إن الله يبغض المعبس في وجوه إخوانه » قال الحنفى : أى ويحب البشر من الإنسان في وجوه إخوانه لأنه يورث التحجب بين الناس ، انظره . وفيه « من نظر إلى أخيه نظرة ود غفر الله له » وفيه « نظرة الرجل لأخيه على شوق خير من اعتكاف سنة في مسجدى هذا » اه. وفى [حى] قال الفضيل : نظر للرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة اه. وروى « من نظر إلى أخيه المسلم نظرة يخفيه بها في غير حق أخافه الله يوم القيامة » اه. قال رحمه الله :

(وَعِنْدَ افْتِرَاقٍ مَجْمَعٍ كَالْوِظِيفَةِ وَلَا بَدَّ مِنْ تَقْدِيمِ أَزْكَى تَحِيَّةٍ)

(و) تصافحوا أيضا (عند افتراق مجمع) كقعد ومجلس موضع الجمع : أى أهله ، وفى نسخة : وعند انصراف الناس في (كالوظيفة) ونحوها من كل محل يجتمع فيه الإخوان فكما يطلب منهم السلام والمصافحة عند الالتقاء والاجتماع فكذلك يطلبان منهم عند الافتراق بلا نزاع : وفى [حص] « إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس » ثم إذا قام فليسلم وفى رواية أبى ذؤاد

(١) فى نسخة : تشير لىء ضد ما أضمر الحشا . (٢) من الابتداء كالإظهار وزنا ومعنى اه .

« فإذا أراد أن يقوم فليسلم وليست الأولى بأحق من الآخرة » قال الحنفى : ويجب عليهم الرد : أى لأن السلام الأول معناه أمنتكم من شرى حال حضورى فيسن السلام عند الانصراف ليؤمنهم من شره حال غيبته هل أولى ، انظره . وفيه « إذ ادخلتم بيوتا فسلموا على أهلها فإذا خرجتم فأودعوا أهلهم بسلام » قال العزيرى فيندب السلام عند ملاقة المسلم وعند مفارقتها بدلا للأمان وإقامة لشعائر أهل الإيمان اهـ . وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم سلم ثلاثا » . وفى إرشاد السارى معناه أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أتى على قوم سلم عليهم تسليمه الامتثان ، وإذا دخل سلم تسليمه التحية ، ثم إذا أقام من المجلس سلم تسليمه الوداع ، وكل سنة اهـ . وعليه فافعله الإخوان الأحاديث أصلح الله حالهم ومآلهم من المصافحة عند الانصراف من الوظيفة اهـ مستند وأصل فى السنة ، لكن ينبغى لهم رضى الله عنهم وعنا بهم آمين أن يفتتحوا المصافحة بالسلام ، لأنها من تمامه وهى فرع منه ، ولا ينبغى الاقتصار على المصافحة دون السلام كما عمت البلوى بذلك اليوم فليقتنيه لذلك بالقول أو بالفعل أو بهما معا ، ولذا قال رحمه الله (ولا بد) أى لا مندوحة ولا سعة (من تقديم أركب تحية) على المصافحة عند الملاقاة وعند المفارقة قال تعالى - وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها - ومتى لقيت أخاك أو أردت مفارقتة فقل : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، ثم صافحه ، وقل : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اللهم اغفرلى ولأخى هذا والمسلمين أجمعين ، وأخير أى صيغة شئت وإن زدت - ربنا آتانا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار - وقرآنة سورة العصر فإن السلف الصالح بها يختمون مفارقة الإخوان وموادة عنهم ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . قال رحمه الله :

(وَلَا تَدَابِرُوا وَلَا تَتَقَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا خَرَقَةً)

(ولا تدابروا) من التدابر وهو التقاطع والتهاجر مأخوذ من تولية الرجل دبره : إذا أعرض عنه حين يراه . وفى الحديث « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » وفى رواية « لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » وفى سنن أبى داود « فن هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار » وفى مسلم « تعرض الأعمال فى كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل فى ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا ، إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء يقول اتركوا هذين حتى يصطلحا » وروى الطبرانى رحمه الله « يطلع الله تعالى إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » اهـ (ولا تتقاطعوا) عطف تفسير : وفى [جص] « لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تنافسوا ، وكونوا عباد الله إخوانا » أى لا تباغضوا إلى آخره بخلاف إحدى التامين ، وفيه « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحمسوا ولا تحسبوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك » قال العزيرى : ومعنى كونوا إخوانا اكتسبوا ما نصيرون به كإخوان النسب فى الشفقة والمحبة والرحمة والمواساة والمعاونة اهـ . وفيه « المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » اهـ . قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وفى [عف] وإذا وجد من أحدهما ما يوجب التقاطع فهل يبغضه أولا ؟ اختلف القول فى ذلك ، كان أبوذر يقول : إذا انقلب عما كان عليه أبغضته

من حيث أحببته : وقال غيره : لا يبغض الأخ بعد الصلابة . ولكن يبغض عمله قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم - فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون - ولم يقل إني بريء منكم . وقيل : كان شاب يلزم مجلس أبي الدرداء وكان أبو الدرداء يميزه على غيره فابتنى الشاب بكبيرة من الكبار وانتهى إلى أبي الدرداء ما كان منه . فقيل له لو أهدته وهجرته فقال : سبهان الله لا يترك الصاحب بشيء كان منه ، انظره . وفي [غ] أثر هذا النقل والذي عليه المحققون ويمكن أن يكون كالجمع بين القولين السابقين التفصيل فيما يظهر من موجب البغض ، فإن كان موجب فساد عقيدة وسوء ظن وفسخ عهد عدا بانقلاب عن الحالة الأولى جهارا بإبداء العداوة والتجاهر بالمخالفة والعياذ بالله تعالى فإن صاحب هذا الحال يجب هجره وإبعاده موافقة للحق فيه لا احتقارا له . وعليه يحمل قول أبي ذر رضي الله عنه أبغضته من حيث أحببته فلا خير في موالاته إلا إذا تاب ورجع نادما مستغفرا مستقيلا معترفا منكسرا ، وإن كان موجب ارتكاب ذنب لا يرضاه ربه والنفس بشيء مما يشينه عند الناس ملاسته وقربه ، أو عثرة حدثت أو هفوة وقعت وكان بحيث ترجى توبته وتوقع فينته ، فهذا لا ينبغي أن يعامل بالبغض لذاته ولكن يبغض فعله وما تلبس به من عوارض هفواته ، ويلحظ مع ذلك بعين الوداد وينتظر له الفرج والعود إلى مواطن الصلاح من مواطن الخفاء والبعاد ، وهذا هو الذي يجب على أخيه أن يعامله بجميع ما تقدم ذكره ، وأن يتحفظ غاية التحفظ من أن يغير عليه باطنه وسره ، وأخرى أن لا يشتمه مشافهة أو يعيره بفعله مواجهة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن شتم الرجل الذي أتى بفاحشة : مه لا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيك . وقال إبراهيم النخعي : لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب الذنب فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدا ، وخصوصا إذا كان هذا الأخ الذي صدرت منه هذه العثرة أودهمته هذه الفترة ممن تقدمت له ممارسة بالطريق وإشراف على مدارج الأدواق والتحقيق فإنه تجب معاماته بالإخفاء ومزيد البرور والإرضاء ، وفي الخبر : اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فينته . اه وما ذكره رضي الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه هو المصير إليه عند كل لبيب ونبيه : وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نشاجر أحدا من المسلمين ولا نهجره ولا ندابره إلا بوجه شرعي ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى طول مجاهدة وسلوك على بدشيخ صادق ليخرج به من حضرات رهونات النفوس ويدخل به إلى حضرات الصفاء ، ثم قال : ولو لم يكن إلا أن من ارتكب شيئا من هذه الأمور لا يرفع له إلى السماء عمل لكان فيه كفاية فإن الشارع ألحق أعمالنا بأعمال الكفار في عدم رفعها مادامنا متشاحنين ، وقد عم هذا البلاء غالب الخلق حتى بعض العلماء ومشايخ الزوايا وصار أحدهم لا يحب لأخيه خيرا ويشتم بمصيبته ، انظره .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تفرخ بشماتة أخيك فيعافيه الله ويبتليكه وفيه أيضا أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نشمت قط بقتل عدو من المسلمين لاسيما إن قتل بغير حق ، وهذا العهد يقع في خيانتة كثير من المسلمين فيفرحون إذا قتل عدوهم من المسلمين ، ومن وقع له ذلك فلا بد أن يقع في مثل ذلك ويشتم فيه الناس كذلك ، وقد جرب أنه ماسى أحد في قتل عدو إلا وألقى الله تعالى عليه الهم والغم حتى إنه لا يتهنأ بعده بأكل ولا نوم حتى يموت بعده بقليل ، ثم قال : وقد رأينا جماعة من ملوك الجرامسة سمعوا في قتل عدوهم فقتلوا كلهم بعده بقليل ، فإياك يا أخى أن تسعى في قتل نفس أو تشمت بقتلها والله غفور رحيم اه (وكونوا) أيها العصاة الأحمدة التجانية الحمدية جبر الله

حالنا وحالكم وأصلح ما لنا وما لكم آمين (عباد الله) على حذف ياء النداء أى باعباد الله (إخوان خرقه) بكسر معجمة فهى لحمة كلحمة النسب . وفى [عف] ليس الخرقه ارتباط بين الشيخ وبين المريد وتحكيم من المريد للشيخ فى نفسه ، والتحكيم سائق فى الشرع لمصالح دنيوية فإذا ينكر المنكر للبس الخرقه على طالب صادق فى طلبه بقصد شيخا بحسن ظن وعقيدة يحكمه فى نفسه لمصالح دينه يرشده ويهديه ويعرفه طريق المواجد ويبصره بآفات النفوس وقساد الأعمال ومداخل العدو فيسلم نفسه إليه ويستسلم لرأيه واستصوابه فى جميع تصاريفه فيلبسه الخرقه لإظهارا للتصرف فيه ، فيكون لبس الخرقه علامة التفويض والتسليم ، ودخوله فى حكم الشيخ دخوله فى حكم الله وحكم رسوله وإحياء سنة المبايعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : والخرقه عتبة الدخول فى الصحبة والمقصود الكلى هو الصحبة وبالصحبة يرجى للمريد كل خير ، ثم قال : اعلم أن الخرقه خرقتان خرقه الإرادة وخرقة التبرك ، والأصل الذى قصده المشايخ للمريدين خرقه الإرادة ، وخرقة التبرك للمتشبه ومن تشبه يقوم فهو منهم ، ومن الخرقه أن الطالب الإرادة للمريد الحقيقى ، وخرقة التبرك للمتشبه ومن تشبه يقوم فهو منهم ، ومن الخرقه أن الطالب الصادق إذا دخل فى صحبة الشيخ وسلم نفسه وصار كالولد الصغير مع الوالد يربيه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار وحسن الاستقامة ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الإشراف على البواطن ، ثم قال : فأما خرقه التبرك فيطلبها من مقصوده التبرك بزي القوم ومثل هذا لا يطالب بشرائط الصحبة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخاطبة هذه الطائفة ليعود عليه بركتهم ويتأدب بآدابهم ، فسوف يرقيه ذلك إلى الأهلية بخرقة الإرادة ، فعلى هذا خرقه التبرك مبدولة لكل طالب وخرقة الإرادة ممنوعة إلا من الصادق الراغب ، ثم قال : وقد كان طائفة من السلف الصالحين لا يعرفون الخرقه ولا يلبسونها المريدين فن يلبسها فله مقصد صحيح وأصل من السنة وشاهد من الشرع ، ومن لا يلبسها فله رأيه وله فى ذلك مقصد صحيح ، وكل تصارييف المشايخ محمولة على السداد والصواب ولا تخلو عن نية صالحة ، والله تعالى ينفع بهم وآثارهم إن شاء الله تعالى اه . قال رحمه الله :

(كذلك تعاونوا على البرِّ والتقوى وَلَا تَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ فَعْلَىٰ سَوَاءٍ)

(كذلك تعاونوا) من التعاون وهو إعانة بعضهم بعضا لحديث «لأن أحمق أخى المؤمن على حاجته أحب إلى من صيام شهر واعتكافه فى المسجد الحرام» ورحم الله من قال :

تعاون على الخيرات تظفر ولا تكن على الإثم والعسوان ممن تعاون
وداهن إذا ماخفت وما مسلطا عليك ولا يحتال من لا يداهن
ولانك ذالونين يبدى بشاشة وفى صدره ضب من الغل كامن اه

(على البر) بكسر موحدة اسم جامع لخصال الخير ، ويأتى بمعنى الصلة والصدق واللفظ والمبرة وحسن الصلة والعشرة والطاعة : وفى [جص] «البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» أى الذين يستحى منهم كالعلماء والصالحاء ، وفيه «البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإن أفكك الفتون» وفيه «البر لا بيل والذنب لا ينسى والديان لا يموت عمل ما شئت كما تدين تدان» ورضى الله عنى قال :

بنى إن البر شيء مبن وجه طليق وكلام لبن

(و) على (التقى) بالضم كهدي الوقاية وفي الحديث « من رزق تقى فقد رزق خير الدنيا والآخرة » قال تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا - ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا - ورحم الله من قال :

ومن يتق الله يجعل له
ويرزقه من غير حسبان

وكذا بهما بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :
ويجعل له اليسر من أمره
ويعظم له الأجر فيما ارتجى

ورحم الله من قال :

ما ضاق بالمرء حال فاستعد له
ولا أتاخ بيباب الله ذو ألم

ومن قال :

على قدر تقوى الله تأتى المواب
وتأتى على قدر الذنوب المصائب
وهي كلمة جامعة لسعادة خيرة الدارين ومن فاز بها صار أفضل الثقلين قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وعن ابن عمر رضي الله عنهما : اتقوا أن لا ترى نفسك خيرا من أحد . وقد بين الله تعالى أن التقوى خير لباس فقال - ولباس التقوى ذلك خير - ورحم الله من قال :

إذا المرء لم يلبس لباسا من التقى

فخير خصال المرء طاعة ربه

ومن قال : ولا تمش إلا مع رجال قلوبهم

يريد المرء أن يعطى مثاه

يقول المرء فائدتى ومالى

ومن قال : من عرف الله فلم تغنه

ما يصنع العبد بعز الغنى

والعز كل العز للعتق

وفي [جص] « أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس الأمر كله . وعليك بتلاوة القرآن وذكر الله تعالى فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض . عليك بطول الصمت إلا في خير ، فإنه مطردة للشيطان عنك ، وعون لك على أمر دينك . وإياك وكثرة الضحك فإنه يمتيت القلب ويذهب بنور الوجه ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتى ، أحب المساكين وجالهم ، انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك ، صل قرابتك وإن قطعوك ، قل الحق وإن كان مرأ ، لا تخف في الله لومة لائم ليحجزك ^(١) عن الناس ما تعلم من نفسك ، ولا تجحد عليهم فيما أتى ، وكفى بالمرء عيبا أن يكون فيه ثلاث خصال : أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه ، ويستحيى لم مما هو فيه ، وأن يؤذى جلسه . يا أيها ذر : لا عقل كالتيدير ولا ورج كالكف ، ولا حسب كحسب الخلق » اه . ولها خمس مقامات : تقوى الكفر ، وهو مقام الإسلام . وتقوى الحرام : وهو مقام النوبة . وتقوى المباح : وهو مقام الزهد ، وتقوى حضور غير الله في القلب : وهو مقام المشاهدة ، ورحم الله من قال :

(١) يمنع شتيه وخم جيم وكسرهما . من حجرة كسره . ونصه : منتهى .

مراتب التقوى الخمس قسمت كفر حرام شبهة قد علمت
ثم مباح لحظ غير الله فلا تكن من ذكره باللاهى
إسلامنا الأول ثم نوبه وورع زهد فشاهد قربه

والبواش عليها عشرة : خوف العقاب للدينوى ، والأخروى ، ورجاء الثواب للدينوى والأخروى ، وخوف الحساب ، والحياء من نظر الله ، وهو مقام المراقبة ، والشكر على نعمه بطاعته ، والعلم لقوله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وتعظيم جلال الله وهو مقام الهيبة . وصدق المحبة وحاصلها كما في المرشد المعين :

وحاصل التقوى اجتناب وامتنال فى ظاهر وباطن بذا تنال
فجاءت الأقسام حقا أربعة وهى للسالك سبل المنفعة

وفى [جهه] اعلم أن التقوى قد صعب مرامها وتناءت بعدا عن أن تمد بيد أحد خطاها واحتمكامها ، وكلت الهنم دونها فلا يصل بيد أحد أساسها واحتمكامها إلا الفرد الشاذ النادر لما طبعت عليه القلوب والنفوس من الإدبار عن الله وعن أمره بكل وجه واعتبار ، ووحلها - فى رتغ أحوال البشرية وحلا لا مطمع لها فى الانفكاك عنه ، وهذا حال أهل العصر وكل بلد من كل ما على الأرض إلا الشاذ النادر الذى عصمه الله تعالى ، وبسبب ما ذكرنا هاج بحر الأهوال والفتن وطوى بحر المصائب والحن ، وغرق الناس فيه كل الغرق ، وصار العبد كلما سأل النجاة من مصيبة وعصم منها اكتشفته مصائب : وفى هذا قيل : سبأى زمان تراكم فيه بحور الحن والفتن فلا ينفع فيها إلا دعاء كدعاء الغريق ، وليكن ملازمكم الأمر المنجى لما ذكرنا أو مطفى لأكثر نيرانه وهو كثرة الاستغفار ، والمصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر لا إله إلا الله محمدا ، وذكر لا إله إلا أنت سبحانه فى كنت من الظالمين ، وقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، فإنه بقدر الإكثار من الأذكار تتناهى عن العبد كثرة المصائب وشور الأوزار ، وبقدر تقليبه منها يقل بعده عن المصائب والشور ، وليكن لكل واحد منكم قدر من هذه الأذكار على قدر الطاقة اه (ولا تنهوا) أى لا يعن بعضهم بعضا (على فعل سوءة) بفتح مهملة : الفاحشة وكل خصلة ذميمة قال تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان - قال بعضهم : « وتعاونوا على البر والتقوى » هو طاعة الأكابر من السادات والمشايخ ، ولا تضيعوا حظوظكم منهم ومن معاونتهم خدمتهم ، ولا تعاونوا على الإثم وهو الاشتغال بالدنيا « والعنوان » موافقة النفس على هواها ومراعاة ما ورد « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك » وفى [جص] « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وفى رواية : ثم شبك بين أصابعه « وفيه « المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه اشتكى كله » قال العزيرى : فيه تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض ، وحنهم على التراحم والملاطفة والتعااضد فى غير إثم ولا مكروه . وفيه « المؤمن منفعة إن ماشيته تفعلك ، وإن شاورته تفعلك ، وإن شاركته تفعلك ، وكل شئ من أمره منفعة » أى كل شؤونه وأحواله منفعة لإخوانه المؤمنين . وفى [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه عن سبب تسلط العالم بعض على بعض فقال رضى الله عنه : سبب ذلك ما فى الأسماء الإلهية من التضاد وطلب كل اسم ظهور أهل حضرته وتنفيذ أحكامه فيهم ، فكل اسم يستعين بالمشارك له من الأسماء فلذلك خرج الحائق على صورة الأسماء الإلهية ، فمنهم المعان ومنهم المعين ، ولما كان الأمر فى الوجود واقعا كذلك

أمر عباده بالتعاون على البر والتقوى حتى يكون ما فطروا عليه من هذا الوجه عبادة عن أمر إلهي لا ابتلاك الحقيقة التي هم عليها، ونهاهم عن استعمال الحقيقة الأخرى التي هي التعاون على الإثم والعدوان فيعطونها ولا يستعملونها في شيء. قال الشيخ محيي الدين رضى الله عنه : وما يخفى وجهه على غالب العلماء فضلا عن غيرهم تحريم إعانة الرجل أخاه على ظلم نفسه ، كما إذا ادعى إنسان عليك بشيء وهو كاذب في دعواه عندك ولم يقيم عليك بيينة فيجب عليك حينئذ اليمين ، وليس لك أن تردّها على المدعى ليحلف ويأخذ منك ذاك الشيء الذي ادعاه فإن رددت اليمين كنت معينا لأخيك على ظلم نفسه وعليك حينئذ إثم اليمين الفاجرة كما عليه للآخر كذلك فأنت الذي جعلته يحلف بردك اليمين عليه ، ولو كنت حلفت لأحرزت نفس صاحبك أن يتصرف فيما ظلمك فيه وقت بواجب نصحه وإعانتته على البر والتقوى ، ثم لا يزال الإثم على المدعى مادام يتصرف في ذلك المال ، ولا يزال الإثم على المدعى عليه كذلك من حيث أنه أعان أخاه على الظلم ومن حيث عصي أمر الله بترك اليمين ، فإنها كانت واجبة عليه ، ولو كان حلف لفعل ما أوجب الله عليه وكان مأجورا وخلص صاحبه من التصرف بالظلم في مال الغير فكان له أجر ذلك ، فلم يبق حينئذ على المدعى لو حلف المدعى عليه إلا إثم يمينه خاصة وهي يمين الغموس ، وهذه مسألة لطيفة في الشرع لا ينظر فيها بهذا النظر إلا من استبرأ لدينه ، فقلت له فهل على الحاكم إذا حلفه إثم في اليمين الردودة ؟ فقال رضى الله عنه : إذا أدى اجتهاده إلى ذلك فلا إثم ، والله تعالى أعلم انتهى . قال رحمه الله :

(تَهَادَوْا تَحَابُّوا بَيْنَكُمْ دُونَ كَلْفَةٍ وَأَعْطُوا لِمُحْتَاجٍ وَلَوْ شِقَّ تَمَرَةٍ)

(تهادوا) بفتح الدال من التهادى وهو التفاعل من الجانبيين (تحابوا) بضم موحدة مشددة من التحاب وفي نسخة تحابوا بفتح موحدة مخففة من التحاب وهو المسامحة في العطاء (بينكم) أي يحب بعضكم بعضا (دون كلفة) أي من غير تكلف الحديث « أنا وأتقيا أمتي برآء من التكلف » وفي [عف] عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « المتحابون في الله على عود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة مشرفون على أهل الجنة ، يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا ، فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله عز وجل ، فإذا أشرفوا عليهم أضياء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا ، عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله عز وجل » انظره . وفي [جص] « تهادوا تحابوا وتصافحوا يذهب الغل عنكم » وفيه « تهادوا تزدادوا حبا » وفيه « تهادوا فإن الهدية تضعف الحب وتذهب بغوائل الصدر » وغوائله أحقادها وضعائفه وفيه « تهادوا الطعام بينكم فإن ذلك توسعة لأرزاقكم » وفيه « استعينوا على الرزق بالصدقة » وفيه « ماتحاب اثنين في الله تعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه » وفيه « ماتحاب رجلان في الله تعالى إلا وضع الله لهما كرسيًا فأجلسا عليه حق يفرغ الله من الحساب » قال العزيزي : وعلامة الحب في الله أن يحب كل الآخر ما يحب لنفسه فمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه فأخوته وعيسته نفاق اه . وهذا ميزان يطيش على الدر ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وفي مسلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » وفي [جه] ومثل يوما رضى الله عنه عن سيب عدم قبول الهدايا

مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقيها ؟ قال : كانت الهدية هدية واليوم صارت رشوة فإن الناس إذا أهدى أحدهم شيئا لغيره أو قضى له حاجة لم يمكث إلا قليلا ثم يرجع إليه في طلب بعض أغراضه ، ولا يهدى في الغالب إلا لذوى الجاه ديني أو دنيوي ، ومن لم يكن له جاه لا يهدى له أبدا كما هو مشاهد من حال الناس في زماننا ، ولا يعطون شيئا بقصد المحبة والمودة والإخاء في الدين وإنما يعطون لتحصيل أغراضهم الفاسدة كما قدمناه حتى صارت ولائمهم من هذا المعنى الفاسد ، ولهذا تخرز سيدنا رضى الله عنه من مقاصد العامة لفسادها ولا يخالطهم على ما هم فيه من كثرة التخليط ، وفيه : وكان قبل هذا الوقت لا يأخذ من يد أحد ألبته حتى وقع له الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يرد على أحد شيئا أصلا . وفي البخارى قال عمر بن عبد العزيز : كانت الهدية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية ، واليوم رشوة . ورحم الله من قال :

توق وحاذر من قبول هدية	وإن جاء نافيها الحديث المرغب
فقد حدثت بعد الرسول حوادث	تحدثنا منها وعنها ترغب
فكانت هدايات الأوائل قبلنا	تؤلف فيها بينهم وتحب
فعدت بلايا يسرع المن نخوها	تفترق فيها بيوتا وتجنب

قال تعالى - وتلك نعمة تمنها على - وقال - لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى - والله يفيض للرجل المنان . وفي [غص] وصأله رضى الله عنه عن قبول هدايا الناس الذين يعتقدون في أهل أروها أم أقبليها وأعطيتها المستحقها ؟ فقال : السلامة في هذا الزمان رد ذلك لغاية الحرام والشبهات في المكاسب ومن تعب في تحصيل شيء فهو أحق بتفرقه ، ثم قال : يا أخى سمعت سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول : كل لقمة نزلت في جوف الفقير من غير كسبه الشرعى أخذت من عبوديته جانبا واسترقت منه خيرا لذلك المحسن قهرا عليه ، وإن كان لابد من الأكل من طعام الناس فكافى كل من أكلت عنده حتى ترى أنه استوفى حقه في العادة ولو بالدعاء له في أوقات الإجابة وغيرها ، والله تعالى أعلم . وصأله رضى الله عنه مرة أخرى عن قول بعضهم : إن الفقير إذا عرف الله لا يؤثر فيه الأكل من طعام الناس نقصا ؟ فقال رضى الله عنه : اعلم أن المدد الذى لم يزل فياضا على قلب كل إنسان يتلون بحسب القلب ، والقلب يتلون بحسب إصلاح الطعمة وفسادها ، ثم قال : إن الله تعالى ينطق على لسان عباده بحسب مضغته فإن كان قلبه مطهرا من سائر الرذائل نطق بالكلام النقيس الذى يشبه الوحى ، وإن كان ملطخا بشيء من القاذورات نطق بما يشبه كلام الشياطين اه : وفي [جد] أو صافى شيخى رضى الله عنه أن لا أبدا أحدا بهدية إلا إن كانت على سبيل تطيب خاطره بخاتمة سبقت منى عليه أو غير ذلك ، فقلت له لم ؟ فقال رضى الله عنه : لأنك تعرضه بالهدية لكلفة المكافأة ، فقلت له فإن كان يكافى بالدعاء ؟ قال رضى الله عنه : مثل هذا يهدى إليه لأن وليه الله وهو تعالى يكافى عنه ، والله أعلم اه . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا تقبل لأنفسنا هدية أو صدقة من أحد ، ونحن نعلم أن في بلدنا من هو أخرج إلى ذلك منا : وكذلك لا تقبل هدية ممن ترك جاره الأقرب أو قريبه وخصنا بالعطاء مع بعد دارنا عنه وعدم قرابتنا له إلا إن كنا أفقر من ذلك الجار أو ذلك القريب فلا تقبل من أحد شيئا إلا وقت الضرورة الشديدة ، وكذلك لا تقبل قط شيئا من أحد إلا بنية نفع ذلك الرجل بالثواب الأخرى لا بنية نفع أنفسنا ، وهذه اليهود الثلاثة لا يقدر على العمل بها إلا من صح له مقام الزهد

في الدنيا وكان دينه أعز عليه من دنياه والله غني حميد ، وفيه : أخذ علينا اليهود أن تقدم في التودد والزيارة والهدية وغيرها من يكرهنا ويحط علينا دون من يحبنا ويؤثرنا فتؤخره بعده ، لأن في ذلك من رياضة النفس مالا ينفق وبه تخف كراهة من يكرهنا ويحط علينا ولو على طول فتستريح نحن من شره ويستريح هو من الإثم بوقوعه في مرضنا ، وأما من يحبنا فلا يحتاج إلى مداراة لما عنده من ثبوت اللود فالحمد لله رب العالمين اه . وفيه : أخذ علينا اليهود إذا قضينا لمكروب حاجة أو حملنا عنه بلية أن لا نقبل منه في نظير ذلك هدية ولو من حلال ، فإن ذلك حرام بنص الشريعة وبيع الدين بالدنيا ، وذلك أن الشفاعة عليك واجبة إن تعينت عليك ، وفعل الواجب لا يجوز أخذ العوض الديني عليه ، وهذا العهد يقع في خيانتة كثير من أهل عصرنا هذا فرباك يا أخى ثم إياك ، وقد كان ابن عباس رضى الله عنهما يقول من شفع شفاعة فأهدى له هدية على ذلك فقبلها فقد أتى بابا من الكبائر اه . ثم إن كان ولا بد لنا من الترخص في قبول الهدية وردها صاحبها ولم يأخذها قبلناها على اسم غيرنا من الفقراء والمساكين لا على اسم أحد من أولادنا وعيالنا ، وذلك لأن الصدقة تدفع البلاء عن صاحبها وأجر من يحمل الحملة على الله عز وجل فاعلم ذلك اه . وروى « إذا أقرض أحدكم أخاه قرضا فأهدى إليه طبقه فلا يحمله أو حمله على دابته فلا يركبها إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك » اه وفي « [جع] سئل سيدنا رضى الله عنه عن أخذ جوائز الملوك ، فأجاب رضى الله عنه : قال على كرم الله وجهه : السلطان يجمع حراما وحلالا فما أعطاك فخذ ، وأجعت العلماء على أن أعطية الخليفة جائزة وأما نوابه الذين تحتهم فلا ، ليكون الخليفة أجمع عليه الناس فله التصرف في أموالهم وأما غيره فهو ظالم . ويؤيد هذا حكاية مالك رضى الله عنه حين أعطاه السلطان ثلاثة آلاف دينار فأجاب حين سئل : إن السلطان لو أنصف وأعطى لذوى المروءة حقهم لكان لي مثل هذه مرتين ، لأنه من أكبر ذوى المروءات رضى الله عنه . وسئل مالك مرة أخرى عن الجوائز فقال : لا تجوز قيل له رأيتك تأخذها أنت قال أتريد أن تبوأ بإثمى وإثمك . وأما قبول أولياء الله للظلمة فإنه أمر متواتر وهو من معاملة خلق الله بالرحمة اه . ومثل أبو عبد الله الكنسومي رضى الله عنه وهنا به آمين عن جائزة السلطان وصلته هل يحل أخذها أم لا ؟ فأجاب رضى الله عنه وهنا به آمين بمانصه : الحمد لله ذكر القرطبي صاحب التذكرة بأحوال الآخرة في كتابه [فح الخرص بالزهد والقناعة] ما نصه : روينا أن الإمام أبا عمرو بن عبد البر رضى الله عنه بلغه وهو بشاطبة أن أقواما هابوه بأكل طعام السلطان وقبول جوائزه فقال :

قل لمن ينكر أكل طعام الأمراء
أنت من جهلك هذا في محل السفهاء

لأن الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى من المسلمين من السلف الماضين ملاك الدين ، فقد كان زيد بن ثابت رضى الله عنه وكان من الراسخين في العلم يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد ، وكان ابن عمر مع ورعه وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن أبي عبيد وبأكل طعامه ويقبل جوائزه . وقال عبد الله بن مسعود وقد ملئ علما أرجل سأله فقال : إن لي جارا يعمل بالربى ولا يجتنب في مكسبه الحرام يدهوني إلى طعامه أفأجيبه ؟ فقال نعم لك المهنة وعليه المآثم ما لم تعلم الشيء بعينه حراما . وقال عثمان رضى الله عنه لما سئل عن جوائز السلطان : لحم ظبي ذكي . وكان الشعبي وهو من أكبر التابعين يعلم أولاد عبد الملك بن مروان ويقبل جوائزه وبأكل طعامه . وكان إبراهيم النخعي وسائر

علماء الكوفة والحسن البصري مع زهده وورعه وصائر علماء البصرة أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة ما هذا سعيد بن المسيب يقبأون جوائز السلطان والأمراء ، وكان سفیان الثوري مع فضله وورعه يقول جوائز السلطان والأمراء أحب إليّ من صلة الإخوان ، لأن الإخوان يمتنون ، والأمراء لا يمتنون ، ومثل هذا عن فضلاء العلماء كثير قد جمع الناس فيه أبو بابا . ولأحمد بن خالد فقيه الأندلس وعائنها كتاب حمله على وضعه طعن أهل بلده عليه في قبوله جوائز الأمير عبد الرحمن الناصر ، ولا أعلم من علماء التابعين أحدا تورع عن جوائز السلطان إلا سعيد بن المسيب بالمدينة وابن سيرين بالبصرة ، وسلك سبيلهما في ذلك الإمام أحمد رضي الله عنه وأهل الزهد والورع والتقشف رحمة الله عليهم أجمعين . والزهد في الدنيا من أفضل الفضائل ولا يحل لمن وفقه الله وزهده فيها أن يحرم ما أباح الله سبحانه ، والعجب من أهل زماننا يعميون الشبهات ويستحاون المحرمات كالذين سألوا عبد الله ابن عمر عن المحرم يقتل القراد ، فقال للسائل ممن أنتم ؟ فقالوا من أهل الكوفة فقال تسألون عن قتل القراد وأنتم قتلتم الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وهذا مبني على ما تقدم من قول عبد الله بن مسعود لك المهنة وعليه المآثم يعني لك حق في بيت المال ، والمستول عن التخليط فيه هو السلطان بناء على أن الحرام لا يتعلق بدمتين ، وهي مسألة أصولية فيها خلاف معلوم ، ومحل ذلك كله ما لم تعلم الحرام بعينه وإلا فلا يحل أخذه بحال ، هذا كله ما لم يكن بيت المال ليس فيه إلا الحرام وإلا فلا يحل الأخذ منه إلا إذا بلغ الإنسان من الضرورة إلى المحل الذي يبيع له أكل الميتة ، فيكون النظر حينئذ فيما يقدم المضطر هل الميتة أو ذلك الحرام ؟ والله يعاملنا جميعا بفضله ورحمته والسلام اهـ .

ومن خطه رضي الله عنه وهنا به آمين نقلت وعلى الخبير في هذه القضية سقطت ولب الباب في هذا الجواب قوله رضي الله عنه وعنا به آمين : ومحل ذلك كله ما لم تعلم الحرام بعينه وإلا فلا يحل أخذه بحال ، وهذا كله ما لم يكن بيت المال ليس فيه إلا الحرام وإلا فلا يحل الأخذ منه الخ والإنسان على نفسه بصيرة وكل واحد أدري بقوسه وأعلم بما يأتي وما يذر والخرقاء لا تعدم هلة - ويحذر كم الله نفسه وإلى الله المصير - وائقوا يوما ترجعون فيه إلى الله - ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه الرضى الأبدى :

حمدا لمن يهدي إلى الصواب	ويلهم الرشاد للمتأب
ثم صلاته على محمد	والآل والصحب وكل مهتد
فهاك اب لباب الجواب	لخص فضل الملك الوهاب
سميته تبصرة الإخوان	في هبة العمال والسلطان
ياربنا بالصائق المصدق	أسلك بنا مسالك التحقيق
نعم الجواب بهذا الصواب	مانقل ابن أحمد الأبواب
عن الإمام القرطبي في التذكرة	فيها تذكرة للآخرة
لب جوابه لدى الأعلام	الم يكن فيه سوى الحرام
أولم يك الشيء بعينه حرام	وإن يكن فاحذر وخف من الملام
إذ لا يحل الأخذ من محرم	إلا المضطر لأكل الرمم
سبلنا عثمان قد أفي بما	رأى بيت مال وقته اعلمنا

فكل ما فيه من الحلال
أو ليس مماؤاً إذا بالغصب
فقال إنه كلحم ظي
ككل من ذكر في الجواب
فكلهم أقي بما قد حققا
أما زماننا فبيت ماله
مافيه إلا درهم من غصب
وذاك معلوم بلا خلاف
لو أدرك ابن ثابت وابن عمر
والحسن البصري والشعبي
والعالم المكي والطبي
زماننا في قرن رابع عشر
من علماء الدين والإسلام
فإنه صعب عظيم النكر
قد صارت الأحرار أسوا الأرقا
قد استبيح فيه مال الناس
وبدلت أحكام دين الله
فحكم من بدل في الإسلام
يقول على الألسن في العقود
نعوذ بالله من الكفران
لقال كل بيت مال ذا الزمان
وقال بيت مال هذا الوقت
وحرّموا الأخذ لكل متى
وقل بهذا القول صاح أبدا
لكما الأهواء أعمت الهدى
كم فاضل وعالم وصالح
فيستحل أخذ مال الناس
ويستبيحه بسيف القهر
فصار عنده كشهد النحل
بعده كرامة من ربه
وأنه من أعظم العناية
وأنه من جملة السعادة

من مال أهل الكفر والفضلال
والنهب والمكس وكل ريب
يباح أكله لكل محي
من الأئمة بلا ارتياب
في بيت مال رفقته فحققا
من الحرام المحض دعه وانتهى
أو درهم من مكس أو من نهب
لكما الأهواء في اختلاف
كذا ابن مسعود وعثمان الأغر
والعالم الكوفي والبصري
والعالم الشرقي والغربي
حارت به ألباب من قد اعتبر
لكثرة الفتن والآثام
لاسيما فيه ولاية الأمر
ذكرا أو أنثى لشر يتق
بالظلم والقهر وسوط الهاس
بحكم أهل الكفر والملاهي
شيئا من الحدود والأحكام
ومن ومن ومن بلا تفنيد
والظلم والنسق ومن خسران
من الحرام المحض من غير توان
كلحم خنزير فدع للمقت
إلا المضطر لسد رمق
من شافليو من ومن شاء الحدا
وقادت الناس جميعا للردى
قادت به الأهوا لأمر فاضح
مع علمه به بلا التباس
ممن له ولاية للأمر
يزعم أنه أحل الحلال
مع أنه من سخطه ومقته
مع أنه من أقبح الخبيات
مع أنه من أخبث الشقاوة

وربما اختاره للتعبيد
أوحبسا لما بنى على شفا
أليس من غصب شبر الأرض
أليس وارث وموهوب له
ومن يطيق حمل سبع الأرضين
نعوذ بالله من الضلال
وتب إلى الله برد كل ما
أليس من يغفل غدا يأتي بما
ولاتقل إن فلانا أخذنا
وربما له من الأعداء
فتلك أمة لها ما كسبت
وانظر إلى الحديث والقرآن
هما أساس الدين والإيمان
ودع فلانا وفلاتا وفلان
تراكت فيه بحور من فتن
كل يحمل فيه مع هواه
ومؤثر لنفس مع دنياه
إذ لا يحل أخذ مال الناس
وليس تنفيذ من السلطان
ممن قال لا إله إلا الله
قد بين الحلال في القرآن
أما لنا الأسوة بالتجاني
أما أبي السكفي بها تخرجنا
مع أن عدل وقته اشتراها
ومع ذاك يقصد بجا
تالله ما استكتب للسلطان
يعطونه من مال خلق الله
فتلك من شيم من تشيها
هلا سلكت مسلك التجاني
هلا نبذت سبل الشيطان
ولاتقل سمعت من فلان
ومن ولاة الأمر خذه باليدين
لأنهم مستغرقون للدم

فبئسا (١) اصطفااه للجهنم
من ربط (٢) أو من زوايا قد عفا
يحملة في العنق يوم العرض
كفأصب للعلم فاحذرته
في عنقه يوم حساب العالمين
وكل ما يجر للكمال
أخذت من مال العباد ظلما
غل بدون مربة واندمنا
من الأمير ماله قد نفدنا
ما ليس بيديه ذوو الأبصار
كما عليها بأخى ما اكتسبت
راعمل بما في ذين من برهان
وما سواهما من البهتان
لا سيما لاسيما في ما الزمان
كما تلاطم به موج المحن
بالرأى معجب ولو أرداه
على سواه وعلى أخراه
إلا بطيب النفس بالتعطاس
بحل مال الناس يا إخواني
ماله معصوم فقل أوام
وفي حديث المصطفى العدلان
في دار مبرات بلا توان
حتى أزاله النبي حرجا
بالإرث من موروته حواها
ل له بال حذرا تأثما
ولا لعماله في البلدان
كلا وحاش ومعاف الله
أوقد تصلح ليحني الوسخا
نعم الإمام العارف الرباني
فلانها توقع في النيران
جميع مانفذ من سلطان
فلانه من الحلال دون ميين
بالغصب والنهب لأموال الأمم

لم يملكوا شيئا من الأموال
فذلك زلة بدت من عالم
ولانها قسيلة لا ترتضى
أحسب الإنسان ألا يستلا
كلا غداً يستل عما قد جنى
أليست الذمة وصفا قاما
لو ألزم الإنسان أو التزما
وقولهم إنه ذو استغراق
في كل عقدة على التحقيق
وكل ما استهلك من أموال
يعطيهم يومئذ من حسنات
أو الكرم عنه يرضى الخصما
وقل له ما نفذوا من الحلال
تالله ما عندهم من الحلال
وكل ما بيدهم في الوقت
لا سيما ما قد بقى بعينها
لا سيما ما كان لليتامى
وما نشأ عن مال خلق الله
وقد أتى عن النبي ذى الصدق
ولا تكن لمة الأقوام
فالحق يؤخذ من الصغير
وذاك من خواص أمة النبي
لكن زماننا أخفى كما ترى
واستحكمت فيه النفوس والهوى
وهطوا جن مزهفات
وبالدهبات والمزونات
فكل ذا حقا من المكدرات
يارب فارحمنا جميعا بالرضى
يارب بالصديق والفاروق
أمين أمين ختام الحق
والشيخ فتح بن على الدمياطى فى قصيدته اللامية رضى الله عنه :

أيها العالم إياك الزلل
واحذر الهفوة فالخطب^(١) جل

(١) جلل بضم جيم وفتح لام جمع جلى: كبرى، الأمر العظيم اهـ .

هفوة العالم . . . استضعفه
وعلى زلته عمدتهم
لا تقل يستر علمي زلتي
إن تكن عنده مستحقه
ليس من يتبعه العالم في
مثل من يدفع عنه جهله
انظار الأنجم مهما سقطت
فإذا الشمس بدت كاسفة
وترامت نحوها أبصارهم
وسرى النقص لهم من نقصها
وكذا العالم في زلته
يقتدى منه بما فيه هفا
فهو ملح الأرض ما يصلحه

إن هفا أجمع في الخلق مثل^(١)
فبها يحتج من أخطأ وزل
بل بها يحصل في العلم الخلال
فهو عند الله والناس جبل
كل أدق من الأمر وجل
إن أتى فاحشة قيل جهل
من رآها وهي تهوى لم يبل
وجل^(٢) الخلق لها كل الوجل
في ازعاج واضطراب وزجل
فغدت مظلمة منها السبل
يفتن العالم طرا ويضل
لا بما استعصم فيه واستقل
إن بدا فيه فساد أو خلل ؟ اه

وذكر في [خل] أن العالم يجب عليه التستر أكثر من غيره لأن شره ومعصيته ومخالفته وبدعته إن ابتلى بشيء من ذلك يتعدى إلى غيره كما أن خيره كذلك متعدد . وفي الحديث : «من ابتلى منكم من هذه القاذورات بشيء فليستتر بستر الله» الحديث . وفي كتاب [الأنوار] ويلكم بامعاشر هاء السوء البهله برهم ، جلستم على باب الجنة تدعون الناس إلى النار بأعمالكم ، فلا أنتم دخلتم الجنة بفضل أعمالكم ولا أنتم أدخلتم الناس بها بصالح أعمالكم ، قطعتم الطريق على المرید وصددتم الجاهل عن الحق فما ظنكم غدا عند ربكم إذا ذهب الباطل بأهله وقرب الحق واتباعه انتهى . ورحم الله من قال :

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم
وبقيت في خلف يزكي بعضهم
أبى إن من الرجال بهمية
فطن بكل مصيبة في ماله

والمنكرون لكل أمر منكر
بعضا ليدفع معور عن معور
في صورة الرجل السميع المبصر
فإذا أصيب بدينه لم يشعر^(٣)

في [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا يبادر للاعتراض على من يقبل من الظلمة ما يعطونه من الدراهم والأطعمة والثياب وغيرها إذا كان في ذلك شبهة ، بل نصبر حتى ننظر لماذا يصرفها وفيهم بصرفها فقد يصرفها إلى من يستحقها من العميان والأرامل وأرهاب الديون والعيال ، وما من درهم ولا لقمة ولا خارقة من الشبهات إلا وفي الوجود من يستحق صرفها إليه ، وصاحب النور كالبناء يعرف مكان كل طوبة ويرزق الله الخلق بعضهم من بعض ، وكان على هذا القدم سيدي على الخواص وأواخر عمره ، ثم قال : وكان سيدي محمد بن هراق ينكر على من يفعله ذلك ، ويقول : إن فيه شغل للدم ، والسلامة مقدمة على الغنيمة .

قلت : وهو الذي نميل إليه والله أعلم اه [لطيفة] أخبرني من أثق به أنه كان يقرأ العلم بفاس صانها

(١) جمع مثله كغرفة . (٢) أي خاف اه .

(٣) قيل اللبيب تكن ليدبا مثله من يسمى في علم باب يظفر

الله من كل باس ، وقد كان من أفقر الطلبة وأضـ مفهم ، فإذا سلطان الوقت أرسل للعلماء والطلبة رضى الله عنهم صلة عظيمة وجائزة جسيمة فتابه من بينهم نحو نصف ريال ، فاشترى رطل لحم ورطل مسكر توسعة فلما نام رأى كأنه دخل كنيـفا فأخذ يغتسل بالعذرة ، فانتبه مرعوبا فاستعاذ بالله مما رأى ، ثم نام فرأى أيضا كأنه يشرح الآجر رمية فلما وصل وهى أنحوك الخ عجز عن تفسير أخحك مع وضوح معناه ، فسمع قائلا يقول له تريد أن تفعل أفعال الرجل ولا تريد أن تعمل عملهم ، فلما انتبه تاب إلى الله وفرق مابقى عنده . وأخبرنى أيضا أنه يريد معاملة بعض ولاية الوقت بيعا وشراء فاستخار الله فرأى كأنه دخل بيت الكنيف فوجده مملوءا بعذرة وبول ممزوجين فأخذ هوذا يحركهما به - إن الله وإنا إليه راجعون - سبحانه من جعل الأقدار المعنوية كالأقدار الحسية . وعن ابن عمر لا يبلغ العهد حقيقة التقوى حتى يدع ما حـك فى الصدر . وروى « ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك » واستفت قلبك وإن أفـتاك المفتون ، ودع كل ما يعتذر منه ، واستعن بالله واحـرس على تفعلك فإنه خير معين جواد كريم رؤف رحيم ، وكن حذيقى ^(١) وقتك وقل لأستلهم دنيا ولا أستفتهم دنيا - ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين (وأعطوا المحتاج) أى لكل أخ فى الله محتاج ما وجد وتهسر ولا تتكلف ما فقد وتهسر (ولو) كان الشىء المعطى (شق) بكسر معجمة نصف الشىء (ثمرة) وفى [حص] « اتقوا النار ولو بشق ثمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » وفيه « إن الله تعالى يدخل الجنة بـلقمة الخبز وقمصة ^(٢) التمر » ومثله « مما ينفع المسكين ثلاثة : صاحب البيت الأمر به ، والزوجة المصلحة ، والخدام الذى يناول المسكين » وفى رواية « الحمد لله الذى لم ينس خدمنا » أى من الثواب ، وفيه « إذا أـتاكم السائل فضعوا فى يده ولو ظلـفا محرقا » وفيه « ردوا مذمة السائل ولو برأس الذباب » وفى رواية « برأس الدجاج » ورحم الله من قال :

السائلون عيال الله والمـا	ل الله فابـلـه لـهم خـاب من لـما
فجد على ثقة بالله من خلف	يا ويح من كان للرحمن متـما
واحذر من الرد إن الله بمقتـه	من خير عذر وشؤم الشـع قد علـما

وفيه « أحب الأعمال إلى الله من أطعم مسكينا من جوع أو دفع عنه مغرما أو كشف عنه كرها ، وفيه « من أطعم مسلما جائعا أطعمه الله من ثمار الجنة » وفى رواية « ومن كسى مؤمنا عاريا كساه الله من خضر الجنة وإستبرقها » وفيه « من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمه الله على النار » وروى أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أهتم بجوعة أخيه المسلم فأطعمه حتى يشبع وسقاه حتى يروى ، غفر الله له » وفيه « هدية الله إلى المؤمن السائل على بابه » أى فينبغى لمن وقف السائل على بابه أن يقبل هدية الله ويكرمه بما تيسر عنده ولو بقول حسن ، قال تعالى - قول معروف ومفطرة خير من صدقة يلـبعها أذى - وأن يتحمل جفوته وإلـحاحه وأذاه قال تعالى - وأما السائل فلا تنهر - وفيه « إذا رددت على السائل ثلاثا فلم يذهب ، فلا بأس أن تزجره » أى لا حرج عليك أن تزجره وتنهره لتعديه إلى ما لا يحل ، لكن الصبر واحتمال أذاه أفضل وأجل قال تعالى - واصبر وما صبرك إلا بالله .

(١) قوله حذيقى : نسبة لسيدنا حذيفة رضى الله عنه اهـ .

(٢) قمصة : أى ما يؤخذ بالأنامل بفتح القاف وضـها وبـصاد مهملة .

[لطيفة] حكى أن رجلا جلس يأكل مع زوجته وبين يديهما دجاجة مشوية فوقف سائل نبيه فخرج إليه ونهره فاتفق أن ذلك الرجل افترق وزالت نعمته وطاق زوجته وتزوجت بعده برجل ، فجلس يوما يأكل معها وبين يديهما دجاجة وإذا بسائل يطرق الباب فقال لزوجته ادفعي له هذه الدجاجة فخرجت بها إليه فإذا هو زوجها الأول ، فدفعت إليه الدجاجة ورجعت تبكي ، فقال لها مالك ؟ فقالت له إن السائل هو زوجها الأول ، وذكرت له قصته مع السائل الذي انتهره فقال لها أنا ذلك السائل اه : وأنه تعالى هو أغنى وأقى - كل يوم هو في شأن - لا يسئل عما يفعل - سبحانه وتعالى إنه حكيم عليم ، وفيه إذا دخل عليكم السائل بغير إذن فلا تطعموه ، وفيه لا تطعموا المساكين مما لا تأكلون ، قال تعالى - ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون - الآية ، قال - لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون - ولذا كان ابن عمر رضي الله عنهما يتصدق بألف قنطار من السكر في العام ، فسئل عن ذلك فقال إني أحبه والله يقول - لن تنالوا البر - الآية ، وفيه « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين »

وفي [جه] وأعطى الله بقدر اتساع مالك وقدر مصروفك على أهلك ونوائبك وعلى قدر ما يدخل يدك من التجارة والأسباب في كل وقت ، ومن كان عنده خمسون قنطارا من المعهود عندكم وكان كثير الأهل والعيال وصرف في كل يوم مثقالا أجزأه ولم يطالب بحقوق المال في شيء ، فإن زاد وأعطى كل يوم مثقالين فقد أكثر العطاء ، وإن زاد على مثقالين كل يوم فقد خرج إلى التبذير ، وهذا في غير سائل أنك جائعا يطلب خبزة أو خبزتين يأكلهما من واحد إلى اثنين إلى ثلاثة فلا سبيل لردهم وإن زاد على ذلك ، فلا حرج عليك فيما تمنعه من الإعطاء وإن جاءك ما يزيد على هذا فقل لهم يفتح الله علينا وعليكم ، فإن ذكر لك وجه الله تعالى ووجه رسوله صلى الله عليه وسلم فأعطه من أوقية إلى أوقيتين ولا عليك فيما وراء ذلك ، فاحفظ هذا القدر واعتن بتحصين مالك من التلف فإن مالك به يهان إيمانك بالله تعالى فإن أنفقت أنفقت إيمانك بالله تعالى : ثم قال : وإن للشيطان لعنة الله مكرها خفيا بصاحب المال تقيا متقيا لأمر ربه فيما يقدر ، عليه كافا كثيرا من شره ، منغمسا في كثير من أمور التقوى ، ويراها في ذلك مطمئنا بماله لا ينزع فيأتيه اللعين بمكره الخفي ويسوق الناس إليه لطلب العطاء لله ، ويخوفه في قلبه من منعه لهم ، يقول له في قلبه إن رددت هؤلاء مسخط الله عليك أو سلمك نعمته ، ولا يزال يستدرجه في مثل هذا وقصده أن يفرق عنه المال ليذهب دينه وإيمانه ، فلا يزال كذلك إن لم يكف عنه حتى يفرق جميع ماله فإذا فرقه وقع التشويش في قلبه فيريد أن ينفق نفقته التي كان ينفقها في سعة اتساع المال فلا يجد السبيل إليها فيقع التشويش والترويع له من أهله طلبا لما اعتادوه من اتساع النفقة : فإن لم يأت بها آل الأمر بينه وبين أهله إلى اتساع السخط والغضب والعدواة فيكثر عليه الضيق والغيظ فلا يجد فيه وقتا يذكر فيه ربه ولا يؤدي فيه أمرا من طاعة ربه ، وربما ضاع عليه فرض الصلاة فيحمله ذلك على أخذ الدين من الناس وإتلافه في النفقة ، فعن قريب يحل به الوبال والويل من عدم وجوده ما يقضى به دين الناس ويصبح في زمرة الهالكين : فقد تلف دينه وعقله ودنياه وآخرته فهذا مراد الشيطان منه فيما كان يرغب فيه من الإعطاء لله وهدم المنع واحذر هذا المسكر اه .

وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا نرد قط سائلا محتاجا إلا إن سألنا شيئا نحن محتاجون إليه لنفسنا أولم نلزمنا مؤلته سيما إن صار حالنا بعد إعطائه له كحالته هو في الحاجة قال تعالى - ولا تجعل يدك

مظلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقع ملوما محسورا - وقد باع الخضر عليه السلام نفسه في حاجة سائل سأله بالله عز وجل أن يعطيه شيئا يتبلغ به ، أنظره . وفيه : أخذ علينا اليهود إذا مررنا على شريف أو شريفة على قوارع الطريق يسألان الناس أن ندفع لهما ما نقدر عليه من الدراهم أو الطعام أو الثياب أو نعرض عليهم الإقامة عندنا لنقوم لهم بالكفاية الشرعية حيث استطعنا ذلك ، ويقبح على من يدعى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمر على أولاده وهم على قوارع الطرق يسألون الناس فلا يعطيهم شيئا ، والله غفور رحيم اه . وفيه : ولا ينبغي لنا أن نتعلل في منعنا لما طلبوه بقولنا حتى يثبت شرفهم فإن إعطاء نالهم لم يثبت شرفه ربما كان أوجه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : هذا كله إذا لم يقسم الشريف علينا بجدته صلى الله عليه وسلم ، وكذلك إذا قال أعطوني نصفاً لأجل جدي أو رغبتنا أو فلان فيشتد علينا لإكرامه ، أنظره . وفيه : أخذ علينا اليهود أن لا ندع أحداً من إخواننا ينكر على أحد من الفقراء الطوافين على الأبواب والدكاكين يستلون الناس وأولأخوا عليهم لأن الفقراء ربما يريدون أن يحملوا عنهم أنواعاً من البلاء ويطفؤا عنهم بحاراً من الخطايا ، وفي الحديث « هدية الله للمؤمن وقوف السائل على بابه » وكان محمد بن الحسين رضى الله عنه إذا رأى سائلاً على بابه يتبسم في وجهه ويقول له مرحباً بمن يحمل زادنا إلى الآخرة بغير أجره ، وكذلك لا يمكن أصحابنا من قولهم هؤلاء قادرون على الكسب فيحرم عليهم السؤال ؛ لأن ذلك حجة في البخل ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى السائل وإن كان غنياً ويقول : « للسائل حق وإن جاء على فرس » وربما كان هذا السائل ممن لم يقسم الله عز وجل له حرفة في دار الدنيا غير السؤال لله تعالى أو لعباده أنظره وفي [غصن] وسألته رضى الله عنه هل أتكرم وأوتر أهل القلة أم أتأدب مع الله تعالى الذي أفقرهم ؟ فقال الأدب أرجح عندي فإنه ما أفقر غنياً إلا الحكمة أراد إظهارها ، فلا تجهل فإن كل مافي الوجود يمرأى من الله تعالى ومسمع فاصحبه تعالى بالأدب معه ومع مصنوعاته بماهى عليه في تلك الحالة التي شهدتها ، ولا تطلب نقلها عن تلك الحالة بغير إذن صريح منه وربما خالفت الآداب وطلبت أن تغنى من أفقره الله فيحول تعالى ذلك الحال إليك وينقلك عما تحبه وترضاه إلى ما لا تحبه ولا ترضاه كما طلبت أن تنقل ذلك العبد عما أحبه الله ورضيه ، ثم إن عفا عنك ولم يعاقبك فقد يكون ذلك العفو استدراجاً من حيث لا تشعر فهلك مع المالكين اه . قال رحمة الله :

(دَعُوا الْغُلَّ بَيْنَكُمْ وَكُلَّ ضَعِيفَةٍ وَلَا تُهْمِلُوا حَقَّ الْإِخَاءِ بِضِيعَةٍ
فَمَنْ ضَمَّ الْحَقُّوقَ يُبْلَى بِضِيعَةٍ وَذَلِكَ امْتِحَانٌ مِنْ إِلَهِ الْبَرِيَّةِ
لَدَلَّكَ حَفَّتْ جَنَّةٌ بِالْمَسْكَارِ كَمَا حَفَّتِ الْجَحِيمُ أَيْضاً بِشَهْوَةٍ)

(دعوا) أمر من ودعه تركه (الغل) بكسر معجمة كالحدق والضغن وزنا ومعنى ، وبضمها ما يوضع في العنق قال تعالى - إذا الأغلال في أعناقهم - وفي الحديث « إنما النساء أغلال فلينظر العاقل أى غل يضع في عنقه ويستعين الله على حمله » وفي [جص] « الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب » قال تعالى - ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين - وفي [عف] قال أبو حفص : كيف يبقى الغل في قلوب ائلفت بالله وانفقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره ، فإن تلك قلوب صافية من هو أجس النفوس وظلمات الطباع ، بل كحلت بنور التوفيق

فصارت إخواننا فهكذا قلوب أهل التقوى والمجتمعين على الكلمة الواحدة ، ومن التزم بشروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق ، والناس رجلا رجلا طالب ما عند الله تعالى ويدعو إلى ما عند الله نفسه وغيره فما للمحق الصوفي مع هذا منافسة ومراء وغل فإن هذا معه في طريق واحد ووجهة واحدة وأخوه ومعينه والمؤمنون كالبيان يشد بعضه بعضا ، ورجل مفتن بشيء من محبة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق فما للصوفي مع هذا منافسة لأنه زهد فيما فيه رغب فمن شأن الصوفي أن ينظر إلى مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوا بامفتننا فلا ينطوى له على غل ولا يماريه في الظاهر على شيء لعلمه بظهور نفسه الأمانة بالسوء في المراء والمجادلة ، أنظره . وفي [جع] وأوصيكم بطهارة القلب من الحقد على المسلمين فإن من تخلق به لا يفلح ، وأوصيكم بالبعد عن سوء الظن بالله وبعباد الله فقد قال صلى الله عليه وسلم « خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله » اه ولعنقرة الجاهلي :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الحسد

ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم - وفي [غص] وممعه يقول : عليكم بتطهير قلوبكم من الغل والحقد والحرص ونحو ذلك فإن الملك لا يرضى أن يسكن بجواركم وأنتم على هذا الحال فكيف بالحق تعالى ياداد طهرلى بيتا أسكنه انظره .

[فائدة] اعلم أن من فوائد ثمرات صيام ثلاثة أيام من كل شهر أنها تزيل من قلب من صامها الحقد والغش وسوء الظن وغيرها من الكبائر الباطنة ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (بينكم) وبين إخوانكم المؤمنين (وكل ضغينة) كسفية الحقد. وفي [جص] « تعافوا تسقط الضغائن بينكم » وفي « تساقطوا الضغائن » قال الحنفى : أى تعافوا أسباب محوها وإزالتها كالصفح والتخلق بالأخلاق الحسنة اه . وفي « تهادوا فإن الهدية تذهب بالسخيمة ولود عيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى كراع لقبلت » والسخيمة كالضغينة وزنا ومعنى ، وكراع كغراب ذراع الشاة . وفي تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر ، ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شق فرس شاة » وفرس بكسر أوله وثالثه كزبرج قطعة لحم بين ظلفي الشاة ، وينبغى لمن وجد في قلبه ضغينة على مسلم أن يضع يده اليمنى على قلبه ويمسحه ، ويقول : باسم الله اللهم ذوائى بدوائك ، واشفى بشفائك ، وأغنى بعطائك عن سواك وأحذر عنى أذاك ثلاثا أو سبعا وإن زاد - إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز - فحسن . وفي [حى] ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى . قال بعض الحكماء : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقد إلا وحشة منه ، ومن في قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضعيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله ، ومن نعت أمته صلى الله عليه وسلم كما في التوراة أنه لا يحمل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه المسلم ، انظره : وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول صلى الله عليه وسلم أن لا نحسد أحدا من خلق الله ولا نمتنى له زوال ما أعطاه الله تعالى له من علم أو جاه أو كثرة اعتقاد فيه أو نحو ذلك من الأمور الدينية أو الدنيوية هروبا من رائحة الاعتراض على الله تعالى وخوفا من مقتنا وطردها ولعننا كما وقع لإبليس ، فإن جميع ما وقع له كان أصله الحسد لآدم عليه السلام ، كما صرحت به الآيات والأخبار

انظره . وقيل : الحاسد لا ينال من المجالس إلا المذمة وذلا ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وهغضا، ولا ينال من الخلق إلا جزها وغما ولا ينال عند النزاع إلا الشدة وهو لا ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة وهو أنا . وعن سيدنا زكريا على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه قال : قال الله سبحانه وتعالى : « الحاسد عدو لنعمتي مسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمتها بين عبادي » ورحم الله من قال :

ألا قل لمن بات لي حاسدا أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله إذ أنت لم ترض لي ما وهب
فجازاك منه بأن زادني وسد عليك وجوه الطلب

ومن قال :

دع الحسود وما يلقاه من كمد كفالك منه شيب النار في كبد
وإن لم تذا حسد نفست كربته وإن سكنت فقد عذبته بيده

(ولا تهملوا) من الإهمال وهو الترك وعدم الاستعمال حق (الإخاء) بكسر الهمزة مصدر آخاه مؤاخاة وإخاء أخاه. أخا (بضمية) من ضاع يضييع هلك وتلف (فن ضيع) من التضضيع الحقوق أى حقوق إخوانه الواجبة عليه (يبلى) أى يمتحن ويفتن (بضمية) جزاء وفاقا إذ الجزاء إنما يكون من جنس العمل : اللهم إنا نألك العفو والعافية والسلامة بمحض فضلك ورضاك آمين . وفي [عف] قال أبو عبد الله : لا تضيع حق أخيك بما بينك وبينه من المودة والصدقة فإن الله تعالى فرض لكل مؤمن حقوقا لم يضييعها إلا من لم يراع حقوق الله عليه . ومن حقوق الصحبة أنه إذا وقع قرقة ومباينة لا يذكر أخاه إلا بخيراه . وفيه : فأداب الصحبة وحقوق الأخوة كثيرة ، ثم قال : وحاصل الجميع أن العبد ينبغي له أن يكون لمولاه ويريد كل ما يريد لمولاه لا لنفسه ، وإذا صاحب شخصا تكون صحبته إياه لله تعالى يجتهد له في كل شيء يزيده عند الله زلفى ، وكل من قام بحقوق الله تعالى يرزقه الله تعالى علما بمعرفته النفس وعبودها ويعرفه محاسن الأخلاق ومحاسن الآداب ، ويوقنه من أداء الحقوق على بصيرة ويفقهه في ذلك كله ولا يفوته شيء مما يحتاج إليه فيما يرجع إلى حقوق الحق وفيما يرجع إلى حقوق الخلق فكل تقصير يوجد من خيب النفس وعدم تركيتها وإبقاء صفاتها عليه فإن حجب ظلمت بالإفراط تارة وبالتفريط أخرى وتعدت الواجب فيها يرجع إلى الحق والخلق والحكايات والمواعظ والآداب وسماعها لا يعمل في النفس زيادة تأثير ويكون كثر بقلب فيه الماء من فوق فلا يمتكث فيه ولا ينتفع به وإذا أخذت بالتقوى وزهدت في الدنيا نبع منها ماء الحياة وتفقهت وعلمت وأدت الحقوق وقامت بواجب الآداب بتوفيق الله سبحانه اه اللهم ملكنا أنفسنا ولا تكلنا إليها طرفة عين وانمسننا في فضلك ورضاك آمين . وفي [جع] ولما كنتم ثم إياكم أن يحمل أحدكم حقوق إخوانه مما هو جلب مودة أو دفع مضرة أو إغاثة على كربة فإن من ابتلى بتضييع حقوق الإخوان ابتلاه الله بتضييع الحقوق الآلية ، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه اه : وفي [جه] وأما رحمه الدين فإنه من أعظم الناس مواصلة له وأكثرهم برورا وإحسانا لأهل جانبه هو أسى إخوانه وأصحابه وكل من له معرفة في الله بأنواع المواساة ويحسن إليهم فبطعم جائعهم ويشمل ضائعهم ويكسو عاريهم ويرقد فقراءهم ويعين ضعفاءهم ، إذ هو رضى الله عنه أشد اهتماما بأهل الأخوة الدينية يتألم لمصابهم أكثر مما يتألم لذوى نسبه ورحمه أعظم الناس عنده قريبا أكثرهم في الله حبا فيقرب الإنسان عنده من ذلك ولو كان من أبعد الأجانب ويبعد عنده البعيد

ولو كان من أقرب الأقارب تجده يستعظم حقوقهم ، ويرى أن القيام بها غير مستطاع سمعته غير ما مرة يقول : من ابتلى بتضييع حقوق الإخوان ابتلاه الله بتضييع الحقوق الإلهية ، نسأل الله السلامة والعافية من هذه البلية العظيمة التي عمت بها الباوى في حال المدعين للأخوة في هذا الزمان الرذيل اهـ - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - وفيه : استدراك ما ذكرناه من مراعاة حقوق الإخوان فليكن ذاك من غير حرج ولا ثقل ولا كلفة بل بما تيسر وأمكن في الوقت إلا أن يكون في بعض العوارض يخاف من أخيه العداوة والقطيعة وإفساد القلب فليسر لإصلاح قلبه فإن ذلك يستجاب الرضا من الله تعالى اهـ . وفيه : وعايكم بصلة الرحم من كل ما يطيب القلب ويوجب المحبة ولو بتفقد الحال والقاء السلام ، وتجنبوا معاداة الأرحام وحقوق الوالدين وكل ما يوجب الضيق في قلوب الأشياخ اهـ - رب اغفرلى وأوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا - آمين وفى [ثيق] أخذ علينا العهد أن نعلم كل من رأيناه في بلاء في هذا الزمان طريق الخلاص منه لاسيا أهل القرى من الفلاحين لغلبة الجهل عليهم - ومن أعظم طريق إلى دفع البلاء النازل على الناس في حارة أو قرية أو زاوية مصالحة بعضهم بعضا حتى لا يبق بينهم شحناء ولا عداوة ، ثم التعطف على بعضهم بالبر والإكرام والهدايا ، فإذا حصل الائتلاف والمحبة ارتفع البلاء عنهم كالبرق الخاطف ، ثم قال : وذلك أن البلاء لا ينزل قط على قوم وهم على قلب رجل واحد أبدا ، ولو قدر أن البلاء نزل يمكث بين السماء والأرض حتى يقع بينهم عداوة وتقاطع فينزل حينئذ : وقد قال شخص مرة لسيدى على الخواص : ياسيدى ما بقى قلب مع قلب في هذا الزمان فما سبب ذلك ؟ فقال الشيخ سبب ذلك عدم برهم لبعضهم لأن الحسنة هى التى تربط القلوب بعضها مع بعض . وقالت هذا الأمر قد آيسنا من وقوعه ما بقيت الدنيا ، ثم قال : وانظر يا أخى إلى صاحبك وجارك الغنى كيف يمكث السنة والسنتين وأكثر لا تنظر منه قط لقمة ولا خرفة ولا حسنة من حسنات الدنيا إلى أن يموت ، وإن وقع ذلك من جار أو صاحب فهو من غلطات الزمان ، وقد صار الأمر روايات وأخبار آكانه قط لم يكن في الوجود : وقد سمعت سيدى عليا الخواص قبل موته بنحو ثلاثة أيام يقول : قد صار الخلق الآن كالسمك الذى كان في بركة ^(١) ماء فنشف ^(٢) عنه الماء فصارت الحدادى ^(٣) والكلاب تفسخه بالنهار والثعالب والذئاب بالليل ومابقى يرجى عود الماء ليغمس فيه الذى هو كناية عن الرحمة ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اهـ . اللهم أغرقنا في دائرة فضلك وإحسانك وجودك وكرمك وامتنانك ، وفى بحر محبتك ورضوانك وفى وسع رحمتك ، يا أرحم الراحمين ارحمنا وباعفوا عاف عنا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - آمين (وذاك امتحان) أى ابتلاء واقتتان قال تعالى - ونبلوكم بالشر والخير فتنة - وقال - لنبلوكم أبكم أحسن عملا - (من إله البرية) سبحانه وتعالى لا يستل عما يفعل - فعال لما يريد - يخلق ما يشاء ويختار - أحسب النامى أن يتركوا إن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون - الآية - ليميز الله الخبيث من الطيب - الآية (لذلك) أى لأجل هذا الابتلاء والامتحان (عفت) أى أهدئت وأحيطت (جنة) رزقنا الله والمسلمين من أعلاها أو فرحظ ونصيب بمحض الفضل والتحييب بجاء النبي الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفى [جص] الجنة بناؤها

(١) قوله بركة بكسر موحدة كسيرة: جمع الماء اهـ . (٢) قوله فنشف بكسر معجمة: كس وزنا ومعنى اهـ .

(٣) الحداد كسحاب الحدبة اهـ .

لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها ^(١) المسك الأذفر وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران ، من بدخلها ينعم لايبأس ويخلد لايموت لايتلى ثيابهم ولايفنى شبابهم ، أنظروا (بالمشكاره) جمع مكرمة كمتعدة وتضم الراء المشاق التكليفية (كما حفت الجحيم) وهى النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق بعض أجارنا الله والمسلمين منها آمين ، ولها أسماء سبعة بحسب طبقاتها ودركاتها وهى : جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية ؛ ورحم الله من قال :

جهنم لظى ثم الحطيم وبعدها سعير وكل الويل يا صاح فى سقر
ومن بعدها تأتى الجحيم بزفرة وهاوية تهوى وذا القول مختصر

وسكت ميم جهنم للوزن . وفى [حى] قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب ، لاينتهى الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله » وقال على كرم الله وجهه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادى الحزن قيل يا رسول الله وما وادى أوجب الحزن ؟ قال وادى جهنم فتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين ، فهذه سعة جهنم والشعاب أوديتها وهى بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها ، وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التى بها يعصى العبد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ، فانظر الآن فى عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهى أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنهى هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها . قال أبو هريرة « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتندرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم قال هذا حجير أرسل فى جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى إلى قعرها » أنظروا . وفى [حص] « أدنى أهل النار عذابا يتعمل بتعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه » وفيه « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » انتهى . والشهوات : كل ما يستلذ به مما منعه وحرمه الشرع . والمكاره ما أمر به المكلف من مجاهدة النفس فعلا وتركها كالإتيان بالعبادات على وجهها والمحافظة عليها واجتناب المنهيات قولا وفعلًا وأطلق عليه مكاره لمشتقتها على العامل وضعويتها ، ومن جعلتها الصبر على المعصية والتسليم لأمر الله فيها ، وهذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وبديع بلاغته فى ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشقت عليها فكأنه قال لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكاره ، ولا إلى النار إلا بتعطى الشهوات وهما معجوبتان فمن خرق الحجاب دخل ، انظر العزيزى . وعن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنايه آمين لما سئل عن هذا الحديث الشريف : اعلم أن الله تبارك وتعالى من محض فضله وجوده وكرمه يغفر من الذنوب العظام بالكرب والشدائد والمصائب مالا يغفره بكثرة الأعمال الصالحات حتى يتمنى العبد يوم القيمة أنه لم يصف له وقت من الأوقات ، فإن الله إذا عرض على العبد أعماله فى صحيفته يقرأ ما فيها من الذنوب فإذا وجد فى صحيفته كربا ألم به يقول الله له سبحانه وتعالى بهذا الكرب غفرنا لك ما تقدمه من ذنوبك وأعطيناك عليه كذا وكذا من الثواب إلى آخر صحيفته ، حتى يتمنى أنه ما صفا له

وقت من الدنيا وهذا مظهر الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم «عجب ريك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل» أصحاب الكروب والشدائد وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم «حفت الجنة الحديث، انظر [جه] وفي [جص] ليودن أهل العافية يوم القيامة أن جلودهم قرضت بالمقاريض مما يرون من ثواب أهل البلاء» انتهى (أيضا بشهوة) وهي كل ما تستلذه النفس الأمارة بالسوء من كل ممنوع شرعا كما مر. قل رحمه الله :

(وَفِرُّوا مِنَ الدَّعْوَى وَلَا تَنْتَمُوا لَهَا وَقُولُوا عبيدُ اللَّهِ أدنى البرية)

(وفروا) كل الفرار (من) قرب ساحة (الدعوى) للصالح والفلاح فمن زعم أنه تقى أو صالح أو أنه أفضل من غيره فهو شيطان مريد وطريد عن رحمة الله المجيد قال تعالى - فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى - وقال - ولو لأفضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء وفي [جد] سألت أخى أفضل الدين رضى الله عنه عن تزكية الإنسان نفسه هل ذلك يدخل في شهادة الزور بلهله بعاقبة أمره أم لا ؟ فقال رضى الله عنه : تزكية الإنسان لنفسه بمن قاتل مطلقا لنور علمه ومعرفته وفتح لباب طرده عن حضرة ربه وعدم انتفاع الناس بعلمه ومعرفته ، وربما يجعله الله تعالى ضررا صرفا لا نفع فيه كما وقع لإبليس وهى من باب شهادة الزور الذى هو الميل ، لأنها قول مال بصاحبه عن طريق السعداء إلى طريق الأشقياء ، فقلت له فإن وقعت من إنسان تزكية نفسه لغرض صحيح ؟ فقال رضى الله عنه : لا بأس إذن فقد زكت الملائكة نفسها - ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك - وقال عيسى عليه السلام - إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت - وقال صلى الله عليه وسلم «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر» فإن الملائكة إنما مدحت نفسها لبيان شرف آدم عليه السلام فكان لإعلامهم بشرتهم ثم سجدتهم له أعلى في كمال آدم من سجدتهم له مع جهل الحاضرين بمقام الساجدين ، وكذلك عيسى إنما قال ذلك محض عبودية وإظهار ألتم سيدة ، كذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ما قال «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» إلا ليعلم خواص أمته بأنه أول شافع يوم القيامة حتى يأتوه أولا ويستريحوا من طول الوقوف ومن إتيانهم إلى نبي بعدني فطلب بذلك التزكية تقربا للطريق عليهم فما ذهب إلى غيره إلا من لم يبلغه هذا الحديث في دار الدنيا ، ثم قال وكذلك الحكم في تزكية العلماء والعارفين نفوسهم عند تلاملتهم إنما يقصدون بذلك ضمهم إليهم وعدم تفرقتهم فيضيع حالهم وتطول الطريق عليهم لاسيما إن كانوا محققين في ذلك ، انظره . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا نقر النفس قط على دعوها العلم والمعرفة فوق جميع أقرانها. وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام كفاية لكل معتبر ، وقد وقع للحسن البصرى رضى الله عنه أنه قال يوما لأهل مجلسه وكان فيه خمسمائة محبرة تكتب عنه : لا تسألوني عن علم نزل من السماء إلا أخبرتكم به فقام له شاب نحيف البدن يتوكأ على عصاه فقال : قد سمعت قولك آنفا ولكن يا سيدي هل للناموسة في بطنها مصران والا كرش ؟ فادري الحسن ما يقول فحمل مغشيا عليه فمات بعد ثلاثة أيام رحمه الله تعالى . ووقع للشيخ محيى الدين بن العربي أنه ركب البحر فهاجت ريح شديدة فقال : اسكن يا بحر فإن عليك بحرا من بحر العلم ، فسكن البحر بمجرد قوله ، ثم إنه طلعت له هائشة فقالت : يا محيى الدين أسألك عن مسألة واحدة فإن أجبت عنها فأنت بحر العلم ، وإن لم تجب عنها فأنت جاهل لا ينبغي لك دعوى العلم ، فقال

لها وما هي ؟ فقالت إذا مسخ الله عز وجل زوج امرأة هل تعتد عدة الأحياء أم عدة الأموات ؟ فادري الشيخ محيي الدين ما يقول ، فقالت له الهائشة نعماني شيخة لك وأنا أقول لك عليها ، فقال نعم ، فقلت إن مسخ حيوانا اعتدت عدة الأحياء وإن مسخ بجادا اعتدت عدة الأموات ، فمن ذلك اليوم ما سمع من الشيخ محيي الدين دعوى العلم حتى مات ، أنظره (ولا تنتموا) أي لا تنتسبوا (لها) أي إلى الدهري بحال من الأحوال إذ لا خير فيها ولا فيمن حل بساحتها ، وفي الحديث « المنتسب بما لم يعط كلابس ثوبي زور » وذلك كمن يلبس ثياب الزهد ويظهر من التخشع والتزهد أكثر مما عنده في قلبه ، ورحم الله من قال :

من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان

ومن قال : كل امرئ راجع يوم المشيئة وإن تخلق أخلاقا إلى حين

وفي [جه] ويترأى من الدعوى أتم براءة ويتنصل منها غاية التنصل لا يقبل من أحد فعل ذلك ، وإذا حكى شيئا صدر عنه من محاسن الأعمال أو أشار إلى بعض ماله من سني^(١) الأحوال لغرض من الأغراض أسنده إلى مجهول فيقول وقع لبعض الناس أو لرجل كذا وكذا ولا يسمى نفسه بما نلتقي بمن حضر معه في بعض تلك القضايا فيخبرنا بأنه هو فاعلمنا فصرنا نعلم ذلك من حاله ولا يحجب من ينسب إليه شيئا ولا من يصرح له سر من الأسرار ولا من يمدحه وإذا واجهه أحد يوما بشيء عليه لم يسأله إلا إن كان غائبا أو غرا بمدارك الأمور ، ويشدد النكير في دعوى الفقر وما يشار إليه ويقول إلى الآن ما حصلت لنا التوبة ولا الإيمان الكامل أو كلا ما هذا معناه تنبيهنا لا إمعين وإرشادا للتابعين ، والتعليم بالفعل أبلغ نصحا وأتم نجما فجاءه الله عنا خيرا وزاده منة وبراً ، وقد نجح والحمد لله ذلك وصرى للأصحاب ما هناك لا يحبون الدعوى ولا من يشتغل بها لما يعلمون من حاله ويسمعون من مقاله ويرون من فراره منها يقول : إن عقوبتها الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى يزجر السامعين بهذا الكلام ، وإنه لحقيق بمن ادعى بما ليس فيه أن يجازى بسوء الخاتمة ونسأل الله السلامة والعافية من هذه البلية العظيمة ، ويحب الحمول ولا يحب الظهور ولا يتعاطاه اه . وفي الحكم : أدفن وجودك في أرض الحمول فانبت مما لم يدفن لا يتم نجاهه اه . وعن بعضهم : ما أعرف رجلاً أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح ، وعنه أيضاً لا يجد حلاوة الآخرة من أحب أن يعرفه الناس ، ورحم الله من قال :

عش خامل الذكر بين الناس وارض به فذاك أسلم في الدنيا وفي الدين

من عاشم الناس لم تسلم ديانته ولم يزل بين تحريك وتسكين

(وقولوا) بالسنتكم وأفتدكم نحن (عبيد) بفتح العين جمع عبد (الله) تعالى ونحن (أدنى) أي أحقر وأضعف (البرية) قدرا وعملا تواضعا لربكم وهضما لأنفسكم فإن من تواضع لله رفعه الله في الدنيا والآخرة : وفي [جص] « تواضعوا وجلالوا المساكين تكونوا من كبراء الله وتخرجوا من الكبر » قال الحنفى إذ لا كبير إلا من كان كبيرا عند الله بالطاعة : أما كبراء الدنيا المعصاة فهم محقرون عنده تعالى اه . ورحم الله التابلسي . إذ قال في أغنياء الدنيا المعصاة :

والنفس^(٢) القلب من غبار الترجي والتمني بلحاهم والعلاء

(١) سني كفتي اه . (٢) قوله انفس ضم فاء من نفس كنصر اه .

لأنهم جاهلهم توهم عز في هوان وشهرة في خفاء
وعلاهم محض استفال وخفض واحتقار عند البصير الراي
وقد قيل : نفس المؤمن عليه وبعبها مشغولة . وفي [جص] « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب
الناس وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة فلم يعدل عنها إلى البدعة » ورحم
الله من قال :

إذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم ولا عيب إلا مثل ما فيك يذكر
وإن عبت قوما بالذي فيك مثله فكيف يعيب العور^(١) من هو أعور

وفي [هب] عن ابن عتيق قال : رأيت الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن مفيد يوما وهو يمشي في
يوم شات كثير المطر والطين ، فاستقبله كلب يمشي على الطريق التي كان يمشي عليها : قال : فرأيت
قد لصق بالحائط وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظره ليحوز وحينئذ يمشي هو ، فلما قرب منه الكلب
رأيت أنه قد ترك مكانه الذي كان فيه ونزل أسفل وترك الكلب يمشي فوقه . قال : فلما جاز الكلب
وصلت إليه فوجدته عليه كتابة فقلت له : ياسيدي رأيتك الآن صنعت شيئا استغربه كيف رميت
نفسك في الطين وترك الكلب يمشي في الموضع النقي ؟ فقال لي : بعد أن حملت له طريقا تخفى
تفكرت وقلت : ترفعت عن الكلاب وجعلت نفسي أرفع منه ، بل هو والله أرفع مني وأولى بالكرامة
لأنني عصيت الله تعالى وأنا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له ، فنزلت له من موضعي وتركته يمشي عليه ،
وأنا الآن أخاف المقت من الله إلا أن يعفو عني لأنني رفعت نفسي على من هو خير مني اه . وفي
[ثيق] أخذ علينا اليهود أن نشهد مقامنا الحقيقي دائما كأنه دون مقام كل مؤمن عند الله تعالى ، فكانه
في التمثيل بالمحسوسات هو التراب الذي تطؤه الأقدام وتبول عليه الكلاب ولا ترفع نفوسنا عن الأرض
ساعة من ليل أو نهار ، وذلك لأن الأرض أمنا التي خلقنا منها ولا ينبغي لعاقل أن يرى نفسه على أمه ،
ومن تحقق بهذا المقام لا يفارقه رضا الله عز وجل ولا رضا الخلق أبدا . ومن علامة تحقق العبد بهذا
المقام أن لا يستبعد وقوعه فيما أضيف إليه من النقائص التي هي مفرقة في سائر الخلق ، وأنه إن لم يكن
وقع فيها فربما يقع فيها في المستقبل أو يهيم بها أو تخطر على باله لعدم العصمة ، ثم قال : ومن فوائد
العمل بهذا العهد أن صاحبه إذا وقع لا ينكسر لأنه جالس على الأرض بخلاف من رفع نفسه فوقها
فإنه ربما ينكسر إذا وقع بقدر ما رفع نفسه فيادوام تكسير من رفع نفسه فوق جميع أقرانه ، وكذلك
من عمل بهذا العهد يأخذ الناس بيده إذا زلزل ويتوجهون له بخلاف من رأى نفسه عليهم فلا يأخذون
بيده بل يشتمون به . وكان من آخر وصية سيدى أحمد بن الرفاعي وهو في مرض الموت : كونوا ذنبا
ولا تكونوا رأسا ، فإن الضربة أول ما تقع في الرأس ، ثم أشار إلى نخلة وقال : للحاضرين : انظروا
إلى هذه النخلة لما قامت بصدرها جعل الله ثقل حملها عليها ولو حملت ما حملت لا يساعدها أحد ، بخلاف
شجرة البقطين لما مدت خدها على الأرض جعل الله ثقل حملها على غيرها ولو حملت ما حملت لانحس
به اه انظره . قال رحمه الله :

(وَلَا تَزِدُّوا عِبَادًا عَلَىٰ حَالَةٍ يَكُونُ عَلَيْهِمْ فَاشْفَلُوا بِخَوْنِصَةٍ)

(١) قوله العور بضم عين: جمع أعور اه .

(ولا تزددوا) من الازدراء وهو الاحتقار (عبدا) من عباد الله تعالى، قال تعالى - ولا أقول للذين تزددوا
أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين - ومن وصايا النووي رضي الله
عنه : إياك أن تحقر أحدا من إخوانك فإن العاقبة مجهولة والعبد لا يدري بما ينتقم له ، فإذا رأيت عاصيا
فلا تعجب بنفسك عليه فربما كان في علم الله أعلى منك مقاما وبصير يشفع فيك يوم القيامة ، وإذا رأيت
صغيرا فاحكم بأنه خير منك باعتبار أنه أقل منك ذلوبا ، وإذا رأيت كبيرا فاحكم بأنه خير منك لتقدمه
في الإسلام ، ورحم الله الشريشي إذ قال في رايته المعلومة :

ولا تزين في الأرض دونك مؤمنا ولا كافرا حتى تغيب في القبر
فإن ختام الأمر هنك مغيب ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر

قال الله تعالى - لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا - وقال - ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير -
الآية - وما أدري ما يفعل بي ولا بكم - الآية . وفي [هب] عن الحاتمي رضي الله عنه : ومن آدابهم مع
الله تعالى وقايل فاعله أن يعتقد الإنسان أن الله نظرات في كل زمان إلى قلوب عباده يمنحهم فيها من
معارفه ولطائفه ماشاء ، فإذا فارق شخصا ساعة واحدة وأعرض عنه نفسا واحدا وهو جالس معه ثم عاد
إليه فإنه يتنبأ للاقائه بالخدمة والتعظيم لعل نظرة من نظراته حصلت له أغنته ، فإن كان الأمر كذلك يغنى
فإن حصلت له نظرة من تلك النظرات فقد وفي معه الآداب ، وإن لم يكن الأمر كذلك يغنى بأن لم يحصل
له شيء من تلك النظرات فقد تأدب مع الله تعالى حيث هامله بما تقتضيه المرتبة الإلهية ، وهذا مقام
عزيز قل أن ترى له ذائقا ، وكذلك أيضا إذا شاهدوا عاصيا في حال عصيانه ثم زال عن تلك المعصية
فإنهم لا يعتقدون فيه الإصرار ويقولون لعله تاب في سره ولعله ممن لا تضره المعصية لاعتناء الباري به
في عاقبة أمره ، ومن نظر نفسه خيرا من أحد من غير أن يعرف مرتبة ذلك الآخر بالغاية لا بالوقت فهو
جاهل بالله عز وجل مخدوع لا خير فيه ولو أعطى من المعارف ما أعطى اه . (ونقل) أن الإمام الباقر
وصى ابنه رضي الله عنهما : بأن الله خبا ثلاثة في ثلاثة : سخطه في معصيته ، فلا تحقرن معصية فاعل
سخطه فيها ، ورضاه في طاعته ، فلا تحقرن طاعة ، فاعل رضاه فيها ووايه في خقه ، فلا تحقرن أحدا فاعله
ذلك الولي ، ورحم الله من قال :

فلا تحقرن شخصا من الناس عله ولي إله العالمين ولا ندري
فلو القدر عند الله خاف من الوري كما خفيت عن علمهم ليلة القدر

وفي [جه] عن المرسى رضي الله عنه : إن الله عبادا يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية ، وإن
الله عبادا يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية ، وإن الله عبادا يسترهم عن العامة ويظهرهم للخاصة ،
وإن الله عبادا صن^(١) بهم عن الخاصة والعامة فلا يظهر حقيقة ما بينهم وبينه حتى للحفظة فن سواهم
حتى يتوفى أرواحهم بيده فهم شهداء الملكوت الأعلى وهم أهل الصف الأيمن من العرش ، فهؤلاء
خاصة الخاصة ، جعلنا الله منهم جميعا بمنه وكرمه آمين اه . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود ونرجوا من
ربنا الوفاء أن نرى نفسنا دون كل جليس من المسلمين ولو بلغ ذلك المسلم في النقص ما بلغ ، فنرى نفسنا
دونه ، وكان علي ذلك جمهور السلف الصالح رضي الله عنهم ، ثم قال : وسمعت سيدي عليا الخواص

رحمه الله يقول : من شك من أصحاب الرهونات في أن نفسه دون جليسه فليعرض على نفسه جميع زلاته التي وقع فيها طول عمره ويقابل بينها وبين ما يعلمه من نقائص ذلك الجالس فإنه يجد معاصيه أكثر بيقين غالباً لأن الشخص في الغالب يعلم من نقائص نفسه أكثر مما يعلمه من نقائص غيره ، ومن كان أكثر معاص من جليسه فهو دونه بيقين في اقام ، ثم لا يجوز للإنسان أن يقيس جليسه على نفسه في كثرة المعاصي بالظن والتخمين : ثم قال فاشهد نفسك بأنني دون جليستك المسلم لتصير من أهل التواضع ويرفعك الله فوق أقرانك ، وفي الحديث الصحيح « من تواضع لله رفعه الله » فإن رأيت نفسك فوق إخوانك صرت تحتهم وإن شهدتهم فوقك صرت فوقهم ، ولم يتعبدنا الحق تعالى بأن نرى نفوسنا فوق أحد من الخلق إلا من حيث الشكر فقط لا من حيث الزهو والعجب والكبر ، بل نهانا عن الكبر أشد النهي وقال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر » يعنى على أخيه المسلم . وفيه : أخذ علينا اليهود أن لا نستبعد رحمة الله عز وجل على أحد من المسلمين فلما وسعت كل شيء ، وربما يغفر الله لذلك العاصي ذنوب كل يوم بيومه فلا يمسي كل ليلة إلا مغفوراً له ، ولولا ذلك لحق الله العصاة بأسرهم اه . قال تعالى - ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم مترك عليها من دابة - الآية - ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون - الآية (وعلى أى حالة) من الحالات (يكون عليها) إذ ربما تكون له فيها نية صالحة وإن كانت في الظاهر مذمومة شرعاً وطبعاً ولا سيما البهاليل والمجاذيب ولو تلبسوا بالمعاصي في الظاهر فلأنهم فرق في مشاهدة الباطن الظاهر سبحانه وتعالى فإن الازدراء يؤدي إلى الإنكار والانتقاد وليس ذلك بمحمود ولا سداد . وفي [جص] ذروا العارفين المحدثين من أمي لا تنزلوهم الجنة ولا النار حتى يكون الله هو الذي يقضى فيهم يوم القيامة وفي العزيزي قال المناوي : ويظهر أن المراد بهم المجاذيب ونحوهم الذين يبدوا منهم مظاهره يخالف الشرع فلا نتعرض لهم بشيء ونسلم أمرهم إلى الله تعالى اه . ورحم الله من قال :

مجانين إلا أن سر جنونهم عزيز ، على أبوابهم يسجد العقل

وفي [عم] وحكى لي شيخ الإسلام المحدث الشيخ أمين الدين إمام جامع الغفر بمصر عن شيخ الإسلام صالح البلقيني أن والده الشيخ سراج الدين مر يوماً بباب اللوق ، فوجد هناك زحمة فقال ما هذه الزحمة ؟ فقالوا له شخص من أولياء الله يبيع الحشيش ، فقال لو خرج الدجال حينئذ في مصر لاعتقدوه من شدة جهلهم كيف يكون شخص حشاش من أولياء الله إنما هو من الخرافيش ثم ولي ، فسلب الشيخ جميع ماله حتى الفاتحة فتكرت عليه أحواله وصارت الفتاوى تأتي إليه فلا يعرف شيئاً ونسي ما قاله في حق الحشاش ، فسكت كذلك في مدرسته بحارة بهاء الدين ثلاثة أيام فدخل عليه فقير فشكى إليه حاله فقال لهذا من الحشاش الذي أنكرت عليه ، فإن الفقراء أجلسوه هناك يتوب الناس عن أكل الحشيش فلا يأخذها أحد من يده ويعود إلى أكلها أبداً حتى يموت ، فأرسل استغفر له يرد عليك حالك ، فأرسل له فهم مجرد ما أقبل الرسول أنشده الشيخ :

نحن الخرافيش لا	نسكن	هوالى الدور
ولا نسراى ولا	نشهد	شهادة زور
نقتنع بخرقه وله	مة في	مسجد مهجور
من كان ذا الحال حاله	ذنبه	مغفور

فلو كنا عصاة يبيع الحشيش ما أقدرنا الله على سلب شيخ الإسلام، ثم قال له: سلم على شيخ الإسلام
وقل له: اعمل أربعة خرفان معاليف سواء وأربعمائة رغيف وتعال اجلس عندي كل من بعته قطعة
حشيش زن له رطلا وأعطه رغيفا، فشق ذلك على شيخ الإسلام فإزال به أصحابه حتى فعل ذلك وصار
يزن لكل واحد الرطل ويعطيه الرغيف والشيخ يتبسم ويقول: نحن نخلبهم في الباطن وأنت تخلبهم في
الظاهر إلى أن فرغ الخرفان، ثم قال له: إذهب إلى الديك الذي فوق سطح مدرستك فاذبحه وكل
قلبه يرد عليك علمك، فبأنه عليك كيف تنكر على المسلمين بعلم حله الديك في قلبه ففنى ذلك اليوم ما
أنكر الشيخ الهمداني^(١) على أحد من أرباب الأحوال. ثم قال: (وحكى) الشيخ نور الدين الشافعي أن
شخصا في قنطرة الموصلي كان مكاريا يحمل النساء من بنات الخطا وكان للناس يسبون ويصفونه
بالتعريض، وكان من أولياء الله تعالى لا يركب امرأة قط من بنات الخطا وتعود إلى الزنى أبدا، فقال
الشيخ نور الدين له: بم وصلت إلى هذه المنزلة؟ فقال باحتمال الأذى، ثم قال: وسمعت بعض سيدي عليا
الخواص يقول: إن الله تعالى أعطى أرباب الأحوال في هذه الدار التقديم والتأخير والولاية والعزل
والقهر والتحكم على الله تعالى الذي هو الإدلال عليه ونفوذ الأمر في كل ما أرادوه من الأمور، فلماذا
والإنكار على أحد إلا بعد التوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحفظكم من ذلك الرجل والإفراط بما
مقتكم فهل كنتم: وسمعت سيدي عبد القادر الدشوطي يقول: أرباب الأحوال مع الله كعالمهم قبل
خلق الخلق، وإزال الشرائع اه، انظره.

وفي [هـ] إن الولي الكبير بما يظهر للناس بعض وهو ليس بعاص وإتباعه حجبته ذاته فظهرت
في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية لأنها إذا كانت حراما مثلاً فلأنها بمجرد جعلها
فيها ترميها إلى حيث شئت، وسبب هذه المعصية للظاهرة شقاوة الحاضرين والعياذ بالله تعالى،
فإذا رأيت الولي الكبير ظهرت عليه كرامة فاشهد للمحاضرين بأن الله تعالى أرادهم الخير، أو معصية
فاشهد بشقاوتهم، وكما أن أرواحهم هي التي تقول كراماتهم كذلك هي التي تتولى معاصيهم الظاهرة.
وفيه: إن الولي الكامل يتلون على قلوب القاصدين وبياتهم فن صفت نيته رآه في عين الكمال وظهر
له الخوارق وما يسره، ومن خبث نيته كان على اللص من ذلك، وفي الحقيقة ما ظهر لكل واحد إلا
ما في باطنه من حسن وقبح، والولي بمنزلة المرأة التي تنجلي فيها الصور الحسنة والصور القبيحة، فن
ظهر له من ولي كمال ودلالة على الله، فليحمد الله تبارك وتعالى، ومن ظهر له غير ذلك فليرجع على
نفسه، ثم قال: إن الولي إنما يعتبر من القاصدين إليه باطنهم، وأما ظاهرهم فلا عبرة به عنده، والقاصدون
على أربعة أقسام: قسم يستوى ظاهره وباطنه في الاعتقاد، وهذا أصعبهم، وقسم يستوى ظاهره وباطنه
في الانتقاد وهذا أبعدهم، وقسم ظاهره معتقد وباطنه منتقد، وهذا أضر الأقسام على الولي، كالمنافق
بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. لأنه إذا نظر إلى ظاهره ويريد نفعه منعه الباطن وإذا أراد البعد
منه حيث ينظر إلى باطنه أطعمه ظاهره، ثم قال: إن الولي الكامل غائب في مشاهدة الحق سبحانه
وتعالى لا يحجب عنه طرفة عين، وظاهره مع الخلق فيستعمل الحق سبحانه ظاهره مع القاصدين بحسب
ما سبق لهم في القسمة، فن قسم له منه رحمة أطلق عليه ذلك الظاهر، وأنطقه بالعلوم وأظهر له مالا يكيف

(١) بضم موحدة وكسر هاء: مدينة بصر.

من الخيرات ، ومن أراد به سوءاً ولم يقسم له على يده شيئاً أمسكه عنه وحجبه عن النطق بالمعارف : قال رضى الله عنه : وما مثلت الولى مع القاصدين إلا كحجر بنى إسرائيل فإذا كان بين يدى أولياء الله تعالى انفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وإذا كان بين أعدائه لا يخرج منه ولا قطرة واحدة . وفيه : وسمعه رضى الله عنه يقول : لا ينبغي أن ينظر إلى ظاهر الولى ويوزن عليه ، فيخسر الوازن دنيا وأخرى ، فإن فى باطن الولى العجائب والغرائب ، وما مثاله إلا كخنشة صوف فى وسطها خنشة حرير لا تظهر إلا فى الآخرة ، وغير الولى بالعكس خنشة حرير فى وسطها خنشة صوف والعياذ بالله ، انتهى .

وفى [غص] وسأله رضى الله عنه عن أرباب الأحوال الذين يظهر عنهم الخوارق مع عدم صلاتهم وصومهم ، كيف حالهم ؟ فقال : ليس أحد من أولياء الله له عقل التكليف إلا وهو يصلى ويصوم ويقف على الحدود ، ولا يكن هؤلاء لهم أما كن مخصوصة يصلون فيها كجامع رملة لد ، وبيت المقدس ، وجبل (ق) وسد اسكندرية : وغيرها من الأماكن المشرفة أو التى انكسر خاطرها بين البقاع بقلة عبادة ربها فيها فأرادوا جبر خاطرها ، ولا كرامها بالصلاة ، ثم قال : وكان سيدى إبراهيم المتبولى يصلى الظهر دائماً فى الجامع الأبيض برملة لد ، فكان علماء حارته يفكرون عليه ، ويقولون لأى شئ لا تصلى الظهر أبداً مع كونه فرها عنك كغيره من الصلوات الخمس ، فيسكت ، والله تعالى أعلم انتهى .

وفى [عم] وحكى الشيخ محمد الطنيجي عن إمام جامع سقاود أن شخصاً كان ينام فى المحراب بثياب دنسة فكان كلما أراد أن يقف فى المحراب يجده نائماً فيه فسياه عجل المحراب . فجاء الإمام يوماً فغمزه برجله فى جنبه فقام وعينه كالدم الأحمر فسك الإمام ودفعه فى المحراب فوجد نفسه فى أرض قفراء وحرة فتعرجت رجلاه من المشى فقطع عمامته ولف منها حل رجليه ، فلما تعب تراءت له شجرة فتصدها فإذا عندها عين ماء وإذا بأثر أقدام توضأت وذهبت ، فتبع الآثار فوجد جماعة كثيرة فى عطفة جبل « وإذا بالرجل الذى كان ينام فى المحراب هو شيخ الجماعة وعليه ثياب نظيفة فالتفت إلى أصحابه وقال : هل رأى أحد منكم يوماً وأنا عجل بقر ؟ فقالوا : لا ، فقال قولوا لهذا فقال الإمام أستغفر الله وتاب ، فأشار الشيخ إلى واحد من الجماعة يدفعه إلى جامع سقاود فقام ودفعه فوجد نفسه خارجاً من حائط المحراب والناس ينتظرونه فى صلاة العصر فأخبرهم بالقصة ، وأن تلك الأرض القفراء سقر مئة كاملة من مصر ، أنظره (فاشغلوا) النفس الأمار بالسوء من القبل والقال والتكلم فى أصحاب الأحوال إطاعة الكبير المتعال و (بخويصة) بتشديد الصاد تصغير خاصة أى وبخاصة أنفسكم قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم - الآية ، وعن سفیان الثوري رحمه الله أنه كان يقول : هذا زمان عليك فيه بخويصة نفسك ودع العامة :

وفى [خل] (فصل) فى كيفية النظر إلى المسلمين بعين التعظيم والاحترام ورؤية الفضل لهم عليه : ينبغي للمكلف أن ينظر إلى إخوانه المسلمين بهذا النظر الحسن ، فإذا نظر إليهم بذلك وجدهم على طبقات ثلاث فى كل طبقة منها سلوكه إلى ربه عز وجل ، أما الطبقة الأولى . فإنه إذا نظر إلى من هو أكبر منه سناً أو أعلم أو أكثر عبادة وانقطاعاً إليه عز وجل علم أن له فضيلة عليه بسبقه للإسلام أو ما خصه الله تعالى به من الخصال الحميدة فى الشرع الشريف وعلم تقصيره فى نفسه فيحترمه ويعظمه ويرى فضله عليه وسبقه . الطبقة الثانية : أن يرى من هو مثله فينبغى له أن ينظره بعين التعظيم ، لأنه قد

يكون سالما من الذنوب أو تكون له ذنوب لكنه بالنسبة إلى الرائي أقل ، إذ الإنسان يعرف ذنوبه على الحقيقة ولا يعرف ذنوب غيره ، ولعله إذا اطلع على ذنب لغيره لم يكن له سوى ما أطلع عليه ، وإذا كان كذلك فينبغي أن ينظره بعين التعظيم والتفضيل له على نفسه . الطبقة الثالثة : أن يرى من هو أصغر منه سناً فيقول هذا أقل ، في ذنوبا لأنى قد سبقته إلى الدنيا وارتركبت فيها ما ارتكبت وهو بعدى لم يكن مكلفا فلا ذنوب عليه ، فإن رأى من هو مبتلى في دينه وهماق عليه ساووك باب التأويل في حقه فليرجع إذ ذاك لنفسه ولينظر منة الله تعالى عليه في الحال في كونه أنعم الله عليه بما تلبس به من الطاعات وكونه سالما مما ابتلى به غيره مما هو محظور في الشرع الشريف ، ثم مع ذلك يذكر نفسه بالناامة فإنه لا يدري بماذا يختم له ، فإنه إن هومل بالعدل فلا يخلصه شيء مما هو فيه من أفعالي القرب وإن كثرت ، وإن هومل من رآه بالفضل قضيت عنه التبعات وقبل منه اليسير من الحسنات ، فإن فضل الله لا يحد في جهة وعدله لا يؤمن في حال ، فإذا نظر إلى الناس بحسن هذا النظر ربح وعادت عليه بركة تحسين ظنه بإخوانه المسلمين حالا ومآلا وكان اجتماعهم بهم رحمة في حقه وحققهم ، وكذلك الفرار منهم والهروب من خلطهم بهذا النظر والاعتبار ، انظره . قال رحمه الله :

(وَلَا تَرَهَّبُوا وَلَا تَقَرَّبُوا وَلَا تَتَجَرَّدُوا عَنْ أَسْبَابِ عَيْشَةٍ

كَكَسْبٍ وَحِرْفَةٍ وَحَرْثٍ تِجَارَةٍ فَيَسْفَعُ عُرْشَ الرِّزْقِ فِي عَقْدٍ صَفَقَةٍ)

(ولا ترهبوا) الترهيب التجرد للعبادة والتفرغ لها ، فقد ورد أن الله تعالى يبغض الفارغ المتجرد للعبادة . وفي [مع] قال السيوطي رحمه الله في الكوكب الساطع :

وليس من زهادة تعزب وترك محتاج له ترهب

وقال في شرحه : ليس من الزهد التعزب وترك مالا بد منه ، بل ذلك من التعمق المنهى عنه ، أنظره . وفي الحديث : « إياكم والتعمق في الدين فإن الله تعالى قد جعله سهلا فخذوا منه ما تطيقون فإن الله تعالى يحب مادام من عمل صالح وإن كان يسيرا » اه قال تعالى - وما جعل عليكم في الدين من حرج - وفي [جص] « الدين يسر وله يشاد الدين أحد إلا غلبه » قال العريزي : يعنى لا يتعمق فيه أحد ويأخذ بالتشديد إلا غلبه الدين وحجزا لمتعمق انتهى . وفيه « لا حزام ولا زمام ولا سياحة ولا تبطل ولا ترهب في الإسلام » اه وخزام جمع خزيمة : حلقة شعر تجعل في أنف البعير ، وكانت بنو إسرائيل يخترعون أنوفهم ويجعلون فيها ذلك ، فنهى الشارع صلى الله عليه وسلم هذه الأمة عن ذلك لأن شربعته سمحة سهلة يبيضاء قال تعالى - بالمؤمنين رؤوف رحيم - (ولا تتعزبوا) التعزب ترك النكاح فهو من عطف الخاص على العام . وفي [جص] « من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان فليقق الله في النصف الباقي » أى بامتنال المأمورات واجتناب المنهيات ، وفيه « من تهتل فليس منا » أى ليس على صفتنا ، لأن التبعل سنة اليهود والنصارى يزعمون أن النكاح يقطع عن الوصول إلى الله تعالى وأن تركه هو العبادة قال تعالى - بأيتها الذين آمنوا لا تحرموا طبيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا - الآية ، وفيه « تزوجوا فإنى مكاتر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى أى لأنهم ينشؤون في للصوامع وقلل الجبال ويتركون النساء والمال ، وفيه « تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش » أى لأن الله يكرهه ولا يحبه لما يترتب عليه من

المفسد كقطع النسل والوقوع في الزنى ، وروى « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » وفيه « شراركم عزابكم »
« ركعتان من متأهل خير من سبعين ركعة من غير متأهل » ورحم الله من قال :

شراركم عزابكم جاء في الخبر أرادل الأموات عزاب البشر

إذ ليس لهم فراط يهينون لهم ما يحتاجون إليه في الآخرة ، لكن ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال
« أنا فرط من لا فرط له » والفرط كسبب المتقدم إلى الماء لإصلاح الحوض والدلاء . وفي [عف] وقد
نقل عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لا يتم لسك الشاب حتى يتزوج . ونقل عن شيخ
مشايخ خراسان : أنه كان يكثر التزوج حتى لم يكن يخلو عن زوجتين أو ثلاث ، فعوتب في ذلك
فقال : هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف وقفة في معاملته فخطر على
قلبه خاطر شهوة ؟ فقالوا قد بصيننا ذلك ، فقال لو رضيت في حمري كله بمثل حالكم في وقت واحد
ما تزوجت قط ، ولكني ما خطر على قلبي خاطر شهوة قط شغلني عن حالي إلا نفدته لأستريح منه
وأرجع إلى شغلي ، ثم قال : منذ أربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر معصية ، ثم قال : وقد كان
الحنيد يقول : أنا أحتاج إلى الزوجة كما أحتاج إلى الطعام ، وسمع بعض العلماء بعض الناس يطعن في
الصوفية فقال : يا هذا ما الذي ينقصهم عندك ؟ فقال يأكلون كثيرا ، فقال وأنت أيضا لو جعت كما
يجوعون أكلت كما يأكلون ، ثم قال : ويتزوجون كثيرا : قال : وأنت أيضا لو حفظت فرجك كما
يحفظون تزوجت كما يتزوجون . قال : وأي شيء أيضا ؟ قال يسمعون القول : قال : وأنت أيضا لو
نظرت كما ينظرون سمعت كما يسمعون . وكان سفيان بن عيينة يقول : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن
هليا رضي الله عنه كان أزهده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له أربع نسوة وسبع عشرة
سرية ، وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول : خير هذه الأمة أكثرها نساء ، أنظره . وفي الحديث
« الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ورحم الله من قال :

وخير ما نال الفتى بعد الهدى والعافية

امرأة جميلة عفيفة مواتية (١)

وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نختار التزوج على العزوبة
ولو كنا في عبادة ليلا ونهارا ، أو نعين من طاب التزوج جهدا وذلك لأن عبادة العازب ناقصة ، ثم
قال : ولم يقع العازب في فاحشة وبستره الله ، ولم يخطر في باله الفاحشة ويحميه الله ، ولم يصلي صلاة
وجارحته متأمرة في حال الصلاة ، ولم يسيء الناس ظنهم به ولم يمنعون من السكنى بين النساء في
الربوع وغيرها ، ولو أنه تزوج لكان أعف نفسه عن مثل ذلك ، ومن هنا ورد « من غسل واغتسل
ثم أتى الجمعة » الحديث أي أتى زوجته قبل أن يحضر لصلاة الجمعة خوفا أن يخطر في باله وهو بين
يدي الله عز وجل الجماع ولو حالالا في تلك الحضرة الخاصة والجمع العظيم فإذا جامع زوجته وخرج
للجمعة آمن من ذلك ثم قال : وانظر يا أخى إلى إيجار السيد موسى عليه السلام نفسه عشر سنين في
تحصيل مهر امرأة تعرف مقدار التزويج . وقال بعض فقهاء العصر : وقع لي أني أمرت بعض الفقراء

المتعبدون عندى فى الزاوية بالتزويج فقال لاحاجة لى بذلك ، غلبته نفسه فوقع فى الزنى ، فتزوج باهازيب
واسمع سعى الرجال فلأن تزوج وتسال الناس وتكتسب بنصيب وتعب خير لك من أن تأتى يوم القيامة
زانيا أو محشورا مع قوم لوط ولو كنت على عبادة الثقلين ، ومن القواعد أن السلامة مقدمة على الغنيمة ،
وقول بعض الفقهاء فى هذا الزمان : إن العزوبة مقدمة على التزويج إنما ذلك فى حق من لم يخف على
نفسه العنت أما من يخاف العنت فالتزويج مطاوب له بالإجماع ، أنظره . قال تعالى - وأنكحوا الأباى
منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ، وفى الحديث « اطلبوا
المال بالنكاح » (ولا تنجروا) التجرد التفرغ للعبادة عن سائر الشواغل فإن الله يهبط المتجربين
لها ويحب المؤمن المحترف . وعن أبى قلابة رحمه الله : لأن أرى فى معاشى أحب إلى من أن أرى فى
زوايا المسجد وقال : عليكم بالسوق والصنعة فإنكم لى تزالوا كراما على إخوانكم ما لم تبحثوا إليهم .
وفى [حى] ومثل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم المتفرغ للعبادة ؟ قال التاجر الصدوق
أحب إلى لأنه فى جهاد ، يأتيه الشيطان من طريق المسكيات والميزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيبهاهده ،
وخالفه الحن فى هذا . وقال عمر رضى الله عنه : ما من موضع يأتي الموت فيه أحب إلى من موطن
أنسوق فيه لأهل أبيع وأشتري ، ثم قال : وقال أيوب : قال لى أبو قلابة لزم السوق فإن الغنى من
العافية : يعنى الغنى عن الناس . وقيل لأحمد ماتقول فيمن جالس فى بيته أو مسجده وقال لا أعمل
شيئا حتى يأتي رزقى ؟ فقال أحمد : هذا رجل جهل العلم ، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن
الله جعل رزقى تحت ظل رحى ، وقوله عليه السلام حين ذكر الطير تغدو نخاصا وتروح بطائنا ، فذكر
أنها تغدو فى طلب الرزق ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون فى البر والبحر ويعملون
فى نخلهم ، والقذوة بهم ، وقال أبو قلابة لرجل : لأن أراك فى معاشك أحب إلى من أن أراك فى زاوية
المسجد ، وقال أبو سليمان الداراني : ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك بقوت لك ، ولكن
ابدا برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد ، أنظره وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ماتصنع ؟
قال أتتعبد . قال من يعولك ؟ قال أخى . قال أخوك أعبد منك . وروى : أن الصحابة أثنوا عند النبي
صلى الله عليه وسلم على رجل بالعبادة فقال صلى الله عليه وسلم فمن كان بطعمه ويسقيه ويعلف دابته
ويكفيه ضيعته ؟ فقالوا نحن يا رسول الله ، فقال كللكم خير منه ، وقال حذيفة رضى الله عنه : خياركم
من لم يدع دنياه لآخرته وآخرته لدنياء ، وروى : لا تسبوا الدنيا فتعتمد مطية المؤمن عليها يبلغ من
الخير وبها ينجو من الشر ، اه : وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن لا نشتغل بشيء من العبادات ونترك التكسب بحيث يضيع عيالنا وأنفسنا ونحتاج كلنا إلى سؤال
الناس ، وهذا العهد يقع فى خيانتة كثير من المتعبدين وطلبة العلم ، ثم قال وقد كان الإمام الشافعى رضى
الله عنه يقول : لا تشاور من ليس فى بيته دقيق : أى لأنه مشغول البال فعلم أن حياة الأبدان مقدمة على
حياة الأرواح والقوت بالعلم ، لأن حياة الروح فرع عن حياة الجسم من حيث أنها محل لظهور أفعال
التكليف وإقامة شعار الدين ، وهذا اللوم فى حق من يضيع من يعول مع اشتغاله بخير آخر ، فكيف
بمن يضيعهم باشتغاله باللهو واللعب ونحو ذلك اه . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى

الله عليه وسلم أن لا توكل توكل العوام فنترك الكسب بالتجارة والزراعة والصناعة ونحو ذلك ولصير
تسأل الولاة والأغنياء تصريحا أو تعريضا فإن ذلك جهل بمقام التوكل كما هو شأن من يطلب الوظائف
والأنظار بالوسائط وكتابة القصص ثم يدعي التوكل بعد ذلك وهو قد سأل مع الغنى الشرعى ، وربما
يحتج بأن التكسب يعطله عن الاشتغال بالعلم وذلك حجة لا تنهض إلا إذا لم يكن في بلده أو إقليمه من
يقوم بحفظ الشريعة أما إذا كان بلده من يقوم مقامه بالإفتاء والتدريس فالأدب اشتغاله بالتكسب إلى
أن يمن الله عليه بما يأكل وما يشرب من حيث لا يحتسب ، ونحو ذلك ، فليأكل يا أخى وسؤال الناس
بلا ضرورة وقد كثرت وقوعه من غالب حملة القرآن مع قدرتهم على الكسب بالحرف والصنائع
وغيرهما ، انظروا .

وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا نزهد فى الدنيا لما نجهده فى الزهد من نعيم القربى وخلو اليد وراحة
القلب فنكون كحمار الرحى الذى يبتدى منه ينتهى سيره إليه فنخرج من لذة إلى أعظم منها أو مثلها
كما يقع فى ذلك العباد الذين لم يسلكوا على يد الأشياخ فكأنهم بهذا الزهد ما برحوا عن حظ نفوسهم
ولا عن حجابهم عن ربهم ، وإنما نزهد فى الدنيا زهد العارفين وهو أن نعلق قلوبنا بحب الله وحده
ثم نمسك الدنيا بحذا فيرها فلا نترك منها شيئا إلا إن كان فيه شبهة ، ولتصرف فى الدنيا تصرف حكيم
عليم ونستعمل كل شئ فيما خلق له ، ولا يصح ذلك أن الله تعالى امتن علينا بأنه سخر لنا ما فى السموات
وما فى الأرض ولا يكمل لنا شهود امتنانه علينا إلا بشهودنا الافتقار إلى كل شئ فى الوجود ، فافهم
واعمل على هذا الزهد ودع عنك قول من يقول بدم الدنيا على الإطلاق فإنه جاهل بما قلناه ، فإن الذم
ما حصل إلا من تعلق القلب بمحبته دون الله تعالى وحجاب صاحبها عن الآخرة ، ثم إنه لا يصح
لعبد قط الاستغناء عن الدنيا كما يتوهم أقل ما هناك حاجته إلى ما يأكله وما يشربه وما يبتغى فيه من
الريح فإن من زم نفسه مات ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد فى الدنيا فقال « هو
اليقين » وقد ذكرنا فى الآداب الكبرى أن بيت الفتنة فى الدنيا أربعة أشياء : النساء والجاه والمال والولد ،
والكمال لا يهرب من شئ منها ، بل يحبها كلها بتحبيب الله عز وجل ويغلب حكم محبة الطبع والنفس لله
تعالى أنظروا (عن أسبابه عيشة) بكسر العين أى معيشة .

وفى [حصص] من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا المم فى طلب المعيشة ، وفيه « العافية فى عشرة
أجزاء : تسعة فى طلب المعيشة وجزء فى سائر الأشياء » وفيه « من طلب الدنيا حاللا وتعففا عن المسألة
وسمعا على عياله وتعظفا على جاره لى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » وفيه « الفار من عياله كالفار من
الزحف » اه . وأما قوله صلى الله عليه وسلم « أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب »
وقوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فمخصوص بطائفة من فضائل الله
تعالى وخاصيته جعل رزقهم من حيث لا يعلمون لئلا يكون لأحد عليهم منة وإن كان من هو أعلى منه
جعل رزقه للكسب للاقتداء به : فقد كان سيدنا زكريا نجارا وكذلك سيدنا نوح وسيدنا إدريس نحياطا
وسيدنا داود دراعا وسيدنا آدم حرثا وسيدنا محمد مجاهدا صلوات الله وسلامته ، وكان أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم أصحاب الحرف من زراعة وتجارة وغير ذلك أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده .
وفى [هب] إنما أسباب المعاش من حرثة وتجارة وغيرهما بمنزلة الكشاكيل التى فى أيدى السعاة ،

فإنه قد جرت عادة الرب سبحانه أنه لا ينزل الرزق على العبد إلا بأن يعطيه الرزق في يده من غير حيلة بل لا يعطيه إياه حتى يسأله بكشكول من كشاكيل أسبابه فإذا مدله الكشكول وضع له فيه ما يليق به ويصلحه وحينئذ فيجب على المتسبب أن ينزل سببه بهذه المنزلة فيكون نظره عند السبب إلى ربه عز وجل لا إلى السبب كما أن الساعي المتكفف إنما ينظر إلى الناس الذين يعطونه ولا ينظر إلى كشكوله الذي في يده، وإذا كان نظره عند السبب إلى ربه عز وجل كان متعلقا بحال سببه بربه عز وجل فيكون سببه وصلة بينه وبين ربه تعالى فلا يعتمد على سببه بل على ربه، وإذا كانا عتاده على ربه فلا يتعاطى إلا سببا أذن له ربه فيه، وحينئذ فلا فرق عنده بين أن يكثر من الأسباب أو يقل، فإن المعطى سبحانه واحد وهو قادر على أن يعطيه في سبب واحد ما يعطيه لغيره في أسباب عديدة، فليتب الله وليجمل في الطلب فهذه صفة أسباب المتعلقة بالله عز وجل، وأما غيرهم فيقتلون أنفسهم حالة السبب بالخدمة ولا يرون سببا من الأسباب إلا تعاطوه سواء كان مأذونا فيه أو غير مأذون فيه، ويعتقدون أن الرزق يكون على حسب حيلهم وسياساتهم الفاسدة فهؤلاء هم الذين يستحلون التدهير في أمور الدنيا والتعب فيها وركوب المشاق العظيمة في طلبها على طاعة الله عز وجل وعبادته لكمال انقطاعهم عنه سبحانه، انظره . وفي [جص] « ليس أحدهمكم بأكسب من أحد قد كتب الله المصيبة والأجل وقسم المعيشة والعمل، والناس يحدون فيها إلى منتهى » قال الحنفى : فن جسد في السعى ليس بأكثر تحصيلاً ممن ترك السعى لكون كل لا ينال إلا ما قدر له اهـ : ورحم الله من قال :

والشرع قد أمر بالتسبب	وباعتقاد نفي فعل السبب
ومن قال : توكل على الرحمن في كل حاجة	ولا ترغب في العجز يوما عن الطلب
ألم تعلم أن الله قال للمريم	وهزي إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجذع من غير هزه	إليها ، ولكن كل شيء له سبب

وروى : إذا سبب الله تعالى لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له ، والبلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم واحد الله تعالى : وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نعلم إخواننا طرق اليقين حتى لا يهتموا بأمر رزقهم كل الاهتمام ، فنقرر عندهم أن الله تعالى قد قسم لكل عيد رزقا معيناً لا يزيد بالإقبال ولا ينقص بالإدبار ، وأنه ليس للمقبل على الدنيا ليلا ونهارا إلا ما لمد بر عنها ليلا ونهارا ، وهذا الأساس ومن قعد عليه استراح قلبه من العناء والكدة ، ثم بعد هذا الأساس بأخى تأتى إلى رزقك برياضة وانشرائح صدر من غير شره نفس ولا مزاحمة أحد فإن الرزق تارة تأتى إليك وتارة تأتى أنت إليه فلا يقال السعى مطلقا أفضل ولا ترك السعى مطلقا أفضل ، بل كل كامل في مرتبته لأنك لا تعلم ذلك إلا بعد الوقوع وأما قبل التحرك فلا تعلم ذلك والله غنى حميد، انتهى (ككسب) وهو طلب الرزق . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نرغب إخواننا الذين لم يكثروا التبعيد بعلم ولا غيره في التكسب بالبيع والشراء والزراعات وكل عمل يساعدهم على القوت بطريقة الشرعى على وجه الإخلاص لأعلى وجه التكاثر والمفاخرة بمطاعم الدنيا وملابسها وشهواتها ، فإن من اكتسب الدنيا على وجه التكاثر والتفاخر فمن لازمته تعدى الحدود الشرعية في الحل لأن الحلال في كل زمان لا يتحمل الإسراف : وقد زار الحسن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فأخرج له عمر كسرة

بابسة ونسف خيارة وقال : كل باحسن فإن هذا الزمان لا يتحمل الحلال فيه الإصراف اهـ . فلا ترى أحدا في سعة من الدنيا إلا وهو قليل الورع فيغش وينصب ويبيع على المكاسين وأكلة الرشا وغيرهم ، وأما إن طلب التوسع في الدنيا بغير طريق التمسك الشرعى وأقبل على العبادة فربما أكل بدينه ووقع في الرياء والنفاق لمن يحسن إليه ، وإن لم يكن مقبلا على العبادة سلق الناس بالسنة حداد إذا لم يعطوه ماطلب ، فالتكسب الشرعى أولى بكل حال . وقد ورد « إن الله تعالى علم آدم عليه السلام ألف حرفه وقال له يا آدم قل لبنيك يكتبون بهذه الحرف ولا يأكلون بدينهم » وقد سمعت سيدى هليا الخواص رحمه الله يقول : قد تعين التكسب اليوم على كل فقير وفقير لعدم من يتفقد بهم بالبر والإحسان في هذا الزمان لقلة المكاسب ، فقد صار القاجر اليوم يملك الثلاثة أيام أو أكثر لا يستفتح فكيف يتفقد غيره وهو لم يعمل بقوت نفسه وعياله وضيوفه ، فضلا عن المغارم التي عليه من كراء بيت وحانوت وعوائد لظلمة ، انظره . عليك يا أخى باكتساب الغنم فإنها من دواب الجنة وأموال الأنبياء وهى كلها خير وبركة لمن أخرج زكاتها الشرعية وأداها لمستحقها . وفى [جص] « الغنم بركة » أى زيادة فى النمو والخير فيندب اقتناؤها . قاله العزيزى . وفيه : « الغنم بركة والإبل عز لأهلها والخليل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة وعبدك أخوك فأحسن إليه وإن وجدته مغلو فأهنه » وفيه « الغنم من دواب الجنة فامسحوا رغامها وصلوا فى مراتبها » وفيه « الغنم أموال الأنبياء » أى هى معظم أموال معظم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما من نبي إلا وقد رعاها سياسة لرعاية الخلق :

[لطيفة] أخبرنى من أثق به رحمه الله أنه كان يقول : مثل الإخوان كمثل الغنم إذا فترقت وانتشرت انتفعت بالرتع فى الكلاء وفيما يعينها وإذا اجتمعت افتنتت بنطح بعضها بعضا ، فكذلك الإخوان إذا افترقوا انتفعوا باشتغال كل واحد بذكر ربه وبما يعنيه وإذا اجتمعوا افتنوا بالقليل والقال والغيبة والنميمة والخوض فيما لايعنى ، ومن استراب فالعرب بالباب : وروى أن لسيدنا إبراهيم على نهينا وعليه الصلاة والسلام غنما كثيرة جدا وإن عدة الكلاب التى تحرسها أربعة آلاف فى حق كل كلب طوق ذهب قدره ألف مثقال ، ففيل له لم تفعل ذلك ؟ قال لعلى بأن الدنيا جيفة وكلابها طلابها فأعطيتهم الطلابها ، وذلك جائز فى شرعه له . لئله الذكئة وهى إهانة الدنيا وذلك يحرم فى شرعنا للنهى عن إضاعة المال شرعا وطبعاه واجتمعت الأمة على تعزيز من غير برعى الغنم ، فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم يرعاها لأن هذا مقام تحقير وتنقيص فلا يقال ذلك إلا فى مقام السؤال ، كأن قيل هل رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم ؟ فيقال نعم ، انظر [الحفنى] وانظر كتاب [الشفاء] ففيه الشفاء (وحرفة) بالكسر صناعة يرزق الإنسان منها ويحترف بها لنفسه ولعياله : وفى [جص] « إن الله يحب العبد المؤمن المحترف » قال المناوى : أى المتكفف فى طلب المعاش بنحو صناعة أو زراعة أو تجارة لأن قعود الرجل فارغا أو شغله بما لايعنيه مذموم ومن لا عمل له لا أجر له ، انظر العزيزى . وفيه « أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » وفى البخارى عن المقدام رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده » ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » وفى إرشاد السارى : وقد كان نهينا صلى الله عليه وسلم يأكل من صعيه الذى يكسبه من أموال الكفار بالجهاد وهو أشرف المكاسب على الإطلاق لما فيه من إعلاء كلمة الله وخذلان كلمة أعدائه والنفع الأخرى اهـ . وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نعلم أولادنا الحرفة بعد تعليمهم أمر دينهم التى

لا بد منها فإنه إن لم يكن بيده حرفة أكل يدينه أو بلسانه وصلق الناس بالسنة حداد وحقد عليهم في الباطن. وقد كان الناس في الزمان الماضي يكرمون حملة العلم والقرآن ويرتبون لهم المراتب ويهدون إليهم الهدايا ويتفقدونهم في المواسم وغيرها يقولون لهم اشتغلوا ونحن نكفيكم جميع ما تحتاجون إليه فصار الفقيه اليوم لا يحصل له ما ينفقه على عياله حتى يذوب قلبه من الدوران طول النهار، ثم بعد ذلك يأكل صدقة، فتعلم الحرفة للفقيه الآن من أبرك المصالح ولو كانت دنيئة كالأدنى والحجامة ونحوهما فإن وسع الله عليه كان ولا فتغنيه عن سؤال الناس اه : وهن الثوري رضى الله عنه أنه كان يقول : أحب لطالب العلم أن يكون في كفاية فإن الآفات وألسن الناس تسرع إليه إذا احتاج وفل ، وكان يقول : إن الرجل ليكون عنده المال ، وهو زاهد في الدنيا ، وإن الرجل ليسكون فقيرا وهو راغب فيها ، وعنه أيضا : وعليكم بالحرفة فإن عامة من أتى أبواب الأمراء إنما أتاهم لحاجة اه . وفيه : وينبغي للشيخ أن يرغب الفقراء في عمل الحرفة ليأكلوا منها ولا يأكلوا بدينهم ، وتقدم في هذا الكتاب أن ميزان أكلك يا أخى بدينك أن تقدر أنه لو فقدت جميع صفاتك المحمودة لم يعطك أحد شيئا ، فإن قدرت أنها فقدت كلها حتى صرت فاسقا ولم يرجعوا عن إعطائك فأنت لم تأكل بدينك ، وينبغي له أن يعلم الفقراء أن كل لقمة نزلت في جوف أحدهم من صدقات الناس وأوقافهم تسترقهم لأصحابها ، وإذا استرقتم لأصحابها صارت مكافأة أصحاب اللقمة عليهم مطلوبة ، ثم قال : إذا أكل المريد صدقات الناس وأوصاهم وهداياهم وطلب أن يكافئهم تعطل عن السير إلى مراتب العارفين فليس له خيرة إلا في التجرد من الدنيا والسلام. وكان سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول : أنا ما أحب للفقير أن ينقطع للتعب في زاوية أو غيرها إلا إن كان له حرفة تقوم به لثلا يتقاسم أصحاب اللقيات والحسنات ثواب تلك الأعمال التي نشأت من قوى تلك اللقيات فإنه لو لا هي ما قدر على ذلك التعبد، انظره . وينبغي للإنسان أن يتجنب الحرف المدمومة شرعا وطبعيا كالصياغة والصباغة والجزارة والحياكة الحديث « شرار أمتي الصائغون والصباغون » وفي آخر « شرار أمتي الحياكة » وروى « لا تعلموا أولادكم حرفتين : الصياغة والجزارة » أى لما جبل عليه أربابها من الغش والمطل والمواعيد الكاذبة ومخالطة النساء وقسوة القلب. وفي الحديث « أكذب الناس الصباغون والصواغون » ومنه قولهم كل صانع كذاب أبوهم حداد، وهذا هو الغالب والناذر لا حكم له. وفي [خل] وروى عن بعض التابعين أنه أوصى رجلا فقال له يا أخى لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين أما البيعتان : فهو بيع الطعام وبيع الأكفان وأما الصنعتان فهما الجزارة والصياغة، أما الجزارة فإنه قامى القلب، وأما الصواغ فإنه يزخرق الدنيا بالذهب والفضة اه . وبائع الطعام يحب الغلاء ويكره الرخاء، وبائع الأكفان قامى القلب وناسى الآخرة. وفي [د] رخ يا مسكين تتعلم صنعة ما دمت صغيرا وإذا قاله لطالب علم أخذ عنه الورد وبقى جالسا، فقال له قم لشغلك، قال ما عندى شغل، أنا طالب، فذكره . ومن عادته رضى الله عنه أن يحض أصحابه على تعلم الكتابة لثلا يضيعوا : اه أى متى احتاج أحدهم فيكتب ويبيع أو يكتب بالأجرة أى مع دوام الثواب الأخرى ، ورحم الله من قال :

والأجر لا تنقصه الإجاره بشرى لنا بهذه البشارة

وأما تعلم الكتابة لأن يتخذوا كتبة للظلمة أو أمناء أو حدولا أو جبهة فكل وحاشا ومعاذ الله، قال تعالى - فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون - ورحم الله من قال - :
ولا تكتب بكفك غير شئ يسرك في القيامة أن تراه

وكان رضى الله عنه يقول : مالا أرضاه لنفسى لا أرضاه لغيرى ، وما لا أفعله لا آمر به اهـ
 والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه والله يهتدى من يشاء إلى صراط مستقيم :
 [عجيب] أخبرني بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه أن بعض كتبة الولاية كتب إليه أن واليه
 عزله عن الكتابة ، وأنه في غم ونكد وهم وشدة لذلك فرأى ذلك الأخ في تلك الليلة أنه اجتمع بالكتاب
 في عالم الروح فصار يزجره عن الكتابة ويوجهه عن كل خطئة وينفذه عن قرب ساحة الولاية ، ومن
 جملة ما زجره به أن قال له : اعلم أن من حكمة الله وعادته أن كل من كان كاتباً للظلمة لا بد أن يحول الله
 صورته صورة حمار حوافره حوافر حمار ورأسه رأس حمار إما عند موته أو في قبره أو عند البعث
 - سنة الله التي قد دخلت من قبل ولن تبدل لسنة الله تبديلاً - رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيراً
 للمجرمين - ربنا آتينا من لذلك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً - آمين (وحرث) وهو الكسب وجمع
 المال والزرع وهو المراد به هنا . وفي [خل] فالزراعة من أعظم الأسباب وأكثرها أجراً إذ أن خيرها
 يتعدى للزراع ولإخوانه المسلمين وغيرهم والطير والبهائم والاشجار كل ذلك ينتفع بزراعته حتى أنه
 ليقال إن الزارع أو سمع من يقول نأكل منه حين زراعته لم يزرع شيئاً لكثرة من يقول نأكل منه
 فما في الصنائع كلها أترك منها وأنجح إذا كانت على وجهها الشرعى ، وهي من أكبر الكتوز الخبأة
 في الأرض ، لكنها تحتاج إلى معرفة بالفقه وحسن محاولة في الصناعة مع النصيح التام والإخلاص فيها
 فحينئذ تحصل البركات وتأتى الخيرات ، وعنه صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع
 زرعاً فبأكل منه إنسان أو بهيمة إلا كان له حسنات إلى يوم القيامة » ومن ذلك ما ورد أيضاً « أن
 الملائكة تستغفر للزراع وللغارس ما دام زرعه أخضر » أو كما قال عليه الصلاة والسلام ، ثم قال :
 وقد كان سيدى أبو محمد المرزبان رحمه الله يقول : اعلّموا أن انقسم قد تقاصرت عن العبادات والانقطاع
 إلى الله تعالى فعليكم بالزراعة فإنها تحصل الأجور الكثيرة أرادها المكلف أو لم يردّها ، انظروه :
 وفي [حرف] حكى أن الشيخ محمداً الغزالي لما رجع إلى طوس وصف له في بعض القرى عبد صالح
 فقصد زائراً فصادفه وهو في صحراء له يبارى الحنطة في الأرض فلما رأى الشيخ محمد آجاء إليه وأقبل
 عليه فجاء رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ في ذلك وقت اشتغاله بالغزالي فامتنع ولم
 يعطه البذر ، فسأله الغزالي عن سبب امتناعه فقال : لأني أبذر هذا البذر بقلب حاضر ولسان ذاكر
 أرجو البركة فيه لئلا من يتناول منه شيئاً ، فلا أحب أن أسلمه إلى هذا فيبذره بلسان غير ذاكر
 وقلب غير حاضر اهـ - لمثل هذا فليعمل العاملون - وفي [ثيق] أخذ علينا العهد أن نحفظ حرمة أصحاب
 المنافع العامة لكونهم قائمين عنا بفرض الكفاية ، وذلك كالدعوى والإسكان والقران والطحان
 والقراس والطباخ والحزار والزيات والنجار واحداً والحراث والحصاد ونحوهم . وقد سمعت سيدى
 علياً الخواص يقول : قد أكرم الله تعالى السوق وأرباب الصنائع بأربع خصال : الأولى أنهم يأكلون
 من كسب يمينهم ويطعمون منه الظالم والمسكين والفقير ولا يأكلون شيئاً من الصدقات . الثانية : أنهم
 لا يشهدون لهم قط أعمالاً لا تكفر عنهم قبيح زلاتهم ولا يقولون قط كفرها شيئاً القلاني بل هم
 خائفون وجلون : الثالثة : تعظيمهم للعلماء والصالحين وتغميض بعضهم عيونهم عن عيوب الناس
 لعدم الموازين التي يوزن بها الأفعال عندهم . الرابعة : حمايتهم من الدعاوى وشبهات أهل علم الكلام
 وفيه : أخذ علينا العهد أن نرشد إخواننا إلى أنهم لا يبيعون لأحد شيئاً ولا يشترون منه ولا يخطبون
 ولا يطبخون ولا يفعلون شيئاً من جميع الحرف والصنائع إلا بقصد نفع الخلق بالأصالة ويجعلون نفع

أنفسهم بحكم النفع لا بالقصد الأول ، ثم إذا قدر أنهم فعلوا شيئا مما ذكر بغير تلك النية فلا ينتفعون به ولا يشمنه ، وإن كان ذلك الفعل من العتود أعادوا العقد ثانيا على نية نفع الناس كل ذلك لتسكون أفعال إخواننا عبادة لاعادة وليدخلوا في ضمان الله عز وجل بالمعونة المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » وماذا يضر الطباخ مثلا لو نوى بقيامه للطبخ من ثلث الليل نفع عباد الله بذلك الطعام لانفع نفسه فلان نفع نفسه بالثمن حاصل على كل حال ولو لم يقصده ، ومن كانت هذه نيته في حرفته وصنائه فهو في عبادة في جميع ما يتقلب فيه من الحرف والصنائع ، ثم قال : لا يقدر على العمل بهذا العمل إلا من كان زاهدا في الدنيا أما المحب لها فليس همه من حرفته إلا القلوس ولا يكاد يخطر على باله نفع الناس أبدا ولكل مقام رجال والله واسع عليهم اهـ (تجارة) مصدر تجر كنصر باع واشترى . وفي [جص] « إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يسكذبوا وإذا ائتمنوا لم يخونوا وإذا وعدوا لم يخلفوا وإذا اشتروا لم يذموا وإذا باعوا لم يظروا^(١) » وإن كان عليهم^(٢) لم يمتطلوا وإذا كان لهم لم يعسروا^(٣) » وفيه « التاجر الصدوق الأمين يكثر مع النبيين والصدديقين والشهداء » وفيه « التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة » اهـ . والصدق يكون في نحو الإخبار بشئها وعيوبها فذلك مما يزيد البركة في التجارة كما وقع للجلال الخلي فإنه كان يبيع الأقمشة من بعد العصر إلى المغرب فقط ويبيع أكثر من جيرانه الذين يبيعون طول النهار ، وكان يقول هذا على بكذا ولا أبيع له إلا بكذا وفيه عيب كذا وكان بعض العارفين حيا كما وكان إذا قطعت منه فتلة على النول علم عليهم بالعصفر ليعرف أنها قطعت وليست كالمتمصلة من أصلها وإذا تم المقطع كان غالبه خطوطا وكان يخبر الناس بذلك وكانوا يقبلون عليه كثيرا تبركا ، انظر الحنفى . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرغب إخواننا التجار وغيرهم في الصدق في إخبارهم بالثمن خوفا عليهم وعلى أموالهم من النقص فإن الله جعل البركة مقرونة بالصدق في العمل والعلم والعمر والرزق وغير ذلك ، فمن لم يصدق نزع الله البركة من علمه وعمله وحرره ورزقه ثم ذكر حكايات عجيبة فانظرها فيه ، ثم قال - فأصدق يا أخى في إخبارك المشتري ولا تغش^(٤) فيحول الله هنك النعم ، انظره ، قال تعالى : - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - الآية - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين - وفي [حى] قال صلى الله عليه وسلم « أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور » وفي خبر آخره « أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح » وقال عليه الصلاة والسلام « عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أثمار الرزق » وقال أيضا « الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها » وقال صلى الله عليه وسلم « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » وقال أيضا « الجالب إلى سوقنا كالحجاء في سبيل الله ، والمحتكر في سوقنا كالملاح في كتاب الله » انظره . وفي [جص] « ينس العبد المحتكر إن أرخص الله الأصغار حزن وإن أغلاها الله فرح » وفيه « من تمنى على أمي الغلاء ليلة واحدة أحبط الله عمله أربعين سنة » وفي ابن ماجه عن عمر رضي الله عنه : « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالحدام والإفلاس » . وفي مسلم عن معمر بن عبد الله مرفوعا « لا يحتكر إلا خاطئ » :

(١) يظروا بضم تحتية من أصرى جاوز الحد في الثناء اهـ . (٢) أى حق سببه التجارة .

(٣) قوله يعسروا بضم سين وكسرها من عسر غريته كضرب ونصر طلب : منه قضاء دينه في ضيق وشدة اهـ .

(٤) بضم معجمة من غش كزاد اهـ .

واعلم أن الاحتكار الممنوع شرها هو أن يملك الإنسان ما اشتراه في وقت الغلاء ليبيعه بأكثر مما اشتراه منه واستغناؤه عنه واحتياج الناس إليه لما فيه من الإضرار بالمسلمين : وفي الحديث « لا ضرر^(١) ولا ضرار » بخلاف إمساكه ما اشتراه في وقت الرخص ليبيعه بأكثر مما اشتراه به عند احتياج الناس إليه فليس باحتكار ولا ممنوع شرها بل ربما يثاب عليه بحسب النية ، ويختص بتحريم الاحتكار بالأقوات كقمح وشعير وذرة وفول وهدس وتمر في بعض البلدان وأرز كذلك ولا يعم جميع الأطعمة . وروى « عليك بأول السوم فإن الربح مع السماح » أي لأن الإنسان إذا باع بربح يسير رغب الناس في الشراء منه فيكثر ربحه ، والحديث « رحم الله عبداً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا قضى سمحاً إذا اقتضى » ويؤخذ من الحديث الحث على المسامحة في المعاملة وترك المشاحة فيؤكد الاعتناء بذلك رجاء نيل دعوته صلى الله عليه وسلم ، وروى « أن رجلاً لم يعمل خيراً قط وكان يدين الناس فيقول لرسوله خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله أن يتجاوز عنا فلما هلك قال الله تعالى له هل علمت خيراً قط ؟ قال : لا إلا أنه كان لي غلام وكنت أدين الناس فإذا بعثته يتقاضى قلت له خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله أن يتجاوز عنا قال الله تعالى قد تجاوزت عنك » اهـ . وفيه أيضاً : لا أشتري شيئاً ليس عندي ثمنه : أي لأن الدين يشغل البال ويشين العرض فلا ينبغي إلا عند الضرورة من نحو نفقة عياله وقد تدين صلى الله عليه وسلم الشعير لأهله ورهن فيه درعه وسلاحه . وروى « ما من مسلم يدين ديناً يعلم الله أنه يريد أدائه إلا أداه الله عنه في الدنيا وفي رواية » من أخذ أموال الناس يريد أداءها أداه الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » اهـ : وفي [ثبوت] أخذ علينا اليهود أن تأمر إخواننا التجار وغيرهم بحفظ الأدب مع جيرانهم في السوق ونهاهم عن سلوك طريق جبايرة التجار ، وهو أن يثبوا على السلع المفرطة كوثوب السبع على الفريسة ويتركوا جيرانهم المحاييج ينظرون إليها نظرة بحسرة ، ثم بعد هذا الفعل التبييع يهربون بتلك القوائد عند حصول رمية أو مظلمة على سوقهم ويتركون الفقراء للمصائب بل كما كانوا أول مستفهد كذلك ينبغي أن يكونوا أول وازن في المقام ، ثم إن من هرب ولم يغرم شيئاً مع الفقراء فربما يقبض الله تعالى لماله الآفات والعاهات ومن يأخذها منه مصادرة أو جمحداً فلا يلوم إلا نفسه ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . والله أعلم اهـ (فتحة عشر) كقفل جمعه عشور وأعشار (الرزق) مجموعة ومنطوية بإذن علام الغيوب (في عقد صفقة) مصدر صفق كضرب وزنا ومعنى ، يده بالبيعة وعلى يده صفقة و صفقة ضرب يده على يده وذلك عند وجوب البيع : وفي [جص] « تسعة أشر الرزق في التجارة والعشر في المواشي » قال الخفقي : أي بسبب ما يحصل منها من نتاج وصوف ولبن ونحو ذلك والقصد من هذا الحديث الإلهام بكثرة الرزق من التجارة عن غيرها وليس المراد منه حصر الرزق في هذين السببين إذ من أسبابه الصناعة والغزو ، وليس في هذا الحديث تعرض لأفضل طرق الكسب ، وأفضلها سهم المغازي ثم الزراعة ثم الصناعة ثم التجارة اهـ . قال رحمه الله :

(دَعُوا الْفَسْ وَالْخِدَاعَ فِي الْبَيْعِ وَالشَّرَّاءِ فَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ سُنَّةِ)

(دهوا) أي اتركوا (الفس) بكسر معجمة ضد النصح من غشه إذا لم ينصحه وزين له غير المصلحة ولا سيما بالخلف الكاذب ، وفي الحديث « الخلف منقعة للساعة محقة للبركة » وعن أبي ذر رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم

(١) ونظمه من قال :

مدار أحكام الشريعة أتى حديث لا ضرار إلا لحفظ يافق اهـ

ولهم عذاب أليم . قلت : يا رسول الله من هم خسروا وخابوا ؟ قال : وأهأاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال : « المسبل إزاره والمنفق سلعته بالخلف الكاذب والمنانهاه . (والخداع) وهو إظهار خلاف ما في النفس ، وفي الحديث « المكر والخديعة والخيانة في النار » يعني أهلها (في حالة البيع) للغير لحديث « من باع عيبا لم يبينه لم يزل في مقت الله ولم يزل الملائكة تلعنه » وفي البخاري وقال عقبه ابن عامر : لا يحل لامرئ أن يبيع سلعة يعلم أن بها داء إلا أنخبره . وفي نسخة : إلا أنخبر به وفيه « قال النبي صلى الله عليه وسلم الخديعة في النار » وفيه : عن حكيم بن حزام رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » أو قال : « حتى يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » (و) في حالة (الشراء) قصره للوزن : أى من الناس (فن غشنا) أى معشر المسلمين ولأهل الذمة ما للمسلمين من الأحكام لذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي [جص] « ليس منا من شش مسلما أو ضره أو ماكره » وفيه « من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار » وفي مسلم « عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ فقال أصابعه السماء يا رسول الله ، قال أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ من غش فليس مني » وفي [جع] وأوصيكم بالبعد عما دار عليه الناس وعم آفاق الأرض إلا النادر من الخلق وهو المعاملة بالغش والفساد في البيع والشراء مما حرمه الشرع صريحا أو ضمنا وهي مفصلة في كتب الفقه فلا تطيل بذكرها اهـ (فليس من أهل سنة) محمدية حيث ترك النصيحة التي عاينها مدار الشريعة وأبدلها بالمكر والخديعة الذي هو من شيم المنافقين ، وعن أنس رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بني إن قدرت أن تصبح وتسمى وليس في قلبك غش لأحد فافعل » ثم قال : يا بني وذلك من ستى ومن أحياسنى فقد أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة اهـ . وفي [هف] بعد ذكر هذا الحديث وهذا أتم شرف وأكمل فضل أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم في حق من أحياسنته فالصوفية هم الذين أحيوا هذه السنة ، وطهارة الصدور من الغل والغش عماد أمرهم وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم وإنما قدرُوا على إحياء هذه السنة ونهضوا بواجب حقها لزهدهم في الدنيا وتركها لأربابها وطلابها ، لأن مثار^(١) الغل والغش محبة الدنيا ومحبة الرفعة والمنزلة عند الناس ، والصوفية زهدوا في ذلك كله كما قال بعضهم : طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابيل ، فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس في قلوبهم غش لأحد : فقول القائل كنست بأرواحهم المزابيل إشارة منه إلى عناية التواضع وأن لا يرى نفسه تتميز عن أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا ينسد باب الغل والغش ، ثم قال : فالتخلق بحججهم عن القيام بإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلًا وحالا صفات نفوسهم ، فإذا تبدلت نعوت النفس ارتفع الحجاب وصحت المتابعة ووقعت الموافقة في كل شئ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجبت المحبة من الله تعالى ، عند ذلك قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله - جعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله إياه ، انظره . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول

(١) يضم ميم اسم مفعول من أثارَت الريح الغبار هيجته اهـ .

الله صلى الله عليه وسلم أن لا ندش أحدا من خلق الله تعالى سواء استرشدنا في ذلك الأمر أم لا ، وهذا العهد لا يتم العمل به إلا إن سلك على يد شيخ صادق حتى صار لا يغش نفسه في شيء من عهدياته ولا معاملاته فإن من غش نفسه غش غيره من باب أولى ومن نصح نفسه نصح غيره ، فيجب على العبد أن يسلك على يد شيخ حتى يكشف الله تعالى له عن جميع دسائس النفوس وعلاها في سائر الأحوال وإلا فن لازمه غالبا الغش لنفسه ولغيره ، انظره : وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننصح كل مسلم ولو لم يطلب منا ذلك فكيف إذا استنصحننا ، وهذا العهد المبارك قل من يعمل به الآن من التجار فإنه يخاف إن بين عيب مبيعه أن لا يشتره منه أحد حتى قال لي بعض إخواني الصادقين : أنا في غلبة فقلت له لماذا ؟ فقال صرت أنصح المشتري وأعطيه أحسن القماش فيرده ويقول هات لي من ذلك الذي هو دونه ، فأحلف له بالله إن ما أعطيت له أولا هو الأنفع والأحسن فلا يرجع لي ويأخذ الردي قياسا لي على الناس الذين يغشون ، فهل على إثم إذا أعطيت الردي ؟ قلت له لا فلكثرة غش الناس لبعضهم بعضا صاروا لا يصدقون من نصحهم من التجار ، انظره : قال رحمه الله :

(ولا تهافتوا ببيعكم وفي جميع المعاملات قيسوا بشرعة وإن عمت البلوى وسدت مسالك فصرتم كمنظر إلى أكل حبيقة ومنها خذوا سد الحياة بلا افتنا وقال بأخذ الزاد بعض الأئمة)

(ولا تهافتوا) التهافت التساقط (ببيعكم) أى في جميع بيعاتكم تهافت العامة (وفي جميع المعاملات) الكسبية ولكن (قيسوا) أى زوها (بشرعة) بكسر المعجمة : أى بميزان شرعى وسبب مرعى . وفي [جمع] وأحذركم أن تهافتوا في المعاملات المحرمات شرها تهافت الجملة من العامة محتجين بعدم وجود الحلال المعين يريدون أن يسقطوا عنهم الأحكام الشرعية في المعاملات ، وقد صاروا في ذلك كأنهم لا تكايف عليهم ، وهو كذب على الله وزور ، وقد قال سبحانه وتعالى يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا . الآية ، فهذه الآية وإن نزلت في مطلب خاص فهي مشتتة على كل ما تحتمله ، وإن لم تنزل لأجله من القضايا إما ضمتنا أو تلويحا ، والعالم يأخذ حكمه من كل آية ، من كل ما تحتمله وإن لم تنزل لأجله ، والواقع منه من الآية في قضيتنا هذه الذي في الأرض هو ما أمكن وجوده من حلال أصلي أو حارص على حسب عوارض الوقت وهي الأمثل فالأمثل على حسب ما فصلنا في جواب المعاملات وخطوات الشيطان التي نهى الله عنها هي المعاملات المحرمة شرها حيث يجد العبد عنها معدلا ، وأما إن لم يجد معدلا عنها وألجأته عوارض الأقدار بحكم الله والنهيم إلا أن يأخذ قوته من الحرام شرعا وإن لم يأخذ منه مات في الوقت أو مات بعض عياله جوعا ، فلا إثم عليه لفريق الوقت وفقد السبيل لغيره ، فهو الواقع في قوله تعالى - فن اضطرب غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه - ولا تلتفتوا إلى ما ذكره بعض المتأخرين ، قال كل عقدة لا يوجد من يعامل فيها إلا بالحرام فهي حلال قول باطل لكونه تغافل عن جميع القاعدة الشرعية فيه ، والتحقيق فيها ما ذكرناه قبلها آتفا يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى ما يريبك » وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا أمرتكم بشيء فافعلوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فانهتوا » وقوله سبحانه وتعالى - فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا - وقول القائل :

إذا لم تستطع شيئا فدهه وجاوز إلى ما تستطيع

وفيه : وأوصيكم في معاملة الأسواق على محافظة قواعد للشرع وأصوله على حسب ما يعطيه الوقت وتجنبوا جميع وجوه الغش والتدليس والكذب وتقديم الأيمان واقتحام ما حرم الله من ذلك بنصوص الشرع فإن المتهم في ذلك يهلك كل الهلاك اهـ . وفي [جه] وأما شدة احتياطه في معاملاته مناولته فيما يتعلق به وبأهله منها أنه لا يشتري حاجة من لم يمسكسب الحرام وأنه يخاطب أحدا من أهل جانب الخبز أو يكرن اختلط ماله بماله وهذا دأبه ودينه ، وكثيرا ما ينهى أصحابه عن مخالطة هؤلاء ويحثهم على ركوب مقن الورع في أمورهم كلها ، ولا يخصص لهم في الحرام فيقول مالا أرضاه لنفسي لا أرضاه لغيري ومالا أفعله لا أمر به اهـ .

وفيه : ومن ورع ، رضي الله عنه أنه لا يأخذ شيئا ولو كان نافعا مما يحتاج إليه من لا يفتي الحرام ولا يتحري في مكسبه كل ذلك لا يفعله ولا يحب من يفعله ، ثم قال : ويقول إن الإنسان إذا رخص لنفسه في أكل المشابه فها هو ذاهب إلى أكل الحرام ، ويقول إن أصل الورع اتقاء الشبهات ، والمداومة على أكل الحلال مع الصدق مع الله في ذلك ، انظره : وفي [جص] « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كراع برعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل مالك حمى ألا وإن في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » اهـ .

وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نفتش كل شيء دخل يدا في هذا الزمان من مال وطعام ولباس وغير ذلك ولا نستعمل شيئا تردد في صدورنا حله وحرمة ، وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يفتشون كل شيء دخل يدهم إلى صابع يدا استولت عليه في الحل وبعضهم إلى عاشر يدا في الحل ثم يستعملونه فإن لم يتداوله العشرة أي لم يستعملوه ، وهذا أمر تعذر فعله الآن على غالب فقراء الزمان ويكنى أحدهم إن شاء الله تفتيش أول يدا يأخذون منها . واعلم يا أخي أن من أعظم المساعدة على الورع القناعة ، فمن لم يقنع أكل رأس القيل ولم يشبع ، ومن لازم الشره هدم الورع : ثم قال : ثم لا يخفى أن أهل الله تعالى لا يعولون في الورع على العلامات الظاهرة في الأيدي وإنما يعولون على ما يلقاه الحق تعالى في قلوبهم فتد يكون الذي يأخذونه من يدا صالح حراما ، وقد يكون الذي يأخذونه من يدا ظالم حلالا ، مثل هؤلاء يسلم لهم حالهم لا طلاعهم على براطن الأمور ، بخلاف من لم يطلع إلا على ظواهرها فإن هذا ربما رأى ظالما أخذ حراما ثم توارى عنه بجدار فقال يحتمل أن ذلك الحرام خرج من يده وهذا غيره . وقد عزم على شخص أنا وأخي أفضل الدين وقدم إلينا خروف شواء مشويا ، وكانت النية فيه غير صالحة ، لأنه عزم على جماعة أولاد عمر أمراء الصعيد ، فلم يحضروا عنده فعزم علينا أن نأكله مكانهم ، فلما وضعه بين أيدينا وجدته يغلي دودا مثل أذناب المغازل فلم أقدر أنناول منه لقمة واحدة ، وصار صاحب الطعام يقول كلوا هذه اللقمة فقط ولا أقدر أعلمه بما رأيت لكونه محجوبا عن ذلك ، وكذلك رآه أخي المذكور ، ولكنه قال رأيت يغلي سعالا ، فقلت له أنا ما رأيت إلا دودا فقال المقصود الحماية ونفرة الخاطر منه ، وقد حصلت والله الحمد ، فإن لم تصل يا أخي إلى ورع أهل الله تعالى فإياك أن تنزل عن الورع في ظاهر الشرع فتزل قدمك إلى النار والله يتولى هداك انظره (وإن عمت البلوى) والحنة بفساد المعاملات كلها حتى إنك لا تجد من تعامله على وجه شرعي وسبب مرعي (وسدت) أي انسدت عليك (مسالك) لفقد من تعامله معاملة شرعية (فصرتم كضطر

إلى أكل جيفة) بكسر الجيم : جثة الميتة أى فحككمكم إذن حكم من اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ، وللأساحلى رحمه الله فى رائيته المعلومة :

وأكل حلال فهو أسّ طريقنا فجاهد على كسب الحلال مدى الدهر
فإن قلت لا يافى حلال بموضع فكل أكل محتاج عديم ومضطر
ولكنه بعد الحراسة دائماً وبعد اجتهاد حل فى حيز الخطار
ولما لا تبسط يمينك آخذاً لتحفة خوان وإعطاء ذى وزر
وكن راضياً بالفقر لأنك مكثراً وجرّد ثياب الحرص فيها عن الظهر

(ومنها) أى ومن الجيفة الحسية والمعنوية (خذوا سد الحياة) أى ما يسد رمقكم وحياتكم ولكن (بلا اقتنا) قصره للوزن : أى من غير اتخاذا قنية وكسبا بل متى استغنى عنها طرحتها كليا ونبتذت وراء ظهرها . وفى [جمع] ثم إذا ألحّت الضرورة واشتدّت الحاجة ولم يجد العبد ملجأ إلا أن يأخذ ثوبه مما حرم شرعا فى الأسواق فليأخذ قدر ما يتقوته وليكن جاريا فى ذلك على حكم المضطر فى أكل الميتة فإنه إنما يأكل بلاغا وسدا للفاقة لا كسبا ولا تمولا اه . ولذا قيل لو كانت الدنيا كلها دما حبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لأنه إنما يأكل ما يسد رمقه . ولاحق لابن آدم إلا فى ثلاث بيت يمكنه وثوب يوارى عورته ولقيمات يقمن صلبه وماسوى ذلك تفاخر وتكاثر وفضول - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - وفيه : وسألنى سيدنا رضى الله عنه قال : ما العلة فى إباحة ميتة البحر وتحريم ميتة البر وما الفرق بينهما ؟ قلت له الذى عندنا أنها تعبدية ، فقال لا بل لعل ، قلت الله ورسوله أعلم . قال رضى الله عنه : العلة فى ميتة البر لأن دمها مسموم وكل من أكله صرف الله قلبه عن التقوى ولأن دم الميتة لم يخرج بل يجمد فى لحمها : قلت له كذلك ميتة البحر فلا فرق بينهما قال رضى الله عنه : دواب البحر لم تنسها الشمس والهواء لدوام دخولها فى الماء فإن دمها بارد زالت طبيعتها ، بخلاف دواب البر فإن دمها مطبوخ بحر الشمس والهواء فالطبع كامل فيه وعلته قوية فهذا سبب منع أكله والسلام انتهى . وهذه العلة المعضلة موجودة فى الحرام أيضا مع حال أخرى وما يعقلها إلا العالمون (وقال بأخذ الزاد) من الجيفة الحسية (بعض الأئمة) وفى الرسالة : ولا بأس للمضطر أن يأكل الميتة وأن يشبع ويتزود منها فإن استغنى عنها طرحتها اه . وفى الموطأ : ومن أحسن ما سمعت فى الرجل يضطر إلى الميتة أنه يأكل منها حتى يشبع ويتزود منها فإن وجد عنها غنى طرحتها اه . وما نحن بصدد ذلك إن شاء الله فيجوز للإنسان أن يأكل من الجيفة المعنوية حتى يشبع ويتزود منها فإذا استغنى عنها طرحتها . وفى الدخيرة : وإذا أكل المضطر مال مسلم اقتصر على سد الرمق ، إلا أن يعلم طول الطريق فليتزود لأن مواساته تجب إذا جاع ، وهل يضمن قيمة ما أكل لربه أم لا ؟ فى ذلك خلاف انظر شراح خليل عند قوله : ولا طعام غير إن لم يخف القطع . وفى [جه] وسئل سيدنا رضى الله عنه عن مسائل منها ما حكم الله فى مال الأعراب المخاربين الناهيين أموال بعضهم بعضا وما حكم المعاملة معهم وما الحكم فى صدقاتهم وعطييتهم ومشارطة الطلبة عنهم للقراءة ؟ فأجاب رضى الله عنه بما نصه قال : اعلم أن إجماع الأمة انعقد على أنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس وكل ما أخذ عن غير طيب نفس فحرام إلا ما أخذه بصورة شرعية قهرية كأخذ الزكاة من مانعها وكأخذ حقوق المظلومين من مانعها وما قُبِعَ ذلك من الحقوق اللازمة شرعا ، وهى كثيرة مفصلة فى كتب الفروع فلا نطيل بذكرها ، فإن

أخذ ذلك من صاحبه عن غير طيب نفس حلال لتعلق الحق الشرعى به لقوله صلى الله عليه وسلم
«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها
وحسابهم على الله» :

وأما غير هذا فإن أخذ مال المسلم عن غير طيب نفس حرام بالإجماع يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع «إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمه يومكم هذا في بلدكم
هذا في شهركم هذا اللهم هل بلغت فقالوا اللهم نعم» والحديث وقضيته مشهورة في كتب الحديث
فلا نظيل بذكره ، وقال سبحانه وتعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن
تكون تجارة عن تراض منكم - فالمرجع في الحكم إلى هذه النصوص القطعية والوقوف عند حدودها
فرض لازم على المسلم ، فإذا عرف هذا فما مضت عليه عادة الأعراب والظلمة من اقتحامهم وأخذ
مال المسلمين بغير صورة شرعية فكل ما بأيديكم حرام لا يحل لمسلم معاملتهم بوجه من وجوه العوض
ولا قبول عطياتهم وهذا ما حرم الله في الأصل . ثم إن كان البلد غلب عليها جميع
ذلك ولا يوجد غيره بأيديهم بوجه من وجوه المخالطة فكل ذلك حرام ، ومن تعالى ممن ينسب إلى الفقه
أو إلى الإسلام فأخذ ذلك مستعلا له معتذرا بعدم وجود غيره فلا عذر له في الشرع ويسجل عليه في
الشرع بأنه مقتحم ما حرم الله ظلما ولا يحل سكناه في تلك البلد ولا بقاؤه بينهم ، والهجرة عليه من
ذلك المكان واجبة بقواتر نصوص الشرع وما كان مخالطاً عندهم بوجوه التجارة في ذلك الحرام وإتلاف
عيفه واشترائه بدله عينا أخرى وبوجوه الحرائة والصناعة أو ضم مال بصورة شرعية إليه فالأصل
المعول عليه أن ذلك كله حرام بجميع ما اختلط فيه فمن قدر على ذلك تمسك بهذا الأصل وجرى عليه .
ثم أن تنزل الأمر إلى عموم ذلك في الأرض واختلاط ذلك بصورة حلال وصورة حرام بأيدي كاسبه
كما هو صورة الوقت فعلى المؤمن في إقامة طلب فرض الحلال أن يحتجب ما علمت صورته صورة
الغصب ، والمحرم وما جهل من ذلك وكان الأصل الاختلاط بصورة حلال وصورة حرام كما ذكرنا
أولا وعم الفساد في الأرض كما هو صورة الوقت رجع إلى أصل الحلال الثالث وهو أن الحلال ما جهل
أصله فإن صورة الحلال كان في عهده صلى الله عليه وسلم ما عرف أصله وأصل أصله ، ثم لما انقضت
مدة الخلافة ورجعت ملكا عضوضا رجع الحلال ما عرف أصله فقط ثم لما زاد الفساد وطغى بمره
صار الحلال ما جهل أصله وهي المرتبة الثالثة في الحلال ، وعلى هذا الحد وهذا المتوال يجري الحكم
في معاملة هذه الطوائف بوجوه العوض وقبول عطياتهم فلا يحتجب منها إلا ما عرف صورة الحرام
فيه مثل الشيء المغصوب والمأخوذ من ثمن الخمر والمأخوذ في صورة ربا النسيئة وهي كثيرة يقاس
بالم يذكر منها على ذكر :

وأما ما جهلت صورته فإن علم من صاحبه أنه لم يكن عنده إلا الحرام لم يخلطه بصورة أخرى
كالخراثة والتجارة وإبدال عين بعين أخرى فكل ما بيده حرام لا تحل معاملته ولا قبول عطياته ، وما اختلط
بهذه الصور من تجارة وحراثة وصناعة وإبدال عين بعين أخرى وإضافة حلال له لم يحرّم ما في يده
إلا ماله عين قائمة في التحريم ، وأما ما جهل أصله فحلال ، وقولنا في هذا الحلال حلال فإنما هو حلال
مرضئ لا أصلي لعدم وجود غيره بكثرة الفساد وعمومه في الأرض واحتياج العبد إلى القوت فيكون
حلالا بما أعطاه حكم الوقت والضرورة فقد قال سبحانه وتعالى - وما جعل عليكم في الدين من حرج -

ولذا قال القطب السكامل والوارث الواصلي والقعدة المشامل سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه :
 أو كانت الدنيا عبطة من دم لكان قوت المؤمن منها حلالا لأن الله تعالى فرض العبادة على العبد وأباح له
 أن يأكل مما في الأرض حلالا طيبا كما هو نص الآية ، فإذا تنبغ في الأرض وجوه الحلال وعمت البلية
 في الأرض كان اقتحامه للحلال الأعلا فالأعلا إيماناً يكون مما عرف أصله وأصل أصله كعامله الحريين
 بأخذ الأجرة منهم على الخدمة والاشتراء مما بأيديهم فإن كل ما بأيديهم كله حلال لا معارضة فيه ، فن
 وجد السبيل إلى هذا وأمكنه فلا يحل له معاملة المسلمين بوجه من الوجوه ولا يعامل إلا الكفار الحريين
 لتحض الحلال بأيديهم ، ولو أخذوا مال المسلمين فكله حلال ومعاماتهم حلال في غير الخيانة والأخذ
 بالإيمان الكاذبة والغدر فإن ذلك حرام ، ثم إن لم يجد هذا فيتنزل إلى ما عرف أصله كمن وجد كغزا
 من المال بصورة الجاهلية في أرض غير مماوكة ، وكذلك المعدن على هذه الصورة والصيد وغيره ودون
 هذا من المراتب ما جهل أصله وعرف اختلاطه بأيدي كاسبه وله مراتب مفصلة في كتب الفروع وآخر
 مراتب الحلال إذا عمت البلية في الأرض فلم يجد المؤمن منها لقوته إلا الصورة المحرمة وألجأ الحال إلى
 ذلك حل له أخذ قوته فقط كاقنيات الخائض من الميتة ولحم الخنزير فقط ، وأما الزكاة في المحرم بصورة
 الغصب وشبهه فلا زكاة فيه لأن الزكاة فيما يتعلق ملك الشخص به ولا ملكية في الغصب وشبهه ،
 وأما ما اختلط وذهبت عينه بعين أخرى وغلط بالحرارة والتجارة والصناعة فيزكي كله ، وأما أخذ
 الزكاة من مانعها لمستحقها بصورة السرقة والخيانة أو الغصب فسكانه حرام فلم يعرف فيه مخالف من
 أهل الأصول ولا يحل ذلك إلا للسلطان لا ماعده ، ولا يقول بإباحتها إلا من لا دين له ولا أمانة ثم
 مشاركة الطلبة فهي داخلية في تفصيل المعاملة السالفة انتهى ، انظره قال رحمه الله :

(فَمَنْ كَانَ عَالَةً عَلَى النَّاسِ يَزِدْرَى يُعَذُّ مِنَ النَّاسِ مَنْ صَنَفَ صَبِيَّةً
 فَكُنْ بِأَخِي صَقْرًا يَصِيدُ لِبُومَةٍ فَأَخْسِ بِوَصْفِ صَبَوَةٍ وَأُنُوثَةٍ)

(فمن كان عالة) جمع عائل كعبادة جمع بائع وهو من يلزم الإنفاق عليه وتلتزم مؤونته (على الناس)
 والإخوان والأقران (يزدري) يحتقر ويهان عندهم ، وفي الحديث « هز المؤمن استغناؤه عن الناس
 وشرفه في قيام الليل » فإن من طمع ذل وانحطت رتبته . وفي الحكم : ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر
 طمع ، ما قاذك شيء . مثل الوهم ، أنت حر بما أنت منه آيس وعبد لما أنت له طامع ، اه : وفي [مع] قال
 لقمان لابنه : يا بني حملت الصخور والحديد فلم أر شيئا أثقل من الدين ، وأكلت الطيب وهانفت الحسان
 فلم أر شيئا ألد من العافية ، وذقت المرارات كلها فلم أذق شيئا أضر من الحاجة إلى الناس وقال الشعراfi :
 ومن أخلاق السلف تقديم الخوف من الحاجة إلى الناس على خوف الحساب من جهة المال الذي ربما
 دخلته الشبهة . وقال سفهان الثوري : لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحب إلى من أن احتاج
 إلى الناس ، وقال : المال فيما مضى يسكره وأما اليوم فهو ترس المؤمن ، وقال : حفظك لما في يدك
 لتقضى به حاجتك أولى من تصدقك وطلبك لما في يد غيرك ، وقال : خصلتان لا يزال العبد بخير
 ما حفظهما : درهمه لمعاشه ودينه لمعاده انظره . وفي [هم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن ننفق على زوجاتنا وحيالنا ، ثم قال : وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : اسع
 على حيالك لئلا ونهارا ولو سمالك الناس دنيويا ، فإنه خير من أن يسموك صالحا وأنت تأكل صدقاتهم

وأوصاهم وناظر مافي أيديهم وكل من لم يعطك شيئاً اتكراهه مع أن تلك الكراهة من غير حق ، انظره
(بعد من) جنس (النساء) قصره للوزن (ومن صنف صبية) جمع صبي لأن من لا كسب له والناس
يتفقون عليه من جملة النساء والصبيان وإن كانت له لحية كبيرة وسبحة طويلة وسجادة رقيقة وهذه مريحة
ومرقة ملونة وشفاهات مقبولة عند الولاة وغير ذلك مما هو من أوصاف الرجال وليس له حظ ولا
نصيب في الرجولية قال تعالى - الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا
من أموالهم - وقال - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة - الآية ، فوصفهم الله
بالرجولية إذا أكملوا من كسبهم وأنفقوا من فضله : وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن لا تقبل صدقة ولا هدية من امرأة إلا بعد أن تسأل عن ذلك فربما كان من مال
زوجها بغير إذنه فتقع في الإثم ونعيتها على الحرام ، وهذا الأمر يقع فيه الفقهاء المغفلون الذين
يقرئون النساء البخاري والقرآن والمولد ، وقد نهى جميع أشياخ الطريق عن قبول الرفق من النساء
ولو كان من كسبهن لأن الله تعالى قال - الرجال قوامون على النساء - قالوا ومن ترخص في ذلك
فهو ذئب الهمة والمرءة لا يجيء منه شيء في الطريق فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلكه
ويرقى به إلى مقام الرجولية ويفطمه عن محبة الدنيا ، وإلا فمن لازمه أنه يلحق كل ما وجدته انظره (فكن
يا أخى صقرا) بفتح الصاد كفلس وهو كل شيء يصيد من البزاة والشواهي^(١) (يصيد) من صاده
يصيده ويصاده اصطاده (لبومة) بضم موحدة ، وفي [سر] البومة بضمها طائر كالأرنب والآنثى اه .
ولا ترض لذكك ولعيالك أيها الأخ الصادق والحبيب الوافي أن تكون بومة فيصيد لك ولهم
غيرك من الرجال البزاة والأقران السكاة . وفي [عم] وقد غلط في هذا الأمر قوم فتركوا جمع الدنيا
أصلا ورأوا فاحتاجوا إلى سؤال الناس تعريضا وتصريحا ولو أنهم كانوا صلكوا على يد الأشياخ
حتى فطموهم عن الميل إليها لجمعوا القناطير من الذهب وأنفقوها على المساكين وحصل لهم خير
الدنيا والآخرة :

[وقد حكى] أن فقيرا دخل زاوية سيدي إبراهيم المتبولى فجلس للعبادة ليلا ونهارا وترك الكسب ،
وكان الشيخ لا يحب للفقير عدم الكسب فقال له : يا ولدي لم لا تحترف وتقوم بنفسك وتستغنى عن
حل الناس لك الطعام ؟ فقال ياسيدي لما دخلت زاويتكم رأيت في تلك الطاقة بومة عمياء لا تطيق أن
تسمى مثل ما تسمى الطيور ، ورأيت صقرا يأتها كل يوم بقطعة لحم يرميها لها في طاقتها ، فقلت أنا أولى بالتوكل
على الله من هذه البومة ، فقال له سيدي إبراهيم : ولم تجعل نفسك بومة عمياء هلا جعلتها صقرا تأكل وتطعم
البومة ؟ فقال الفقير : التوبة وخرج للكسب اه . فيحتاج الفقير إلى حال صادق يرمى به الدنيا وحال
صادق يأخذها بعد ذلك به والله غفور رحيم ، انظره . وفي [مع] وقد نص العلماء بأن من وجد
كفاية عن الأسباب فالله قد أغناه وإلا فلا يجوز لأحد أن يقعد عن الأسباب انكالا على الناس وهو قادر
على الاكتساب والشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف به من الحرام اه (فأخسس) فعل ماض تعجبي
(يوصف) فاعل مجرور بهاء زائدة (صبوة) كتمرة جهلة الفتوة (و) وصف (أنوثة) بضم الهمزة أي

(١) الشواهي جمع شاهين : وهو طائر معروف من سباع الطير ، وليس يعرف في الشام اه .

ما أحسن هذين الوصفين بالنسبة لوصف الرجولية . قال رحمه الله :

(فَمَنْ وَابْتَعِ الْحَلَالَ بِالْكَسْبِ وَالْقَنَاءِ وَلَا تَكُ كَلًّا عِفْدَ أَصْحَابِ ثَرَوَةٍ)

(فقم) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق بنية صادقة وهمة نافذة بنفسك، وللشافعي رضي الله عنه :

ما حلك جسمك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

وإذا قصدت الحاجة فاقصد لمعرف بقدرك

ولآبي المواهب السائحى رضي الله عنه وعنايه آمين :

دع الرسائل في نيل الحوائج مع كتب تنمقها في ذلك الغرض

كلما مواعيد من يروق منظره كم منظر معجب والفعل غير رضى

وقم بنفسك وانتفض على قدم فما ترف المنى اغير منتفض

واصحب نقوشا بمنقوش إذا ظهرت لم يبق في الاس رأس غير منخفض

هي الدراهم من يرد مصاحبة فليس في غيرها للمرء من هوض اه

(وابتغ) اطلب بالجد والاجتهاد لنفسك ولمن تعلق بك من العيال (الحلال) الذى هو أصل كل خير

ومنع كل بر - والبلد الطيب يخرج نباهه بإذن ربه - الآية، قال تعالى - يا أيها الناس كلوا مما في الأرض

حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان - وهى كل ما حرمه الله تعالى من المعاملات، وقال - يا أيها الرسل

كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - وفي الحديث « من أكل طيبا وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه دخل

الجنة » وفي آخر « إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود

فنظفوا أنفسكم ولا تشبهوا باليهود » أى في قذارتهم وقذارة أفئيتهم : وفي [حى] قال صلى الله عليه

وسلم « العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال » وفي الحديث « طلب الحلال فريضة على كل

مسلم » وفي آخر « الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه ، وما سكت عنه فقد

عفى عنه » وفي آخر « الحلال بين والحرام بين فذع ما يريبك إلى ما لا يريبك » اه . وفي الحلية :

اجتمع يونس بن عبيد وحسان بن أبى سنان فقال يونس : ما عالجت شيئا أشد على من الورع . فقال حسان :

ما عالجت شيئا أهون على منه : قال كيف ؟ قال تركت ما يربيني إلى ما لا يربيني فاسترحت . وفي [جص]

« طلب الحلال واجب على كل مسلم » قال الحنفى : أى طلب معرفته والأكل منه فإن ذلك ينور

البصيرة . ولذا رأى ابن آدم في الشام فقيل له ما جىء بك هنا ؟ فقال لأملأ بطني من حلال لا لصوم

ولا لصلاة ولا لغير ذلك . والمراد بالحلال ما لم تعلم حرمة ولم يلب على الظن حرمة لقريضة كقريضة

النهب ونحوه اه . وفيه « اجعلوا بينكم وبين الحرام سترا من الحلال من فعل ذلك استبرأ لعرضه ودينه

ومن أرتع فيه كان كالمرتفع إلى جنب الحمى يوشك أن يقع فيه وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله في الأرض

محارمه » اه وفي البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يأتي على

الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم الحرام » وفيه « إن هذا المال خضرة حلوة ونعم

صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين ومن لم يأخذه بحقه فهو كالأكل

الذى لا يشبع ويسكون عليه شهيدا يوم القيامة » وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا تغفل عما يدخل

بطوننا في هذا الزمان من الحرام والشبهات وأن تضيق على نفوسنا ما أمكن ، وذلك لأن إصلاح القلب

والغامة لفعل الخير متوقف على إصلاح الطعمة فمن أكل من الحرام والشبهات وطالب أن يفهم دقائق الشريعة أو أن يقع على يديه أعمال الصالحين أو أن ينشرح صدره للطاعات فقد أخطأ الطريق ولا يصح له ذلك أبداً ، وقول بعضهم : من أدب الفقير أن لا يفتش محله ما إذا غلب الحلال فافهم مع أن من استبرأ لدينه فلتش مطلقاً . واعلم يا أخى أن من علامات الحرام والشبهات أن تنام كالسكران وتنظر المنامات فلا تهتدى لذكرها على وجهها وتقوم من النوم فتمكث ساعة وأنت باهت كالسكران عكس المنامات فإنه يستيقظ كأن لم يكن نائماً ، ودليلنا في ذلك قوله تعالى في حق أكلة الربى - الذين يأكلون الربى لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس - انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجتهد في طلب الحلال لنأكل منه ونلبس منه وننفق على عيالنا وإخواننا منه . فإنه موجود ما دام المكلفون في الدنيا وإذا صدق العبد في طلب الحلال استخرجه الله من بين الحرام والشبهات كما يستخرج اللبن من بين فرت ودم ، فلا تسمع يا أخى إلى قول من يقول مابق في الدنيا حلال فإن ذلك جهل منه ، وأصل ذلك كثرة أكله هو من الحرام والشبهات فظن أن أحداً لا يسلم من ذلك قياساً عليه هو ، وغاب عنه أن الله تعالى إذا اعتنى بعبده طهره من الخبائث ويسر له الحلال الصريف الخالص ، فلولاً ما سبق في علم الله تعالى من حيث نفس هذا القائل ما صاق إليه الخبيث قال تعالى - الخبيثات للخبثين والخبثون للخبثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات - فمن خبيثت نفسه سيق للخبث وسبق الخبيث لها ومن طابت نفسه سبق إليها الرزق الطيب وسبق إليه ، فاعمل يا أخى على إصلاح النية واطلب الحلال جهداً ، انظره . ورحم الله من قال :

إنال فيه محلة ومهابة والفقر فيه مذلة وفضوح
خاطر بتفلسك كى تنال غنيمة إن الجلوس مع العيال قبيح

ومن قال :

إذا المرء لم يطلب معاشا بكفه وشكى النقر أولام الصديق فأكثر
فسر في بلاد الله ولمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولا ترضين بعيش دون ولا تم وكيف ينال الليل من كان معسرا

ومن قال :

ذرى للغنى أسعى فإنى رأيت الناس شرهم الفقير
وأذناهم وأهونهم عليه وإن أمسى له حسب وخير
يباعده القريب وتزدربه حليته ويقهره الصغير
ويبقى ذو الغنى وله جلال يكاد فؤاد لاقيه بطير
قليل ذنبه والذنب جم ولكن للفقى رب غفور اه

ومن قال :

يغدو الفقير وكل شيء ضده والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوتا وليس بمذنب ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة أصغت إليه وحركت أذناها
وإذا رأت يوما فقيرا عاريا نبحت عليه وكشرت أنيابها

ومن قال :

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب وقد يسود ضمير السيد المال

ومن قال :

ولا رفع للنفس الدنية كالغنى ولا وضع للنفس الشريفة كالفقر

ومن قال : إن الغنى إذا تكلم بالخطأ

وإذا الفقير أصاب قالوا كلهم

إن الدراهم في الأماكن كلها

فهى اللسان لمن أراد فصاحة

وهى السيوف لمن أراد قتالا

(بالكسب) هو طلب الرزق والمعيشة . وفى [جص] « إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم » . وفيه : « إذا كان آخر الزمان فلا بد للناموس فيه من الدراهم والدنانير يقيم الرجل بهادينه ودينه . اهـ . وعليه فمن أحب المال لصيانة دينه ورضه فهو مصيب ومثاب » إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى » وفيه : « الدنانير والدراهم نحوتم الله فى أرضه ، من جاء بخاتم مولاه قضيت حاجته » . قال العزرى : قال الغزالي : من نعم الله تعالى الدراهم والدنانير وهما قوام الدنيا اهـ وفيه : « لعثرة فى كد حلال على هبال أفضل عند الله من ضرب بسيف حولاً كاملاً لا يحف دماً مع إمام عادل » . وفى الحديث « الحث على القيام بأمر العيال والتحذير من تضييعهم وأن القيام بهم أفضل من الجهاد فى سبيل الله » وفيه « باكروا فى طلب الرزق والحوائج فإن الغدو بركة ونجاح » وفى [حى] قال صلى الله عليه وسلم « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله » ومن طلب الدنيا حللاً فى عفاف كان فى درجة الشهداء » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكل الحلال أربعين يوماً نور الله قلبه وأجرى يتابع الحكمة من قلبه على لسانه » وفى رواية « زهد الله فى الدنيا » وفيه : قال لقمان لابنه : يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال : رة فى دينه وضعف فى عقله وذهاب مروءته ، وأعظم من هذه الثلاثة استخفاف الناس به . وقال عمر رضى الله عنه : لا يتعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة . وكان زيد بن مسلمة يفرس فى أرضه فقال له عمر رضى الله عنه : أصبت استغن عن الناس يكن أصولك لدينك وأكرم لك عليهم ، كما قال صاحبكم أحيحة :

فلن أزال على الزوراء أعمرها إن الكريم على الإخوان ذو المال

استغن أومت ولا يفررك ذونسب من ابن عم ومن عم ومن خال

كل النداء إذا ناديت يخذلنى إلا النداء إذا ناديت يامالى

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا فى أمر دينه ولا فى أمر آخرته اهـ . وكان قيس بن عاصم مع زهده وورعه يقول لبنيه : هليكم بالكسب الحلال فإنه يسر الصديق ويكمد^(١) العدو وتستغنون به عن سؤال الناس لاسيما اللئيم ، فإن ذلك كسب الماجز . وروى « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى ، فقالوا يا ويح هذا لو كان جلده وشبابه فى سبيل الله ، فقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكشفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وإن كان يسعى على

(١) بضم تحية من أكرهه : أخرته . اهـ .

أبوين ضعيفين أو ذرية ضعفا ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان» انظره (والعنا) قصره للوزن من غنى كرضى ههنا تعب ونصب ، وفي الحديث « من أصبح وانبا من طلب الحلال بات مغفورا له وأصبح والله عنه راض » وفي [جص] من أصبح ^(١) كالا من عمل يده أمسى مغفورا له « وفيه » إن الله تعالى يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال « أى إنه يرضى عنه بذلك ويثيبه عليه إن قصد بعمله التقوى على طاعة الله والتقرب إليه . قال العزبى : قال السهروردي رحمه الله : أجمعوا أى الصوفية على مدح الكسب والتجارة والصناعة بقصد التعارن على البر والتقوى من غير أن يراه سبباً لاستجلاب الرزق ، ولا تحل المسألة لغنى ولا لسوى ^(٢) انظره وفي [هب] الثامن : أى من الأسباب التى توجب الانقطاع عن الله تعالى استهلاك التعب والمشقة فى طلب الدنيا على عبادة الله عز وجل ، فمن أحسن بذلك من نفسه فليعلم أنه مرتكب سبباً من أسباب الانقطاع . التاسع : طلب الدنيا بما هو أهون منها وأذل وأحققر ، وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم يطلبونها بما هو أعلى منها وأعز كالجهاد والتجارة والزراعة وغير ذلك من أسباب الحلال ، وأما من طلب الدنيا بالزور والكذب والفجور والأيمان الخائفة فقد طلبها بما هو أخس منها : أى من الدنيا فمن أحسن بذلك من نفسه فليتب إلى الله عز وجل فإن الدنيا لا تدرك إلا بما هو أهن منها انظره . وفي [غص] وسأنته رضى الله عنه هل الأفضل اتباعى للمشايخ الذين أدركتهم كالشيخ الموصفى وأبى السعود الجارحى والشيخ نور الدين للشونى وأضرابهم فى الأكل بما يفتح الله به من غير عمل حرفة أم الأفضل عمل الحرفة ، فأجاب رضى الله عنه من لا عمل له لا أجره له ، وبيانه أن الأعمال والاكتساب من الأقوال والأفعال والأنفاس المحمودة من سائر العالم مديرة للفلك وموجبة للأثر بحسب تلك الأحوال وبحسب نيات من ظهرت عنهم فإذا ظهرت الآثار تنزات على كل إنسان بحسب رتبته من تلك الأحوال ، فكل من كان فعله أتقن وأكمل كان فعله أسرع دوراناً للفلك وكل من كان عمله أتقن وأكمل كان تضاعف الحسنات له أكثر ، ومن كان تاركاً للأسباب أصلاً دار الفلك بنصيب غيره ولم يحصل له شيء من الأمداد لكونه لم يعمل شيئاً ، ومعلوم أن الحق تعالى لانسبة بيننا وبينه فى العطاء بلا عمل لبرامته تعالى عن أن يفصل منه شيء لنا أو يتصل به شيء منا ، وإنما الأمر راجع هنا لنا بحسب أعمالنا وهو الغنى الحميد ، ومن هنا عتب الخضر على موسى عليه السلام حين أقام الحداد بغير أجره اعلمه هذا الأمر والرسالة وهب لا كسب ، فأراد الخضر عليه السلام أن يجمع موسى بين مرتبى الكسب والوهب وهى مرتبة الكمل والأقطاب والله تعالى أعلم اهـ (ولأنك كلا) الكل بفتح الكاف الينم والثقيل ومن لا خير فيه والعيال والثقيل جمعه كلول كفلس وفلوس (عند أصحاب ثروة) بفتح مثله العدد من المال والناس . وفي [جص] « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منها جميعاً فان الدنيا بلاغ إلى الآخرة ولا تكونوا كلا على الناس » وفيه « خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس » قال العزبى : فإن خير الناس من جعل دنياه مزرعة للآخرة وأخسرهم من شغلته دنياه عن الآخرة اهـ . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نأمر من مصعبنا من المحترفين بالإقامة فى حرفته ولو قوى يقيته بالله عز وجل ، فإن من أحب العباد إلى الله المحترفين من كان فى سببه مع

(٢) أى الشاب القوى اهـ .

(١) لعلها من « بات » مصححه .

التفويض التام لله تعالى . وكان بعض الفقراء رضى الله تعالى عنه يقول : ينبغي عندى أن يكون
الفقير مع أستاذه فى انقياده له كالدابة التى تحمل أمتعة الناس ثم يسوقونها لا تدرى المتاع الذى على
ظهرها لمن هو ولا مع من هو ، ولا تعلم بنفاسه ما حمله ولا بنفاسه ، وهى مع ذلك صابرة على ما تقاسيه
من كد العمل وعلى ما تلاقيه من شدة الجوع والعطش غير طامعة فى شىء ترجيه بأفعالها فى الدنيا
والآخرة ، وهذا العهد يقع فى خيانتة كثير من الفقراء الذين لم يسلكوا الطريق على يد شيخ فيترك
حرفته ويدور فى الزوايا كالأعلى الناس والإخوان يأكل الصدقات وأوساخ الناس بعد أن كان يأكل
من كسبه ويتصدق على الفقراء وغيرهم ، لا سيما إن لبس الزى وجلس فى زاوية وادعى مقام العرفان ،
أو أنه من الصالحين كما يقع لبعض الناس فإنه يتلف بالكلية وذلك لأن نفسه ما بقيت تطاوعه أن يرجع
إلى الحرفة وهذا بعد أن عمل شيخا ولا معه يقين بحميه من أوساخ الناس ، نسأل الله العافية آمين ،
انظره . وفى [حى] قال عليه الصلاة والسلام « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من
أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه » وقال « من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح
الله عليه سبعين بابا من الفقر » انظره . وفى [حص] « من سأل الناس أموالهم تكثرا فلنما يسأل جمر
جهنم فلا يستقل منه أو يستكثر » وفيه « من سأل من غير فقر فلنما يأكل الجمر » وفيه « من سأل عن
غنى فلنما يستكثر من جمر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع وليس
عليه لحم » وفيه « لو يعلم صاحب المسألة ماله فيها لم يسأل » اهـ . وقد قيل : أربعة فيها ذل عظيم : الدين
ولو درهم ، والبنت ولو مريم ، والفقر ولو ميل ، والسؤال ولو إلى أين السبيل . ورحم الله من قال :

لا تكن طالبا لما فى يد الناس تن فيزور^(١) من لقاءك الصديق
إنما الذل فى سؤالك للناس من ولو فى سؤال أين الطريق

وللشافعي رضى الله عنه :

أعز الناس نفسا من تراه يعز النفس عن ذل السؤال
ويتنع باليسير ولا يسأل بفضل فات من جاءه ومال
فكم دقت ودرقت واسترقت فضول العيش أعناق الرجال
ورحم الله من قال :

بلوت^(١) الناس قرنا بعد قرن فلم أر غير ختل^(٢) أو قتال
ولم أر فى الخطوب أشد ضرا وأدى من معاداة الرجال
وذقت مرارة الأشياء طرا فما شىء أمر من السؤال
ومن قال :

ما نال باذل وجهه بسؤاله عوضا ولو نال الغنى بسؤال
وإذا التوال مع السؤال وزنته رجح السؤال وخف كل نوال
وإذا بليت يسأل وجهك سائلا فأبذله للمتكرم المفضل

(١) أى يفر الصديق من لقاءك .

(٢) أى اختلج .

(٣) جمع خاتل كصاحب جمع صاحب اهـ .

ومن قال :

لموت الفتى خير من الفقر للفتى وللموت خير من سؤال بخيل
لعمر ك ما شئ لو جهك قيمة فلا تلق مخلوقا بوجه ذليل
ولا تسأل من كان يسأل مرة فللموت خير من سؤال سؤول

ومن قال :

لم يخلق الرحمن أحق لحية من سائل يرجو الندى من سائل
ولما أضر الفقر بالقاضي سيدي عبد الوهاب رحمه الله تمضى الكفاف ولزوم العلم إلى الممات فقال :
يا لهف نفسي على شيئين لو جمعا عندي لكنت إذا من أفضل البشر
كفاف عيش كفاي ذل مسألة وخدمة العلم حتى ينتضى العمر
فحقق الله أمنيته واستجاب دعوته لصدق نيته وصفاء سريرته .

يارب فامنن على بهما كرما بجاه خير الورى وشيخنا أحدا

وفي [عف] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من يضمن لى واحدة أتكمل له بالجنة »
قال ثوبان : قلت أنا قال : لا تسأل الناس شيئا فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا يناوله
وينزل هو ويأخذها ، وفيه : « من أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه أصبح ذات يوم وليس عندهم
طعام فأصبح وقد عصب على بطنه حجرا من الجوع فقالت لى امرأتى ائت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقد أتاه فلان فأعطاه وأتاه فلان فأعطاه قال فأتيته وقلت ألتس شيئا فذهبت أطلب فأنتهيت إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب ويقول : « من استعف بعفه الله ومن يستغن يعفه الله ومن
سألنا شيئا فوجدناه أعطيناه وأسبنا ومن استعف عنه واستغنى فهو أحب إلينا من سألناه » قال فرجعت
وما سأله فرزقنا الله حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالا منا ، انظره . وفيه : وقال على
رضى الله عنه : « من جلس على بساط الرضا لم يناله من الله مكروه » ، ومن جلس على بساط السؤال لم
يرض عن الله فى كل حال . وفي الحديث « استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره قالوا وما هو ؟ قال غداء
يوم وعشاء ليلة » وفي آخر « من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب فقد سأل إلخافا » وفي آخر
« من استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن سأل الناس وله عدل نخم أو اق فقد سأل إلخافا »
وفي آخر « من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ، ومن استعف كفاه الله ، ومن سأل الناس وله قيمة
أوقية فقد ألحف » وفي آخر « مسألة الناس من الفواحش ما أحل الله من الفواحش غيرها » ومعلوم أن
الفاحشة لا تباح إلا للضرورة فادحة كما يباح شرب الخمر لإزالة غصة إذا لم يوجد غيره انظره [حى] .
وفي مسلم عن قبيصة قال « تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال أقم حتى
تأتينا الصدقة فنأمر لك بها قال ثم قال يا قبيصة إن المسئلة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل يحمل حمالة فحلت
له المسئلة حتى يصيبها ثم يمسه ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسئلة حتى يصيب
قواما من عيش أو قال سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجى من قومه
لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش فأسواهن
من المسئلة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا ، وقوله سحتا بالنصب أى اعتقده سحتا ، وفي رواية
غير مسلم سحت بالرفع . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون

سدانا ولحمنا القناعة والتعفف والأكل من الكسب الحلال بطريقة الشرع الشامل لمدايدين بالدعاء إلى حضرة الله تعالى إذا عجزنا عن عمل الحرفة المعتادة ولا نأكل بديننا ، وهذا العهد لا يعمل به على وجهه إلا من سلك الطريق على يد شيخ وإلا فلا يشم من العمل به رائحة فإن العبد مالم يصل إلى معرفة الله تعالى لا يصح له في القناعة ولا التعفف قدم ، وذلك أنه إذا عرف الله تعالى فمن لازمه الرضا به من الكونين ، ولا يطلب قط فيهما نعيما غير مجالسة الحق جل وعلا ولا يبالى بما فاته منهما إذا كان الحق تعالى له عوضا من كل شيء ، وأما من لم يصل إلى معرفة الله تعالى فمن لازمه شراة النفس لأن الدنيا مشهودة فلذلك كان هذا العهد يخجل به كثير من الناس في هذا الزمان حتى لا يكاد الإنسان يرى متعففا ولا قانعا ولا متورعا في اللقمة أبدا ، ثم قال : لا يخفى أن من أقبح الصفات عدم تعفف العالم والصالح وطلبهما من الولاة جوالى أو مسموحا أو مرتبا على بساط السلطان ثم يطلبان بعد ذلك تمشية شفاعاتهم عندهم في أمور المسلمين ، وهذا أمر لا يتم لهم فإن شرط الشافع العفة والورع عما بأيدي الولاة ، فلأنهم إذا رأوه زاهدا فيما رغب فيه ملوكهم فضلا عنهم عظموه ضرورة وأحبوه وقبلوا شفاعته وتبركوا به ، ثم قال : فاسلك يا أخى طريق الفقراء والعلماء الذين مضوا ولا تتبع أهل زمانك تهلك . وقد بلغنا عن أبى إسحاق الشيرازى أنه كانت تعرض عليه الأموال فيردها مع أن القمل مائع على وجهه ورأسه ولحيته وعليه فروة كباشية ، وكان يتغذى بماء الباقلا فيفت الكسرة اليابسة ويغسلها بماء الفول رضى الله تعالى عنه . وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : لله تعالى رجال يجمعون المال ولا يظهرون قناعة ويلحون في السؤال ثم يعطون كل شيء حصل بأيديهم لمن هو محتاج إليه ولا يدورون منه شيئا ، فإياك يا أخى والمبادرة بالإنكار عليهم ، وبعضهم يجمع من الدنيا عنده حتى لا تستشرف نفسه لما في أيدي الناس أو يقف لهم على باب وكان على ذلك سفيان الثوري رضى الله تعالى عنه . وسمعت سيدي عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول : إذا ضاق على فقير أمر معيشته فليسأل الله تعالى في تيسير رزق حلال مما قسمه الله تعالى له ولا يعين جهة ليكون ذلك معدودا من جملة الرزق الذى لا يحاسبه ، فإن كل شيء جاء باستشراف نفس فهو غير مبارك فيه كما صرحت به الشريعة . ثم نقل عن الشهرى أنه كان إذا جاع مد يده وسأل الله تعالى وقال هذا كسب يمينى ، ثم قال عن أخيه أفضل للدين رحمه الله : لا ينبغي لفقير السؤال حتى يبيع آلات الدار الزائدة على الضرورة كالطراحة والمخدة والعمامة الزائدة والأواني كلها حتى نعله الزائد ، وكان يقول : لا ينبغي لفقير إذا وجد الحلال الصرف أن يشبع منه بل يأكل بقدر سد الرمق فقط خوفا أن يقع في الحرام ، وسمعت أيضا يقول : ليست القناعة أن تأكل كل ما وجدته ولو كسرة يابسة كل يوم ، وإنما القناعة أن تطوى الثلاثة أيام فأكثر مع وجود الأكل عندك اه . ولعل مراده رضى الله عنه الطى الذى لا يضر الجسم فإن جوع المحققين إنما هو اضطراب لا اختيار ، وذلك لأن الكامل يجب عليه إعطاء كل ذى حق حقه من جسمه أو غيره ولا يظلم شيئا من رعيته سواء الجوارح وغيرها ، انظره . قال رحمه الله :

(تَقْنَعُ بِزَادٍ كَالْغَرِيبِ وَغَابِرِ السَّبِيلِ خَسْبُ ذِينَ أَوْصَلُ بُلْفَةٍ)

(تقنع أى تكلف القناعة التى هى كنز لا ينفد لحديث « القناعة مال لا ينفد وكنز لا ينفى » وسئل صلى الله عليه وسلم عن القناعة فقال « هى الإياس مما فى أيدي الناس وإياكم والطمع فإنه الفقر

الحاضر ، اه : ورحم الله من قال :

إذا رمت أن تستقرض المال منفقا على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها عليك وإرفاقا إلى زمن اليسر
فإن رضيت كنت الغنى وإن أبت فكل منوع بعدها واسع العذر

وفي [حص] « عليكم بالقناعة فإن القناعة مال لا ينفد » قال العزيزي : هي الرضى باليسر ، وقيل القناعة الاكتفاء بما تندفع به الحاجة من مأكل وملبس وغيرهما ، وقيل القناعة رضى النفس بما قسم لها من الرزق ، وهي ممدوحة ومطلوبة وثمرتها في الدنيا السلامة من المطالبة بالحقوق وما يقبها من التعب ، وفي الآخرة السلامة من طول الحساب . قيل في قوله تعالى - إن الأبرار لفي نعيم - هو القناعة في الدنيا ، وفي قوله - وإن الفجار لفي جحيم - هو الحرص على الدنيا . وفي الزبور : الذائع غنى وإن كان جائعا . وقيل وضع الله خمسة أشياء في خمسة مواضع : العز في الطاعة ، والذل في المعصية ، والهيبة في قيام الليل ، والحكمة في البطن الخالي ، والغنى في القناعة ، ولهذا قيل : من قنع استراح من مزاحمة أهل زمانه أي في الأسواق وغيرها ، واستطال على أقرانه : أي بالعز والمروءة ، انظره . وفيه « طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » . وعن بشر رحمه الله لو لم يكن في القناعة إلا التمتع بالعز لسكنى ، وعنه أيضا : طلبت الغنى فوجدته في القناعة . وعن بعضهم : انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالتصاوص . وقال على كرم الله وجهه : القناعة سيف لا يقبوا . وفيه « ابن آدم عندك يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك ، ابن آدم لا يقليل تقنع ولا من كثير تشيع . إذا أصبحت معافى في جسدك آمنا في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا عفاء » أي الهلاك والدروس وذهاب الأثر ، وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم البديعة ومواعظه السنية البليغة قاله العزيزي . وفيه « ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عرته وجلف الخبز والماء » اه . وفي [ثيق] وفي بعض المواضع الربانية : يقول الله عز وجل « يا عبدى خلقتك لى وحدى وجعلت الملائكة تقودك إلى حضرتى مادمت قائما منى بالرجيف وستر العورة لك ولعيا لك فإذا طلبت منى فوق ذلك قطعت الحبل بينى وبينك فلا تقدر على النهوض إلى حضرتى خطوة واحدة » اه انظره وروى « ما من يوم طلعت فيه شمس إلا وملكان يتناديان يسمعهما خلق الله إلا الثقلين : أيها الناس هلموا إلى ربكم إن ماقل وكفى خيرا مما كنتم وألهى » ورحم الله من قال :

والفقر خير من غنى يطغيا النفس تأبى أن تكون فقيرة
فجميع ما فى الأرض لا يكفيا فغنى النفوس هو الكفاف وإن أبت

ومن قال :

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضا فإنك لا تدري أن تصبح أم تسمى
فليس الغنى عن كثرة المال إنما يكون الغنى والفقر من قبل النفس

ومن قال :

غنى النفس ما يكفيه من سد خلة فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

فالكفاف حالة متوسطة وخير الأمور أوسطها ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم « اللزم أجعل رزق آل محمد كفافا » وحكى أن رجلا خطر بباله وهو بالطراف طلب الدنيا فلما نام سمع هاتفا يقول :

أقسمت بالبيت العتيق وركنه والطائفين ومنزل الفرقان
ما العيش في المال الكثير وجمعه بل في الكفاف وصحة الأبدان

وفي [شب] ومن النصائح النبوية قوله صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس اذكروا هاذم اللذات فإنكم إن ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم، وإن ذكرتموه في غنى بغضه إليكم، إن المنايا قاطعات الآمال والليالي مدنيات الآجال، وإن العبد بين يومين يوم قد مضى أحصى فيه عمله فحتم عليه، ويوم قد بقي لا يدري لعله لا يصل إليه، وإن العبد عند خروج نفسه وحلول رmse يرى جزاء ما أسلف وقلة غناء ما خلف. أيها الناس: إن القناعة لغنى، وإن في الاقتصاد لبلغة، وإن في الزهد لراحة، وإن لكل عمل جزاء، وكل آت قريب» وقال بعض الحكماء: الدنيا إنما تراد لثلاثة: العز والغنى والراحة، فمن زهد فيها عز، ومن قنع استغنى، ومن ترك الانهماك فيها استراح. ولما اجتمع هارون الرشيد بالبهلول قال له عظمي فقال بم أعظك؟ هذه قصورهم، وهذه قبورهم، ثم قال: كيف بك يا أمير المؤمنين إذا أقامك الحق تعالى بين يديه وسألك عن النقيير والفتيل والقطمير وأنت عطشان جوهان عريان وأهل الموقف ينظرون إليك ويضحكون فحقتك العبرة وأمر له بصلاة، فقال ردها على من أخذتها منهم قبل أن لا تجد لهم شيئا ترضيهم ثم أنشد:

دع الحرص على الدنيا وفي العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال فما تدرى لمن تجمع
فإن الرزق مقسوم وسوء الظن لا ينفع
فخير كل ذي حرص غنى كل من يقطع

والله در ابن رزين حيث قال من قصيدته المشهورة:

وما مجاهدة الإنسان واصلة رزقا ولا دعة الإنسان تقطعه
قد وزع الله بين الخلق رزقهم لم يخلق الله من خلق يضيعه
لكنهم كلفوا حرصا فلست ترى مسترزقا وسوى الغايات يفتنه
والحرص في الرزق والأرزاق قد قسمت بغى ألا إن بغى المرء بصصره
انظرة، ورحم الله من قال:

قد يرزق المرء لم تتعب رواجه ويحرم الرزق بالأسفار والتعب
إني وعمرك ما أحصى ذوى حق الرزق أهدى بهم من لاصق الحرب
ومن قال:

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا لكنه خلق الإنسان من عجل

وحكى أن رجلا سأل ابن حنبل أن يعظه فقال: إن كان الله تعالى تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا؟ وإن كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا؟ وإن كان الخلف على الله فالبخل لماذا؟ وإن كانت الجنة حقا فالراحة لماذا؟ وإن كانت النار حقا فالمعصية لماذا؟ وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا؟ وإن كان الحساب حقا فالجمع لماذا؟ وإن كان كل شيء بقضائه وقدره فالخزن لماذا؟ وفي [حمي] روى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال: أي عبادك أغنى؟ قال أفنعمهم بما أعطيت. قال فأبهم أعدل؟ قال من أنصف من نفسه.

وقال ابن مسعود: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » وقال أبو هريرة : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز ماء وعلى الدنيا الدمار »^(١) وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « كن ورعا تكن أعبد الناس ، وكن قنعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » وفيه قال بعض الحكماء : وجدت أطول الناس غما الحسود ، وأخفاهم عيشا القنوع ، وأسبرهم على الأذى الحريص إذا طمع ، وأخفهم عيشا أرفضهم للدنيا ، وأعظمهم ندامة العالم المفرط ، وفي ذلك قيل :

أرؤه^(٢) ببال قتي أمسى على ثقة إن الذي قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يلدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه^(٣)
إن القناعة من يحل بساحتها لم يلق في دهره شيئا يؤرقه^(٤)
ورحم الله من قال في مدح القناعة :

هي القناعة لا أبغى بها بسلا فيها النعيم وفيها راحة البدن
أنظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ما فاز منها سوى باللحد والكفن
ومن قال :

وجدت القناعة أصل الغنى فصرت بأذيالها ممسك
فلا ذا يراني على بابسه ولا ذا يراني به منهمك
فصرت غنيا بسلا درهم أمر على الناس شبه الملك

ومن قال :

يا طالب الزيد والأرزاق قد قسمت بين الخلائق لم تنقص ولم تزد
أنعبت نفسك فيما لست مدركه وضاع همك في هم وفي نكد
لو طرت بين السما والأرض مجتهدا في شربة الماء فوق الرزق لم تجد
هون عليك فإن الرزق عن قدر يأتي ولو أنه في جبهة الأسد

ومن قال :

جری قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق ويرزق في خشاوته الجنين

وفي [عف] حكى عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق ، فخرج إلى بعض الصحارى فرأى قنبرة^(٥) عمياء عرجاء ضعيفة فوقف متعجبا منها متفكرا فيما تأكل مع عجزها عن الطيران والمشي والرؤية ، فبينما هو كذلك إذا انشقت الأرض وخرجت مكر جتان في إحداها ستمسم وفي الأخرى ماء صاف فأكلت من السمسم وشربت من الماء ، ثم انشقت الأرض وغابت السكر جتان . قال : فلما

(١) الدمار كهلاك وزنا ومعنى اه . (٢) أرؤه فعل ماض تعجى بصيغة الأمر من الرضاية وهي مدعة العيش قاله مرتضى شرح الإحياء اه مصححه . (٣) بضم تحتية وكسر لام من أخلق الثوب أبلاه . (٤) أي يحزنه ويؤرقه قاله مرتضى . (٥) قنبرة بضم قاف وموحدة كقنفذة: اسم طائر .

رأيت ذلك سقط عن قلبي الاهتمام بالرزق ، انظره . ورحم الله من قال :
ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا هلكن إذا من جهلهم البهائم
ومن قال : الرزق مقسوم فأجل في الطلب يأتي بأصحاب ومن غير بسبب
فاسترزق الله في الله غنى الله خير لك من جدد وأب
وللشافعي رضي الله عنه في قصيدة بليغة :

ورزقك لا يفوتك بالتواني وليس يزيد في الرزق العناء
ويرزق من يشاء بلا حساب ويحرم من يريد كما يشاء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء
وله أيضا رضي الله عنه وعن جميع الأئمة وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم :
أنت مطامعي فأرحمت نفسي فإن النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا ففي إحيائه عرضي مصون
إذا طمع يحل بقلب عبد هلته مهانة وعلاه هون

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : عز من قنع وذل من طمع « وقد قيل : من قنع استراح من الشغل
واستطال على الكل . وقيل : من طمعت عيناه لما في أيدي الناس طال حزنه وهمه ورحم الله من قال :

عزيز النفس من لزم القناعة ولم يكشف مخلوق قناعه
أفادتنا القناعة كل عز وهل عز أعز من القناعة
فصيرها لنفسك رأس مال وصير بعدها التقوى بضاعة
لتغني في حياتك عن لثيم وتسعد في الخلق بصبر ساعه

ومن قال :

ألا بالنفس إن ترضى بقوت فأنت عزيزة أبدا غنية
دعى عنك المطامع والأمانى فسيكم أمنية جلبت منه

ومن قال :

إذا ما كان عندى قوت يوم طرحت المم غنى يا معبد
ولم تحظر هموم غد بياني لأن غدا له رزق جديد

(يزاد) يوصلك للمعاد . وفي [جص] « نعم العون على الدين قوت سنة : أى لأن في ادخاره
التفرغ للعبادة والدين . وفيه : أغبط الناس عندى مؤمن خفيف الخاذ^(١) ذو حظ من صلاة وكان رزقه
كثافا فصير عليه حتى يلتقى الله وأحسن عبادة ربه ، وكان غامضا في الناس عجبت منيته وقل ترائه
وقلت بواكيه^(٢) وفيه : انتظر الفرح من الله عبادة ومن رضى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى
عنه بالليل من العمل . وفيه : كل شيء فضل عن ظل بيت وجاف الخبز وثوب يوارى عورة الرجل

(١) الخاذ نهمة آخره دن معجمة : أى خفيف الظهر من الخيال والمال : قاله العزيز .

(٢) جمع باكية لأن الميت يمدد بكاء أهله .

والماء لم يكن لابن آدم فيه حق . ورحم الله من قال في مجت مجزو :

خبز وماء وظل هو النعم الأجل
جججت نعمة ربي إن قلت لاني مقل

وعن بعضهم : من أغناه الله عن ثلاث فقد أتم عليه نعمته : عن سلطان يأتيه . وعن طيب يعانيه ، وعما في يد أخيه . وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » وفي [خل] إذا وجد الفقير في هذا الزمان قوته من حيث لا يحتاج لأحد فهو من أكبر الكرامات إذ أن الكرامة إنما هي خرق العادة وما جرت لهذافيرها خرق عادة ما يخ وهذا في زمنه رضى الله عنه فكيف بزمننا هذا الذي هو آخر عجب الذنب ^(١) جبر الله حالنا وأصلح ما لنا آمين (كالغريب) عن وطنه فإنه لا يحمل من الزاد إلا ما يوصله لوطنه . وفي [جص] « الغريب في الدنيا أربعة قرآن في جوف ظالم ومسجد في نادى قوم لا يصلى فيه ومصحف في بيت لا يقرأ فيه ورجل صالح مع قوم سوء » وفيه « طوبى للغريب قليل من هم يارسلو الله؟ قال أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصمهم أكثر ممن يطيعهم » وفي رواية « من يبغضهم أكثر ممن يحبهم » وفيه « الغريب إذا مرض فنظر عن يمينه وعن شماله ومن أمامه ومن خلفه فلم ير أحدا يعرفه بغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وفيه « لا غربة على المؤمن ، مامات مؤمن بأرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكى عليه فيها السماء والأرض » وفيه « إن الميت في الغربة يقاس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة وقيل : ثلاث لا غربة معها : حسن الأدب ، وطيب الأخلاق ، واجتناب الريب ^(٢) . ورحم الله من قال :

يزين الغريب إذا ما اغترب ثلاث فمنهن حسن الأدب
وثانيه طيب أخلاقه ويختتمهن اجتنب الريب

وقيل : ليس الغريب غريب الأوطان وإنما الغريب غريب الأقران ، ورحم الله من قال :
وما غربة الإنسان في شقة ^(٣) النوى ولكنها والله من عدم للشكل
ومن قال : لكل امرئ شكل من الناس مثله وأكثرهم شكلا أقلهم عقلا
وكل أناس آلفون لشكلهم وأكثرهم عقلا أقلهم شكلا

(وعابر) من عبر الطريق شققها وقطعها (السيبل) وعن سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها . وروى عن عائشة رضى الله عنها - قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أردت اللجوق بى فليتكفك من الدنيا كزاد الراكب ، وإياك ومجالسة الأغنياء ، ولا تستخلفى ثوباً حتى ترقمه » وفي رواية « ما كانت عائشة تستجد ثوباً حتى ترقع ثوبها وتنكسه » وأما ما يقع ممن يدعى التصوف من تمزيق الثوب الحديد ويجعله رقماً فهو من علامة الرياء والشهرة وفيه إضاعة المال المنهى عنها شرعاً وطبعاً إذ الحديث إنما ورد في الثوب الخلق (فحسب ذين) أى فحسب هذين من الزاد الموصل للمعاد (أرسل بلغة) بضم موحدة ما يتبلغ به من العيش ، وروى الحاكم عن سلمان رضى الله عنه قال : عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليكن بلغة أحلكم من الدنيا

(١) عجب كعاس اه . (٢) قوله الريب جمع ريبة . (٣) شقة بضم شين معجمة : بعد المسافة اه .

كزاد الراكب « إنما يكنى أحدكم مادام في الدنيا مثل زاد الراكب » ، ورحم الله من قال :
تبغى من الدنيا الكثير وإنما يكفيك منها مثل زاد الراكب
لا تعجب بما ترى فكأنه قد زال عنك زوال أمس الذاهب

وقيل : أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : إن أردت لقائى غدا فى حظيرة
القدس فكن فى الدنيا غريبا محزونا مستوحشا كالطير الوحدا فى الذى فى الأرض والقنار يأكل من
رؤوس الأشجار فإذا كان الليل آوى إلى وكره وفى [عم] وقد درج العلماء العاملون كالهم على عدم
أخذهم من الدنيا فوق زاد الراكب . وقد بلغنا أن عز الدين بن عبد السلام لما غضب من سلطان
مصر حمل أمتة بيته على حمارته وأركب زوجته فوقها وخرج من مصر ، فانظر يا أخى أمتة شيخ
الإسلام واعتبر به والله يتولى هداك اه . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن لانهم لتحصيل الدنيا كل الاهتمام ولا نقبل عليه كل الإقبال وإنما يكون ذلك بقدر الضرورة لا غير ،
وهذا العهد لا يقدر على العمل به إلا من سلك على يد شيخ ناصح ، وسافر به حتى أشرف على شهود
دار البقاء بعين بصيرته ونظر ما فيها من النعم المقيم والمعيشة الواسعة الإلهية حتى صارت كأنها رأى
العين وهناك يزهد فى دار الدنيا . انظره . وفى [جص] « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »^(١)
لأن الغريب قد يسكن فى بلد الغربة بخلاف عابر السبيل ، وهذا الحديث أصل فى الحث على الفراغ
عن الدنيا والزهد فيها والاحتقار لها والقناعة فيها بالبلغة . وقال النووى : معنى الحديث لا تركزن إلى
الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه ،
وقال غيره : عابر السبيل هو المار على الطريق طالبا وطنه ، فالإنسان كعبد أرسله سيده فى حاجة
فحقه أن يبادر لقضاءها ثم يعود إلى وطنه . قال : قال العلقمى وأوله كما فى البخارى عن عبد الله بن
عمر « قل أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي وقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »
وكان ابن عمر يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك
لمرضك ، ومن حياتك لموتك : أى اعمل ما تلقى نفعه بعد موتك وبادر أيام صحتك بالعمل الصالح فإن
المرض قد يطرأ فيمنع من العمل فيخشى على من فرط فى ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد ، انظره .
وفيه « اغتنم خسا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك
قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » قال العزبى : فهذه الخمسة لا يعرف قدرها إلا بعد زوالها انتهى .
وحكى أن محمد بن واسع رحمه الله كان إذا أراد النوم قال لأهله : أستودعكم الله ، فلعلى لأقوم من نومي ،
وقيل له كيف أصبحت ؟ قال ما ظنك برجل يرتحل إلى الآخرة كل يوم مرحلة ، ورحم الله من قال :

وما هذه الأيام إلا مراحل تمر وتطوى والمسافر قاعد
ومن قال : أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنما
كبان بنى بقبانه فأقامه فلما استوى ما قد بناه تهدما

وفى [ثيق] فينبغى للشيخ أن يأمر الفقراء المقبضين عنده والواردين عليه بأن لا يمسكوا من الدنيا
إلا ما يأخذه المسافر ليبلغه إلى مقصده من مأكل وملبس وآلات لا بدله منها فى طريق مسيره كقصعة

(١) قال العزبى : شبه النبي صلى الله عليه وسلم الناسك السالك بالغريب الذى ليس له مسكن يؤويه ثم ترقى
وأضر به إلى عابر سبيل .

وحبل وسكين ونعل ، ونحو ذلك دون الطراحة والمخاف والصنادق وغير ذلك ، ويعتبرهم من ادخار
 الفضة والذهب جملة واحدة ولو بحجة العيال فن سماح مريدا بذلك فقد غشه ، وقد صارت زوايا
 الفقراء الآن مصيدة للدنيا ، بل رأيت في بعض الزوايا من معه الألف دينار وهو يأكل الصدقة ، نسأل
 الله العاقبة ، ثم قال : وينبغي له أن يبين لهم ما كان عليه السلف الصالح في ابتداء أمرهم من أكل الخبز
 الخشن ييسر الملح أو الخل أو السعتر ، ولبس الجلب والبشوت والأسود من الثياب والعمائم وذلك لئلا
 يحتاجوا في غسلها إلى صابون ونحوه . وقد أدركت سيدي عليا الخواص رحمه الله لا يغسل عمامته وجبته
 إلا مرة واحدة في السنة عند عيد الفطر ، ويغسلها هي والجمعة بملح لا غير ويقول : توسع على غيرنا
 في الصابون . وكان يخبر عن سيدي إبراهيم المتبولى أنه كان يغسل ثيابه كذلك بالملح ويأمر الشيخ أيضا
 المجاورين في زاويته على سبيل التجرد في ابتداء تربيتهم بأن لا يلبسوا الأصواف الشامية الرفيعة
 ولا المضربات ولا الفاشش الرفيع ويقول لهم إن الفقراء إذا لبسوا ملابس أبناء الدنيا وأكثروا من علائقها
 احتاجوا ضرورة إلى الحرف والتجارات ومباشرة الوظائف في مساجد متفرقة كما هو مشاهد في محاويع
 طلبة العلم ، ثم إذا احترقوا كما ذكر ليحصلوا ما يشتركون به تلك الملابس والأمتعة فكأنهم ما خرجوا
 عن حب الدنيا ، بل هم أسوأ حالا ممن لم يدخل في صحبة الفقراء ، ثم قال : فكل فقير جالس في زاوية
 للاشتغال بالقرآن أو الذكر وكان في خلوته أو بيته من متاع الدنيا أكثر مما يحمله المسافر إلى البلاد البعيدة
 فهو خارج عن طريق القوم ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسلمان حين أوصاه : « ليكفك من الدنيا
 كراد الراكب » فليتأمل الفقير الناصح لنفسه في حاله ولا يغش نفسه ويحتج عنها بأنه محتاج إلى شيء
 من الأمتعة وهو كاذب ، انظره . وعن أبي سلمة رضي الله عنه قال : قلت لأبي سعيد الخدري رضي الله
 عنه ما ترى فيما أحدث الناس من هذا المطعم والمشرب والملبس والمركب ؟ قال يا ابن الأخ كل الله
 واشرب لله والبس لله واركب لله ، وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج النبي صلى الله عليه وسلم
 في بيته ، كان يعلف الناضح والبعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع
 الخادم ويطحن مع الخادمة إذا أعيت ويشتري الشيء من السوق ، ولا يمنعه من ذلك الحياء أن يعلقه
 بيده وأن يجعله في ثوبه وينقله إلى أهله وكان يصانح الفقير والغني وبسمل مبتدئا على من استقبله من صغير
 أو كبير من أسود وأبيض من حر وعبد من أهل الصلاة ، ليست له حلة لمدخله وأخرى لخروجه ، لا يستحي
 أن يجيب إذا دعى وإن كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعى إليه ولو لم يجد إلا حشف الدقل لا يرفع غداء
 لعشاء ولا عشاء لغداء يصبح تسع أهل أبياته ما بهن كسرة خبز ولا شربة صوبق ، هين المؤونة لين
 الخليفة كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بسام من غير ضحك مخزون من غير عبوس متواضع
 من غير ذلة جواد من غير سرف رحيم بكل مسلم رقيق القلب دائم الإطراق لم يتجش قط من شبع ، ولم
 يمد يده إلى طمع . قال أبو سلمة رضي الله عنه : فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتني بهذا
 الحديث عن أبي سعيد رضي الله عنه ، فقالت ما أخطأ حرفا واحدا ، ولكن قصر فيما أخبرك عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ولم يملأ قط شبعاً ولم يبت شكواه وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى والبسار
 وكان يصلي جائعاً وبتلو ليله جميع القرآن حتى يصبح ولا يمنعه ذلك من قيام ليله وصيام نهاره ، ولو شاء
 أن يسأل الله تعالى كنوز الأرض وثمارها غدوا وعشيا من شرقها وغربها لفعل ، وربما أبكى له رحمة
 لما أرى به من الجوع وأمسح بطنه بيدي وأقول يا حبيبي لو تبلغت من الدنيا ما يقوتك ويمنعك من

الجوع ، فيقول يا عائشة إن إخواني من أولى العزم من المرصعين قد صبروا على ما هو أشد من هذا فصبروا بحالهم وقدموا على ربهم ، فأكرم مثواهم وأجزل ثوابهم فأستحيي إن ترفعت في معيشتي أن يقصر بي دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب إلى من أن ينقص وما من شيء أحب إلى من اللحق بإخواني يا عائشة قالت فما استكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا إلا جمعيتين حتى قبضه الله انظر المجلس السنية على الأربعين النووية . قال رحمه الله :

(ولا تتخذ أجرا على فعل طاعة كعلم إمامة أذان وخطبة
وما ذاك من طباع أهل الفتوة وقال بمنع ذاك بعض الأئمة)

(ولا تتخذ أجرا) أى جزاء (على فعل طاعة) وإن أجاز ذلك بعض الأئمة بل أفعالها احتسابا لله تعالى ولدار الآخرة خير - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا - قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى - (كعلم) تعالما وتعلما وغيره مما هو للآخرة لأن ما كان من أمور الدين لا تؤكل به الدنيا فمن اضطر إلى ذلك فله سعة في غيره من الأسباب الشرعية وهي كثيرة متعددة كما مر ، وأور الدين والآخرة بمنزل عن أسباب الدنيا فلا ضرورة تدعو إلى التسبب فيما هو للآخرة ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، ورحم الله من قال :

ما العيش بالعلم إلا حالة ضعفت وحرقة وكالت بالتعدد^(١) الهرم

وفي [جص] «اقرأوا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه ولا تغفلوا فيه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به وفيه : «اقرأوا القرآن وابتغوا به وجه الله تعالى من قبل أن يأتى قرم بقيمونه إقامة القدر بتعجلونه ولا يتأجلونه» أى يطلبون به عرض الدنيا وهي العاجلة ولا يطلبون به الآخرة وهي الآجلة . قال تعالى - تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، وقال - أَرْضَيْتُمْ بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل - وفيه من أخذ على القرآن أجرا فذلك حظه من القرآن ، قال الحنفى : أى فلا ثواب له كامل فلا ينافى حصول أصل الثواب اه . وأما حديث : «من أخذ على تعليم القرآن قوسا قلده الله مكانها قوسا من نار جهنم» فهو منسوخ بحديث اللديغ بالماتحة حيث أقرهم صلى الله عليه وسلم على أخذ الأجرة وبحديث : «أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله» وفي [حى] الوظيفة الثانية : أى من وظائف العالم أن أن يقتدى بصاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا يقصده به جزاء ولا شكورا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب إليه ، ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنفعة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذى يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض فكيف تقلده منه ، وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم ماتلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى ، كما قال تعالى - يا قوم لا أسألكم عليه ما لا إن أجرى إلا على الله - انظره . وفيه : وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «علماء هذه الأمة رجلان آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا ، فذلك يصلى عليه طير

السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام السكاكيتون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيديا شريفا حتى يرافق المرسلين ، ورجلا آتاه الله علما في الدنيا ففضن أى بخل به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار ، ينادى مناد على رؤس الخلائق هذا فلان ابن فلان آتاه الله علما في الدنيا ففضن به على عباده وأخذ به طمعا واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس ، انظره ، وفى الحديث « يجاء بالعالم يوم القيامة ووجهه عظم اللحم عليه ، قال عطاء : هم الذين يأخذون على القرآن أجرا » اهـ وفى [بخل] وينبغى أن لا يستعين بأحد ممن يقرأ عليه خوفا أن يتعجل أجر ذلك في الدنيا ، وكان السلف رضوان الله عليهم يتحررون في هذا الباب كثيرا ، وقد رأيت الشيخ الجليل أبا إسحاق إبراهيم التنيسي رحمه الله تعالى من أهل قلمسان خرج يوما مع بعض أصحابه إلى خارج البلد فعمطشوا واشتد عطشهم ولم يكن هناك ماء فرأوا عمارة فجاءوا إليها يطالبون الماء فإذا برجل من أهل تلك القرية كان قد قرأ على الشيخ ، فذهب فأتى بلبن فيه سكر فأعطاه للشيخ ليشرب فأبى فقال له ولم وده من وجهه حل ؟ فقال له لأنك قرأت على . ولا يمكنى أن آخذ منك شيئا لئلا أتعجل ثواب ذلك في الدنيا فرغبه في ذلك فلم يفعل . وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى لا يستقضى حاجة ممن قرأ عليه فى الغالب وذلك خيفة مما تقدم ذكره ، فانظر رحمنا الله وإياك إلى تحرزهم على أعمالهم وإخلاصهم فيها فأين الحال من الحال - إنا لله وإنا إليه راجعون - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - (إمامة) أى وكأخذ الأجرة على إمامة الصلاة المفروضة أو النافذة كالترأويج والأعياد من المصلين أو من الأحباس أو من بيت المال . وفى [بخل] وينبغى أى للعالم إذا تولى الإمامة أن يكون ذلك منه بنية صالحة صادقة لله تعالى لا يطلب بذلك عوضا من ثناء ولا راحة دنيوية ولا صورة مميزة بين الناس بل يجعل ذلك لوجه ربه خالصا لأن الإمامة من أكبر مهمات الدين . وقد ورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « من عمل من هذه الأعمال شيئا يريد بها عرض الدنيا لم يجد عرف الجنة » أى ربحها « وهرقها يوجد من مسيرة خمسمائة عام » اهـ . فيحذر من هذا الخطر العظيم . وقد ورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ثلاثة على كتمان المسك يوم القيامة يغبطهم الأولون والآخرون : عبد أدى حق الله تعالى وحق مواليه ، ورجل أم قوما وهم به راضون ، ورجل ينادى بالصلوات الخمس كل يوم وليلة » ثم قال : فإن كان له على الإمامة معلوم فلا يأخذ بنية الإجارة ، بل يأخذ على نية الفتوح من الله تعالى لأهل أنه عوض على فعل الإمامة وإذا كان ذلك كذلك فعلامته أن لا يطلبه ولا يجد القلق حين قطعه عنه ولا يتضرر ولا يترك ما هو بصددده ، فإن طلب أو تضجر فقد خرج من باب المنسوب إلى باب المكروه أو المحرم ، انظره . وفيه : فى صفة الإمام فى قيام رمضان وينبغى أن لا يقدم للإمامة إلا من تطوع بها دون من يأخذ عليها عوضا فإن لم يوجد إلا به فقبل تباح ، وقبل تكراه ، وهى فى الفريضة أشد كراهة ، وأجاز ذلك الشافعى رحمه الله تعالى من غير كراهة : وقال الأوزاعى : الصلاة خلفه باطلة . وكره ذلك أبو حنيفة وأصحابه .

وينبغى للإمام أن يكون أفضل القوم ومن جملة أفضليته أن يتقدم لالعوض يأخذ على صلاته فإن كان ثم عوض فينبغى له أن لا ينظر إليه وأن يصلى هو لله تعالى لا لغيره ويترك النظر للعوض ، فإن جاءه شيء وكان محتاجا إليه قبله لضرورته وهذا عام فى الفرض والنفل وإن لم يكن محتاجا إليه وأخذ

وتصدق به فلا بأس بذلك ، وإنما المكروه أن يأخذ نفسه ، انظره ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا من حيث لا يحسب » .

وعن سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنايه آمين لما سئل عن معنى النقص والتام للصلاة والضيان والخطأ والإصابة الوارد في الأحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم : « من أم قوما فإن أتم فله التمام ولم وإن لم يتم فلهم التمام وعليه الإثم » وقوله « من أم للناس فأصاب الوقت وأتم الصلاة فله ولهم ، ومن انتقص شيئا من ذلك فعليه ولا عليهم » وقوله « من أم قوما فليتبى الله وليعلم أنه ضامن مسئول عما ضمنه فإن أحسن كان له من الأجر مثل أجر من صلى خلفه من غير أن ينقص من أجورهم شيء وما كان من نقص فهو عليه » وقوله « يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطئوا فلكم وعليهم » مانصه كما في [جمع] الجواب والله الموفق للصواب : أما تمام الصلاة الواجبة على الإمام فهو إخلاص الوجهة إلى الله عز وجل بإخلاصها لوجهه الكريم لإمحية وإمانعظيها له وإما إجلالا له وإما امتثالا لأمره دون مشاركة شيء في ذلك من متابعة الهوى ، وعلى هذا تطابقت الأخبار الإلهية من الكتب الإلهية وأخبار المرسلين ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » وقوله عز وجل في قضية إبراهيم عليه السلام - إلى وجهته وجهي للذي فطر السموات والأرض الآية - ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن - الآية ، فاعتبر هذه الأخبار واقصد الصلاة لله تعالى لتصلى لله دون غرض من متابعة الهوى ، فإن كنت في الصلاة بالناس ملاحظا للعطاء ماثلا إليه فليست بمصل إليه وإنما أنت مصل لهواك ، وإن كنت في حالة الصلاة غير ملتفت للعطاء ولا معرج عليه فأنت مصل إليه إن خلوت عن دواعي النفس من طلب المرتبة والرياء والسمعة أو لأجل ماعسى أن تنصبر بهم في أمورك فليست بمصل لله . قال صلى الله عليه وسلم « ماتحت قبة السماء إله يعبد من دون الله أعظم من هوى متبع » فهذا ما يتعلق بإخلاص الوجهة لله تعالى ، وأما تكميل الإمامة فهو تكميل التوبة عما أولع به أئمة الوقت من أكل الحرام الصريح فضلا عن الشبهات . واتخاذ مراتع الغيبة ديدنا والحقن والغفل على المسلمين والمشي بالنميمة بينهم ، وتعظيم أهل الدنيا لدنياهم لأجل الحديث الوارد من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه » ومن تكميلها تعميم التوبة من كل محرم شرعا ، ومن تكميل الصلاة في حق الإمام كمال الحضور مع الله في الصلاة على حسب الاستطاعة ، فإن خرجت الصلاة كلها بلا حضور فعلى الإمام إثم وإثم من صلى خلفه ، فهذا تكميل الصلاة في الإمامة ، فإن خرج به الأمر إلى أنه إن أعطى مطلبا للإمامة ممارتب عليها من العطاء صلى وإن لم يعط ترك ، فهو وعابد الوثن سواء يشهد له حديث البيعة في قوله « يايعوا على أن لا تشركوا بالله شيئا » فهذا ما يتعلق بتكميل الصلاة والإمامة ، انظره . وفي [هم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤم بالناس حيث طلبوا منا ذلك واجتمعت فينا الشروط ولا نقول نحن مألنا هادة بالإمامة كما يقع فيه الجحاف الطبع من الفقهاء والفقراء ، ومثل الإمامة أيضا الخطبة فضخطب ولا تمتنع إلا لعذر شرعى ، لأن الله تعالى أوجب علينا إقامة شعائر الدين فيلبغى للفقهاء أن يحفظ له خطبة جامعة للأركان والشرائط والآداب والوعظ الحسن ، لتكون معه يخطب بها إذا احتيج إليه كأن غاب الإمام أو الخطيب أو باذر بعض الناس وحلف بالطلاق لا يخطب لنا اليوم إلا فلان ، كما يقع ذلك

كثيرا في بلاد الريف وغيرها. واعلم أنه ليس مما ذكرناه من امتنع عن الإمامة لشهود ضعفه عن تحمل سهو المأمومين ونقص صلاتهم فإن هذا إنما ترك فعل ذلك احتياطا لنفسه لآحياء طبيعيا. وقد رأيت الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله يصلي الظهر فأحرم خلفه رجل فلما سلم قال : لا تعد تصلي خلفي أبدا فلما عجز عن تحمل نقص صلاتي فكيف أقدر على تحمل نقص صلاة غيره ، فقال له الرجل إنما قصدت حصول فضل الجماعة لكم ، فقال الشيخ : عدم تحمل نقص صلاتك أرجح عندي من حصول فضل جماعتك ، انظره . ونحن أناس بالسلامة نفرح .^(١) وفي [خل] وروى عن حاصم قال : أم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قوما مرة فلما انصرف قال : مازال بي الشيطان أنفا حتى رأيت أن لي فضلا على من خلفي ، لا أؤم أبدا اه (أذان) أي وكمثل أخذ الأجرة على أذان : وعن المغيرة ابن شعبه رضي الله عنهما أنه قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعلني إماما على قومي فقال لي صل بصلاة أضعف القوم ولا تتخذ مؤذنا يأخذ على أذانه أجرا » ولذا قال بعض الأئمة بمنع أخذ الأجرة على الأذان . وفي [خل] قال رجل من المؤذنين لابن عمر إنني لأحبك في الله تعالى ، فقال له لكنني أبغضك في الله ، فقال ولم يا أبا عبد الرحمن ، قال لأنك تبغى في أذانك وتأخذ عليه أجرة ، وكان أبو بكر الآجري رحمه الله يقول : خرجت من بغداد ولم يحل لي المقام بها ، قد ابتدعوا في كل شيء حتى في قراءة القرآن وفي الأذان يعني الإجارة والتلحين ، انظره . وفي [جص] « من أذن خمس صلوات إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن أم أصحابه خمس صلوات إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » وفيه « من أذن سبع سنين كتب الله له براءة من النار » وفيه « من أذن اثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة » وفيه « من أذن سنة لا يطلب عليه أجرا دعى يوم القيامة ووقف على باب الجنة فقبل له اشفع لمن شئت » وفيه « ثلاثة على كتمان المسك يوم القيامة لا يهولهم الفزع ولا يفرعون حين يفرع الناس : رجل تعلم القرآن فقام به يطلب وجه الله وما عنده ، ورجل نادى في كل يوم وليلة خمس صلوات يطلب وجه الله وما عنده ، ومماوك لم يمنعه ريق الدنيا من طاعة ربه » وفيه « المؤذن المحتسب كالشهيد المتشحط في دمه إذا مات لم يدود في قبره » قال القرطبي : ظاهره أن الأرض لا تأكله كالشهيد انظر العزيزي : وفيه « إذا أخذ المؤذن في أذانه وضع الرب يده فوق رأسه فلا يزال كذلك حتى يفرغ من أذانه وإنه ليغفر له مدصوته ، فإذا فرغ قال الرب صدق عبدي وشهدت بشهادة الحق فأبشر » قال المناوي ، وهذا فضل عظيم للأذان لم يرد مثله في غيره إلا قليلا وفيه شمول للمحتسب ومن يأخذ عليه أجرا ويحتمل اختصاصه بالأول اه .

قلت : وهو الأظهر لأن المطلق يحمل على المقيد لكن فضل الله عظيم ورحمته وسعت كل شيء . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا نعدى قط أحدا من المؤذنين ولا أحدا من خدام المساجد من بواب وفراش ووقاد وخدام الأخلية لاسيما إن كانوا يباشرون وظائفهم احتسابا أو بنية صالحة إلا بوجه شرعي محقق . وهذا الأدب وإن كان لا يختص بمن ذكر فهو في حقهم أشد ، كما قالوا يستحب للصائم ترك الغيبة ، فافهم كل ذلك لكرام الله عز وجل ، إذ هم خدام حضرته والداعون إليها ، وأشد هم المؤذن لأنه يحضر المواكب الإلهية في الأستار ، وربما يكون المعادى له نائما على جنابة ، لا يقربه ملك وهو من جملة المطرودين عن تلك الحضرة . فمن

(١) أوله : وقائلة مالي أراك مجابا * أمروا فيها للإجارة مريب . فقلت لها مالي يربحك حاجة * ونحن الخ

هادى هذا المؤذن فقد عرض نفسه للمقت من الله تعالى باستجابة دعائه في حق من ظلمه بغير طريق شرعى، ثم قال: لا ينبغي أن الإمام مقدم على من ذكرناهم فتجب محبته واجتناب معاداته أكثر من غيره بكونه نائباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الإمامة . وبالحملة فعمار المساجد على صورة خدام دار الملك، فكل من دخل حضرته الخاصة لابد من مراعاة الأدب معهم ولو كان أكبر الأمراء كما هو مشاهد في الدولة الظاهرة والله عليم حكيم اهـ (و) كمثل أخذها على (خطبة) وغير ذلك مما هو من أعمال البر والدين من كل ما يراد للآخرة، بل ينبغي للأخ الصادق والحبيب الوامق أن يفعل ذلك احتساباً لله تعالى . وما عند الله خير للأبرار . وللآخرة خير لك من الأولى، وسوف يعطيك ربك فترضى . وفى [جص] « ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها ماذا أراد بها » قال المناوى : وكان مالك رحمه الله إذا حدث بهذا الحديث بكى حتى ينقطع صوته : ثم يقول : تحسبون عيني تفر بكلامى وأنا أعلم أن الله سائلني عنه . وفيه : « لعني الله الذين يشققون الخطب تشقيق الشعر » قال الحنفى : أى يتعمقون فيها ويتكلفون فيها السجع ونحوه حرصاً على التفتيح تكبراً على الغير ، فإن تكلف ذلك من غير قصد التكبر على الغير بل الإتيان بكلام فصيح فقط لم يحرم بل يكره اهـ .

وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا نتمكن أحداً من إخواننا الذين هم تحت التربية أن يتصدى لوعظ الناس في المحافل ولا أن يكون خطيباً إلا لضرورة لأن ذلك يقطع عن الترقى فإن الوعظ لا يابق إلا بالكل الذين فرغوا من تهذيب نفوسهم حتى ماتت تمنهم فلم يصر لها رأس تقام فن مكن مرئداً له من ذلك فقد غشه ، وفى الحديث « من غشنا فليس منا » وإن كان الشيخ صادقاً فن شأنه لا يغش فليعلم المرید أنه ما أذن له في ذلك إلا لكونه لم يرفيه أهلية لطريق الله عز وجل اهـ . وفيه : أخذ علينا اليهود أن لا نأخذ معلوماً على نظر مسجد ولا على مشيخة ولا تدريس ولا خطابة ولا إمامة ولا أذان ولا وقادة ولا فراشة ولا على قراءة مسبح ولا على تعليم القرآن للأطفال : ولا غير ذلك من سائر القربات الشرعية إلا إذا لم نجد غير ذلك المعلوم . وأما قوله صلى الله عليه وسلم « أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله » فلا ينافى ذلك لأنه يحتمل أن يكون المراد الأجر الأخرى ، وأيضاً فليس في الحديث الشريفة دلالة على استحباب أخذ الأجرة ؛ بل ورد في عدة أحاديث ما يشهد باستحباب احتساب ذلك لأن مشروعية هذه الأمور كلها بالأصالة إنما هو طلب لرضا الله تعالى أو للثواب الأخرى وطريق الخلاص للفقير في أخذ المعلوم على ما ذكر أن يعقد النية على فعله قربة إلى الله عز وجل ، ثم يأخذ ذلك المرصد عليه ابتداء عطاء من الله عز وجل ومحك^(١) وصولك يا أخى إلى التحقق بهذا الخلاص أن لا تعكس الوظيفة ولا يثقل عليك مباشرتها إذا صار الوقف رقبة ولا تشتكى ناظراً ولا جابياً على ذلك ولو لبعض من الأصحاب فكيف لو اشتكىهم في بيوت الحكام ، فتى وقع منك ذلك فاعلم أنك لست من أهل هذا المقام ، ثم قال : ثم من أقبح الصفات تعكيس الخطيب والإمام والمؤذن وظيفة إذا تعطل معلومه لما في ذلك من ذهاب شعائر الدين والله غفور رحيم اهـ . وفى [خل] إن السلف رضى الله عنهم لم يكن لهم معاروم على سبب من أسباب الآخرة وإنما حدثت الأرزاق على أعمال الآخرة بعد ذلك ، ومنه دخل الفساد على كبير ممن يتعاطى أسباب الآخرة ، انظره . وقد شوهد بالعيان في هذا الزمان مناطحة

الأقران على المنبر كمناطحة النيران على البقر وكذلك غيره من وظائف الدين - إن الله وإنا إليهم راجعون - (وما ذاك) أى ليس أخذ الأجرة على شيء من أعمال البر والدين مما هو للآخرة (من طباع) وشيم الإخوان (أهل الفتوة) بضم الفاء والقوة وتشديد الواو : السكرم والسخاء . وفى [عفت] وسئل بعضهم عن الفتوة فقال : الفتوة عندي ما وصف الله به الأنصار فى قوله - وللمذين تبوءوا الدار والإيمان - الآية . قال ابن عطاء - يؤثرون على أنفسهم - جودا وكرما - ولو كان بهم خصاصة - : يعنى جوها وفقرا ، انظره . وقال الفضيل : الفتوة العفو عن زلات الإخوان ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « استعينوا بالله من جار السوء الذى إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره » اه . وفى [جه] والفتوة من الأخلاق الجامعة لأنواع الأوصاف الحميدة والخلال السديدة كالحلم والعفو والصفح والسخاء والوفاء والستر على عيوب الأصدقاء وإعانتهم ومعاملاتهم بحميل الإحسان ، ومرجعها الإيثار والسخاء العظيم وهو السناء بالنفوس ، وأصلها كما قال القشيري رضى الله عنه : أن يكون العبد ساعيا فى أمر غيره دائما ، وقد بينها أهل الطريق بتفسيرات أوردها فى الرسالة فليطالعها من أرادها ، وعبروا عنها بعبارات كل بحسب ما غلب عليه وبحسب نوع من أنواعها ، ففسروها بكف الأذى وبذل المال وهى عبارة الجنيد رضى الله عنه ، وبالصفح عن عثرات الإخوان وبأن تنصف ولا تنتصف ، وبأن إذا أعطيت آثرت وإذا منعت شكرت ، وبأن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك ، وبالوفاء والحفظ ، وبفضيلة تأنيها ولا ترى نفسك فيها ، وبحسن الخلق ، وباتباع السنة وأكثر ما تستعمل عندهم فى المواساة والعفو عن الإساءة قال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه فى قصيدته الرائية :

وبالتفنى على الإخوان جدد أبدا حسا ومعنى وغض الطرف إن عثرا انظره
(وقال بمنع ذلك) أى بمنع أخذ الأجرة على شيء من أعمال الآخرة (بعض الأئمة) كأبى حنيفة فإنه منع أخذ الأجرة على التعليم لأنه عبادة ، والأجر فيها على الله تعالى . وعن الشعبي : لا يشترط المعلم على من يعلمه أجرة إلا إن أعطى شيئا فليقبله . وفى [جع] وقد روى عن بعض الأكابر ، وكان من أكابر الرجال ، وكان يصلى فى تلك المدينة بالجامع الأعظم إماما بالناس ، وكان يأخذ ما رتب على الخطابة من المال ، فلما مات رآه بعض الصالحين فى النوم فى حالة عظيمة من الخير وسأله عن حاله فقال له بخير إلا أنه أرتج على فى سؤال المسكين حين سألنى ونجرت فلم أدر ما أقول ولم أجد جوابا وطالت على الحنة ، وبعد ذلك خرج رجل من جانب القبر عظيم الجمال حسن الهيئة فلقتنى حججى وخلصنى من هذه الحنة فقلت له : من أنت ؟ فقال لى أنا عمك الصالح ، فقلت له ولم غبت عنى ؟ فقال لى بأخذك أجرة الخطابة ، فقلت له ما أكات منها درهما واحدا إنما كنت أتصدق بها ؟ فقال لى لو أكلتها لم ترنى أبدا ، ولكن تخلفت عنك للأخذ ، فهذا دليل على امتناع الأجرة على الصلاة ، انظره . ولما ذكر صاحب [د] هذه القضية قال : سببه أنه كان يتكلم فى قبح أخذ الأجرة على الصلاة وغيرها من أعمال البر مثل الأذان والشهادة وتدريس العلم والفتوى اه . وفيها : لو يعطونى ما عسى ما صليت صلاة بالأجرة ، سببه ما زح به رجل بقوله يعينون لك مسجدا كثير النفع هل تقبله فذكره ، وكان رضى الله عنه لا يرى الأخذ أى أخذ الأجرة على أعمال الآخرة مثل الصلاة والأذان والشهادة وتلاوة القرآن والوعظ والفتوى ، وقال مرة : ما للمحبس على ذلك إلا النار إن لم يعف الله عنه وكان رجل فقير من أصحابه بهماط الشهود إذا تكلم معه فى ذلك على سبيل الاستعذار ، يقول رضى الله عنه :

أخضع حالاً ولا تشهد فاستعذر له بعدم القدرة ، ولا زال يذم الأخذ على هذه الأمور وينزه أصحابه عنها إلى أن توفي رضى الله عنه ، منذ بنى زاويته سنة خمس عشرة ومائتين وألف ما قبض فلس نحاس على ذلك فيها والحمد لله إلى الآن ولا زالت كذلك . وقد أشار إلى ذلك قبل بنائها بقوله : أمرها قائم بالله اهـ . وقد مرى هذا الحال سريان الروح في الجسد إلى الصادقين من أصحابه إلا من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وصار يترخص ويتأول بما هو أوهم من نسج العنكبوت - ربنا لاترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - آمين قال رحمه الله :

(وَجَانِبُ أَخَا التَّقْصِيرِ وَاللَّهُوِ وَالزَّمَ أَخَا الْجَدِّ وَالتَّشْمِيرِ يَا بْنَ كَرِيمَةٍ)

(وجانب) من جانبه بأعده (أخا) أى صاحب (التقصير) والتفريط للحديث «إياك وقرين السوء فإنك به تعرف» ولذا قال سيدنا على رضى عنه وعنايه آمين : لا شيء أدل على الشيء ولا الدخان على النار من صاحب على صاحب ومن شعره رضى الله عنه :

فلا تصحب	أخا	الجهل	فإياك	ولياه
فكم	من	جاهل	أردى	واخاه
يقاس	المرء	بالمرء	إذا	ما المرء
كحذو	النعل	بالنعل	إذا	ما النعل
وللشيء	من	الشيء	مقاييس	وأشباه
والقلب	على	القلب	دليل	حين يلقاه

وعن سيدنا عمر رضى الله عنه وعنايه آمين : لا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلعه على شرك ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى اهـ وفي الحكم : لا تصحب من لا ينم نيك حاله ولا يدلك على الله مقالته . وقيل : لا تجالس إلا من تجانس . ورحم الله من قال :

من لم تجانسه	فاحذر أن تجالسه	فالشمع آفته من صحبة القطن
ومن قال :	لا تصحب الكسلان في حالته	كم صالح يفسد آخر يفسد
عدوى البليد	إلى الخليلد سريعة	والحمر بوضع في الرماد فيخمد
ومن قال :	من حاد عن نهج الهدى	فأضل قصد سبيله
فتوق	خلته فد	بن المرء دين خليله
ومن قال :	اتق الأحمق لا تصحبه	إنما الأحمق كالثوب انطلق
كلما رقت منه	جانباً	حركته الريح وهنا فانخرق
وإذا هانته	كى برعوى	زاد جهلاً وتماذى في الحمق
ومن قال :	تجنب قرين السوء واصرم ^(١) حباله	فإن لم تجد عنه محيصاً فداره
وأحبب حبيب الصدق	واحذر مراده	تدل منه صفو الود ما لم تماره

(١) يسكر راء من صرم كصرب قطع اهـ .

وفي [جه] وكثيرا ما يحذرو من مخالطة أقران السوء وغيرهم يحذر منها الغافلين مخافة أن يزدادوا بها غفلة والمتنبهين مخافة أن يصدوا عما هم بصدده ، ويلجأ في ذلك كله إلى الملك الديان ، ويستشهد كثيرا بقوله صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » ويقول « اختر لصحبك من أطاع فإن الطباع تسرق الطباع » اهـ . ورحم الله من قال :

اختر لصحبك من أطاعا إن الطباع تسرق الطباعا

(و) جانب أخا (اللهو) واللعب وفي الحديث « لسقم من دد ولا دد منى » ولست من الباطل ولا الباطل منى « والدد بمهملتين : اللهو واللعب : أى لست من أهل اللهو واللعب : أى ليس ذلك من طريقى ولا من طريقة من أتبعنى لما فى مخالطة أهل اللهو والباطل والمعصاة من الآفة المعصلة التى ذكرها صاحب [هب] حين سأل شيخه عن اختلاف الخطاب والمواق فى دخول الحمام مع مكشوفين لا يستترون ، فقال الخطاب يحرم الدخول ويجب التيمم إن خاف من الماء البارد ، وقال المواق يدخل ويستتر ويغض عينه ولا حرج عليه ، فقال رضى الله عنه : الصواب مع الخطاب ، وأما ما ذكره المواق ففيه آفة بعد فرض المستتر متحرزا إلى الغاية وفارا من النظر فى عورة غيره إلى النهاية ، وهى أى الآفة أن المعاصى ومخالفة أوامر الله تعالى لا تكون إلا مع الظلام الذى بينه وبين ظلام جهنم خيوط واتصالات يحصل له الشقاء ومن جهنم بسببها ، ولا أحد أعرف بذلك من ملائكة الله تعالى فإذا اجتمع قوم تحت سقف الحمام مثلا على معصية وظهرت المعصية من جميعهم هم الظلام ذلك الموضع فتتفرق الملائكة عنهم ، فإذا نفرت الملائكة جاء الشيطان وجنوده فعمروا الموضع فتصير أنوار إيمانهم : أى العصاة حينئذ كالمصابيح التى جاءت الرياح العاصفة من كل مكان ، فترى نورها مرة يذهب إلى هذه الجهة ومرة إلى هذه الجهة ومرة ينعكس إلى أسفل حتى تقول إنه انطفأ واضمحل ، ولهذا كانت المعاصى بريد الكفر والعياذ بالله تعالى ، فإذا كان الحمام وأهله على هذه الحالة التى وصفنا ، وفرضنا رجلا خيرا دينيا فاضلا متحرزا جاء ودخله واستتر فإنه يقع لنور إيمانه اضطراب بالظلام الذى وجده فى الحمام لأن ذلك للظلام ضد الإيمان فتضطرب ملائكته لذلك فتقطع فيه الشياطين وتصل إليه وتشتهى إليه النظر فى العورة وتفويه ، فلا يزال معهم فى قتال وهم يقوون عليه وهو يضعف بين أيديهم حتى يستحسن الشهوة ويستلذ النظر للعورة ، نسأل الله السلامة . ولو فرضنا جماعة يشربون الخمر ويستلذون به ويظهرون المعاصى التى تكون معة ويفحشون فيها ولا يتمحزون من أحد ولا يخشونه . ثم فرضنا رجلا جاءهم ويده دلائل الخيرات فجلس بينهم وجعل يقرؤه وأطال معهم الجلوس وجلس معهم اليوم إلى آخره وهو على قراءته وهم على معاصيهم فإنه لا يذهب عليه الليل والنهار حتى يتقلب إليهم ويرجع من جملتهم للعلة التى ذكرناها ، ولهذا نهى عن الاجتماع مع أهل الفسوق والمعصيان لأن الدم والشهوة والغفلة فينا وفيهم إلا من رحمه الله وقليل ما هم اهـ (والزما) بألف مبدلة من الخفيفة للوقف (أخا) صاحب (الجلد) بالكسر الاجتهاد بمتابعة السنة ومخالفة النفس والهوى قال تعالى - وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى - وفى [جه] ويقال إن أول ما يرى أهل الجنة فى الجنة مكتوبا :

وهذا السرور بتلك الكروب وهذا النعيم بذاك التعب
لا راحة قط إلا قبلها تعب اتعب تجد راحة فتعجبك من تعب

ويقال إن منازل الجنة تعطى على حسب الأعمال في الدنيا فمن أكثر كثرة له ومن قلل قلل له ، وقد يعطى سبحانه لمن شاء من عباده في دار كرامته ما لا يخطر بالبال فضلا منه وكرمه إذ هو الفاعل المختار ولا يستل ١٤ يفعل جل وعلا قال تعالى - وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون - وقال تعالى - تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا - والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وكذلك من أراد طريق القوم فإنه لا يتوصل إلى شئ رائحة منه إلا بالجد والعزم وترك المألوفات والمستحسنيات وقطع العلائق والعوائق والإعراض عما سوى الله ، كما قال الشيخ زروق رضى الله عنه : هو أن لا ترى في الوجود إلا أنت وربك . وسئل الجنيد رضى الله عنه كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله تعالى ؟ فقال : بتوبة تزيل الإصرار ، وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل ، وإدانة النفس بقربها من الأجل وبعدها من الأمل . قيل له : بماذا يصل العبد إلى هذا ؟ قال : بقلب مفرد فيه توحيد مجرد . وقال أبو سعيد الخراساني رضى الله عنه : المعرفة تأتي القلب من وجهين من عين الجود وبذل المجهود ، فإذا علم الله الصديق من عبده فتح عليه من خزائن غيبه وجعله من أهل قربه وحزبه . قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - انظره ، وفيه : أخذ سيدنا رضى الله عنه في الجود والتشجيع والاهتزال عن الخلق والفرار منهم ، واشتغل بما يخصه من حقوق ربه وما هو مطالب به من التقوى والورع ، وكان الناس يأتونه في بغض الأحيان للزيارة فلا يجدون فيه متسعا لكثرة ما كان فيه من القبض ، انظره : ورحم الله من قال :

إذا أنت لم تحرث وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر

والدنيا إنما هي مزرعة الآخرة فمن لم يحرث هنا شيئا لم يحصد ثمة إلا الحسرة والندامة ، ومن لا عمل له لا أجر له ، لكن فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . - وفي [شب] وقال إبراهيم بن أدهم لرجل في الطواف : اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات : أولاها أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة ، والثانية : أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل ، والثالثة أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد ، والرابعة : أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر ، والخامسة : أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر ، والسادسة : أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت . ومن كلام ابن العربي في الفتوحات :

سبح إلهك بكرة وأصيلا	فالتفل يرجع بالهدى إكيدا
جاهد هواك ولا تكن ذا فقرة	فيه وكن للنائب خليلا
إن المجاهد لا يزال مكابدا	يهوى الخطوب ويهشق التعليلا
لا تركن إلى البطالة إنها	تردى وكن للحادثات وصولا (١)

ومن النصائح قول بعضهم :

حق م أنت بما يلهيك مشتغل	عن نبح قصيدك من نحر الهوى ثمل
ترضى من الدهر بالعيش الذميم إلى	كم ذا التواني وكم يغرى بك الأمل
وتدعى بطريق القسوم معرفة	وأنت منقطع والقوم قد وصاوا

(١) بفتح واو كر سول : كثير الوصول له .

فانهض إلى ذروة العلياء مهتدرا هزما لترقى مكانا دونه زحلا
فإن ظفرت فقد أعطيت مكرمة بقاؤها ببقاء الله متصل
وإن قضيت بهم وجدا فأحسن ما يقال عنك قضى من وجده الرجل
وقال أبو الفتح البستي (١) :

دع التكاسل في الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان
لا ظل للمرء أخرى من تقي ونهى (٢)

(و) أخا (التشهير) من شمر الثوب رفعه ، وفي الأمر خف فيه لحديث « المرء على دين خليله
فلينظر أحداكم من يخال » وفي آخر « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ، إن نسي ذكره وإن ذكر
أعانه ، ورحم الله من قال :

عن المرء لا تسأل وسل عن قريبه فكل قرين بالمقارن يقتدى
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا نصحب الأردى فتردى مع الردى (٣)

وفي [حص] اعتبروا الأرض بأسمائها واعتبروا الصاحب بالصاحب ، قال العزيزي : أي فإن
الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف كما يجيء في خبر ، ولذا قيل :
ولا يصحب الإنسان إلا نظيره وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد
(يا ابن) حرة (كريمة) الطبع والأصل قال رحمه الله :

(وَنَفْسِكَ قَوْمٌ بِأَجْنَابِ اللَّذَائِدِ وَصَمْتِ وَقَلَّةِ الطَّعَامِ وَعُزْلَةِ)

(ونفسك) الأمانة بالسوء (قوم) من قوم الشيء أزال عوجه وفي الحديث « أعدى عدوك
نفسك التي بين جنبيك » وفي آخر « من أهرز نفسه فقد أذل دينه ، ومن أذل نفسه فقد أهرز دينه » انتهى .
ورحم الله من قال :

كل حقيقة تكت التي لم تكمل والجسم دعه في الحضيض الأسفل
فالجسم للنفس النفيسة آلة مالم تحصله بها لم يحصل
من يستطيع بلوغ أعلى منزل ما باله يرضى بأدنى منزل

وفي [خل] قال بعض الحكماء : جاهد نفسك بأصناف الرياضة ، والرياضة على أربعة أوجه :
القلة من الطعام ، والغمض (٤) عن المنام ، والحاجة من الكلام ، وحمل الأذى من جميع الأنام ،
فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ، ومن قلة المنام صفو الإرادات ، ومن قلة الكلام السلامة من
الآفات ، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات ، فليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر
هند الأذى اه . وفي [جه] عليك بإصلاح نفسك قدر الاستطاعة فإن العمر قصير والسفر طويل
والعقبة كثرة والحمل ثقيل والحساب بين يدي الله شديد والعمل بأمر الله هو المنتهى من جميع هذه
الأمور ، راجع مامر عند قوله وكثرة اجتهاد الخ ، وفيه وأما ما ذكرته من صعوبة انقياد نفسك عليك
لأمر الله ودوامها على التخييط فيما لا يرضى ، فتلك عادة جارية أقامها الله في الوجود لكل من أهمل نفسه
وتركها جارية في هواها أن لا يسهل عليه سبيلا إلى القيام بأمر الله ، بل لا يرى من نفسه إلا الخبث

(١) بست كقفل : بلاد بسجستان . (٢) جمع نهية . (٣) اسم فاعل اه . (٤) الغمض كقفل اه .

والمعاصي والخروج عن أمر الله ، ومن أراد تقويم اعوجاج فليشتغل بقمع نفسه عن متابعة هواها مع دوام العزلة عن الخلق والصمت ، وتقليل الأكل والإكثار من ذكر الله بالتدريج ، وحضور القلب مع الذكر وحصر القلب عن الخوض فيما يعتاده من الخوض في أمور الدنيا وتمنيها وحباها ، وخصر القلب عن جميع المرادات والاختيارات والتدبيرات ، وعن أخبار الخلق ، وذم القلب عن الجزع من أمر الله ، فبدوم هذه الأمور تنزكي النفس وتخرج من خمشها إلى مطابقة أمر الله وإلا فلا . سلت الله التي قد دخلت من قبل وإن تجد لسلت الله تبديلا . أنظره ، وفي [جمع] ومن أراد إصلاح أعماله واستقامته مع الله عز وجل وإصلاح أفعاله بأن لا يتكلم إلا في ضروراته ولا يتكلم إلا فيما يعنيه قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا صديقا بصلاح لكم أعمالكم - انتهى . وفيه : اعلم رحمك الله أن من يريد الهداية إلى الله وإلى طريقه فهي في خمسة أشياء . أولا : الإيمان بالله تعالى للكمال : قال الله تعالى - وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم - وقال - ومن يؤمن بالله يهد قلبه - ثانيا : الإجابة إلى الله عز وجل بالإقبال عليه دواما والإعراض عن كل ما سواه . قال الله تعالى - ويهدي إليه من ينيب - ثالثا : مجاهدة النفس على طاعة الله عز وجل باجتناب نواهيها ، وتربض النفس من أوصافها حتى تجيب إلى الأوصاف الحميدة ، وإقامتها لله عز وجل على ما يريد : قال الله عز وجل - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا - رابعا : اتباعه صلى الله عليه وسلم في كل قول وعمل وحركة وسكون : قال تعالى - واتبعوه لعلكم تهتدوا - خامسا : الاعتصام بالله عز وجل : قال تعالى - ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم - اه . وفيه : باب في معرفة الرياضة وأصولها . قال شيخنا رضي الله عنه : للعلم الرياضي يحتاج إلى أمور . أولا : معرفة تعديل المزاج ، ثم معرفة غاية القصد ، ثم معرفة كيفية السعي ، ثم معرفة الحجاب القاطع عنه ، ثم معرفة كيفية زواله ليصل غاية القصد : ثم معرفة أصول الحجاب التي منها مواده ، ثم الجذب في قطع تلك الأصول ، ثم معرفة الأمور التي بها زوال الحجاب إما كلية أو تفصيلية ، ثم سل سيف العزم وركوب جواد المجاهدة بمطابقة ما عرف من هذه الأمور والعمل بمقتضاها . أما معرفة تعديل المزاج : فهو لزوم طريق الاعتدال في الأكل والشرب من غير إفراط ولا تفريط ، ثم النظر في الوقت والبلد حرارة وبرودة ورطوبة ويومسة وكذلك السن ، ثم مقابلة كل بما يقوته من الانحراف . وأما غاية القصد : فهو رفع الحجاب عن الروح الرباني ورده إلى حالة الصفاء التي كان عليها قبل التركيب في الجسد ، فإن هذا هو الذي يكون به إدراك سائر العلوم والمعارف والأحوال والأخلاق والمقامات والفتوحات والمواهب والقرب الحقيقي وبه إدراك سعادة الدنيا والآخرة ، ومن فقد لم يصل إلى سعادة الآخرة . وأما معرفة كيفية السعي إليه : فهو متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في سائر قوله وفعله وحاله وخلقه بإقامة حقوق الله عز وجل سرا وإعلانا مخلصا الله من جميع الشوائب الدنيوية والأخروية ، وأن يكون ذلك كله تعظيما وإجلالا لله على بساط الرضا والتسليم والتفويض ، والإعتماد عليه تعالى في كل شيء والرجوع إليه في كل شيء . وأما معرفة الحجاب القاطع عن المطلوب : وهو غرق الروح في بحر الحظوظ والشهوات وتعظيم نفسها والسعي في جلب مصالحها ودفع مضارها . وأما معرفة كيفية زوال هذا الحجاب : فهو السعي في قطع الحظوظ والشهوات وترك تعظيم النفس وقطع السعي في جلب مصالحها وقطع مضارها بالزهد فيها بالكلية لكن برفق ولطف . وأما معرفة أصول الحجاب : فهي كثرة الأكل والشرب وملاقات الخلق وكثرة الكلام وكثرة المنام

ودوام الغفلة عن ذكر الله تعالى . وأما الجدل في قطع تلك الأصول : فهو الجوع والعطش بالرفق ، ودوام الانقطاع من ملاقاته الخلق ، ودوام الصمت مطلماً إلا فيما قل من ضرورياته ، ودوام السهر بالرفق ، ومداومة ذكر الله بالقلب واللسان وقطع الفكر في المحسوسات . وأما معرفة الأمور التي بها زوال الحجاب كلية أو تفصيلية : فهو دوام ذكر الله بالقلب واللسان دائماً بأي ذكر كان ، ثم إن الأذكار التي بها زوال الحجاب كلياً وهي التي تقطع كل حجاب عن الروح من أي أمر كان ، ومنها تفصيليات لا تقطع إلا حجاباً من نوع واحد . أما الكليات فهي لا إله إلا الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أو سبحان الله أو الحمد لله أو الله أكبر أو بسم الله الرحمن الرحيم أو الله الله أو الله لا إله إلا هو الحى القيوم . وأما التفصيليات : فهي سائر الأسماء الحسنى إذ كل اسم يذهب جزء من الحجاب ولا يتعدى لجزء آخر ، والله الموفق اهـ (باجتناب) من اجتناب الشيء بعد عنه (اللذائذ) جمع لذينة ، ورحم الله من قال :

أرى اللذات في الدنيا فلا	كما قال الثقات من الرجال
بزاق ذبابة مع غزل دود	وأحسنها مبال في مبال
وللغزالي رضى الله عنه : عجبت لساكن الدنيا وأقصى	عسارتها يؤول إلى خراب
فخير ليامها نفثات دود	وخير شرابها قاء الذباب
وأعظم نفحة فيها عيب	فأبظر فأرة ^(١) دنس الإهاب
وأطيب لذة فيها لشخص	مبال في مبال مستطاب
فأولها رجاء في سراب	وأخرها رداء من تراب

وفي [جص] « إياك والتنعيم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين ، قال العريزي : لأن التمتع بالمباح وإن كان جائزاً لكنه يوجب الأتس به والغفلة عن ذكر الله وكراهة لقائه اهـ وفيه « سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشددون في الكلام أولئك شرار أمتي » وفيه « شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغدوا به يأكلون من الطعام ألواناً ويلبسون من الثياب ألواناً ويركبون من الدواب ألواناً ويتشددون في الكلام ، وفي العريزي : قال الغزالي : وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيق الأطعمة وتمرين النفس عليها ، ورأوا أن منع ذلك من الله غاية السعادة : وفيه « إن الأرض لتنادي كل يوم سبعين مرة : يا بني آدم كلوا ما شئتم واشتبهتم فوائده لا تكن لحومكم وجلودكم » وفيه « ألا يارب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ألا يارب نفس جائعة عارية في الدنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة ، ألا يارب مكرم لنفسه وهو لها مهين ، ألا يارب مهين لنفسه وهو لها مكرم ، ألا يارب متخوض ومتنعم فيما أفاء الله على رسوله ماله عند الله من خلاق ، ألا وإن عمل الجنة حزن^(٢) ربوة ، ألا وإن عمل النار سهل بشهوة ، ألا يارب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً ولذا كان بعض المشايخ يقوم على المائدة عند حضور العشاء ويقول : يا معشر المريدين لأننا كلوا كثيراً فترقدوا كثيراً افتخسروا كثيراً . وعن الثوري : خصملمان يقسمان القاب : كثرة الشبع وكثرة النوم . وعن مكحول : ثلاث خصال يحبها الله عز وجل ، وثلاث خصال يبغضها الله عز وجل . أما اللاتي يحبها : فقلة الأكل

(١) الأبطر . الألف . والفأرة : المسك . (٢) حزن كغلس : أي : غايظ شديد صعب اهـ

وقلة النوم ، وقلة الكلام . وأما اللاتي يبلغنها ، فكثرة الأكل ، وكثرة النوم ، وكثرة الكلام .
ورحم الله من قال :

يميت الطعام القلب إن زاد كثرة كزرع إذا بالماء قد زاد سقيه
ومن قال : إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسئول
في كل يوم ترجى أن تتوب خدا وعقد عزمك بالتسوية محلول
الموت لا بد منه فاستعد له إن اللبيب بلذكر الموت مشغول
فكيف يلهو بعيش أو يلذله من التراب على خديه يجعل
ومن قال : وتلهيك من دار الخلود مطاهم ولذة نفس غيا غير نافع
ومن قال : تغنى اللذائد بامن نال شهوته من المعاصي ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء لانفكاك لها لاخير في لذة من بعدها النار

وهذا شأن من عمت بصيرته وانطمست سريره واشتري الضلالة بالهدى واستبدل الذي هو أدنى
بالذي هو خير وأثر الفانى على الباقي قال تعالى - يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم -
وقال - ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - نسأل الله السلامة والعافية ، وكثيرا
ما كان يتمثل سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنا بهما آمين بقوله :

يا أهل لذات دنيا لابقاء لها إن اغترارا بظل زائل حق

وعن عكرمة رضي الله عنه في قوله تعالى - ولكنكم فتنتم أنفسكم - أي باتباع الشهوات - وتربصتم
أي بالتوبة - وارتيبتم - أي في أمر الله - وغرتمكم الأمانى - أي بالتسوية - حتى جاء أمر الله - أي الموت
- وغركم بالله الغرور - أي الشيطان . وقال بعضهم : من استولت عليه النفس صار أسيروا في حكم الشهوات
محصورا في سجن الهوى والمخالفات ، قد حرم الله على الفوائد أن تسكن فؤاده ومنعه حلاوة فهم
كلامه وإن أكثر ترداده ، فيكون داخلا في شديد وعيد - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض
بغير الحق - وهذا هذاب أصحاب الأنفس في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشق ، ورحم الله من قال :

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتته ولم ينهها تاقته إلى كل باطل
وساقت إليه الإثم والعار بالذي دعت إليه من حلاوة عاجل
ومن قال : إذا مادعتك النفس يوما لشهوة وكان عليها للخلاف طريق
فخالف هواها ما استطعت فلنما هواها عدو والخلاف صديق

وقال بعضهم : رأيت في منامى حوراء ما رأيت أحسن منها فقلت ، زوجيني من نفسك ، فقالت
اخطبني من سيدي ، فقلت وما مهرك ؟ فقلت حبس النفس عن ما لوفاتها له . وفي [حى] اعلم أن
شهووات الدنيا في القلب للذينة كشهووات الأطعمة في المعدة ، وسيجد العبد عند الموت لشهووات الدنيا
في قلبه من الكراهة والنقن والقبح أشد ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا بلغت في المعدة غايتها . وكما أن
الطعام كلما كان ألذ طعما وأكثر دسما وأظهر حلاوة كان رجيحه أقدر وأشد نقتنا ، فكذلك كل شهوة
في القلب هي أشد وألذ وأقوى فتنها وكراهتها والتأذى بها عند الموت أشد ، انظره . وفي [ثيق] أخذ
علينا اليهود أن لا نوسع على أنفسنا وعيالنا ونخدمنا كل ذلك الوسع بل نقصده في ذلك مما لا يفرح به
والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - فن دوام التوسعة على نفسه وهياله فقد

فتح بذلك باب ازدراء النعم والجهل بمقدارها ، فإن النعمة إذا كثرت تداولها على أهل البيت ازدروها ولو على طول ، وتهاونوا بها ، وسخطوا على ربهم إذا حولها عنهم لشدة اختلافهم بها . وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول : من أسباب الاستهانة بالنعم أن يطبخ الإنسان في بيته كل ليلة اللحم الضاني والدجاج والحلوى وأن يشتري للعيال كل شيء اشتوه ، فإنهم إذا واطبوا على ذلك استهانوا بالنعمة ضرورة وجهلوا مقدارها ، فأعدل الأمور أن تكون نفقته عليهم على وجه الكسر والفر فكلما خاف سخطهم على ربهم وسعها عليهم حتى يشكروا ربهم ، وكلما خاف تهاونهم بالنعمة قترها عليهم ليشلقوها بالتعظيم ، ثم قال : واعلم يا أخي أن الحق تعالى قد أمن كل رجل على عياله وأولاده وإخوانه ومن الأمانة أن لا يسعى في أسباب تحويل النعم عنهم بكثرة لإطعامهم الشهوات ، ولا في نقص درجاتهم في الآخرة بأكل اللذيذ في الدنيا ، ومن فعل ذلك فقد خان الأمانة وضيعها ، وقد وبخ الله عز وجل قوما بقوله - ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون - الآية ، وشيء وبخ الله تعالى به أهل النار فنحن أولى باجتنابه ، وقد صد رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ازدراء النعم بأمره لنا أن لا نأكل إلا على جوع ولا نشرب إلا على عطش ، وذلك أن كل من جاع أو عطش يلقى الطعام والشراب بكل شعرة فيه ، فانظر يا أخي ماذا طوى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآداب التي بفعلها تدوم علينا النعم ، وقس على الطعام والشراب سائر النعم والشهوات من الملاهي والجماع والنوم وغير ذلك اهـ . وفي [عم] أخذ علينا انهمد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تمنع أصحابنا وأولادنا وحيالنا من الشبع ومن التوسع في المأكل والمشرب تشربا وبطرا ، وهذا العهد قد أدخل بالعمل به غالب الناس ، وهذا دليل على قلة الورع في الكسب لأن الإنسان لو تورع التورع المشروع لم يجد شيئا يشبع منه ولا وسع به على نفسه فضلا عن أن يوسع على غيره ، وفي الشبع من الحلال مفسد كثيرة فكيف الشبع من الشبهات والحرام أقل ما فيها أن الإنسان إذا أكل وشبع جاعت جوارحه ، فلا تشبع إلا إن وقعت في المعاصي المشاكلة لذلك الأكل في الحل والحرم خفة وثقلا . وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إذا كان الأكل حراما نشأ منه أعمال حرام . وإذا كان خلاف الأولى نشأ منه ارتكاب خلاف الأولى ، ومن قال إن الأعمال تنشأ على غير مشاكلة الأكل ، فليس عنده تحقيق . وكان إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه يقول : أطب مطعمك ولا عليك أن لا تصوم النهار ولا تقوم الليل . وكان سيدي إبراهيم المتبولى يقول : إياكم والأكل من الشبهات فإنها تؤثر في قلب العبد ، ولو كان من أكابر الأولياء . ومن مقاصد الأكل الكثير أيضا نقل الأعضاء عن القيام بالطاعات في الليل والنهار ، فعلم أن من نوع الأطعمة في بيته في هذه الأيام وبالغ في التوسع على عياله ، فلا بد أن يندم عن قريب وتدور عليه الدوائر ، والله أعلم بحكم ، انتهى . قال الله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - الآية وكان سيدينا أبو النبيض رضي الله عنه وعنا به آمين يقول : من لم يحاول على نفسه حتى تخلى دار أبيه : انظر [د] وكان بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه كثيرا ما يقول : الدواجن المحمرة والطواجن المزعمرة توقع في النار المسعرة في الدنيا والآخرة . وكان والده رحمه الله ورضي عنه كثيرا ما يقول لي : من ألف الزنايات يكون في الأزمات ، ولقد صدق ونصح ، ومن شك فليجرب فالدهر شاب

جذع لا يهرم أبدا - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - :
يا رحيمًا بالمؤمنين إذا ما ذهبت عن أبنائها الرحاء
يا شفيعا في المدينين إذا أشفق من خوف ذنبه البراء
جد لعاص وما سوى هو العاصي ولكن تشكيري استحياء
وتداركه بالعناية ما دام له بالدمام منك ذماء
أخوته الأعمال والمال عما قدم الصالحون والأغنياء
كل يوم ذنوبه صاهدات وعليها أنفاسه صعداء
ألف البطنة المبطنة السير بدار بها البطان بطاء
أوثقه من الذنوب ديون شددت في اقتضاها الغرماء
ماله حيلة سوى حيلة الموثق إما توصل أو دعاء
راجيا أن تعود أعماله السوء يغفرها الله وهي هباء
أو ترى سيئاته حسنات فيقال استعالت الصهباء

- وما ذلك على الله بعزيز - (وصمت) يفتح الصاد مصدر صمت كقتل ، وبضمها اسم مصدر : أى وقومها بملزمة الصمت إلا عن خير . وفى [جص] « الصمت حكم وقليل فاعله » أى قل من يصمت عما لا يعنيه ويمنع نفسه عن النطق بما يشينه ، ومن ثم قيل :

بأكثير الفضول قصر قليلا قد فرشت الفضول عرضا وطولا
قد أخذت من القبيح بحظ فاسكت الآن إن أردت جملا

وفيه : « الصمت زين للعالم وسر للجاهل » وفيه « الصمت سبب الأخلاق ، ومن مزح استخف به » وفيه « من صمت نجا » أى من سكت عن كل ما يخالف الشرع نجا من العذاب والحساب ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : « كف عنك هذا وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » ولذا جعل للسان حبسان الأسمان والشفقتان ليتأمل في الكلام قبل خروجه ، ورحم الله من قال :

وكل ما يحصده اللسان يحده يوم الجزا الإنسان
وهل يكب الناس في النيران هل المناخر سوى اللسان

وفى الحديث « التؤدة والرفق والاقتصاد والصمت جزء من ستة وعشرين جزءا من أجزاء النبوة » وقال بعض العارفين : قد جمعت مكارم الخصال فى أربع وبها صارت الأبدال أبدا لا : قلة الكلام ، وقلة الطعام ، وقلة المنام ، والاعتزال عن الأنام . ورحم الله من قال :

يا من يروم منازل الأبدال من غير قصد منه للأعمال
لا تظمن فيها فلست من أهلها إن لم تراهم على الأحوال
بيت الولاية قسمت أركانه صاداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دثم والجوع والسهر التزيه العالى

وقال بعضهم أعداؤك أربعة : الدنيا وسلاحها الخلق وسجنها العزلة ، والشيطان وسلاحه الشيع وسجنه الجوع ، والنفس وسلاحها النوم وسجنها السهر ، والهوى وسلاحه الكلام وسجنه الصمت ، وقال آخر : الصمت عبادة من غير عناء ، وزينة من غير حلى ، وهيبة من غير سلطان ، وحصن من غير سور ، وراحة

للكاذبين ، وغنية من الاعتذار . ولأبي العتاهية رحمه الله (١) :

إن كان يعجبك السكوت فإنه قد كما يعجب قبلك الأخبارا
ولئن ندمت على سكوتك مرة فلتندمن على الكلام مرارا
إن السكوت سلامة ولربما زرع الكلام عداوة وضرارا
وللشافعي رضي الله عنه :

قالوا سكنت وقد خوصمت قلت لهم إن الكلام لباب الشر مفتاح
في الصمت عن أحمق أو جاهل شرف وفيه أيضا لصون العرض إصلاح
ورحم الله من قال :

إذا نطق السفية فلا تجبه فخير من إجابته السكوت
سكت عن السفية فظن أفي عيب من الجواب وما عيب
ولكني اكتسيت بثوب حلم وجنبت السفاهة ما حيت

ومن قال :

قالوا سكوتك حرمان فقلت لهم ما قدر الله يأتيني بلا نصب
ولو يكون كلامي حين أنشره من اللجين (٢) لكان الصمت من ذهب

وفي الحديث : « أربع لا يعطين الله إلا من أحب : الصمت وهو أول العبادة ، والتوكل على الله ، والتواضع ، والزهد في الدنيا » وفي [حى] قال عقبة بن عامر « قلت يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » وقال سهل بن سعد الساعدي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة » وقال صلى الله عليه وسلم : « من وقى شر قبيحه وذبله ولقلقه فقد وقى الشر كله » القيقب : هو البطن ، والذبلذب : الفرج ، والقلق : اللسان ، فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق . وفيه : قال أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه » وقال صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يسلم فليلزم الصمت » وعن سعيد بن جبير مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أصبح ابن آدم أصبحت أعضائه كلها تذكر اللسان » أي تقول اتق الله فينا فإنه إن استقمتم استقمنا وإن اعوججتم اعوججنا ، وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأيسر العبادة وأصونها على البدن : الصمت وحسن الخلق » وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » وقال عليه الصلاة والسلام : « رحم الله عبدا تكلم فغتم أو سكتم فسلم » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا رأيتم المؤمن صموقا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة » وقال عليه الصلاة والسلام : « اخزن (٣) لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان » وقال عليه الصلاة والسلام : « من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به » وقال عليه الصلاة والسلام : « إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه ، وإن لسان المنافق أمام قلبه ، فإذا هم بشيء أمضاه

(١) عتاهية ككراهية : لقب أبي إسحاق إسماعيل بن أبي القاسم بن سويد . (٢) اللجين كزبر : الفضة .

(٣) اخزن بضم زاي من خزن كخسر وكرم له .

بلسانه ولم يتدبره بقلبه ، وقال عيسى عليه السلام : العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس ، انظره وفي [حصص] العافية عشرة أجزاء تسعة في الصمت والعاشر في العزلة عن الناس . قال الحنفى : طاولا عنهم شره حيث لم يقدر على حفظ نفسه في المخالطة . وإلا فالمخالطة أولى حيث اشتملت على نفعهم ، وقد ذكر أهل التصوف أن أخوين كان أحدهما يبيع ويشترى والآخر معتزلاً في الجبل ، فأراد المعتزل زيارة أخيه فركب سبعة وجاء له فوجده يبيع ويشترى فنزل ووقف السبع ينتظره ، فجاءت امرأة جميلة تشترى من أخيه شيئاً فنظر لها نظر شهوة فهم السبع أن ياتمه ، فقال له الأخ : تأدب أيها السبع فوقف متأدباً . وقال : يا أخى ليس الشأن في العزلة ، بل الشأن في حفظ النفس مع المخالطة ، لأن ذلك جهاد أكبر أهـ ورحم الله من قال :

ولا زل الصمت الحميد إلا . عن ذكر مولانا الكريم جلا

وما جرى مجراه مما تنفع به ليوم هائل وترتفع

وفي [صم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على الجوع حتى يكثر صمتنا عن الكلام فيما لم يأمرنا الله تعالى به . فإن من لازم من شبع كثرة الكلام والأشر والبطر بخلاف الجوعان (٢) ، ومن شك في قولي هذا فليجرب بأن يجوع شخصاً كثيراً الغناء وإنشاد القصائد يومين لا يطعمه شيئاً ويقول له غنى سوية ، أو أنيسط أنا وإياك في الحكايات فإنه لا يجيبه إلى ذلك أبداً ، فن طلب الصمت مع الشبع فقد طلب ما هو كالمخالطة وهذا أمر مشاهد ، وقد غلط فيه كثير من الثورمين بغير شيخ من الفقهاء ، فترى أحدهم يشبع ويأكل كل ما يجده من السموات ، وربما كان أى شبعه من طعام الضلالة والمكاسين ويطلب الصمت وقلة الكلام وذلك لا يكون . وقد رأيت مرة من جعل على نفسه كلما يتكلم بغيبة نصفاً للفقراء حقوبة لنفسه ، ومع ذلك فما قدر على رد نفسه وصار يخرج في كل غيبة نصفاً حتى زمن وترك الغرامة وصار يستغيث ، ولو أنه ظفر بأحد من أهل الطريق لدله على الدليل (٣) الذى يدخل منه إلى قلة الكلام والغبية ، وذلك هو الجوع الذى لا يخلى له حيلة ولا قوة للكلام الشرعى . فضلاً عن العرفى ، فضلاً عن الحرام ، ثم قال : وقد صحبت من رجال الصمت جماعة منهم شيخ الإسلام زكرياء والشيخ على الخواص والشيخ محمد بن عنان والشيخ محمد المنير رحمهم الله ، فكان وقتهم عندهم أعز من الكبريت (٤) الأحمر وكل من تسلسل معهم في الكلام زجره ولم يستحيوا منه ويقولون له قم ضيعت علينا الزمان ، انظره ولا بد . وعن ذى النون المصرى رضى الله عنه قال : بينما أنا أسير في نواحي الشام إذ وقفت إلى روضة خضراء وفي وسطها شاب قائم يصلى تحت شجرة تفاح (٥) . فتقدمت إليه وسلمت عليه فلم يرد على السلام ، فسلمت عليه ثانياً فأوجز في صلاته ثم كتب في الأرض بأصبعه :

منع اللسان من الكلام لأنه هدف البلاء وجالب الآفات

فإذا نطق فكفى لربك ذاكراً لا تنسه واحده في الحالات

قال ذو النون : فبكيت ضويلاً وكتبت بأصبعي في الأرض :

(١) قوله ابن عريان بالواو ، والجيمان بالياء ، خطأ كما في شرح القاموس أهـ : (٢) قوله الدهليز كقنديل : ما بين

الباب والدار . (٣) قوله الكبريت بكسر كاف كقنديل . الذهب أو الباقوت أهـ .

(٤) قوله تفاح بضم فوقية كرماء أهـ .

ومامن كاتب إلا سبيل ويفنى الدهر ما كتبت بده
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

قال : فصاح الشاب صبيحة فارق الدنيا فيها ، فقامت لآخذ في غسله وكفنه وإذا بقاتل يقول :
خل عنه فإن الله عز وجل وعد أن لا يتولى أمره إلا الملائكة : قال ذو النون : فلت إلى شجرة فركمت
عندها ركعتين ، ثم أتيت الموضع الذي مات فيه فلم أجد له أثراً ولا عرفت له خبر اه . اللهم تول
قبض أرواحنا عند الأجل بيدك مع شدة الشوق إلى لقائك يا رحمن (و) بملازمة (قلة) أى التقليل من
(الطعام) والشراب فإن الإكثار منهما من أعظم المهلكات وأفضل الآفات في الدين والدنيا ، وفي
الحديث « لا ينظر الله إلى جوف مليء من طعام » وقيل : لما خلق الله الخلق جعل العلم والحكمة في
الجوع . وجعل الجهل والمعصية في الشبع ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يأكلون إلا من
فاقة ، وتبعهم السلف الصالح على ذلك ، وقد انتهى الحال بالإمام البخارى رضى الله عنه إلى أن صار
يأكل كل يوم تمر أو لوزتين ورعا وحياء من الله تعالى في ترده إلى الخلاء ، وكان إمام الأئمة رضى
الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم لا يدخل الخلاء إلا كل ثلاثة أيام مرة واحدة ويقول :
والله قد استعجيت من كثرة ترددى للخلاء . وكان الشافعى رضى الله عنه يقول : ما شبعت منذ ست
عشرة سنة ، لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن
العبادة . وعن سبى إبراهيم الدسوقي رضى الله عنه : قوت المرید الصادق الجوع وشرابه الدموع ،
وأما من شبع ونام ولغى في الكلام وترخص ، وقال ماعلى فاعل ذلك من ملام فإنه لا يجنى منه شيء
في الطريق والسلام اه . ولبعض الأخوان رحمه الله ورضى عنه :

الجوع نور وإدام ودوا صار به خبز الشعير حلوا

وعن بعض العارفين : إن هذه النفس في غاية الخساسة والدناءة ونهاية الجهل والغباء ينهبك إلى
ذلك أنها إذا همت بمعصية أو انبغشت لشهوة فلو تشفعت إليها بالله سبحانه ثم برسله وجميع أوليائه وعرضت
عليها الموت والقبر والقيامة لا تكاد تعطى القيادة ولا تترك الشهوة والعناد ، ثم إن منعها رغبتا
سكنت وذلت بعد الصعوبة والحماح ولانت وانقادت إلى طرق الفلاح ، فعليك بهذا العلاج فإنه أعظم
منهاج ، ورحم الله من قال :

ومن البلاء وللبلاء علامة أن لا يرى لك عن هواك نزوع
العبد عبد النفس في شهواتها والحر يشبع قارة ويحجوع
ومن قال : فلو كانت الدنيا جزاء لحسن إذن لم يكن فيها معاش لئالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة وقد شبع فيها بطون البهائم
ومن قال : الجوع يطرد بالرغيف اليابس فعلام تكثر حسرتى ووساومى
والموت أنصف حين عدل قسمة بين الخليفة والفقير البائس

وفي [جص] « أحبكم إلى الله أقلكم طعاما وأخفكم هدنا » قال الحنفى : ولذا ورد أن سيدنا يحيى
عليه السلام لقي إبليس فرأى معه معاليق : أى صورة كالليب ، فقال ما هذه ؟ فقال هذه الشهوات
أصطاد بها الناس ، فقال هل معك لى شيء منها ؟ فقال شهوة الأكل أسلطها عليك ففشيح فتكسل عن
العبادة ، فقال لله على أن لا أشبع أبدا ، فقال إبليس وكذا لله على أن لا أنصح أحدا أبدا . وروى

أن أبا الحسن الشاذلي مكث ثمانين يوما لا يأكل شيئا فحدثته نفسه أن قد أطاع ربه فخرجت عليه امرأة من غار ووجهها كالقمر وقالت لقد جاع الرجل ثمانين يوما فحدثته نفسه الخ فوالله ما أكلت شيئا منذ ستة أشهر ، وهذا من لطف الله بالشيخ نفعا الله به حيث نبهه على عدم ركونه للعمل ، وفيه « أخاف على أمتي من بعدى ثلاثة : ضلالة الأهواء ، واتباع الشهوات في البطون والفروج ، والغفلة بعد المعرفة ، وفيه « أخشى ما خشيت على أمتي كبر البطن ومداومة النوم والكسل وضعف اليقين » وفيه « خففوا بطونكم وظهوركم للصلاة » وفيه « إذا أقل الرجل الطعام ملأ جوفه نورا » قال العزري : وإنما كان الجوع يورث تنوير الخوف لأنه يورث صفاء القلب وتنوير البصيرة ورقة القلب حتى يدرك لذة المناجاة وذل النفس وزوال البطر والطغيان وذلك سبب لفيضان النور ، والجوع هو أساس طريق القوم . قال الكتاني : كنت أنا وعرو المكي وعياش نصطحب ثلاثين سنة نصلي الغداة بوضوء العصر ونحن على التجريد ما لنا ما يساوى فلما ، فنقيم ثلاثة أيام وأربعة وخمسة لا تأكل شيئا ولا نسأل فإن ظهر لنا شيء عورنا حله أكلنا وإلا طولينا ، فإذا اشتد الجوع ونفقتا التلغ أتيننا أبا سعيد الخراز ، فيتخذ لنا ألوانا كثيرة ، ثم يرجع إلى ما كنا عليه اه : ونقل أن عبد الرحمن بن أبي نعيم لا يأكل في الشهر إلا مرة فأدخله الحجاج الثماني بيتا وأغلقه عليه ، ثم فتحه بعد خمسة عشر يوما ظانا أنه مات فوجده يصلي قائما فقال تصلي بغير وضوء فقال إنما يحتاج إلى الوضوء من يأكل ويشرب وأنا على الطهارة التي أدخلتني عليها اه وفي [عف] قال يحيى بن معاذ : إذا ابتلى المرید بكثرة الأكل يكتب عليه الملائكة رحمة له ، ومن ابتلى بحرص الأكل فقد أحرق بنار الشهوة ، ثم قال : دخل رجل على الطيالسي وهو يأكل خبزا يابساً قد بله بالماء مع ملح جريش فقال له كيف تشتهي هذا ؟ قال أدعه حتى أشتبه ، وقيل من أسرف في مطعمه ومشربه يعجل الصغار والذل إليه في دنياه قبل آخرته . وقال بعضهم : الباب العظيم الذي يدخل منه إلى الله قطع الغداء . وقال بشر : إن الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق : وقال ذو النون : ما أكلت حتى شبعت ولا شربت حتى رويت إلا عصيت الله أو هممت بمعصية ، أنظره . وفي [حر] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر اجتهاد في سبيل الله ، وإنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش » وقال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه ، وقيل يارسول الله أي الناس أفضل ؟ قال من قل مطعمه وضحكه ورضى بما يستر به عورته » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف » وقال أبو سعيد الخدري : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليسوا وكأوا واشربوا في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة » وقال الحسن : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الفكر نصف العبادة ، وقلة الطعام هي العبادة » وقال الحسن أيضا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفسكرا في الله سبحانه ، وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم أكول شراب » وفي الخبر « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز^(١) أي مختارا لذلك ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا فيقول الله تعالى انظروا إلى عبدى ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما ، أشهدوا ياملائكتي ما من أكلة بدعها إلا أبدلتها بها درجات في

الجنة » وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزراع يموت إذا كثرت عليه الماء » وقال صلى الله عليه وسلم : « ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه . وإن كان لا بد فاعلا فثلث اطعامه ، وثلث لشربه ، وثلث لنفسه » اه . وفي العزيزي : وقد بين الغزالي ذلك الثلث حيث قال : ينبغي أن يقنع بنصف مد لكل يوم ، وهو ثلث البطن : قال : وكذا كان عمر وجماعة من الصحابة قوتهم ذلك . قال ومن زاد على ذلك فقد مال عن طريق السالكين المسافرين إلى الله تعالى ، أنظره . ورحم الله من قال :

يميت الطعام القلب إن زاد كثرة كزراع إذا بالماء قد زاد سقيه

وإن لبيا يرتضى نقص عقله بأكل لقيات لقد ضل سعيه

وفي [حى] أيضا ، وقيل مكتوب في التوراة : إن الله ليبغض الخبز السمين ، لأن السم ينل هلى الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالخبز . ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه : إن الله تعالى يبغض القارىء السمين من الشبع . وفي خبر مرسل : إن الشيطان ليحجرى من ابن آدم يحجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش » وفي الخبر : الأكل على الشبع يورث البرص . وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن يأكل في معى واحد والمنافق يأكل في سبعة أمعاء ، أى يأكل سبعة أضعاف ما يأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضعاف شهوته » أنظره . وفيه عن أنس قال « جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص ^(١) خبزته ولم تطب نفسى حتى أتيتك منه بهذه الكسرة » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنه أول طعام دخل فم أبىك منذ ثلاثة أيام » وقال أبو هريرة : ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة » وإن أبغض الناس إلى الله المتخمون الملاءى ، وماترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة » وقال أبو سليمان : لأن أترك لقمة من عشائى أحب إلى من قيام ليلة إلى الصبح . وقال أيضا : الجوع عند الله في خزانته لا يعطيه إلا لمن أحب ، ثم ذكر رحمه الله للجوع عشر فوائد أنظرها فيه . ولللهالى رحمه الله في نصيحته ،

والفرج ^(٢) تلك شيمة الطعام ^(٣)

تحمد طعامك وتسكى ضره

أرشدنا له لقيات فقد

من بطنه فاحذر وقيت الضرا

عشرة من أقبح الحلال

داهية للناسكين دها

دام عليه الماء مات يافق

تنفعه وإن أدمت الذكرى

حصيان رب الناس وهاب الألا

سائر الأعضاء وبالعكس اتبع

ولا يكن همك في الطعام

لا تأكلن في اليوم إلا مره

وليك قدره كما الحديث قد

ماملأ المرء وعاء شرا

في شبع المرء من الحلال

من ذاك قسوة القلوب وهى

إذ قيل إن القلب كالزراع متى

والقلب إن يميت فأى ذكرى

ومنه لإسراع الجوارح إلى

إذ قيل إن البطن إن جاع شبع

(١) القرص بالضم : المجرة . (٢) نسخة : والشرب . (٣) الطعام كسحاب : أوغاد الناس .

وأى داء للفقى أضر
ومنه ضعف الفهم إن البطنة
إن الحجا من نعم الرحمن
ومن يبيع فهمه بهاقمه
ومنه إغراء للنفوس بالسكسل
وذاك مفض لضياح العمر
فالعمر رأس المال من أضاعه
ومنه فقد لذة العبادة
أى حبة لمن يتاجى
وأى خير يرتجى لمن خلا
ومنه أنه يرى ذريعه
إف الحلال نادر والرائع
وذو الحجا ليس بضائع الحزما
إذ آكل الحل بطيع ربه
وآكل الحرام يعصى مخالقه
وكل لحم من حرام قد نبت
ومنه شغل القلب والأبدان
ثم بتهيشته وأكله
وكم يفوته من الطاعات
ومنه فاهم اشتداد السكرات
إذ قيل إن لذة الحيات
وذلك من عظام المصائب
ومنه نقصان الثواب الباقي
لأن كل لذة فى العاجله
ومن يبيع بأكلة مشومه
ومنه طول الحبس والوقوف
لأن الدنيا حلالها حساب
وقد أتى فى محكم الحكيم
فهذه عشرة تكنى المرید
قلت ومنه إنه إلى السقام
لأنما المعدة بيت الداء
وفى القرآن جاءنا لا تسرخوا

مما إلى معصية يجر
كما أتى مذهبة لقطته
فمن يضعه باء بالحرمان
قد اشترى خسارة ونقمة
حتى ترى للنعمان أحلى من عمل
وليس يرتضيه غير الغمر
كرائم النجر بلا بضاعه
وذلك داء من يصب أهاده^(١)
ولم يجد حلاوة التناجى
من حب فى الإكرام جل وعلا
لأكل ما حرمت الشريعة
حول الحمى يوشك أن يواقع
بل يقننى ما كان حلا جزما
أحب أم كره نعم القره
أحب أم كره بثس الخالقه
فالنار قل أولى به كما ثبت
بجمعه من شاسع ودان
ثم بإفراغ الحشا من تفلته
فيها بضيعه من الساعات
عند الممات وحلول الغمرات
تزيد فى مرارة الممات
ومذهلات النوب النوائب
فيتخلف عن السباق
بقدرها ينقص أجر الآجله
ذاك النعيم ما أضر شومه
عند الحساب الهائل الخوف
يوم الجزا وحرامها عقاب
نص سؤلنا عن النعيم
واحدة منها فكيف بالمزيد
فى بدن يفضى وللداء العقام^(٢)
فاحذر من العشاء والغداء
وسره يشهده من يعرف

ومن يرد بدينه والهدن سقما بأكلة فاحق دنى
ومن يبيع رضى المليك الحق بأكلة نفى فاشق الخلق
هذا وقد قالوا اتباع الشهوات من أكبر الحجب وأردى الهفوات
فافطم عن الشهوة نفسك تصب وتغنم النجاة في اليوم العصب^(١)

انظرها فإنها كلها غرر ودرر لمن وفق واعتبر (وعزلة) وهى الاهتزال عن الناس بقلب وقالب أو بالقلب فقط وهى عزلة الكل، وينبغى للمريد أن يتوى بعزله عن الناس سلامتهم من شره لاسلامته من شرهم، فإن من استصغر نفسه كان من المفلحين، ومن رأى لها مزبة على غيره كان من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وفي النصيحة المذكورة :

واحرص على العزلة ما استطعتا وإن تسر من دونها انقطعتا
فخلطة الناس أخشى عقل والقليل لازم لها والقال
فسدهم ترحهم وتسترح فقل من خالطهم ثم ربح

وفي [حى] وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : خذوا حظكم من العزلة. وقال ابن سيرين العزلة عبادة . وقال الفضيل : كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا، وقيل اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا، وقال أبو الربيع الزاهد لداود الطائى : عظمى . قال : صم عن الدنيا وأجعل فطرك الآخرة، وفر من الناس فرارك من الأسد . وقال الحسن رحمه الله : كلمات أحفظهن من التوراة : قنع ابن آدم فاستغنى ، اعتزل الناس فسلم ، ترك الشهوات فصار حرا ، ترك الحسد فظهرت مروءته ، صبر قليلا فتمتع طويلا . وقال وهب بن الورد، بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة فى الصمت والعاشرة فى عزلة الناس . وقال سفيان الثوري : هذا وقت السكوت وملازمة البيوت . وكان يقول والله الذى لا إله إلا هو لقد حلت العزلة، وقال بعضهم كنت فى سفينة ومعنا شاب من العلوية فسكت معنا سبعة لا نسمع له كلاما ، فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا نكلمنا فأنشأ يقول :

قليل الهم لأولد يموت ولا أمر يحاذره يقوت
قضى وطر الصبا فأفاد حلما فغايته التفرد والسكوت فانظره

[وحكى] أنه رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه وجد تحت وسادته بعد وفاته هذه الآيات من سريع مطوى مكسوف :

وكنتم عبدا والهوى حاكمي فصرت حرا والهوى مخادعي
وصرت بالعزلة مستأنسا من شر أنواع بنى آدم
ما فى اختلاط الناس غير ولا ذو الجهل بالأشياء كالعالم
بالأئمة فى تركهم جاهلا عذرى منقوش على خاتمي

فنظروا فإذا نقشه - وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين - وفى [جص] « الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها فى العزلة وواحد فى الصمت » قال الحنفى : أى العلم النافع المصحوب بالعمل عشرة أجزاء فمن لازم العزلة حصل له تسعة أعشارها، فإن ضم لذلك الصمت فقد حصلها كلها.

قال الشاعر :

لقاء^(١) للناس ليس يفيد شيئا سوى الهذيان من قليل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو لإصلاح حال

وقال آخر :

الزم الوحدة تنجو مابقي في الناس خله
إن^(٢) حب الناس أضحي لفساد أو لعله اه

وفيه : خصص البلاء بمن عرف الناس وعاش فيهم من لم يعرفهم ، أى وإنما خصص البلاء بمن عرفهم لأنهم يشغلونه عن ربه ، وربما وقع في التكلم فيهم بالغيبة والنميمة . قال الحنفى : فهذا محمول على من نفسه أماره ، أما من طهره الله تعالى فمخالطته تزيد خيرا لقيامه بحقوق الخلق والخلق معا ، فالعزلة أولى لمن معه نفسه والمخالطة أولى لمن ترك نفسه وطهرها لأجل هدايتهم اه . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

الفرار للفرار من خالطة الخلد ق جميعا مخافة الإفتتان
إن تسكن كاملا فخالط وإلا فالفرار الفرار دون توان
واتهم نفسك الأماره بالسوء إذا زعمت بلوغ الأمان
واتخذ سورا من حديد حصينا واستعن بعد ذلك بالمستعان

وفى العزى قال ابن دينار لراهب عظمى ؟ فقال : إن استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سورا من حديد فافعل . قال الغزالي : وكل من خالط الناس كثرت معاصيه وإن كان تقيا إلا إن ترك المداهنة ولم تأخذ في الله أومة لأنهم : انظروه . وفى تائية السلوك للشرنوبى رضى الله عنه :

ويعتزل الخلق الجميع وفعلهم كذاك ولاية الأمر فى دار دنية

قال [شب] أى ومن أركان الطريق أن يعتزل المرید الخلق الذين لاخير فيهم جميعهم ويترك فعلهم خصوصا ولاية الأمر الذين تولوا شيئا من أمور الدنيا فإن الخلطة بهم مبعدة عن التقرب إلى رب البرية اه . قال تعالى - فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مهلغهم من العلم - وقال - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا - وفيه : وكتب سفيان إلى عابد من العباد يقول له : اعلم يا أخى أنك فى زمان قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذون أن يدركوه ومعهم من العلم ما ليس معنا ، ولهم من القدم ما ليس لنا ، فكيف بنا حين أدركناه على قلة العلم وقلة الصبر وقلة الأعوان على الخير وفساد من الزمان ، فعليك بالحمول فإن هذا زمان خمول ، وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس ، فقد كان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض ، فأما اليوم فقد ذهب ذلك فالنجاة الآن فى تركهم فيما نرى ، وإياك يا أخى والأمر أن تدنو منهم أو تخالطهم فى شىء من الأشياء ، ويقال لك تشفع أو تدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة فإن ذلك من خديعة إبليس ، وإنما اتخذ ذلك القراء سلتما للقرب منهم

(١) هذان البيتان للإمام الحميدى شيخ البخارى . (٢) وفى نسخة : إن ودى لنفاق ، وبعد هذين البيتين :

أترك الأحساب إلا صاحبا يدعوك لله
آخر الدنيا فناء ثم يبقى الملك لله

واصطياد الدنيا بذلك اه : وعنه رضى الله عنه أيضا : هذا زمان لا يأمن فيه الخامل على نفسه فكيف بالمشهور فيه اه : وللعارف بالله سيدى عبدالغنى النابلسى رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه :

وكن بالانفراد سليم قلب
فلأنك إن نطقت بما تراه
وصرت حدوهم في كل حال
وإن تسكت وتكرهه بقلب
وأدنى ما يكون يقال هذا
وهم لا يقبلونك فاجتنبهم
لأنك باللقاء تكون مقرى
وإن خالطتهم وسألت معهم
وتسمى بينهم مرفوع شأن
ولكن تبلى في الدين منهم
أكابرهم على الأعراض قاموا
وقد حماوا أصاغرهم عليه
تنبه يا مريد الحق وافتح
وصابر عن لقاء الناس واصبر
فإن الصبر في الدنيا قليل
فأما الصبر منك على عقاب الـ
ولا تترج غير الله موئى

لأن مصاحبات الناس داء
عليهم ختم فيك افتراء
وليس لهم بما قلت ارعواء
فقلبك ماله فيهم خفاء
ثقیل كل حالته رباء
وأنت بما علمت لك اعتداء
يسبك إنه يؤس اللقاء
يكون لهم بفعلك ذا رضاء
وتصبح كل ماتلقى هناء
بما هم فيه إذ بالسوء جاموا
ولو بالكفر ما لهم انثناء
مداهنة وليس لهم حياء
عيونك ما بنو الدنيا سواء
على الإيذاء وليسع الإناء
وعقباه انكشاف وانجلاء
قيامة فهو ليس له انقضاء
فغير الله ما فيه الرجاء اه

واعلم أن الشأن في العزلة أن تكون بالقلب والقالب بأن يتقاعد صاحبا عن الخلق ، وقد تكون بالقلب فقط بأن يخالط الناس بجسمه وقلبه متعاق بالله تعالى ، كما قالت العدوية رضى الله عنها في مقام المشاهدة القلبية :

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثى
فأجسم منى للجليل مؤانس
وروى : خالطوا الناس بأبدانكم وزايالوهم بقلوبكم ، ورحم الله من قال :
فخف أبناء جنسك واخش منهم
كما تخشى الضراغم والسبتي^(١)
وخالطهم وزايالهم حذرا
وكن كالسامرى إذا لمستا

وفى [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه عن العزلة عن الخلق هل أمم من الاختلاط أم العكس أمم؟ فقال رضى الله عنه الاختلاط في حق من رزق الفهم عن الله عز وجل أمم ، لأنه في كل لحظة يزيد علما بالله لم يكن عنده ، وأما من لم يرزق الفهم عن الله تعالى فالخاوة في حقه أمم اه . وفى [عم] أخذنا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرغب إخواننا في العزلة عن الناس إذا لم يأمنوا

على أنفسهم عند الاختلاط فإن آمنوا عليها فالمستحب الاختلاط على أصل قاعدة المسلمين في دينهم ، وقد أجمع الأشياخ على أنه ليس للكل الهروب من الناس لعدم الخوف عليهم من الاشتغال بالخلق عن الله تعالى ، وأما من خاف مع دعوى الكمال فدعواه الكمال زور وبهتان ، فهو إما شخص جلس بنفسه عن غير فطام على يد شيخ وإما أن شيخه مفتر كذاب لا يصلح لأن يكون أستاذا كما هو غالب في أهل هذا الزمان ، ثم قال فاسلك يا أخى على يد شيخ لتعرف الطريق وتحافها ومهالكها وتصبر إن اهتزلت تكون عز لك بحق وإن خالطت تكون مخالطتك بحق وإلا فن لازمك الهوى وحظ النفس قريبا أو بعيدا لأنك إن قربت منهم كان لعة دنيوية وإن بعدت منهم كان لسوء ظنك بهم وحب التميز عليهم كما هو مشاهد انظره . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من هرب بدينه من شائق إلى شائق ومن جحر إلى جحر » وعنه صلى الله عليه وسلم أيضا : « إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه . فقال ابن عباس رضي الله عنه فكيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك ؟ قال ألزم بيتك وابك على نفسك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ، وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة ، واملك عليك لسانك » قال رحمه الله :

(وَأَعْرِضْ عَنِ اللَّغْوِ وَمَا لَيْسَ بِمُعْتَنَى لِسَانُكَ مِنْ عَنِ غَيْبَةٍ وَنَمِيمَةٍ)

(وأعرض) من أعرض عن الشيء صد عنه (عن اللغوي) يفتحين كالفتى . وفي [س] اللغو واللغوي كالفتى ، السقوط وما لا يعتد به من كلام وغيره اه . وفي [حى] قال ابن أبي رباح : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يعدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها ، أتذكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفة التي أملاها صدرنهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه اه . وفيه : أعلم أن فضول الكلام لا تنحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل - لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس - وقال صلى الله عليه وسلم : « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله » فأنار كيف قلب الناس الأمر فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان . وفيه قال ابن مسعود رضي الله عنه : أئذركم فضول الكلام حسب أمرى من الكلام ما بلغ به حاجته . وقال مجاهد . إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل ليسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذا . وقال الحسن : يا ابن آدم بسطت لك صحيفة وركل بك ملكا كريما يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو قل . وقال : من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثر ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه . وفيه : وروى أن سليمان عليه السلام بعث بعض عقاريته وبعث نورا ينظرون ما يقول ويخبرونه ، فأخبروه بأنه مر في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس فهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال : عجبت من الملائكة على رؤس الناس

ما أسرع ما يكتبون ، ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يماون ، أنظروه . وفيه : وأما الخوض في الباطل
كمحكايات أحوال النساء والفسقة واللمة فإن ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام ، وقال صلى الله
عليه وسلم : « أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل » وقال سلمان : أكثر الناس
ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في معصية الله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليتكلم
بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا » وقال أبو هريرة : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة
ما يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يرفعه الله بها في أهل الجنة ،
أنظروه . وروى الترمذى « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة
للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب للقاسى » وعن بعضهم رحمه الله : الزم الفضل واترك الفضول
واغتنم وقتك تفز بخير الدنيا والآخرة ، قبل لازمة الفضل تنال الشرف وتترك الفذل تنال السلامة
وباغتنام الوقت تنال الربح ، وفي هذه الثلاثة مجموع خير الدنيا والآخرة ، وابعض الإخوان رحمه
الله ورضى عنه :

الزم الفضل ودع منك الفضول واغتنم وقتا تنل كل السرور

وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهاون بتترك وقوعنا
في الكلام اللغو خوفا أن يجر إلى مكروه أو حرام ، ونعود ألسنتنا بأن لا نجيب عن كلام إلا بعد تأمل
وتثبت ، وهذا العهد يقع في خيائته كثير من الحجاج إذا قدموا من الحج فيصير يحكى ما وقع له من غير
أن يسأله الناس عنه فيصير الناس الذين يسمعون عليه متقلقين لأجل حوائجهم التي وراءهم من سلام
على حجاج آخرين أو غير ذلك ، وهو يهدر^(١) لهم كالشاعر ، وكذلك يقع في خيائته كثير من الفقهاء
الذين تزورهم الأمراء فيفتتنون على ذلك الأمير باب الكلام الذي ليس لذلك الأمير به حاجة ،
أنظروه . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحفظ لساننا في كل مجلس
نجلسه عن كلام اللغو والفحش ما أمكن ، وإن وقعنا في ذلك فلا ننصرف حتى نذكر الله تعالى بما ورد
أنه يكفر ما وقع في المجلس وذلك أن الملك لا يكتب ما عمله العبد من السيئات إلا بعد ساعة أو ثلاث
ساعات كما ورد فإن استغفر لم يكتبها وإن لم يستغفر يكتبها ، وهذا من جملة رحمة الله تعالى بعباده من
حيث كون رحمته وحلمه سبق غضبه وانتقامه ، فإذا وقع العبد في معصية تسابق إليه أسماء الرحمة والانتقام ،
ومعلوم أن أسماء الرحمة أسبق فتأتى أسماء الانتقام فتجد أسماء الرحمة قد سبقتها إلى محل الانتقام فرجعت
أسماء الانتقام بلا تأثير ، فالحمد لله رب العالمين . وكان الشيخ محيى الدين بن العربي يقول : إذا عصيت
الله تعالى في أرض فلا تفارقها حتى تعمل فيها خيرا ، كقولك لا إله إلا الله أو سبحان الله أو الحمد لله ،
فكما صارت البقرة تشهد عليك صارت تشهد لك يوم القيامة ، أنظروه . وقد صح أن الملك لا يكتب
شيئا من السيئات إلا بعد مضي ست ساعات - ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس
لا يشكرون - ورحم الله من قال :

(١) يهدر بكسر دال من هدر الحمام كضرب : صوت .

اغتنم ركعتين في ظلم الله ل إذا كنت خاليا مستقرها
وإذا ما هممت باللغو في البا ظل فاجعل مكانه تسبيحا
فالتزام السكوت أولى من النطق ق وإن كنت بالكلام فصيحها

(و) أعرض عن كل (ماليس يعني) بالبناء للمفعول أى وأعرض عن كل مالا تهتم به لدينك أودنياك بأن تتكلم بما أنت مستغن عنه وغير محتاج إليه لأنك ضيع بذلك أوقاتك التي هي رأس بضاعتك ونحاسب على عمل لسانك .

وفي [جص] « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » قال العريزي : والذي يعنيه ما تعلق بضرورة حياته في معاشه مما يشبعه ويستتر عورته ويعف فرجه دون ما زاد على ذلك وبه يسلم من كل آفة وشر ، أنظره . وفيه : « أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما فيها لا يعنيه » وعن الحسن : من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيها لا يعنيه . وعن مالك بن دينار رحمه الله : إذا رأيت قسوة في قلبك ووهنا في بدلك وحرمانا في رزقك فاعلم بأنك تكلمت بما لا يعينك . ومن كلام السلف : من سأل عما لا يعنيه سمع مالا يرضيه . ورحم الله من قال :

لعمرك ما شيء علمت مكانه أحق يسجن من لسان مدلل (١)
على فيك مما ليس ينفع قوله يتقل شديد حيثما كنت أقفل (٢)

وفي [حى] قال أبوذر : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقیل في الميزان ؟ قلت بلى يا رسول الله . قال : هو الصمت ، وحسن الخلق ، وترك مالا يعينك » وقال مجاهد : سمعت ابن عباس يقول : خمس لمي أحب إلى من الذهب (٣) الموقوفة : لا تتكلم فيما لا يعينك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر : ولا تتكلم فيما يعينك حتى تجد له موضعا فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت (٤) ، ولا تمار حلما ولا سفيا فإن الحلیم بقلبك والسفيه يذوبك ، واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكر به واعفه بما تحب أن يعفك عنه ، وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به واعمل على عمل رجل يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل للقسمان ما حكمتك ؟ قال لا أسأل عما كنيت ولا أتكلف مالا يعينى . وقال عمر رضى الله عنه : لا تعرض لما لا يعينك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشى الله تعالى ، انظره

وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا نتمكن إخواننا من الجلوس في مجالس القبل والقال والخلوص في عيوب الناس والطعن فيمن ولاه الولاية من القضاة والأمراء والمقدمين وغيرهم ، هذا إذا كان الجلوس على المزابيل ، فكيف يجلسهم لما ذكر في المساجد والجوامع والقرآن يتلى فيها لا يصغى أحد منهم إليه انتهى . وفي [جه] ويحفظ : يعنى سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنايه أمين ، جوارحه مما نهى الله عنه فيعرض عن اللغو ومالا يعنى ، ويصون عنه لسانه ، ولا يسمع الباطل ولا يقدر أحد أن يذكره بمحضره ،

(١) قوله مدلل بكسر لام اسم فاعل : أى كثير الجراءة والتجاسر اه .

(٢) من أقفل الباب إقفالا : أغلقه .

(٣) جمع أدهم كالسود جمع أسود الخيل اه . (٤) قوله فعنت كمتب وزنا ومعنى اه .

وإن نطق أحد بمنهى رده للصواب لاجتماع كائنا ما كان لا يتساهل في ذلك، يحذر عن الغيبة غاية التحذير وينفر عنها كل التنفير، ويذكر ما ورد في ذلك من آية أو حديث يطنب في ذلك مبالغة في التشكير اهـ . وفيه : وكان رضى الله عنه يكره كثرة الكلام شديد التحفظ من الغيبة والنميمة والخوض فيما لا يعنى انتهى (لسانك صحن) من صانه حفظه إذ لا شيء من الأعضاء أعصى على الإنسان من اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله، وإنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان . وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال : قلت يا رسول الله أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك، قال : قل آمنت بالله ثم استقم . قال : قلت فما أنتي ؟ فأومأ بيده إلى لسانه وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان على الصفا يابى ويقول : يا لسانى قل خيرا تغم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم ، فقبل له أخذا شيء تقول له أو شئ سمعته ؟ فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه » وقال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مع كلف لسانه هتر الله عورته ، ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ، ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره » وروى « أن معاذ بن جبل قال يا رسول الله أوصني ؟ قال اعبد الله كأنك تراه ، وعد نفسك في الموتى ، وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله ، وأشار بيده إلى لسانه » انظر [حى] وعن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال : لسانى سبع إن أطلقته أكلنى : وعنه أيضا : هذا الذى أوردنى الموارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء من الجسد إلا يشكر إلى الله اللسان على حديثه » وفي [جص] « إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمتم استقمنا وإن أعوججتم أعوججنا » وفيه « إن الله عند كل قائل ، فليتق الله عبد وليتظر ما يقول » قال الحنفى : ولذا نودى عبد في حومته فلم يرد فأكثروا عليه الداء فقال : ما تريدون إلى حابس لسانى عن الكلام لأنه يفضى بصاحبه إلى الخسران اهـ . وفيه : « طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته » ورحم الله من قال :

يموت الفقى من عثرة من لسانه	وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعرثرته من فيه ترمى برأسه	وعثرته بالرجل تبرا على مهل
ومن قال : أمسك لسانك أيها الإنسان	ليلد غنمك إنه ثعبان
كم في المنابر من قتل لسانه	كانت تهاب لقاءه الشجعان

ومن قال :

صن العرض وابذل كل مال ملكته	فإن ابتذل المال للعرض أصون
ولا تطلقن منك اللسان بسوءة	فعندك عورات وللناس السن ^(١)
وعينك إن أهدت إليك معايبا	لقوم فقل يا عين ^(٢) لئلا أس عين

ومن قال :

لعمرك إن في ذنبى لشعلا لنفسى عن ذنوب بنى أميه

(٢) يحذف ياء التكلم للضرورة اهـ .

(١) جمع لسان اهـ .

على ربي حسابهم إليه تناهى علم ذلك لا إليه (١)
فليس بضائر ما قد أتوه إذا ما الله أصلح مآلديه

ومن قال :

وكم فاتح أبواب شر لنفسه إذا لم يكن قفل على فيه مقفل (٢)

وعن سيدنا عمر رضى الله عنه قال - لبعض إخوانه : أوصيك بستة أشياء : إن أردت أن تقع في أحد وتلذه ، قدم نفسك فإنك لا تعلم أحداً أكثر عيوباً منها ، وإن أردت أن تعادى أحداً فعاد البطن فليس لك حدو أهدى منها ، وإن أردت أن تحمد أحداً فاحمد الله فليس أحد أكثر منه منة عليك والطف بك منه ، وإن أردت أن تتحرك شيئاً فاترك الدنيا ، فإنك إن تركتها فإنك محمود وإلا تركتك وأنت مذموم ، وإن أردت أن تستعد لشيء فاستعد للموت فإنك إن لم تستعد له حل بك الخسران والندامة ، وإن أردت أن تطلب شيئاً فاطلب الآخرة فاست تالها إلا بأن تطلبها اه (من غيبة) بكسر معجمة : وفي [س] غابه عابه وذكره بما فيه من سوء كإغتابه والغيبة فعلة منه تكون حسنة وقبيحة اه . وهل هي من الصغائر أو من الكبائر ؟ اعتمد بعضهم أنها من الصغائر إلا في حق العلماء وحمل القرآن . ونقل القرطبي الإجماع على أنها من الكبائر . وفي [جص] « من فكر رجلاً بما فيه فقد اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته » وفيه « من ذكر امرأ بما ليس فيه ليعيبه حبسه الله في نالجهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال » وفيه « إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنى إن الرجل قد يزنى ويتوب فيغفر الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه » وفيه « لما عرج بي ربي عز وجل مررت بقوم لم أظافر من نحاس يمشون (٣) وجوههم وصدورهم ، فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » وفيه « إذا أردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك » اه . وفي [حى] « اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته ، أنظره . قال تعالى - ولا يفتب بعضكم بعضاً أحب أحدهم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه - وفيه : عن النبي صلى الله عليه وسلم : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » والغيبة تشمل العوض . وقد جمع الله بينه وبين المال والدم ، وقال صلى الله عليه وسلم : إن الدرهم يصيبه الرجل من الربى أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وإن أربى الربى عرض الرجل المسلم » وقال أبو هريرة : من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة ، وقيل له كله ميتاً كما أكلته حياً فأكله ويضج ويكالح . وقال مجاهد - ويل لكل همزة لمزة - الهمزة : الطعان في الناس ، واللمزة : الذي يأكل لحوم الناس . وقال قتادة : ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث : ثلث من الآنية ، وثلاث من النجاسة ، وثلاث من البول . وقال الحسن : والله للغيبة أسرع في دين الرجل المر من الأكلة (٤) في الجسد . وقال بعضهم : أدركنا السلف لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ، ولكن في الكف عن أعراض الناس . وقال ابن عباس : إذا أردت

(١) الهاء هاء السكت اه .

(٢) يفتح فاء اسم مفعول من أقفله : أغلقه اه . (٣) يمشون يضم ميم وكسر ها من باب ضرب ونصر اه .

(٤) الأكلة كمرقة ونجاسة اه .

أن تذكر عيوب صاحبك فا ذكر عيوبك . وقال أبو هريرة : يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجملع في عين نفسه . وسمع زين العابدين رجلا يغتاب رجلا فقال له إياكم والغيبة فإنها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضي الله عنه . عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء ، انظره . وروى « إن العبد يؤتى كتابه يوم القيامة فلا يرى فيه حسنة فيقول يا رب أين صلاتي وصيامي وطاعتي ؟ فيقال ذهب عملك كله باغتيابك للناس ، ويعطى الرجل كتابه بيمينه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال له هذا بما اغتيابك به للناس وأنت لا تشعر » وفي [ثيق] وقد استغاب شخص من إخواننا شخصا فرأى تلك الليلة القيامة قد قامت ونصبت الموازين ورفع الحجاب بين يدي الله عز وجل كما يليق بجلاله ، وتعلقت الناس بعضهم بعضا فجاء ذلك الشخص المستغاب وتعلق بمن استغابه فعرض عليه سائر أعماله الصالحة في نظير فلك الغيبة فلم يرض بها ، فجاء آخر فادعا عليه مثل ذلك فأخذ جميع أعماله ثم جاء ثالث فلم يجد شيئا فألقى عليه من أوزاره ، ثم جروه للنار فاستيقظ قبل أن يلقى فيها فألى على نفسه أن لا يستغيب أحدا حتى يلقى الله ، فأعلم ذلك وأعمل عليه اه . وقد كان سيدي عبد العزيز الدريني إذا بلغه أن أحدا اغتابه يقول له : يا أخى مالك ولتحمل ذنوبي على ظهرك يكفيك ما على ظهرك من أوزارك اه . قلت وأهل ما في الواقعة في أعراض الناس تحكهم يوم القيامة في أعمال من وقع فيهم فلو أراد الواحد منهم لا يرضى في تنقيصه إلا جميع أعماله الصالحة كان له ذلك ، فمن رضى لنفسه أن يحكم مفلسا يوم القيامة فليس معه شيء من العقل أنظره . وفي [حم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نهون بوقوعنا في غيبة فضلا عن وقوعنا في البهتان ، ولا نرى لنا أعمالا مكفرة لذلك كما عليه طائفة المتهورين في أعراض الناس ، بل لا تزال خائفين من وقوعنا في ذلك وهذا دأبنا حتى تلقى الله عز وجل ونصدر على الحساب ، وهناك تظهر لنا الأعمال التي لنا ، هل تكفر تلك الغيبة أم لا ؟ فإن أعمالنا الصالحة عندنا تحتاج إلى مكفرات آخر لما فيها من العلل والآفات ، كما قيل :

ذنوبك في الطاعات وهي كثيرة إذا عددت تكفيك عن كل زلة

وكان سيدي على الخواص يقول : لا يقعن أحدكم في غيبة مسلم ، ثم قال : وهذا الداء قد عم غالب الخلق وما سلم منه إلا القليل ، ثم قال : فالعاقل لا يتكدر من الغيبة فيه بل ينبغي له الفرح لأن الله تعالى يحكمه يوم القيامة في أعمال الذي اغتابه فيأخذ منها ما شاء ، وقد سمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول عن شخص استغاب : اللهم اغفر له ما جناه من جهتي وأقسم له بالإخلاص في أعماله ليعطى الناس منها يوم القيامة ، ثم قال : « وقد بلغنا أن سيدي الشيخ أبا المواهب الشاذلي كان يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت : يا رسول الله ما كفارة الغيبة إذا لم تبأخ صاحبها فقال : « كفارتها أن تقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين وتهدي ثواب ذلك في صدقة من اغتبت به ، والله غفور رحيم » اه . وفي [حى] وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « كفارة من اغتبت به أن تستغفر له » وقال مجاهد : كفارة أكلك لحم أخيك أن تنهى عليه وتدمو له بخير . وقال الحسن : يكفي فيها الاستغفار دون الاستحلال ، وقيل لا بد من الاستحلال للحديث : « من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحلها منه من قبل أن يأتي يوم لبس هناك دينار ولا درهم ، إنما يأخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته » انظره . وفي [ع] تنبيه : ينبغي لمن يعلم من نفسه أن عليه

للناس حقوقاً في المال والعرض وتعلم رضاهم أن يقرأ مع حضور قلب سورة الإخلاص التي حشدة مرة
والمعوذتين كل ليلة ، ويهدي ثوابهن في صحائف أرباب الحقوق ، يقول بعد القراءة : اللهم صل وسلم
على نبيك وحبيبك سيدنا محمد وعلى آله وأئمتي على ما قرأته واجعله في صحائف من له على تبعه^(١)
من عبادك في مال أو عرض اه : وفي [جص] من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن
يقيه من النار وفيه ومن رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وفيه « إذا وقع في الرجل
فكن للرجل ناصراً أو للقوم زاجراً وقم عنهم » انظره . وروى أبو داود مرفوعاً « ما من مسلم يخذل مسلماً
في موضع يفتك فيه من حرمة وينتقص فيه من عرضه إلا أخذله الله تعالى في موضع يحب فيه نصرته ، وما
من مسلم ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه ويفتك فيه من حرمة إلا نصره الله تعالى في
موطن يحب فيه نصرته » اه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
نرد عن عرض أخينا المسلم إذا استغابه أحد همدنا أو بلغنا ذلك عنه حسب الطاقة ، وهذا العهد قد صار
غالب الناس يحل بالعمل به حتى بعض مشايخ العصر من العلماء والصلحاء فتراهم يسكتون على غيبة
أخيه ، وربما اشتفوا بذلك في نفوسهم ، وهذا من أقوى الأدلة على عدم فظامهم عن محبة الدنيا على
يد شيخ ناصح ، فإن محبة الدنيا يحب الانفراد فيها بالمقام ومحبة الصيت والشهرة بالكمال ، ويكره
من يعلوه في ذلك ، فهو يتوهم بغيبة الناس لمن يعاوه أن الناس إذا نقصوه يزول اعتقادهم فيه ويعكفون
على اعتقادهم له هو ، وغاب عنه أن من نوى شيئاً أو فعله رجع عليه نظيره ولو أنه تشوش ممن استغاب
أخاه المسلم ازاده الله رفعة على أقرانه كلهم لأن الحماية إنما هي من الله تعالى لا من الخلق . وقد أخذت
علينا اليهود من المشايخ أن تقوى نور إخواننا جهدنا ونطق^٢ « اورأنفسنا جهدنا ليرجع نظير ذلك علينا
فإن من سعى في إطفاء نور أخيه أطفأ الله نوره » ثم قال : وهذا العهد بحمد الله تعالى من خلق مع
الأمراء الواردين على فلا أكاد أفر عن ذكر محاسن غيري من مشايخ العصر عندهم لأصرفهم عن
إلى غيري ، وذلك لأنني لا أقبل لهم هدية ولا أحب بحمد الله ترددهم إلى ، وأرى جميع مامعي
من الأعمال لا يجيء من طريق ذلك الأمير إذا جاءني مرة واحدة ، ولو ترددت إليه ألف مرة لا أرى
أنى كافاته على تلك المرة ، انظره .

[تلبيه] المستمع للغيبة شريك للمغتتاب . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم « مستمع
الغيبة أحد المغتابين » ورحم الله من قال :

وسمعتك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند سماع القبيح شريك لقائله فانتبه

(و) صن لسائك أيضاً عن (نعمة) وهي نقل الكلام للغير على وجه الإفساد وإفشاء العداوة
والشحناء قال تعالى - وهل لكل همزة لمزة - وقال - هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذاك
زنيم - قال ابن المبارك : الزنيم ولد الزنى الذي لا يكتفم الحديث ، وأشار به إلى أن كل من لم يكتفم
الحديث ومشى بالنعمة دل على أنه ولد زنى ، وقال صلى الله عليه وسلم « الساعى بالناس إلى الناس
لغير رشدة » يعنى ليس بولد حلال . وقال بعضهم : النعمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق ، وهي
أثافي^(٢) الذل . وقال الحسن : من نتم إليك نتم عليك ، وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض

(١) تبعه كبتة اه . (٢) جمع أئمة بضم همزة وكسر ها : وهي الأحجار الثلاثة التي توضع عليها القدر قاله
مرتضى على الإحياء مصحح .

ولا يوثق بقوله ولا بمداقته ، وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغفل
والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة ، وهو ممن يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون
في الأرض ، وقال تعالى - إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيعون في الأرض بغير الحق - والتمام
منهم ، وقال صلى الله عليه وسلم « من شرار الناس من اتقى الناس شره والتمام منهم » وقال « لا يدخل الجنة قاطع » .
قبل وما القاطع ؟ قال قاطع بين الناس ، وهو التمام . ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذن له في الكلام
وقال : إني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما يحب إن قبلته ، فقال قل ، فقال :
يا أمير المؤمنين إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورهباءك بسخط ربهم ، يخافوك في الله ولم
يخافوا الله فيك ، فلا تأمنهم على ما اتعنك الله عليه ولا تصخ إليهم فيما استحفظك الله إليهم ، فإنهم لم يألوا
في الأمة خسفا ، وفي الأمانة تضییعا وفي الأهراض قطعا وانهاكاه أعلى قربهم البغي والتميمة ، وأجل وسائلهم
الغيبة والوقیعة ، وأنت مسئول عما أجرموا وليسوا المسئولين عما أجرت ، فلا تصلح دنياهم بفساد
آخرتك فإن أعظم الناس غيبا من باع آخرته بدنيا غيره ، انظره [حى] : ورحم الله من قال :

عجبت لمناع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين أحعب
وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين أحعب

قال رحمه الله :

(وَكَثُرَ مِنَ الْأَذْكَارِ مِنْ غَيْرِ غَفْلَةٍ عَنْ إِخْضَارِ مَعْنَاهَا بِقَلْبٍ مَدْلَةٍ)
فَذَلِكَ عُتْوَانُ الْقَبُولِ وَرَوَّاحُهَا وَتَذْيِيرُ مَعْنَاهَا عَظِيمُ الْمَعُونَةِ)

(وكثر) من التكثير ضد التقليل (من الأذكار) جمع ذكر أى نوع من أنواع الأذكار ، ومن
بعضهم : الأولى لأهل النفوس الأمارة لا إله إلا الله فإن لها سرا عجيبي في التطهير ، ولذا اختارها
أولاً أهل الله الملقنون للأذكار فإنها كالسيف القاطع ولا سيما عن شيخ وأصل اه : قال تعالى - يا أيها
الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا - وقال - لقد كان لكم في رسول الله أسوة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا - وقال صلى الله عليه وسلم « اذكروا الله ذكرا
حتى يقول المنافقون إنكم تراءون » وفي [جص] « من أكثر ذكر الله برى من النفاق » وفيه « من
أكثر ذكر الله أحبه الله تعالى » وفيه « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون » وفيه « من أطاع الله فقد
ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن ، ومن عصى الله فلم يذكره وإن كثرت صلاته
وصيامه وتلاوته للقرآن » وفيه « ذكر الله شفاء للقلوب » وفيه « ذكر الأنبياء من العبادة وذكر الصالحين
كفارة وذكر الموت صدقة وذكر القبر يقر بكم إلى الجنة » وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن لداوم على الإكثار من ذكر الله سرا وجهرا ولا تترك الذكر لفظا إلا إذا
حصل لنا ثمرته التي هي دوام الحضور مع الله في جميع أحوالنا ، ثم قال : سمعت سيدي عليا المرصفي
رحمه الله يقول : مراد الشارع صلى الله عليه وسلم ومشايخ الطريق من مريدهم إذا أكثر من الذكر
باللسان والقلب أن يحصل له الأنس ويصير قلبه لا يغفل ولا يتكلف للذكر ، بل يكون الحق مشهوده
على الدوام تارة يشهد بقلبه وتارة يشهد هو أنه في حضرة الله وإن الله يراه ، وكلا الحالين إذا دام بمنع
العبد من وقوعه في المعاصي وسوء الأدب مع الله تعالى ، ومالم يكثر العهد من ذكر الله عز وجل
لا يحصل له هذا الأنس بل يقع في كل مصيبة كالبهايم السارحة وسمعت مرة أخرى يقول : من خاصية

تمكن الذكر من القلب أن يهذب أخلاق صاحبه فهو لم يتهذب فكأنه لم يذكر: فهذا مقصود الشارع والأشياخ بأمرهم المرید بإكثاره من الذكر، انظره: وفيه: أخذ علينا للعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تغفل عن الإكثار من ذكر الله عز وجل ليلا ونهارا سرا وجهرا لإجلال الله تعالى وعهوده له، والمراد بذكر الله تعالى شهودنا ليلا ونهارا أننا بين يديه وهو يرانا ويرى أفعالنا وأقوالنا وخواطرنا، وأما الذكر اللفظي فإنما هو وسيلة إلى حصول هذا الذكر ولا تصل يا أخى إلى هذا المقام إلا بالسلوك على يد شيخ مرشد ناصح، ومن لم يسلك كذلك فمن لازمه الغفلة عن الله تعالى ولا يتذكره إلا عند الحاجة لا غير فإذا أعطاه حاجته نسي ذكره ومنه شك فليجرب، انظره.

[تنبيه] قال تعالى - واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار - وقال - واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا - وعن النبي صلى الله عليه وسلم « لذكر الله عز وجل بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال صمحا » وفي الحديث القدسي « إن الله عز وجل يقول: يا عبدي اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما » وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على جلوسنا في مصلانا للذكر بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وترتفع ونصلي ركعتين أو أربعاً، وعلى جلوسنا بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس، ويلحق بالجلوس للذكر بالجلوس لغيره من علم شرعي أو إرشاد أو صلح بين الناس ونحو ذلك، كما كان عليه فقهاء التابعين، فكان عطاء ومجاهد يقولان: المراد بذكر الله علم الحلال والحرام. وقال مشايخ الصوفية: المراد بذكر الله تعالى أن يذكره بأسمائه الحسنى، ثم قال: وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول: يفرق الله تعالى الأرزاق الخمسة التي هي قوت الأجسام بعد طلوع الفجر إلى ارتفاع الشمس كرمح، ويفرق الأرزاق المعنوية التي هي قوت الأرواح من بعد صلاة العصر إلى الغروب. وسمعت أيضاً يقول: إنما أمر الله تعالى نبيه بالصبر مع الذين يدهون ربهم بالغداة والعشي تقوية لقلوبهم وتنشيطاً لهم إذا رأوه صلى الله عليه وسلم جالساً معهم ليحوزوا فضيلة هذين الوقتين العظيمين اه: وفيه: وكان سيدي محمد بن عثان يشتغل بالأوراد سرا من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس، ويقام بعد صلاة الترتيم يقوم ويتهجد ويصلي الصبح فلا يزال في قراءة حزب سيدي أحمد الزاهد حتى تطلع الشمس، ثم يشتغل بأوراد آخر إلى ضحوة النهار، وكان لا يلتفت لأحد كلمه في هذين الوقتين لإقباله على الله تعالى رضى الله تعالى عنه: وكان الشيخ نور الدين على الشوفي يهمل العصر ثم يشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغروب، ويجلس كذلك بعد الصبح ثم يجتمع مجلس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بمجلس ذكر، انظره - ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - يختص رحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم - (من غير غفلة) من غفل عن كذا كنصر: تركه وسهى عنه: وفي [جص] الغفلة في ثلاث: عن ذكر الله، وحين يصلي الصبح إلى طلوع الشمس، وغفلة الرجل عن نفسه في الدين حتى يركبه. وروى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا آنس من أصحابه غفلة نادى فيهم أتستم المثية راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة، ورحم الله من قال:

والناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وفي مسلم عن أبي وائل قال: غلونا على عهد الله بن مسعود بعد ما صلينا الغداة فسلمنا بالباب فأذن

لنا . قال : فكثنا بالباب هبة : قال : فخرجت الجارية فقالت ألا تدخلون ؟ فدخلنا فلذا هو جالس يسبح ، فقال مامنكم أن تدخلوا وقد أذن لكم ؟ فقلنا لا إلا أناظننا أن بعض أهل البيت نائم قال : ظننتم بآل ابن أم عبد غفلة : قال : ثم أقبل يسبح حتى ظن أن الشمس قد طلعت ، فقال يا جارية انظري هل طلعت ؟ قال فنظرت فإذا هي لم تطلع ، فأقبل يسبح حتى إذا ظن أن الشمس قد طلعت فقال يا جارية انظري هل طلعت ؟ فنظرت فإذا هي قد طلعت ، فقال الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا ، فقال مهدي : وأحسبه قال : ولم يهلكنا بذنوبنا ، انظرو . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نذكر الله تعالى في جميع مواطن الغفلات كالأسواق وموضع التزهات بقصد نزول الرحمة على الغافلين ، فمن فعل ذلك كتب من المحسنين ، وتسمى هذه خلوة العارف بربه عز وجل . قال الشيخ محي الدين ويكون ذكرنا في مواطن الغفلات سرا بحيث لا يتنبه أحد لنا لنزول الرحمة على الخلق من حيث لا يشعرون اه : [قلت] : الوارد في الذكر أن يكون جهرًا برفع الصوت والله تعالى أعلم اه . وفي [حى] من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة ، وفضل الله أوسع مما عندنا إلا هو . وفي [جد] سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : من ألهاه شيء من الدنيا عن ذكر الله أو عن صلاة الجماعة ونحوها فلا كفارة له إلا التصديق بذلك الشيء الذى ألهاه كائنا ما كان ولو ألف دينار . وقد صلى بعض الأنصار في حديثه فطار طير ليخرج فاقدر من التفاف أنسجارتها فأعجبته فلم يعرف كم صلى فتصدق بها كلها . ويشهد لذلك أيضا قصة سليمان حين طفق مسحا بالسوق والأعناق حين ألهاه عرض الخيل عليه عن صلاة العصر حتى كادت الشمس أن تغرب ، ولا يقدر على العمل بهذا إلا من أثر جناب الحق تعالى على جانبه ، فقلت له : فلم لم يتصدق سليمان بالخيل كما فعل الأنصارى ؟ فقال رضى الله عنه : لم يتالك عليه السلام عقله في التأخير تعظيما لأمر الله ، ثم قال : وكان الشبلى رحمه الله يحرق بالنار كل ثوب ألهاه وأعجبه فكان سليمان المقام والله أعلم . وفي البخارى عن عائشة رضى الله عنها وهما بها آمين « أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في خيصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما انصرف قال : اذهبوا بنحيمصتي هذه إلى أبى جهم واثبوني بأنبيجالية أبى جهم فإنها أمتنى آفعا من صلاتي ، وفيه من أنس « كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أميطى عنا قرامك هذا فإنه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتي » وفي إرشاد السارى ونزع الخبيصة ليستن به فى ترك كل شاغل ، وليس المراد أن أهاجهم يصلى فى الخبيصة لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن ليبعث إلى غيره بما يكرهه لنفسه ، فهو كإهداء الحلة لعمر رضى الله عنه مع تحريم لباسها عليه لينتفع بها ببيع أو غيره اه (عن إحضار معناها) أى الأذكار بقدر الطاقة والإمكان لأن حقيقة الذكر دوام الحضور من غير تحلل غفلة وقصور ، وللشبلى رحمه الله :

ذكرتك لا أنى نسينك لحظة وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وكدت هلا وجد أموت من الهوى وهان على القلب بالخفقان
فلما أرائى الوجد أنك حاضرى شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم ولا حظت معلوما بكل عيان

وكان رضى الله عنه يقول : أليس الله تعالى يقول « أنا جليس من ذكرنى » ما الذى استفدتم من

مجالسة الحق : وفي [عم] وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : ما ثم كرامة للعبد أفضل من ذكر الله تعالى لأنه يصير جليسا للحق كلما ذكر : وقد اختلى مریدا سنة كاملة فما رأى نفسه وقعت له كرامة ، فذكر ذلك لشيخه فقال : أتريد كرامة أعظم من مجالسة الحق تعالى ؟ ثم قال له : ما رأيت أكثف حجابا منك لك في الكرامة العظمى سنة كاملة ولا تشعر بها اه انظره . وفي الحكم : لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز - اه : قال بعضهم : الأصول التي ينبغي عليها المرید أمره أربعة : اشتغال اللسان مع حضور القلب بذكر الله ، وجبر القلب على مراقبته ، ومخالفة النفس والهوى من أجله ، وتصفية اللقمة لعبوديته ، وهي القطب وبها تزكو الجوارح ويصفو القلب اه . وفي [عف] كل عمل من تلاوة وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يعتد به كل الاعتداد فإنه عمل ناقص ولا يحقر الوسواس وحديث النفس فإنه مضر وداء مضال ، انظره وفي [مع] وقال القشيري : الذكر ركن قوى في طريق الحق بل هو العمدة في ذلك ، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر ، وذكر اللسان يصل به العبد إلى ذكر القلب . فإذا كان العبد ذا كرا بلسانه وقلبه فهو السكامل في حال سلوكه . وفيه : وقال الشيخ أفضل الدين : يجب على الشيخ أن يأمر المرید أن يذكر الله بلسانه بشدة ، فإذا تمكن من ذلك يأمره أن يسوى في الذكر بين قلبه ولسانه ، ويقول اثبت على استدامة هذا الذكر مستشعرا بأنك بين يدي ربك أهذا بقلبك ، ولا تترك الذكر حتى يحصل لك منه حال قوى وتصير أعضائك كلها ذاكرة لا تغفل عن ذكر الله تعالى ، انظره . وفي [غص] وسألته رضي الله عنه عما يفعله المشايخ من ترتيب الأوراد للمريدين هل هو مذهبكم ؟ فقال لا ، ذلك مما أكرهه ولا أقول به لأن الأوراد تصير حينئذ يفعلها العبد بحكم العادة يمر الإنسان عليها بحكم الغفلة والطبع والقلب في محل آخر ، وإذا لم يفتقد الإنسان بالأوراد وذكر الله تعالى متى وجد إلى ذلك سبيلا في أي وقت كان بحضور وإقبال صادق وهمة وهزم كان أقوى في استعداده ، فالمدار على عدم الغفلة في العبادة ، فمن رزقه الله تعالى الحضور في الأوراد المرتبة فلا بأس به اه :

[بشارة] روى عن سيدي محمد بن وفارض رضي الله عنه قال : رأيت سيد العالمين صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله صلاة الله عشرة لمن صلى عليك مرة واحدة هل ذلك لمن كان حاضرا القلب ؟ قال لا بل هو لكل مصل على غافلا ويعطيه الله أمثال الجبال من الملائكة تدهو له وتستغفر له ، وأما إذا كان حاضرا القلب فيها فلا يعلم ثواب ذلك إلا الله اه (بقلب مذلة) أي بحضور قلب ذليل منكسر خير لاه ولا ساء ، وفي الحديث «أنا عند المنكسرة القلوب من أجلى» ولأن الله تعالى لا يقبل من قلب غافل لاه بسواه ولا يقبل عليه لأنه معرض عن مولاه ومقبل على هواه ، وفي نصيحة الهلال رحمه الله :

واذكر بقلب حاضر مجموع ومقلة تفيض بالدموع

(فذلك) أي إحضار معانيها مع حضور قلب منكسر ذليل (عنوان) بضم العين وكسرها للسمة والعلامة (القبول) بفتح القاف وضمها ، وفي [س] وقبله كعلمه قبولاً وقد يضم أخذه ، والقبول كصهور ربيع الصبا والقائلة والحسن والسارة وأن تقبل العفو ، انظره : أي قبول الأذكار عند الملك الغفار (وروحها) أي حياتها وقوامها . وفي الحكم : الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص

فيها. قال ابن عباد: فإن خلاص كل عبد هو روح أعماله فبوجود ذلك تكون حياتها وصلاحياتها للتقرب بها. ويكون فيها أهلية وجود القبول لها ، وبعدم ذلك يكون موتها وسقوطها عن درجة الاعتبار ، وتكون إذ ذاك أشباحاً بلا أرواح وصوراً بلا معان : قال بعض المشايخ : صحح عملك بالإخلاص وصحح إخلاصك بالتبري من الحول والقوة اه . وعن أنس رضي الله عنه : الأدب في العمل علامة على قبول العمل اه وقال بعضهم : حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن لقوله صلى الله عليه وسلم « لو خشع قلبه لخشعت جوارحه » اه (وتديبر) من تدبر الكتاب تأمله وأمعن النظر فيه (معناها) أى الأذكار (عظيم المعونة) بفتح الميم وضم العين المثوبة ، ويقال معونة يسكون العين وضم الواو الإعانة ، ومن أعظم ما يستعان ^(١) به على الحضور هذا الدعاء : اللهم افتح مسامع قلبي لذكرك وارزقني طاعتك وطاعة رسولك وعملاً بكتابك ، رب أغوذ بك من همزات الشياطين وأغوذ بك رب أن يحضرون ، رب إني مغلوب فانتصر اه . فكرر يا أخى ذلك متى استولت على قلبك الوسواس فإن الله يحول بينك وبينها بمحض فضله وكرمه : وفى [هب] إن للأعمال أجوراً وإن للأجور أنواراً وإن للأنوار اتصالاً بالذات اليوم في هذه الدار ، فإذا كانت الأعمال خالصة لله تعالى وجرت على سر حقيقة الذات كما سبق فإن أنوار أجورها تسطع على الذات ، فتفطن الذات بذلك فيحصل لها خشوع وقشعريرة وهكاه وغير ذلك مما يقتضيه ذلك للنور الساطع ، فيعلم صاحب البصيرة بذلك النور أن العمل قبل وأن أجره يبلغ من القدر كذا وكذا ، وأكثر الناس يظنون أن الأجور لا تعلم إلا في الدار الآخرة وذلك في حق المحجوبين ، وأما غير المحجوبين فذلك مكشوف له غير خفى عنه : قال : وأما إذا كانت الأعمال لغير الله تعالى ولم تجر على حقيقة الذات فإنها عتاء وتعبد فلا أجور لها ولا يسطع بها على الذات نور : قال رضي الله عنه : فليختبر العامل قلبه عند العمل فإن لكل عمل وإن دق أجراً ولأجره نور ساطع تفتن الذات به لا محالة ؛ فإن كان القلب عند العمل معموراً بالشواغل والقواطع فليعلم أن الله تعالى قد حرمه أجره ولذلك ملأ قلبه بالشواغل : وإن كان القلب فارغاً من الشواغل منقطعاً نحو الحق سبحانه فليعلم أن الله تعالى قد نجز له أجره . قال رضي الله عنه : وترى الطالب يسافر من قطر إلى قطر ليحصل العلم بنية أن يدرك الجاه والكلمة النافذة أو الدنيا أو غير ذلك من الأغراض الباطلة ويبقى على هذه النية السنين المتطاولة فيحرمه الله تعالى من نور العلم ، فلا يكون من الراسخين فيه أبداً لأنه لا يدرك حقيقة العلم إلا من توجه إليه بباطنه وباطن هذا معمور بأغراضه وشواغله والذي يتحرك في العلم منه هو ظاهره فقط ، والعلم سر من الأسرار فلا يدركه الظاهر أبداً فكذلك أجور الأعمال التي ليست بخالصة لله تعالى فلا يدركها العبد أبداً لأن الأجور من أسرار الله تعالى والظاهر بدون الباطن لا يدرك الأسرار أبداً اه . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهاون بترك الحضور مع الله في صلاتنا وجميع طاعتنا ولا بالخشوع فيها لأن روح كل عبادة هو الحضور والخشوع فيها ، وما أمرنا الله تعالى بفعل طاعة إلا لنشهده تعالى فيها وكل عبادة لا يجمع العبد بقلبه على الله تعالى فهي عادة لا عبادة فلا أجر فيها ، ومن قال من الفقهاء : إن الخشوع في الصلاة لا يضر تركه فقد أخطأ طريق الكمال ، وإذا كان حامل القرآن والعلم يترخص هذا الترخيص فبمن يقتدى الناس؟ فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيع صادق حتى يزبل حجبه وعوائقه التي تبعده عن الله تعالى ويدخله حضرة

القرب ، وبصير الخشوع لله تعالى من شأنه لا يتكلف له ، وأما من أكل ونام ولغى في الكلام وارتكب الآثام وشبع حتى صار بطنه كبطن الدب ^(١) من الحرام والشبهات فمن أين يأتيه الخشوع فلانهم أجمعوا على أن من شبع من الحلال قسى قلبه فما بالك بمشبع من الحرام ، وهذا حال أكثر الناس اليوم فيتعاطى أحدهم أسباب قسوة القلب ثم يقوم للصلاة ويطلب بحضور مع الله ويخشع وجوارحه كل واحدة في بلد وخارة وذلك لا يصح ، وقد قالوا في المثل السائر : من مشى في غير طريق يتيه ^(٢) ولو كان بالنهار فاسلك يا أخى على يد شيخ ليدلك على طريق الوصول إلى الحضور والخشوع ولا تكبر نفسك عليه ونقول أنا عالم متبحر فإن من شرط العالم أن يعرف دواء كل علة وينزل الدواء على الداء ، انظره : قال رحمه الله :

(تَجَنَّبَ عَنِ الْإِيمَانِ عِنْدَ التَّخَاطُبِ وَلَا تَغْفَلَ عَنْ حَلِّهَا بِالْمِشِيَةِ)

(تجنب) تباعد (عن) اقتحام (الإيمان) جمع يمين ، وهى القسم (عند التخاطب) والتحاور : كيلي والله ولا والله ونعم والله ، وقد عمت البلوى بذلك ، جبر الله حالنا وحال المسلمين وأصلح ما لنا وما لهم بمنه وكرمه آمين . وفي [جص] « البلاء موكل بالقول ما قال عبد لشيء لا والله لا أفعله أبدا إلا ترك الشيطان كل عمل وولع بذلك منه حتى يؤثمه » أى يوقعه في الإثم والحنث ، وفيه : « الحلف حنث أو ندم » ولذا قيل : مبادرة الإنسان باليمين علامة على نفاقه وخلفه ، وفيه « احلفوا بالله وبروا واصدقوا فإن الله يحب أن يحلف به » وروى « احلفوا بالله ولا تحلفوا بأبائكم » وعنه صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر » وعنه صلى الله عليه وسلم أيضا « من حلف بيمينها فهو كما حلف إن قال هو يهودى فهو يهودى وإن قال هو نصرانى فهو نصرانى وإن قال هو برىء من الإسلام فهو برىء من الإسلام . قالوا يا رسول الله وإن صام وإن صلى ؟ قال وإن صام وإن صلى ، اه : وفي [هم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نكثر الحلف بالله عز وجل على بيع أو شراء أو حكاية شيء من الوقائع المتعجب منها ونحو ذلك لإجلال الله تعالى ، وإن سبق لساننا إلى الحلف بالله تعالى في شيء من الأمور المذكورة بادرنّا إلى التوبة والاستغفار ، وهذا الأمر قد أغفله غالب الناس فأذطم الله فإن من أجل الله أجله ، انظره : وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهاون بالحلف بغير الله عز وجل انظره : وفي [جه] ولا يحب الإكثار من الحلف مخافة الوقوع في الحنث ، ويقول ينبغي للإنسان أن يعود نفسه عند إرادة الحلف قوله إن شاء الله مخافة أن يعقد اليمين فلا يبر ويحنث فلا يكفر اه . قال تعالى - ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم - أى لا تكثرُوا منها لأجل أن تصدقوا (ولا تغفلن) بضم الفاء من غفل كقعد (عن حلها) بفتح الحاء : أى عن عدم انعقادها من أول النطق بالله أو في أثناء اليمين أو بعد فراغه من غير فصل ، كما يقع لمن يقول للحالف قل إن شاء الله فيوصل النطق بها عقب فراغه من المحلوف عليه من غير فصل امثالا للأمر فينبغه ذلك (بالمشيئة) أى بقولك إن شاء الله ونحوه بشرط اليقينة والاتصال : وفي [جص] « من حلف على يمين فقال إن شاء الله فقد استثنى : اه :

واعلم أن الاستثناء عند إيماننا مالك رضى الله عنه وعن جميع الأئمة وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم إنما ينفع في الحلف بالله دون كالأطلاق والعقود : وفي مختصر خليل رحمه الله : ولم يفد في غير الله

(٢) من تاه كباغ وقال ضل عن الطريق اه .

(١) اندب بضم دال مهملة : سبغ اه .

كالاستثناء بإن شاء الله إن قصد الاستثناء كإلا أن يشاء الله أو يريد أو يقضى على الأظهر، وأقاد بكإلا في الجميع إن اتصل إلا لعارض ولوى الاستثناء وقصد ونطق به وإن سزا بمركة لسانه اه . وحمل نفعه سرا إذا لم يحلف في حق وجب عليه أو شرط في نكاح أو عقد بيع وإلا لم ينفعه على المعتمد لأنها حينئذ على نية المستحلف لا على نية الحالف ، وفي العاصمية :

وهي وإن تعددت في الأحرف على وفاق نية المستحلف

وفي [جص] «اليمين على نية المستحلف» وفيه «من حلف على يمين صبر^(١) بقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر ألقى الله وهو عليه غضبان» وفي مسلم عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة» فقال له رجل وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله قال «وإن قضيتا من أراك^(٢)» قال رحمه الله :

(وَكُنْ يَقْظًا وَارْتَدْ لِنَفْسِكَ إِخْوَةً لِدِينِكَ أَوْ دُنْيَاكَ أَوْ طَرْدٍ وَخَشَةً)

(وكن يقظا) بضم القاف وكسرهما كمضد وكثف : اليقظان ضد النومان من يقظ ككرم وفرح (وارتد) من الارتداد وهو الطلب (لنفسك) الأمانة بالسوء (إخوة) في الله إذا غفلت ذكرورك وإذا ذكرت أعانوك وإذا افتقرت واسوك وإذا شمت آلسوك، وروى «إن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام : يا ابن عمران كن يقظانا وارتند لنفسك إخوانا وكل خدن» وصاحب لا يوازوك على مسرق فهو لك عدو» وأوحى الله إلى داود عليه السلام «يا داود مالي أراك مثلبا وحيدا قال : لمي قلبت الخلق من أجلك» فقال يا داود كن يقظانا وارتند لنفسك إخوانا وكل خدن لا يوافقك على مسرق فلا تصاحبه، فإنه لك عدو يقسى قلبك ويباعدك مني» انظره [حي] وعن بعضهم : خير ما اكتسب المرء بالإخوان فإنهم معونة على حوادث الزمان وشركاء في السراء والضراء. وعن آخر : للرجل بلا أخ كشمال بلا يمين . ورحم الله من قال :

وما المرء إلا بإخوانه كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الساعد الأجدم

ومن قال :

أخاك أخاك إن من لا أخاله كساع إلى الميحا بغير سلاح
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وليس بطير البازدون جناح

وفي [جص] «ما أحدث رجل إخاء في الله تعالى إلا أحدث الله له درجة في الجنة» اه ولذا حكى أن لبعض أهل الله تعالى ثلاثمائة وستة وستين أخا في الله تعالى يمكث عند كل واحد يوما عده أيام السنة، وإن لبعضهم ثلاثين أخا يزور كل يوم واحدا، فيبلغ في الإنسان أن يسقثر من الإخوان الذين يعينون على الدين وفيه «إذا آخيت رجلا فاسأله عن اسمه واسم أبيه فإن كان غائبا حفظته وإن كان مريضا عدته وإن مات شهدته» انتهى . وعن الثوري رضي الله عنه : إذا أردت أن تؤاخي رجلا فأغضبه ثم دس^(٣) من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قال خيرا أو كنتم سرا فاصحبه : وقال بعض الحكماء : لا تصحب من يغير عند أربع : عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه ، بل ينبغي أن يكون صدوق الأخوة ثابتا على اختلاف

(١) صبر ، من صبر : كضرب . (٢) (قوله أراك) كسحاب : شجر يستاك بعباده اه .

(٣) (قوله دس) بضم دال من الشئ في التراب أخفاه فيه اه .

الأحوال . ورحم الله من قال :

وترى الكريم إذا تصرم وصله
وترى اللئيم إذا تقضى وصله
يخفى القبيح ويظهر الإحسانا
يخفى الحميل ويظهر البهتانا

ومن قال :

أصحب^(١) من الإخوان من وده
ومن إذا سرك أودعه - هـ
لم يذكر السر إلى المحشر
ومن إذا غيبت عن عينه
أقلقه الشوق ولم يصبر
ومن إذا أذنت ذنبا أتى
معتذرا عفاك ولم يهجر

ومن لم يظفر بمن هذا وصفه وشيمته فليازم العزلة ، فإن عزلة المرء عز له وفي [عف] قيل لبعضهم :
من أصحب من الطوائف ، قال للصوفية فإن للقبائح عندهم وجهان المعاذير وليس للكبير من العمل عندهم
مرقع يرفعونك به فتعجبك نفسك ، وهذا علم لا يوجد عند الفقير والزاهد لأن الزاهد يستعظم الترك ويستقبح
الأخذ ، وهكذا الفقير ، وذلك لضيق وعائهم ووقوفهم على حد علمهم اهـ . وفيه : وكان سعيد بن العاص
يقول : بلحيسى على ثلاث : إذا دنا رحمت به ، وإذا حدث أقبلت عليه ، وإذا جلس أوسعت له .
وفيه : أن أبا عبد الله بن الحلاء سأله رجل على أى شرط أصحب الخلق ؟ فقال إن لم تبرهم فلا تؤذهم ،
وإن لم تسرهم فلا تسؤهم . وفيه : وقيل للحكيم أيما أحب إليك أخوك أو صديقك ؟ فقال إنما أحب أخى
إذا كان صديقى ، انظره . ورحم الله من قال :

ذو الود منى وذو القربى بمنزلة
عصاة جاورت آدابهم أدبى
ولإخوتى أسوة عندى وخلافى
فهم وإن فرقة وفى الأرض جيرانى
أرواحنا فى مكان واحد وغدت
أجسامنا فى عراق وخراسان

وعن بعضهم : أصحب من ينسى معروفه عندك ويذكر حقوقك عليه . وعن آخر : أصحب من إذا
صحبتك زانك^(٢) وإذا خدمته صانك وإذا أصابتك خصاصة مانك ، وإذا رأى منك حسنة عدها ،
وإذا عثر على سيئة سدها ، لا تخاف بوائقه ولا تختلف عليك طرائقه اهـ . وعن بعضهم : العالم لا تعاده
لأنه لا بد لك من الرجوع إليه . والجامل لا تصافه لأنه يفشى سرك وإن لم يقصد ضررك ، والأخق
لا تؤاخيه لأن صحبته تشينك . وعن الشافعى رضى الله عنه : احذر الأعور والأحول والأعرج والأحلب
والكوسج وهو الذى لا لحية له ، وكل من به عاهة فى بدنه وكل ناقص الخلق فلأنهم أصحاب خب^(٣)
وقال : مررت فى طريق بفناء دار على رجل أزرق العينين نأتى* الحبة منط^(٤) الشعر أى بغير لحية
فقلت هل من منزل ؟ قال نعم . قال الشافعى : هذا النعت أقبح ما يكون فى الفراسة ، فأترانى
وأكرمى ، فقلت أغسل كتاب الفراسة الذى ألقته لما رأيت هذا ، فلما أصبحت قلت له إذا قدمت مكة
فسل عن الشافعى ؟ فقال أمولى لأبيك كنت ؟ قلت لا ، قال أين ماتكلفت به لك البارحة ؟ فوزنت له

(١) قوله اصحب الخ من السريم المطوى المكسوف .

(٢) قوله زانك : أى حسنك اهـ . (٣) قوله خب بكسر خاء معجمة : الخداع . ويقال رجل خب بفتحها

الكثير الخداع اهـ . (٤) السباط بالضم كوسج لا لحية له أصلا ، أو الخفيف العارض ولم يبلغ حال الكوسج أوليته
فى الذقن وما بالعارضين شىء قاله [س] اهـ مصحح .

ما تكلف وقلت : بقی لك شيء ؟ قال كراء الدار ، فوزنت له ، فقلت امض جزاك الله خيرا اذ لم أغسل كتابي ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

فصحبة الأعور دع والأحول وعن ذوي العاهات طرأفل
كأقصر وأبرص وأعرج وأزرق وأحدهم وكوصج

(لدينك) أى لتستعين به على أمور دينك ولا تراخ فيه إلا الدين (أو) لتستعين به على أمور (ديناك) ولا تراخ فيه إلا الخلق الحسن وما به قوام دينك التى هى زاد أخراك (أو) لتستأنس وتستعين به على (طرده) وإزالة (وحشة) حلت بك من هم وخوف وخلوة وأرض مستوحشة ، ولا تراخ فيه إلا السلامة من شره ، ورحم الله من قال :

خالط جليسا صالحا للسام يزيله عنك بغير مأثم

ومن قال :

يا مريحا بصديق لست أبصره إلا تجدد لى أنس بمراة
وإن تغيب عن صيني فلم أره فلى فؤاد يظهر الغيب برعاه

ونقل أن المأمون قال لابن سهل : نظرت فى اللذات فوجدتها كلها مملوءة إلا سبعة : قال وما السبعة
يا أمير المؤمنين ؟ قال خبز الحنطة ، ولحم الغنم ، والماء البارد ، والثوب الناعم ، والرائحة الطيبة ، والفرش الوطى ،
والنظر إلى الحسن من كل شيء . قال فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال أهل العقول ؟ قال
صدقت وهى أولاهن . ورحم الله من قال :

وما بقيت من اللذات إلا محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كنا نعدهم قليلا فقد صاروا أقل من القليل

وذيلهما بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه بقوله :

وخبز البر مع عذب المياه ولحم الضأن كالوجه الجميل
وطيب والوطى من الفراش وثوب ناعم فاحفظ مقولى^(١)

وفى [حى] عن بشر : الإخوة ثلاثة : أخ لآخرتك . وأخ لديناك ، وأخ لئاناس به ، وقلما يجتمع
هذه الخصال فى واحد ، بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة . وقال المأمون : الإخوان
ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه ، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه فى وقت دون وقت ،
والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ، ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لأنس فيه ولا نفع . وقيل لا تصحب
إلا أحد رجلين : رجل تعلم منه شيئا فى أمر دينك فينفعلك ، أو رجل تعلمه شيئا فى أمر دينه فيقبل
منك : والثالث فاهرب منه . وقيل الفاس أربعة : فواحد حلوكه فلا تشبه منه ، وآخر مركله
فلا يؤكل منه ، وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك ، وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت
الحاجة فقط . وقال جعفر الصادق رضى الله عنه : لا تصحب نخسة ، الكذاب فإنك منه على غرور
وهو مثل التراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ، والأحق فإنك لست منه على شيء تريد أن

(١) وإذا زدت محادثة أهل العقول على هذه السبعة صار المجموع ثمانية .

ينفعلك فيضرك ، والبخيل فإنه يتقطع بك أحوج ما تكون إليه ، والجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدة ، والفاسق فإنه يبيعك بأكله أو أقل منها ، فقيل وما أقل منها ؟ قال الطمع فيها ثم لا ينالها . وقال سهل ابن عبد الله : اجتنب محبة ثلاثة من أصناف الناس : الجبارة الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين اه . ومن لم يجد من يواخيه ويستفيد منه فالوحدة أولى به . قال أبو ذر رضي الله عنه : الوحدة خير من الخليل السوء ، والخليل الصالح خير من الوحدة ، انظره . وفيه : إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخاؤه فإنه عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالسكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة ، انظره . وقد قيل : من علامة الإفلاس الاستئناس بالناس ، ولا ينبغي للإنسان أن يستأنس بالأقران بل يستأنس بتلاوة القرآن أو بحديث سيد الأكوام صلى الله عليه وسلم ، أو بذكر علام الغيوب قال تعالى - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - أي السليمة من الأدناس والعيوب وإلا فلا شيء أثقل من ذكر الله عند أهل الغفلة والذنوب ، نسأل الله السلامة وتغفر والعافية في ديننا ودنيانا وأخرانا آمين . وفي [عف] وروى أن مطرف بن الشخير كتب إلى عمر بن عبد العزيز : ليسكن أنسك بالله وانقطاعك إليه فإن لله عبادة استأنسوا بالله وكانوا في وحدتهم أشد استئناسا من الناس في كثرتهم ، وأوحش ما يكون الناس أنس ما يكونون وأنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون . قال الواسطي : لا يصل إلى محل الأنس من لم يستوحش من الأكوام كلها ، ثم قال : قال مالك بن دينار : من لم بأنس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعنى قلبه وضيع عمره . قيل لبعضهم : من معك في الدار ؟ قال الله تعالى معي ولا يستوحش من أنس بربه ، ثم قال : وقد يكون من الأنس الأنس بطاعة الله وذكره وتلاوة كلامه وسائر أبواب القربات ، وهذا القدر من الأنس نعمة من الله تعالى ومنحة منه ، ولكن ليس هو حال الأنس الذي يكون للمحبين ، والأنس حال شريف يكون عند طهارة الباطن وكنسه بصدق الزهد وكمال التقوى وقطع الأسباب والعلائق ومحو الخواطر والمواجس ، انظره . وفي ابن عباد عن محمد ابن أسلم رضي الله عنه أنه كان يقول : مالي ولهذا الخلق ، كنت في صلب أبي وحدي ، ثم صرت في بطن أبي وحدي ، ثم دخلت الدنيا وحدي ، ثم تقبض روعي وحدي ، فأدخل في قبري وحدي ، ويأتيني منكرونيك فيستلاني وحدي ، فلن صرت إلى خير صرت وحدي ، وإن صرت إلى شر صرت وحدي ، ثم أوقف بين يدي الله وحدي ، ثم بوضع عملي وذنوبي في ميزاني وحدي ، فإن بعثت إلى الجنة بعثت وحدي ، وإن بعثت إلى النار بعثت وحدي : فإلى ولئناس ، انظره . ورحم الله من قال :

أنت بوحدي ولزمت بيتي	فدام الأنس لي ونمي السرور
وأدبني الزمان فما أبالي	هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل مادمت حيا	أسار الجيش أم ركب الأمير
إذا أرغى الخمول عليك ذبلا	فتم في ظله نلت المناحا
فن لم يسأل السلطان عنه	ولا عن حاله فقد استراحا
أنت بوحدي حتى نواني	أتاني الأنس لا استوحشت منه
ولم تدع التجارب لي صديقا	أميل إليه إلا ملت عنه

ومع قال: وزهدني في الناس . معرقى بهم
فلم ترني الأيام خلا يسرني
ولا كنت أرجوه لدفع ملمة
ومن قال: اهرب بنفسك تستأنس بوحدها
إن السباع لتهدا في مراتبها

وليعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

بلوت زمانى فاصطفيت سلامة
عليك بقعر البيت كن من قواعده
نعيش سليم الصدر والدين سرمدنا
فيارب شفيع في الجديع نبينا

قال رحمه الله :

(فَهُمْ زِينَةُ الدُّنْيَا وَأَفْضَلُ عُدَّةٍ
وَمَنْ لَمْ يُوَافِقْ دَعَا عَلَى فِعْلِ سُنَّةٍ
فَصُحْبَتُهُ تَأْتِي بِكُلِّ مَغْرَبَةٍ
يَصِيرُ مِنَ الْمِدَاءِ فِي يَوْمِ حَسْرَةٍ)

(فهم) أى الإخوان الصادقون وقليل ما هم (زينة) بكسر الزاى ما يترين به (الدنيا) تقيض الآخرة
(وأفضل عدة) بضم العين ما يستعد لنوائب الدهر . وفى [حص] « استكثرنا من الإخوان الأخيار
فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة » قال العريزى : قال المناوى : فكما كثرت إخوانكم كثرت شفاعتكم
وخرج بالأخيار غيرهم فلا تغدب مؤاخاتهم بل يتعين اجتنابهم ، فصحبة الأخيار تورث الخير وصحبة
الأشرار تورث الشر كالربيع إذا مرث على النبق حملت تقنا وإذا مرث على الطيب حملت طيبا اه . وفيه :
« استكثرنا من الناس من دعاء الخير فإن العبد لا يدري على لسان من يستجاب له أو يرحم » قال الحنفى :
ولذا كان معروف الكرخى صائما فسمع من يقول : رحم الله من دنا وشرب منى ، فقدم عليه وشرب
منه ، فقيل له ألم تكن صائما فقال : نعم ، ولكن رجوت إجابة دعوته ، إذ لا يعلم المقبول من هو اه .
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أكثرنا من الإخوان فإن الله يحب كريم يستحي أن يعذب أحدا
بين إخوانه » وعن سيدنا على رضى الله عنه : عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ، ألا تسمع
إلى قول أهل النار - قال لنا من شافعين ولا صديق حميم - وعنه أيضا رضى الله عنه : عليكم بإخوان الصديق
فإنهم زينة في الرخاء وعصمة في البلاء . ومن شعره رضى الله عنه وعنا به آمين :

عليك بإخوان الصفاء فإنهم عماد إذا استنجدتهم وظهور^(٢)
وليس كثيرا ألف خل وصاحب وإن عدوا واحدا لكثير اه

وفى [حى] وقال صلى الله عليه وسلم فى الثناء على الأخوة فى الدين « من أراد الله به خيرا وزقه
خبيلا صالحا ، إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين إذا التقيا مثل

(١) أى ليس بساكن من هذا بالهمز سكن . (٢) أى أعوان اه .

اليدن تغسل إحداها الأخرى ، وما التقي مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا ، وقال عليه الصلاة والسلام في الترغيب في الأخوة في الله « من أخى أخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله » وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ : إني أحبك في الله ، فقال له أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوهمهم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقيل من هؤلاء يا رسول الله ؟ فقال هم المتحابون في الله تعالى » ورواه أبو هريرة رضي الله عنه ، وقال فيه « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوهمهم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء ، فقالوا يا رسول الله صفهم لنا ؟ فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله » وقال صلى الله عليه وسلم « ما تحاب اثنان إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه » ويقال إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر إلى مقامه وأنه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض ، انظره . وقد قيل : الأخوة لحمية كالحمية النسب (ومن لم يوافق دع) أي اترك من لم يساعدك من الإخوان (على فعل) وامثال أوامر كتاب الله و (سنة) رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعلى ترك واجتناب نواهيها فن تمسك بهما هدى إلى صراط مستقيم وما حاد عنهما قاده هو اه إلى صراط الجحيم (فصحة) أخوته تأتي (وتجلب إليك أحبيبت أم كرمت) بكل ضرة (وهاية ديننا ودنيا إذ للره دلي دين خليله ، ورحم الله من قال :

من لم تسكن في الله خلته فخليله منه على خطر

ومن قال : وعاشر بمعروف وجانب من اعتدى وفارق ولكن بالتى هي أحسن

(بصير) يرجع وبعود (من العداء) جمع عدو (في يوم حسرة) وندامة هو يوم القيامة قال تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين - وقال - ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتنا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا . لقد أضلاني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا - وفي الآيات تحذير من قرناء السوء وترغيب في أهل الخير والصلاح . وفي [صف] فن اختيار صحبة أو أخوة فأدبه في أول ذلك أن يسلم نفسه وصاحبه إلى الله تعالى بالمسألة والدعاء والتضرع ويسأله البركة في الصحبة فإنه يفتح على نفسه بذلك إما بابا من أبواب الجنة وإما بابا من أبواب النار ، فإن كان الله يفتح بينهما خيرا فهو باب من أبواب الجنة قال الله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين - وقيل : إن أحد الأخوين في الله تعالى يقال له ادخل الجنة فيسأل عن منزل أخيه فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزله فإن قبل له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول إني كنت أعمل لى وله فيعطى جميع ما يسأل لأخيه ويرفع أهوه إلى درجته ، وإن فتح الله عليهما بالصحبة شرا فهو باب من أبواب النار قال الله تعالى - ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا - الآية ، ثم قال : واختيار الصحبة والأخوة اتفاقا من غير نية في ذلك وثبت في أول الأمر شأن أرباب الغفلة الجاهلين بالنيات والمقاصد والمنافع والمضار . وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في كلام له : وهل يفسد الناس إلا الناس ، فالفساد بالصحبة متوقع والصلاح متوقع وما هذا سبيله كيف لا يحذر في أوله وبحكم للأمر فيه بكثرة اللجوء إلى الله تعالى وصدق الاختيار وسؤال البركة والخيرة في ذلك وتقديم صلاة

الاستخارة ، وانظره . وفي [عم] : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نجالس
 الفسقة من الظلمة وغيرهم كالواقعين في أعراض الناس إلا لضرورة أو مصلحة شرعية ، وهذا العهد
 قد كثرت خيانتة من الخاص والعام فصار الشيخ أو العالم يسمع الغيبة ولا ينكرها وربما شارك أهل المجلس
 فيها وربما كان هو البادى بالغيبة والناس في ذلك له تبع ، كما يقع فيه الأقران الذين يتزاحمون على الوظائف
 وعلى القرب من الولاة والقضاة وربما طلب من الحاضرين بالباطن أنهم يقفون معه في عرض ذلك الرجل
 ويفرح بهم ويقربهم لأجل ذلك ، فالعاقل من اعتزل الناس إلا لفائدة تحصل له أو لهم كاستفادة علم وتعليم
 أخلاق وتعلم طرق سياسة الناس واحتمال الأذى ونحو ذلك ، انظره . وفي [حى] : وأما الفاسق المصر على
 الفسق فلا خير في صحبتة لأن من يخاف الله لا يبصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا يؤمن غائلته ولا يوثق
 بصداقته بل يتغير بتغير الأغراض ، وقال تعالى - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه -
 وقال تعالى - فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه - وقال تعالى - فأعرض عن من تولى عن ذكرنا
 ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق اه . وقال تعالى - وإن تطع أكثر من في
 الأرض يضلوك عن سبيل الله - وللغزالي رضى الله عنه في بداية الهداية : واحذر مخالطة متفقهة الزمان
 لاسيما المشتغلين بالخلاف والجدال ، واحذر منهم فإنهم يتربصون بك لحسدكم ريب المنون ويقطعون
 عليك بالظنون ويتغامزون عليك بالعيون ويحصون عليك عثراتك في عشرتهم حتى يجهولك بها في
 حال غيظهم ومناظرتهم ، لا يقبلون لك عثرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون لك عورة ، يحاسبونك
 على التقير والتقطير ويحسدون على القليل والكثير ويحرضون عليك الإخوان بالخميمة والبلاغات والبهتان
 إن رضوا فظاهرهم الماؤ . وإن سخطوا فباطنهم الحق ، ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب ، هذا ما قطعت
 به المشاهدة على أكثرهم إلا من عصمه الله تعالى . فصحبتهم خسران ومعاشرتهم خذلان ، هذا حكم
 من يظهر لك الصداقة فكيف بمن يجاهرك بالعداوة . قال القاضي ابن معروف .

فاحذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة

ولربما انقلب الصديق ق فكان أعرف بالمضرة انظرها

هذا في أهل زمانه رضى الله عنه فكيف بأهل زماننا الذى هو آخر عجب الذنب ، نسأل الله
 السلامة والعفو والعافية في ديننا ودنيانا وأخراتنا آمين . ولأئى المواهب السامحة في بعض الأجوبة :
 فاحذر أخى وحذر من تحبه ، من هذين الصنفين من الناس : أى الطلبة المتجمدين على العلوم الرسمية
 والمتصوفة بمجرد الدعاوى بلا حق ولا حقيقة فإنهما من أعظم الفتن في الطريق وشر وسواس ،
 ولا زال التحذير يصدر من أهل الخير في قديم الزمان وحديثه من العلماء الغير العاملين والمتصوفة الجاهلين .
 وقد كان سيدى على بن وفا المتقدم الذكر يقول : علماء السوء أضروا على الناس من إبليس لأن إبليس
 إذا وسوس للمؤمن عرف المؤمن أنه عدو مضل مبين فإذا أطاع وسواسه عرف أنه قد عصى فأخذ
 بالتوبة من ذنبه والاستغفار لربه ، وعلماء السوء يلبسون الحق بالباطل ويردون الحق بأهوائهم وزيفهم
 وجدالهم فمن أطاعهم ضل سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، فاستعد بالله منهم وجنبهم وكن مع العلماء
 الصادقين وأما المتصوفة الجاهلون فإنهم يغفرون المريد الدخيل في الطريق بظواهرهم لما يرى عليهم من
 زى الزهاد والعباد فيعقر بهم فيرتكس في شبكة ضلالهم اه المراد منه : قال رحمه الله :

(وصاحب ذوى صدق تمسك في سعادة ولكم أعز من بيض رنحة)

(وصاحب) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق إخوة (ذوى) أصحاب (صدق) بكسر الصاد وفتحها ضد الكذب . وفي [جص] « عليكم بالصدق فإنه باب من أبواب الجنة وإياكم والكذب فإنه باب من أبواب النار » وفيه « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » اهـ . قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين - وفي [جه] ويتحرى الصدق رضى الله عنه في حديثه ويحضر عليه وعلى تحريمه ويسره من صادقه في حديثه ويسوءه من يكذب عليه ، ويعجبه الصادق في فعله الذي يظهر كل ما من شأنه أن يفعله ولو كان قبيحاً ويستحسنه ويحظى عنده صدوق اللسان غاية الحظوة انتهى .

واعلم أن الصدق اليوم أعز من الكبريت الأحمر . وقد مر أن ذا النون سئل عن الصدق فأنشد :

قد بقينا مذبلين حيارى نطلب الصدق ما إليه سبيل

هذا في زمانه رضى الله عنه فكيف بزماننا ، اللهم اغمسننا في دائرة فضلك وبحر رضاك ورضى رسولك صلى الله عليه وسلم وبحر رضى سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين ، ولذا قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى الله عنه :

وجود نخل صادق من أفعال كل يميل مع هواه حيث مال

وإن شككت بأخى فجرباً لكن فتق بقول من قد جرباً

(تعش) من العيش بمعنى الحياة (في معادة) أهلية . وفي [جص] « اطلبوا الفضل عند الرءاء من أمتي تعيشوا في أكتافهم فإن فيهم رحمة ، ولا تطلبوا من القاسية قلوبهم فإنهم ينتظرون مسخطي » وعن سيدنا عمر رضى الله عنه : عليك يا أخوان الصدق تعش في أكتافهم فإنهم زينة في الرءاء وعدة في البلاء ، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يميئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من نحش الله اهـ . وكثيراً ما تنشداً أمناً عائشة الصديقة رضى الله عنها وعنا بها آمين :

ذهب الذين يماش في أكتافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر

وقد قالت ذلك في زمانها فكيف بزماننا الذي هو آخر حجب الذنب - إنا لله وإنا إليه راجعون - اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واجعلنا في كفك الذي لا يضام آمين بجاه سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، ورحم الله من قال :

ولا عيش إلا مع رجال قلوبهم نحن إلى التقوى وترتاح للذكر

أديرت كلوس للمنايا عليهم فأغفوا^(١) عن الدنيا كل غفاه ذى السكر

ومن قال :

مات أهل الفضل لم يبق سوى مقرف أو من على الأصل اتكل

والمقرف يقاف وفاء الرذيل والدنى الأصل ومن قال :

وليس أخى من ودى رأى عينه ولكن أخى من ودى وهو غائب
ومن قال :

أخوك الذى لا ينقض النأى عهده ولا عند صرف الدهر يزور^(١) جانبه
وليس الذى يلقاك بالبشر والرضا وإن غبت عنه لمعتك^(٢) عقاربته
ومن قال :

وليس أخى من ودى بلسانه ولكن أخى من ودى فى المصائب
ولسيدنا على رضى الله عنه وعنا به آمين :

إن أخاك الحق من كان معك ومن إذا ريب الزمان صدعك
ولأبى مدين رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه آمين :

مالدة العيش إلا صحبة الفقرا هم السلاطين والسادات والأمرا
فأصحبهم ونأدب فى مجالسهم وخل حظك مهما خلفوك ورا
واستغنم الوقت واحضر دائما معهم واعلم بأن الرضا يخص من حضرا
ولازم الصمت إلا إن سئلت فقل لا علم عندى وكن بالجهل مستترا
ولا ترى العيب إلا فىك معتقدا عينا بداينا لكنه استترا
وحط رأسك واستغفر بلا سبب وقم على قدم الإنصاف معتبرا
وإن يدا منك عيب فاعترف وأقم وجه اعتذارك عما فىك منك جرى
وقل عبيدكم أولى بصفحكم فسامحوا وخلدوا بالرفق يا فقرا
هم بالتفضل أولى وهو شمتهم فلا تخف دركا منهم ولا ضررا
وبالتقى على الإخوان جد أبدا حسا ومعنى وغض الطرف إن عثرا
وراقب الشيخ فى أحواله فعسى يرى عليك من استحسانه أثرا
وقدم الجد وانفض عند خدمته حساه يرضى وحاذر إن تكن ضجرا
ففى رضاه رضا البارى وطاعته يرضى عليك وكن من تركها حلرا
واعلم بأن طريق القوم دارسة وحال من يدعيها اليوم كيف ترى
مضى أراهم وأنى لى برؤيتهم أو تسمع الأذن منى عنهم خبرا
من لى وأنى لمثل أن زاحهم على موارد لم آلف بها كدرا
أحبهم وأداريهم وأوثرهم بمهجتى وخصوصا منهم نفرا
قوم كرام السجايا أينما جلسوا يبقى المكان على آثارهم عطرا
يهدى التصرف من أخلاقهم طرفا^(١) حسن التألف منهم راقى^(٢) نظرا
هم أهل ودى وأحبابى الذين هم من يجر ذبول العز مفخرا

(١) أى يميل اه . (٢) لم كنع اه .

(٣) (قوله طرفا) بضم طاء جمع طرفة كغرفة : ما يهدى من الأشياء النفيسة اه . (٤) (قوله راقى) : أى أعجبنى اه :

لا زال شملى بهم في الله مجتمعاً وذنبا فيه مغفورا ومغفورا
ثم الصلاة على المختار سيدنا محمد خير من أوفى بما نلدرا اه
ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه أبيات ثلاث تلى قبلها وهى :

ولأبى مدين الغوث عليه رضا قصيدة فاقت الجواهر والدررا
روح بها أنفس القوم إذا سئمت تجد بها نهضة في الجدد للفقرا
وقل بقلب ذليل خاشع حزن^(١) وحسن صوت تأدب واصغ من حضرا
مالذة العيش إلا صحبة الفقرا

وفى [جه] وهم القوم الذين اصطفاهم الحق لخدمته وجعلهم أهلا للمناجاة وحضرته وأشهدهم أنوار
جماله وإحسانه وأجاسهم على بساط كماله وامتنانه ، وهم القوم الذين شربوا من محبته فطابوا ونجرت
قلوبهم في عظمتهم فغابوا فنالوا من مولاهم ما طلبوا وساعدتهم الوقت فيما رغبوا فهم السادات والأمراء
والسلاطين في زى الفقراء الذين صلحوا أن يكونوا قادة لخليقته ممثلين قائمين بخدمته على وفق حكيمته
ومشيئته فلا تصفو الحياة إلا بهم ولا تطمئن القلوب إلا بذكرهم ، وحين هاجت القريحة بحبهم صاحت
ونادت في حبهم على جهة الافتخار بقربهم فقالت :

فو الله ما طاب الزمان إلا بهم فلولاهم ما كنت أرضى بعيشى
فما العيش إلا بينهم تحت ظلمهم وهم راحنى : أنسى وسؤلى وبغيتى
لقد سكنا قلبى ومالى غيرهم عليهم من الرحمن أزكى تحبى

لمحمد أبى العاشق إلى جمالم والنخب إلى طريقهم وكما لهم وقربهم^(٢) عينا وتعلق بأذيلهم ولا
تلفت إلى شىء يصدك عن جنابهم اه (ولكمهم) أى إخوان الصدق أى ولكن وجودهم ولا سيما في
وقتنا هذا الذى هو آخر عجب الذنب (أعز) من عز الشىء قل فلا يكاد يوجد (من بيض رخمة)
يسكون معجزة للوزن . وفى [سر] الرخم محرقة طائر معروف الواحدة بهاء كانت تبيض في أعلى وقلل
شواقي الجبال ولا يكاد أحد يظفر ببيضها فضلا عن أفرانها لأنها تحرسها وتذب^(٣) عنها فلا يظفر بها
إلا من خاطر بنفسه . وفى [جص] سياقى عليكم زمان لا يكون فيه شىء أعز من ثلاثة : درهم حلال
أو أخ يستأنس به أو سنة يعمل بها ، وفيه أقل ما يوجد في أمقى في آخر الزمان درهم حلال وأخ يوثق
به ، وللشيرازى رحمه الله :

سألت الناس عن خل وفى فقالوا ما إلى هذا سبيل
تمسك إن ظفرت بذيل حر فإن الحر في الدنيا قليل

ورحم الله من قال :

لما رأيت بنى الزمان وما بهم خل وفى للشدائد أصطفى
أيقنت أن المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفى

(١) مثلث أمين كسعى ورعى وسمى اه .

(٢) قوله قر) بكسر قاف من قر كضرب وبذبحها من قر كتعب وبضمها من قر كصر اه .

(٣) قوله تذب) بضم ذال معجمة من ذب كرد اه .

ومن قال :

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاى طلعة حر
وفي [حى] وقال رجل للجنيد قد عز الإخوان في هذا الزمان أين أخ لي في الله ؟ فأعرض عنه
الجنيد حتى أهاده ثلاثا فلما أكثر قال له إن أردت أخا يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمري
قليل ، وإن أردت أخا في الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه فعندى جماعة أعرفهم لك ، فسكت
الرجل ، انظره . ولأبي المواهب الشاذلي رضي الله عنه :

تغير إخوان هذا الزمان فكل خليل هراه نخل
وكانوا قديما على صحة وقد دخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم فصرت أطلع باب الهدل

وكان رضي الله عنه يقول : إياك وعثرات اللسان عند بعض الأصدقاء فقد أصيب من هذا الباب خلق
كثير لثقتهم بأصدقائهم وما علموا أنهم جعلوا ذلك ساعا لوقت العداوة فإياك ثم إياك . وعن سيدنا على
رضي الله عنه وعنايه أمين إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب اه وفي [نخل] عن الصقلي رحمه الله :
الإخوان أربعة : أخ كاللداء وأخ كالغذاء وأخ كالدهاء وأخ كالدفلى . فالأول معدوم ، والثاني مفقود ، والثالث
موجود ، والرابع مشهود اه . أما الذى كاللداء فهو مثل المشايخ الذين أهلهم الله لتربية المريد والصلحاء
والعلماء فهم قدوة للمتنقين ومجالسهم تشفى الأسقام ظاهرا وباطنا فهم دواء للخلق أجمعين وأنت ترى
تعدر هذا الزمان غالبا من هذه صفته ، وأما الذى كالغذاء فهو مثل الأخ في الله المشفق الودود الخنون
الذى يؤلمه ما يؤلمك ويسره ما يسرك ويحوج نفسه لحورك ويتعري لعريك ويسكابد ما نزل بك أكثر
من مكابدة ما نزل به ، وأنت ترى فقده في هذا الزمان ، وأما الذى كالدهاء فلا شك أنك إذا خالطت
كثيرا من الناس في هذا الزمان أو عاشرتهم بملاسة ما تجد من كثير منهم إلا الإذابة البالغة أما في دينك
أو دنياك أو عرضك وهذا هو الداء الذى لا شك فيه ، وأما الذى كالدفلى فلا شك أنك إذا تكلمت
مع أحد من أبناء الزمان في صلاح دينه في شيء ما قابلتك بانزعاج وخلق سيئ ، ويتسلط عليك ببذاءة
اللسان وينظرك عورات يظهرها أو حسنات يرددها سيئات ولهذا فيه من المرارة بحيث المنتهى كما هي
الدفلى إذا تناولت منها شيئا وقد يفضى ذلك إلى العدم إذ قيل إنها سم ، فيتعين عليك أن تفر من هذه
صفته اه (يخ) انظره ولصاحب لامية العجم رحمه الله :

أعدى عدوك أدنى من وثقت به فحاذر الناس وأصحبهم على دخل
وحسن ظنك بالأهامل معجزة فظن شرا وكن منها على وجل
فلنما رجل الدنيا وواحداه من لا يعول في الدنيا على رجل
غاض الوفاء وفاض الغدر وانفجرت مسافة الخلف بين القول والعمل

انظرها فلنما كلها غرر ودرر ، ورحم الله من قال :

ألا إن إخواني الذين عهدتهم أفاعى رمال لا تقصر في السع
ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم نزلت بواد منهم غير ذى زرع
ومن قال : ما في زمانك هذا من تصاحبه ولا خليل إذا خان الزمان وفي
فمش فريدا ولا تركن إلى أحد فقد نصحتك نصحا بالغا وكفى

والشافعي رضى الله عنه وعن جميع الأئمة الرضا الأبدى :

الناس داء دفين لادواء لهم
إن كنت منبسطا سموك مسخرة
وإن تخالطهم قالوا به طمع
وإن تعففت عن أموالهم كرما
لأنى تحيرت فى أمرى وأمرهم
شبه النعمة لا طير ولا جمل
تخير العقل منهم فهو مندهل
أو كنت منقبضا قالوا به ثقل
وإن تجانبهم قالوا به ملل
قالوا غنى وإن تسئلهم بخالوا
شبه النعمة لا طير ولا جمل

وله أيضا رضى الله عنه :

صن النفس واحملها على ما يزينها
ولا تولين الناس إلا تجملا
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد
ولا تخير فى ود امرئ متلون
وما أكثر الإخوان حين تعدهم
ولكنهم فى النائبات قليل
تعش سالما والقول فيك جميل
نبابك دهر أو جفاك تحليل
عسى نكبات الدهر عنك تزول
إذا الريح مالت مال حيث تميل
ولكنهم فى النائبات قليل

ورحم الله من قال :

لأنى لأفتح عيني حين أفتحها
ومن قال : لا أرى كثرة التصديق إلا
فاصرف الود عن كثير من النا
على كثير ولكن لا أرى أحدا
تعب القلب فى اقتضاء الحقوق
من فافا كل من ترى يصدوق

وفى [ثيق] أخذ علينا العهد أن ندور مع أهل زماننا وننخدع لهم كما ينخدعون لنا لكن صورة
لاحقية . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : من خدعنا انخدعنا له بمعنى أظهرنا له نظير
ما أظهره لنا . وفى صحف إبراهيم عليه السلام : وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه . وقد فسدت
الأحوال كما هو مشاهد وتغيرت المراسيم وتبدلت الأعمال بالأقوال وعم البلاء العاصى والطائع فلاحول
ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اه . ونقل أن ابن عمر رضى الله عنه كان إذا اشترى عبدا ورآه مقبلا على
طاعة الله أعتقه ، فلما علم منه ذلك صار كل عبد اشتراه يلزم المسجد والعبادة فإذا رآه على تلك الحالة
أعتقه فقبل له إنما يفعلون ذلك لتعتقهم ، فقال من خدعنا انخدعنا له اه . وفى الحديث « لى لم أؤمر أن
أثقب قلوب الناس » وفى آخر « هلا شفت قلبه » قال رحمه الله :

(وَخَالِطْ خُصُوصًا إِنْ أَرَدْتَ صَفَا الْحَبَا سَلَامَةً صَدْرٍ مَعَ عُلُومٍ سَنِيَةٍ)

(وخالط) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (خصوصا) ضد العموم وفى [حى] ويستحب
صحبة الراغبين فى الآخرة قال عليه الصلاة والسلام « أحيرا الساعات بمجالسة من يستحى منه » وقال
أحمد بن حنبل رحمه الله : ما أوقفى فى بلية إلا صحبة من لا أحتشمه . وقال لقمان لابنه : جالس العلماء
وزاحمهم بر كيتيك فإن القلوب لتحميا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر ، نظره . وفى [عف]
وإنما العزلة والوحدة محمد بالنسبة إلى أراذل الناس وأهل الشر ، فأما أهل العلم والصفاء والوفاء والأخلاق
الحميدة فيغتنم مقارنتهم والاستئناس بهم ، فإن الاستئناس بهم استئناس بالله تعالى كما أن محبتهم محبة الله ،
والجامع معهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع ، انظره . وفى [جه] ويدل على معنى سيدنا أبا الفيض

رضي الله عنه وعنا به آمين على الله بصحبة أهل الله الدالين على الله الجامعين عاياه الموصلين إليه ،
 ويذكر قوله تعالى - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - الآية - وحديث « المرء على
 دين خليله » ويقول : أصل كل خير الخلطة واللقمة كل ما دئت فثله تعمل وخالط من شئت فثله
 تفعل ، وشكوته يوما سوء حالي فقال لي : لا تسكمني الآن في شيء من ذلك وافعل ما أمرك به ،
 وأشار على بمجالسته رضي الله عنه ، فقلت له يا سيدي ما أفضل هل النوافل والأذكار وغير ذلك أم
 مجالسة الأشياخ ؟ فقال بل مجالسة الأشياخ أفضل لا يعاد لها شيء فجلوسك بين يدي ولي أفضل من
 الدنيا وما فيها لما ورد : « جلوسك بين يدي ولي قدر حلب شاة الخ » ولا شك أن مجالسته رضي الله عنه
 تزيح محروب للأمراض القلبية والعقل النفسية ، وكم تعرض لنا ولغيرنا أمراض معنوية وتتراكم على
 القلب ظلمات ردية فتتجلى بسبب مجالسته والحمد لله - حق حمده كما ينبغي للجلالة لا أحصى ثناء عليه ،
 ويقال النظر في التقى استقامة وفي الخصوص كرامة ، ومن رحمة الله بعبده وعنايته أن يسخر له قلب
 مخصوص من أهل ولايته ويقال كل الناس يحبون الخصوص والحكمة أن يحبك الخصوص ، ومن لم
 يلق صاحب بصيرة لم تفتح له بصيرة ، وليس شيخك من تجعل بينك وبينه عهدا بلسانك وتعتقد
 مشيخته بخنائك ، إنما شيخك من جالباك بقبابه وأخذ بمجامع لبك ونفعتك نظرت وأحاطت همة ،
 انظره . فيه : وإذا جالسه تداركتك لحاته وسرت فيك نفحاته وعلق بك طيبه الفائح ورأيت حسنه
 الواضح وعلمت أنه الخليل الصالح ونور النبوة فيه لائح ، لا يخيب أبدا جليسه ولا يقدم شيئا من
 الخيرات أنيسه كما قال فيه بعض مادحيه : هو من أناس لا يخيب جليسه . البيت ، يقدح النور في
 قلب من أبصره ويثبت محبه الله فيمن حضره وزج في الذكر من غشيه ويقذف في الجلد من أقيه ،
 رؤيته طب للقلوب وكلامه شفاء من العيوب مجلسه محاسن حلم ووقار وإجلال وإكبار ، لا يبتدئه
 أحد بالكلام غالبا ولو كان في ذلك صائب بل يفتحه هو إن أراد فيحصل به الهبة والمراد ، لا يكفر
 الحاضرون من الكلام لديه ، ولا يتسابقون فيما بينهم إليه بل دأبهم الإنصات والتدب إلا من توجه له
 منه الخطاب والطلب ، انظره .

بأي الجواب فلا يراجع هبة والسائلون نواكس الأذقان
 أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو لمطاع وليس ذا سلطان

(إن أردت صفاء) قصره لوزن الصفاء والصفو نقيض الكدر (الحجا) بالكسر والقصر العقل
 والفتنة . وفي [جه] وإذا سمع كلامه أحد خصوصا من فيه قابلية القبول تحول في الحين قلبه وطاربه
 إلى الله له يأتيه الإنسان في كرب وأحزان وجحود وكفران وضلال وطغيان وذنس وأدران فيعود
 حزنه سرورا وججوده شكورا وبعدة حضورا وذنس ظهورا وظلامه نورا ، فتتقارب به في القلوب
 حقائق الأعيان وتنطرب به القلوب والأحيان ، وتجهه بتكلم مع الرجل كلا ما عاديا وهو يفعل في قلبه
 الأفاعيل ويرحل به إلى الله المراحل ، انظره . وفيه : ويحضره الحاضرون ما بين متوجه وغافل
 وذنوب وغيره فيعمل في الجميع حاله ويؤثر فيهم مقالته ويعمهم الفرح ويحول عنهم الترح حتى يظن
 أحدهم أنه لا يبالي بالدنيا أبدا ولا يلتفت إليها بعد سرمد لما يلوح عليه حينئذ من اليقين بالله والفرح
 بأنعم الله ، انظره . وخالفهم أيضا إن أردت (سلامة صدر) من الأحقاد والأضغان والأغيار والأكدار
 فهم أطية القلوب وأدوية العيوب بلذن علام الغيوب سبحانه وتعالى (مع) يسكون العين أي مع استفادة

(علوم) منهم نافعة (سنية) نيرة ورفيعة ، ورحم الله من قال :

فَلله قَوْمٌ كُلُّهُمْ جُئْتُ زَائِرًا وَجَدْتُ قُلُوبَهَا كُلُّهَا مِلْتَتْ حِلْمًا

إِذَا نَطَقُوا جَاءُوا بِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَبَزَادَ بَعْضُ الْقَوْمِ مِنْ بَعْضِهِمْ حِلْمًا

وفي [مع] مخالطة العوام تذهب بنور القلب وهيبة الوجه ومن مات على مخالطة العموم جاء يوم القيامة كالقمر المكسوف لانور له ، فليجتهد العاقل على مخالطة الخصوص وفي مخالطة الخصوص ثلاث خصال : اكتساب العلم ، وصفاء القلب ، وسلامة الصدر . وقال بعضهم : إن الوسواس يأق الشخص من جلساء السوء . وقال : ما أفلح من أفلح إلا بمجالسة من أفلح ، ولا هلك من هلك إلا بمجالسة من هلك انتهى . وفي الحديث « إن لله عبادا من نظروا إليه نظرة سعد معادة لا يشقى بعدها أبدا » اهـ .

[قلت] وكيف لا يسعد شخص تعلق بقوم جعلهم الله نواب أنبيائه ورسله ، وبهم أقام أمر العباد وبهم يرزق كل مرزوق ، وبهم يصرف البلاء والعذاب عن الخلق ، انظره . قال رحمه الله :

(وَدَعْ خُلُطَةَ الْعَوَامِ تَذْهَبُ بِهَا وَهَيْبَةُ وَجْهِ وَفِي أَقْبَحِ عِلَّةِ)

(ودع) اترك عنك (خلطة) وصحبة (العوام) ضد الخواص . وعن الغزالي رضى الله عنه : ولا تجالس العامة فإن فعلت فأدبه ترك الخواص في حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء أفعالهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم اهـ : أى والتنبيه على منكرهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم وإلا فالإعراض عنهم أولى : قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وفي [عف] ومن أدبهم ترك صحبة من هم شئ من فضول الدنيا قال الله تعالى - فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - انظره . وفي [جه] فإذا جلس مع الناس كان الغالب عليه التغافل عن أحوالهم ، يؤدب بذلك كل من حضر لديه ولا يحب الإكثار من ملاقات الناس ولا الخوض معهم على ما هم فيه ، انظره . ورحم الله من قال :

عش خامل الذكر بين الناس وأرض به فذاك أسلم في الدنيا وفي الدين
من عاشر الناس لم تعلم ديانته ولم يزل بين تحريك وتسكين

(تذهب) خلطتهم وصحبته (بالها) قصره للوزن الحسن والجمال (وهيبة وجه) وهى الخفاة والتقية (وهى) يسكون الهاء أى خلطة العوام (أقبح علة) بالكسر المرض ، وفي الحديث « اجتنبوا مجالس العشيرة » أى المتعاشرين المكثرين للكلام في غير ذكر الله وما والاها : أى لما فيها من كثرة اللهو واللغو وإضاعة الأوقات والواجبات واقتراف السيئات والملهيات وبجاءرون بالمعاصي والفواحش ويتفخرون بذلك كل الافتخار ، نعوذ بالله من حال أهل النار آمين . وقيل : مخالطة الأشرار تورث سوء الظن بالآبرار . وعن بعضهم : لاتصاحب الأشرار فإن ذلك يحرمك صحبة الأخيار وعن الأوزاعي رحمه الله : التصاحب للصاحب كالرقعة للثوب إن لم تكن مثله شأنته انتهى . ورحم الله من قال :

كن عن مجالس الفسوق بعدا ولا تصاحب فاسقا فتردى

وفي [هب] التاسع : أى مما يوجب الانقطاع عن الله تعالى مخالطة المحجوبين كدوى الرياضات فإن في ذات العبد المؤمن خبطا من نور يخرج من ثقبه من ذاته يتصل ذلك النور بعطية الحق سبحانه وتعالى يزيد بمخالطة أوليائه تعالى ويقل بعدمها . ويخاف عليه من الانقطاع أصلا وانسداد للثقب بمخالطة أرباب

الرياسات فلأنهم برياساتهم وأموالهم وجاههم يستولون على ذاته فيكون تحت أسرهم وفي حكم قبضتهم ، فلا يزال يصفي إليهم بقلبه وقالبه ويبقى على ذلك المدة الطويلة ولا يقع سبحانه في فكره ولا في خاطره ، فلا يزال كذلك مستقر صلا في أغراضه وانقطاعه حتى تنسد الثقبة أصلا والعياذ بالله ، وهذه آفة حاصلة من ذوى الرياسات نسأل الله السلامة انتهى . وفيه : وسمعت الشيخ رضى الله عنه يقول : إن الرجل إذا كان فيه عرق الولاية وأقامه الله مع أهل المخالفة وبقي معهم مدة فإنه إذا مربه ولى من الأولياء وهو مع أولئك القوم فإن عرق الولاية الذى فيه يحيا بإذن الله ويقع لصاحبه انشراح وفرح وانطلاق صدر هذا بمجرد مرور الولى عليهم وإن كان صاحب العرق لا يعرفه ولا تكلم معه الولى ولا جرى بينهما حديث ، أما إذا جرت بينهما معايشة وحصلت بينهما معرفة فلا تسأل من حياة العرق الذى فيه وزيادة الخير فيه في كل لحظة ، وإذا كان في الرجل عرق الشر الذى فيه كالسرقة مثلا وأقامه الله مع أهل الولاية والعرفان وصار يخدعهم ويخالطهم مدة فإذا مر بأولئك الجماعة سارق مثلا فإن الرجل الذى فيه عرق السرقة يحيا وينشرح صدره للشر الذى فيه وتقوم قيامته بمجرد مرور السارق عليه من غير معرفة منه ولا مخالطة له ، أما إذا حصلت المعرفة بينهما فلم شره يتم والعياذ بالله وكل ميسر لما خلق له .

[قالت] : وهذا باب واسع وطريق نافع يعرفه من مارس تعليم الناس العلم أو نحوه ، فإنه إذا عرض عليه هذا الكلام في القابلية وجده كأنه نسخة منقولة مما جرى عليه في زمان التعلم ومعاناته ، انظره . ثم قال : فإن كنت كيسا فطنا حاذقا ليبيًا فاجعل هذا الكلام نصب عينيك فإنك تطرح به عن نفسك أحوالا كثيرة في معايشة أصناف الناس على اختلاف طبائعهم والله الموفق اهـ وفي المجالس السنية على الأربعين النووية [نكتة] : قال الإمامون رحمه في بعض مؤلفاته : في الحديث « إذا أراد الله بالعبد خيرا ساق إليه من يذكره إذا غفل » ، وإذا أراد به شرا ساق إليه جليس سوء ينهيه عن الأخذ بالموعظة ولما تولى هارون الرشيد جلس للناس مجلسا عاما فدخل عليه بهلول ^(١) الخنون فقال له يا أمير المؤمنين احذر جلساء السوء واعتمد جلسا صالحا يذكرك بمصالح تخلفه إذا غفلت والنار فيهم إذا هوت فإن هذا أنفع لك وللناس ، وأكثر في الأجر مما تأتي به من صوم وصلاة وقراءة وحج ، إن الرجل كان يلقى الكلمة عند ذى السلطان فيعمل بها فيملأ الأرض قسدا ، وقال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالا فيهوى بها في النار سبعين خريفاً ولا تكن يا أمير المؤمنين كن قال الله تعالى في حقه - وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم وليئس المهاد - فقال له : زدني ، فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قد أفاد لك الناس وجعل أمرك فيهم مطاعا وكلمتك فيهم نافذة وأمرك فيهم ماضيا ، وما ذلك إلا لتحملهم على الإتيان بما أمر الله به والانتفاء عما نهى الله عنه ، وتعطى من هذا المال الأرملة واليتيم والشيخ الكبير وابن السبيل ، يا أمير المؤمنين أخبرني فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد أحضر الملوك وغيرهم من ولادة أمور الناس فيقول لهم ألم أمكنكم من بلادى وأطع لكم عبادى لا لجمع الأموال وحشد الرجال بل لتجمعوهم على طاعنى وتنفذوا فيهم أمرى ونهى وتغزوا أوليائى وتذلوا أعدائى وتصرخوا المظلومين من الظالمين » يا هارون تفكر كيف يكون جوابك عما تسأل عنه من أمر العباد في ذلك الموقف إذا حضرت وبداك معاولتان إلى عنقك وجهنم بين يديك والزبانية مبطنة بك تنتظر ما يؤمر بك ، فبكى هارون بكاء شديدا ،

فقال له بعض الحاضرين : كدرت على أمير المؤمنين مجلسه ، فقال لهم هارون قلت لكم إن المغرور من غررتموه والسعيد من بعدتم عنه ، ثم خرج من عنده ، فانظر يا أخى إلى هذه التصبحة ما أعظمها اه : قال تعالى - والكن لاتبون الناصحين - وفى [غ] فائدة ذكر الشيخ زروق رضى الله عنه أن من كان له قرناء سوء خرج عنهم وأراد أن لا يرجع إليهم فليشخصهم وليصل عليهم صلاة الجنائز آخذاً من تكبيره صلى الله عليه وسلم أربعاً على قوم لم يغزوا معه اه . وقد جرب ذلك فصيح . قال رحمه الله :

(مخالطة الأخيار ركن مؤسس وأصل كبير فى انتفاع الطبيعة)
فمن غيرها تفنى ولم يبق غيرُها فداو بما قالت أساة الطريقة)

(مخالطة) ومصاحبة (الأخيار) جمع خير كفلس . وفى [س] الخير الكثير الخير كخير ككبس جمعه أخيار وأخيار اه . وفى [جص] « خيركم من ذكركم بالله رؤيته وزاد فى علمكم منطقته ورضيكم فى الآخرة عمله » . وفيه « خير الأصحاب صاحب إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكرك » . وفيه « ألا أخبركم بخياركم الذين إذا دعوا ذكر الله أى إذا رآهم الناس ذكروا الله لما شاهدوه من حسن السمات ونور الصلاح ، وذكر فى [جه] إن هذا الحديث لا يصدق إلا فى طائفة وهم مفاتيح الكنوز لامن هدام حتى انقلب اه . وفيه « ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس : إن من خير الناس رجلاً عمل فى سبيل الله عز وجل على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتية الموت ، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله لا يرعوى إلى شيء منه وفيه « خيار أمتى الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، وشرار أمتى الذين ولدوا وفى النعم وغدوا به وإنما نهتهم ^(١) ألوان الطعام والثياب وهم شديقون فى الكلام » ، وفيه « خير المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده » وفيه « خير الناس أقرؤهم وأفقههم فى دين الله وأتقاهم لله وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم » . وروى أبو هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على ناس جلوس فقال ، ألا أخبركم بخيركم من شركم فسكتوا ، فقال ذلك ثلاثاً ، فقال رجل بلى يا رسول الله أخبرنا بخيرنا من شرنا ؟ فقال خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره » اه (ركن) بالضم الجانب الأقوى (مؤسس) من أسس الدار بين حدودها ورفع أواعدها وبنائها أصلها (وأصل كبير) عظيم (فى انتفاع) واقتباس (الطبيعة) وعن الشافعى رضى الله عنه : لولا صحبة الأخيار ومناجاة الحق بالأسفار ما أحبيت البقاء بهذه الدار . وعن الشاذلى رضى الله عنه : عليك بصحبة الفقراء فإنه لو لم يكن إلا أخذهم بيدك يوم القيامة مع ما يحملون عن أصحابهم فى دار الدنيا من المصائب لكان فى ذلك كفاية اه . ورحم الله من قال :

أصحب خيار الناس حيث لقيتهم خير الصحابة من يكون عفيفاً
والناس مثل دراهم ^(١) ميزتها فوجدت فيهم فضة وزهواً

ومن قال :

مخالطة السفه فساد رأى ومن عقل مخالطة الحكيم
فلأنك والقربين معاً سواء كما قد الأديم على الأديم

(١) نهتهم بفتح نيم كقصبة . الحاجة والحرس على الطعام اه .

(٢) (قوله دراهم) بتووين للضرورة اه .

ومن قال :

فصاحب خيار الناس تنج من الردى ولا تصحب الأشرار يوما فتندما
وفي الحكم : لا تصحب من لا ينهضك ^(١) حاله ولا يدلك على الله مقاله ، ربما كنت مسيئا فأراك
الإحسان منك مصيبتك إلى من هو أسوأ حالا منك . وفي شرحه للشمس نوبى رحمه الله : فصحة الأخيار
أصل كبير فى طريق القوم ، وأما صحة الأشرار ففيها كبير اللوم لما فيها من عظيم الآفات الموجهة إلى
رجوع القهقري والانهطاط عن على الدرجات اه . وفي [جص] « مثل الجليس الصالح والجليس
السوء كمثل صاحب المسك وكبير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه ، وكبير
الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة » وفيه « مثل الجليس الصالح كمثل العطار إن لم
يعطك من عطره أصابك من ريحه » ورحم الله من قال :

عليك بأهل الخير إن شئت صحة فى صحة الأخيار تلقى الفوائد
فمن جالس العطار طاب بطيبه ومن جالس الحداد لاقى السوائد

ومن قال :

ما عادة المرء اللبيب لنفسه والمرء يصاحبه الجليس الصالح
فينبغي للأخ الصادق والخبير الوامق الضنين بدينه وعرضه المشفق على نفسه أن يجتنب من يتأذى
بمجالسته فى الدين والدنيا وأن يرغب فىمن ينفع بمجالسته فيهما ، فالصالح إن لم تنتفع بأقواله انتفعت
بأحواله وأفعاله والنظر إليه فإن النظر إليه يورث السرور فى القلب كالتنظر إلى الماء الحار والخرصة
والجمال ، بل هو أقوى من ذلك كله . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن نختار للمجالسة الجليس الصالح وهو الذى لا يلحقنا إثم بمجالسته ، وذلك إما بالتوبة فإذا وقع
أحدنا بسببه فى ذنب تاب على الفور من غير إصرار ، وإما بعدم وقوعنا فى الإثم بسببه أصلا ، وبحسب
من يريد العمل بهذا العهد إلى سياسة وفراصة ليعرف من يستحق المجالسة ممن لا يستحق ، ومن لاسياسة
عنده يقبل على مجالسة كل من يراه ثم بعد ذلك يقطع مجالسته فيصير عدوا له . وقد قالوا العاقل من
يقدم التجريب قبل التقريب ، والله إن الإثم الذى يقع فيه من يعتزل الناس اليوم يكفيه ويغنيه عن
زيادة الأوزار التى يكتسبها من مجالسة الناس فلا يكاد الإنسان يجد مجلسا واحدا لا يخلو من الإثم أبدا ،
إما غيبة وإما نسيمة وإما غفلة عن الله تعالى وإما تحريض على طلب دنيا وإما غير ذلك فالوحدة خير
من مجالسة الناس اليوم ، إلا أن تتعين المجالسة عليه بطريقة الشرع . ففتش بأخى على الصالحين وجالسهم
وإن لم تجدهم فاجلس وحدك ، فقد قالوا الوحدة ولا القرن سوء ، وقالوا الجلوس مع الكاب أولى
من الجلوس مع من يحملك على الآثام . واعلم يا أخى أن كل من حصل لك بواسطة مجالسته إثم فهو
جليس سوء ، فهل سلم لك على هذا جليس واحد ؟ لا والله لا تكاد تجده ، فالوحدة أولى والسلام اه ؛
وفى [صف] فليتنفقد الإنسان نفسه عند الميل إلى صحبة شخص وينظر ما الذى يميل به إلى صحبته ويزن
أحوال من يميل إليه بميزان الشرع فإن رأى أحواله مسددة فليشر نفسه بحسن الحال . فقد جعل الله
تعالى مرآته مجلوة ، بلوح فى مرآة أخيه جمال حسن الحال ، وإن رأى أفعاله غير مسددة فيرجع إلى نفسه
باللائمة والانتقام فقد لاح له فى مرآة أخيه سوء حاله فبالخبر أن يفر منه كفراره من الأسد ، فإنهما إذا

(١) (قوله ينهضك) بضم تحتية وكسر هاء من أنهضه أقامه بسرعة وشدة اه .

اصطحبها ازدادا ظلمة واعوجاجا ، انظره . ثم قال : وقد يفسد المرید الصادق بأهل الإصلاح أكثر مما يفسد بأهل الفساد ووجه ذلك أن أهل الفساد علم فساد طريقهم فأخذ حذرهم وأهل الإصلاح غره صلاحهم فقال إليهم بجنسية الصلاحية ، ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية حالت بينهم وبين حقيقة الصحبة لله فاكتمسب من طريقهم الفتور في الطلب والتخلف عن بلوغ الأرب ، فليتنبه الصادق لهذه الدقيقة ويأخذ من الصحبة أصنى الأقسام ويدور منها ما يسد في وجهه المرام . قال بعضهم : هل رأيت شراً قط إلا آمن تعرف ، ولهذا المعنى أنكر طائفة من السلف الصحبة ورأوا الفضيلة في العزلة والوحدة كإبراهيم بن أدهم وداود الطائي وفضيل بن عياض وسليمان الخواص . وحكى عنه أنه قبل له جاء إبراهيم بن أدهم أما تلقاه ؟ قال لأن أتى سبعا ضاريا أحب إلى من أن أتى إبراهيم بن أدهم : قال لأنى إذا رأيت أحسن له كلامى وأظهر نفسى بإظهار أحسن أحوالها وفى ذلك الفتنه ، وهذا كلام عالم بنفسه وأخلاقها وهذا واقع بين المتصاحبين إلا من عصمه الله ، انظره (فعن غيرها تغنى) أى فبسبب ذلك كانت مخالطة الأخيار تغنى عن غيرها من الخصال الحميدة المرغب فيها لأن المرأ على دين خليله والمرأ مع من أحب ومن أكثر سواد قوم فهو منهم (ولم يغن) بحذف الياء للجازم عن مخالطتهم (غيرها) من الأوصاف الحميلة وفى [عف] أن أبا بكر التلمسانى يقول : اصحبوا مع الله فإن لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم بركة صحبتهم إلى صحبة الله ، انظره . وفى [غ] وفى مختصر الأحياء بعد كلام فى الصحبة ما نصه : فاصحب الأخيار ، وإن لم تكن منهم فأنت معهم اه . يريد اصحبهم بالحببة والتسليم لتكون معهم وإن لم تكن منهم فإن المرامع من أحب . وبالمخلة فى مخالطة الأخيار مع التسليم والحببة خير كثير بل المخالطة أصل كبير فى الانتفاع ، ولذا قالوا إنها أغنى المخالطة تغنى عن غيرها ولا يغنى غيرها عنها اه . وقد قيل ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح ولا فسد من فسد إلا بصحبة من فسد ، ولذا قيل :

اختر لنفسك الذى أطاعا إن الطباع تسرق الطباعا

(فداو) من داواه عاجله (بما قالت) ووصفت لك (أساة) بضم الهمزة جمع آس كقاض وقضاة ويجمع على إساء بكسرهما كراع ورعاء والآسى الطبيب الماهر بالدواء (الطريقة) الصوفية إذ هم أطبة القلوب من الأغراض والذنوب وأدوية العيوب بإذن علام الغيوب رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عابدين مأواهم آمين . قال رحمه الله :

(ففى خلطة الجدوى أنانا المحصارها فليست بسبعة ولا بلويحة)

(ففى خلطة الجدوى) جمع أجذم من به جذام حسى أو معنوى وهو عاة تحدث من انتشار السوداء فى البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء وهيئتها وربما انتهى إلى نأكل الأعضاء وسقوطها عن تفرح . وفى [جص] « اتقوا صاحب الجذام كما يتق السبع إذا هبط واديا فاهبطوا غيره » اه ولا ينافى هذا الحديث حديث « لا عدوى » لأنه خطاب لمن قوى يقينه وهذا لمن ضعف يقينه ، وقيل لا عدوى أى بطبع المرض فمن اعتقد أن المؤثر هو الله تعالى وتباعد فقد عمل بالحديثين وهذا هو الأليق بمن ضعف يقينه كأمثالنا والله أعلم . والمراد بالجدوى فى البيت عامة المؤمنين فى مخالطتهم خير الدنيا والآخرة لمن طهر الله نفسه من الأدناس وبلغ مبلغ الإرشاد والهداية وقدر على الإحسان إليهم واحتمل الأذى منهم قال تعالى - لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة - الآية ، وفى [عف] وقد رغب جمع من السلف فى الصحبة

والأخوة في الله ورأوا أن الله تعالى من على أهل الإيمان حيث جعلهم إخوانا فقال سبحانه وتعالى - واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخوانا - وقال تعالى - هو الذي أبدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - وقد اختار الصلابة والأخوة في الله سعيد بن المسيب وعبد الله بن المبارك وغيرهما انظره . وفيه : وقيل لو تحاب الناس وتعاطوا أسباب المحبة لا استغنوا بها عن العدالة . وقيل العدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة . وقيل طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة فإن طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج . ولهذا المعنى كانت صحة الصوفية مؤثرة من البعض في البعض لأنهم لما تحابوا في الله تواصلوا بحسن الأخلاق ووقع القبول بينهم لوجود المحبة فانتفع لذلك المرید بالشيخ والأخ بالأخ ولهذا المعنى أمر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد أهل كل درب وكل محلة وفي الجامع في الأسبوع مرة أهل كل بلد ، وانضمام أهل السواد إلى البلدان في الأعياد في جميع السنة مرتين وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة في العمر مرة للحج ، كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيده الألفة والمودة بين المؤمنين ، وقال عليه الصلاة والسلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » انظره (أنا) عن الثقات الأثبات انحصارها : أي الطريقة الصوفية (فليست بسبعة) أي بمجرد اتخاذ السبعة (ولا بلويحة) تصغير لوحة وهي كل صحيفة هريضة خشبا أو عظما . وفي [غ] وقد ذكر عن العارف بالله تعالى سيدي عبد الرحمن بن محمد القاسمي رضي الله عنه أنه قال لرجل من أصحاب بعض الأولياء من أهل عصره وقدرآه لا يخالف الفقراء : ماذا بأمركم به شيخكم ؟ فقال بالسبيحة واللويحة ، فقال رضي الله عنه : ليست هذه الطريقة بالسبيحة واللويحة ، وإنما هي بالمخالطة ، خالط الجدي تجلجده . قال رحمه الله :

(لقاء ذوى صدقٍ لقاء لباطنٍ وقد يشتقى العليلُ منهمُ بنظرة)

(لقاء) بكسر اللام إخوة (ذوى صدق) أي الصادقين في الأخوة والصلابة في الله . وفي [ع] وفي تمسك المرید بالصدق والإخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا يحقق صدقه وإخلاصه شيء مثل متابعة أمر الشرع وقطع النظر عن الخلق فكل الآفات التي دخلت على أهل الهدايات لموضع نظرهم إلى الخلق ، وبلغنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يكمل إيمان المرء حتى يكون الناس عنده كالأباعر » ثم يرجع إلى نفسه فيراها أصغر صاغر « إشارة إلى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التقيد بعاداتهم : قال أحمد بن حنبل : من أحب أن يكون الله تعالى معه على كل حال فليلزم الصدق فإن الله تعالى مع الصادقين . وورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصدق يهدي إلى البر » انظره : ثم قال : ومن تمسك بالصدق فقد تمسك بالعروة الوثقى . قال ذو النون : لله تعالى في أرضه سيف ما وضع على شيء إلا قطعته وهو : الصدق ، انظره (لقاء) بفتح اللام كسحاب ما تلقح به النخلة وطلع الفحل (لباطن) أي ولطاهر (وقد يشتقى) الأخ الصادق والحبيب الوامق (العليل) بعلل حسية أو معنوية (منهم) أي من الإخوان الصادقين (بنظرة) أي بمجرد نظرة منهم إليه أو منه إليهم إذ هم ترباق الله في أرضه ، اللهم اشف عللنا الحسية والمعنوية بنظرة منك يا أرحم الراحمين ، وبنظرة من نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وبنظرة من سيدنا أبي الفيض

أحمد بن محمد التجاني رضى الله عنه وعنايه آمين ، وبنظرة من خلفائه ونوابه رضى الله عنهم وعنايتهم آمين . وفي [ع ف] والصحبة مع الأخيار مؤثرة جدا . وقد قيل اقراء الإخوان لقاح . ولاشك أن البواطن تتلحق ويتقوى البعض ببعض بل بمجرد النظر إلى أهل الصلاح يؤثر صلاحا والنظر في الصور يؤثر أخلاقا مناسبة للمنظور إليه كدوام النظر إلى المهزون يحزن ودوام النظر إلى المسرور يسر . وقد قيل من لا ينفعلك لحظه لا ينفعلك لفظه ، والجمل الشرود بصير ذلولا بمقارنة الجمل الذلول ، فالمقارنة لها تأثير في الحيوان والنبات والجماد ، والماء والهواء بفسدان بمقارنة الخيف ، والزرع تنقى عن أنواع العروق في الأرض والنبات لموضع الإفساد بالمقارنة ، وإذا كانت المقارنة مؤثرة في هذه الأشياء ففي النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيرا وسمى الإنسان إنسانا لأنه يأنس بما يراه من خير وشر ، والتألف والتودد مستحب للمزيد ، نظره : وللقطب الرباني مولاي عبد القادر الجيلاني رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلا عيلين مأواه :

إذا نظرت عيني وجوه أحبي	فذلك صلاة في ليالي الرغائب
وجوه إذا ما أسفرت عن جمالها	أضاءت لها الأكوان من كل جانب
حرمت الرضا إن لم أكن هاذلا دمي	أزاحم شجعان الوغى بالمناكب
أشقى صفوف العارفين بعزمة	تعدى بمجدي فوق تلك المراتب
ومن لم يوف الحب ما يستحقه	فذلك الذي لم يأت قط بواجب

ولبعضهم رحمه الله في صلاة الرغائب :

صل الرغائب عشرا واثنين وكن	في كل ركعة تقرأ الحمد منفردا
والقدر معها ثلاثا مثل ما ذكروا	واقرا اثنين وعشرا معهما الصمدا
وصل من بعد إكمال الصلاة على النبي	سبعين واسجد مثل من سجدا
وفيه سبح وقدر مثلها وإذا	رفعت قل رب سبعين احصها عددا
واسجد لربك واخلص السجود وسل	تعط فن جد في إخلاصه وجدا

وذكر في [ج ه] أن التعلق بأهل الله واللياذ بجنايتهم والانبياش إليهم والوقوف بأبوابهم تعلق بجنايب الله الكريم ووقوف ببابه العظيم وتعرض لرحمته العميمة ونعمته الجسيمة ، وفي حديث الطبراني « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها لعله أن تصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا » فإيا فوز الذين نهضوا إليها وتعرضوا لها فاستمدوا من تلك النفحة مددا ، وإذا كان عقد ذكرهم كما في الأثر الموقوف والخبر المعروف تنزل الرحمت وتتم عواطر النسيات فما بالك بنشر محاسنهم ومفاخرهم وتعداد مناقبهم ومآثرهم وذكر سيرهم النبوية وأخلاقهم المصطفوية التي هي هدى ونور وشفاء لما في الصدور ودواء للقلوب وجلاء للسكراب وفتح للبصائر ونفع للسرائر وهدى للسالك والسائر يطرب السامع حديثها ويحث الأشواق إلى حضرتهم حيثما ومما كانت الدواوين والدفاتر ولا فاهت الأفواه والخابر بعد شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيره وشيمه انظاهرة وأثره بأفضل من أخبارهم ومكارمهم ومآثرهم إذ هم أمهات الصعبة المعنوية ومعجزته الباقية السرمدية والله در القائل :

ياسادني يا أفضل السادات	لأزين بذكرهم أوقاتي
ياخير محب محمد من بعده	يا أفضل الأحياء والأموات

ونحن وإن لم تكن من الأتباع ولا من الأشباع حقيقة فحول نفحاتهم نحوهم ولشيء من بركاتهم نروم :
خذ مادني إن فاتك الأجل إن لم يصيبها وابل فطل
وجدير لمن ردد أخبارهم واستمع آثارهم وأكثر حديثهم وأحب قديمهم وحديثهم أن يدخل ديارهم
وينال برهم ، أو يعلق منها بفائدة تكون منفعتها عليه عائدة وفي معنى ذلك قيل :
حدث السمع بالمحاسن منهم فالحديث لنا نديم النفوس
فلذا ما سقيت منها بكأس زال عنك من العنا كل يوم
جعلنا الله من أحبهم واتبع طريقهم وحزبهم ورزقنا التلذذ بنجرهم واستحسان سيرهم وأثرهم
آمين ، أنظره . قال رحمه الله :

(وكل ما تشاء ففعله صلح تفعل أساس التقي في لقمة وبخلطة)

(وكل) أيها الأخ الصادق والحبيب الوافي (ماتشا) قصره للوزن : أي من الحلال الطيب أو من
الحرام الخبيث . قال الله تعالى - والبلد الطيب - الآية ، وقال - اعملوا ما شئتم إنه بما تعلمون بصير -
(ففعله) ونظيره خبثا وطيبا (صلح) أي بإصاحبي (تفعل) وعن أبي هريرة رضي الله عنه : المعدة
حوض البدن والعروق إليها وإفا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة وإذا سقمت صدرت
بالسقم ومثل اللقمة من الدين مثل الأساس من البنيان فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البنيان وارتفع
وإذا ضعف الأساس واعوج انهار البنيان ووقع . قال الله عز وجل - أفمن أسس بنيانه على تقوى من
الله ورضوان خير - الآية ، وعن سهل : من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى ، علم أولم يعلم ،
ومن كانت طعمته حلالا أطاعته جوارحه ووفقت للخيرات ، أنظر [حى] . وفي [ثيق] وقد كان
سفیان الثوري رحمه الله يقول : أكل الحرام يضر ، ولو لم يعلم به آكله كما أن السم يضر ولو لم يدرك آكله ،
فأعلم ذلك اه . وعن بعضهم : الطعام يذر الأفعال إن دخل حلالا خرج حلالا ، وإن دخل حراما
خرج حراما ، وإن دخل شبهة خرج شبهة . وقال بعضهم : استسقيت جنديا فسقاني شربة فصارت قسوتها
في قلبي أربعين صباحا . وقيل لإبراهيم بن أدهم ، ألا تشرب من ماء زمزم ؟ فقال لو كان لي دلو لشربت .
إشارة إلى أن الدلو من مال السلطان ، فكان شبهة . وقال زيد بن ثابت : لا شيء أسهل من الورع إذا رابك
شيء فدعه وهذا سهل على من سهل الله عليه صعب على كثير من الناس أثقل من الجبال اه :

قلت : نقد صدق ونصح قال تعالى - ولا ينفمكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد
أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون - (أساس) كسحاب أصل كل شيء (التقي) منحصر ومنطوى في
(لقمة) بضم اللام وتفتح ما يهيا للتم والابتلاع (وبخلطة) وكان سيدنا أبو الفيض رضي الله عنه وعنايه
آمين يقول : أصل كل خير الخلطة واللقمة كل ما شئت ففعله تعمل وخائظ من شئت ففعله تفعل كما مر
عن [جه] . وفي [حى] إن بعض السوء دفع طعاما إلى بعض الأهدال فلم يأكل ، فسأله عن ذلك فقال :
نحن لانا كل إلا حلالا فلذلك نستقيم قلوبنا وبدوم حالنا ونكشف المسكوت ونشاهد الآخرة ، واو
! كلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شيء من علم البقن والذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا ، فقال
له الرجل إني أصوم الدهر وأتعمم القرآن في كل شهر ثلاثين مرة ، فقال له البذل : هذه الشربة التي رأيتني
شربتها من الليل أحب إلى من ثلاثين ختمة في ثلاثمائة ركعة من أعمالك ، وكانت شربته من لبن ظهية

وحشية وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نتعفف عن أطعمة الناس جهلنا فإن اللقمة تؤثر في كل آكل بحسب درجته ، فأثرها في المؤمنين أعمال مدمومة لم يكن لهم بها عادة ، وأثرها في الكاملين كثرة الخواطر التي لا منفعة فيها ، وأثرها فيمن هو أعلى من ذلك لا يعرفه إلا صاحب تلك الرتبة اه .

ولا يخفى عليك يا أخى إذا جرى عليك المقدور وأكلت مالا ينهى أكله مما للشرع عليه اعتراض فينبغى إلقاؤه بالحق كما وقع لأبي بكر الصديق رضي الله عنه والله غفور رحيم اه . وفي [غص] وسألته رضي الله عنه عن الأكل من أطعمة الناس الذين بيننا وبينهم صداقة ؟ فقال لا تأكل لأحد شيئا ولو صديقا إلا إذا علمت الحل في طعامه وعلى ذلك يحمل قوله تعالى - ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آباءكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم - الآية ، فيقيد هذا الإطلاق بالحل في طعامهم والله أعلم اه .

قلت : لقوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا - والقرآن بقيد بعضه بعضا وكذلك حديثه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفيها وسعته بقول « عليكم بإصلاح الطعمة ما استطعتم فإنها أساسكم التي يتم لكم بها دينكم وأعمالكم الصالحة فإن كنتم متجردين عن الأسباب فاقبوا كل ما أرسله الحق تعالى إليكم من غير سؤال ما عدى الذهب والفضة والثياب الفاخرة ، وإذا بلغ أحدكم مبلغ الرجال أطلعهم الله تعالى على موضع كل لقمة من أين جاءت وعلى من يستحق أكلها من الناس ، كالبناء لكل طوبة عنده مكان يضعها فيه اه . قال رحمه الله :

(فوائدٌ صَحْبِيَّةٌ كَفَعَتْ بِرُؤُوفٍ وَجَاهٍ وَعِلْمٍ وَاعْتِمَادٍ لِدَعْوَةٍ)

(فوائد صَحْبِيَّة) وهي عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة. وفي [نخل] عن أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله: الصَّحْبَةُ على وجوه فالصَّحْبَةُ مع الله تعالى باتِّباع أوامره واجتناب نواهيه ودوام ذكره وتلاوة كتابه والرضا بقضائه والصبر على بلائه والشفقة على خلقه، والصَّحْبَةُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتِّباع سننه واجتناب البدع وتعظيم أصحابه وأهل بيته وأزواجه وذريته ومجانبة مخالفته فيما دق وجل، والصَّحْبَةُ مع أولياء الله بالخدمة والاحترام لهم وتصديقهم فيما يخبرون به عن أنفسهم وعن مشايخهم والصَّحْبَةُ مع السُّلطان بالطاعة إلا أن يأمر بمعصية أو بمخالفة سنة فلا سمع ولا طاعة والدعاء له بظهر الغيب والنصيحة له في جميع أموره، والصَّحْبَةُ مع الوالدين ببرهما بالنفس والمال ونحوتهما في حياتهما والدعاء لهما في الحياة وبعد الممات وإكرام أصدقائهما، والصَّحْبَةُ مع الأهل والولد بالمداواة وحسن الخلق وسعة الصدر وتمام الشفقة وتعليم الكتاب والسنة والأدب وحملهم على الطاعات، والصَّحْبَةُ مع الإخوان بدوام البشر وبذل المعروف ونشر المحاسن وسر القبايح وتعهدهم بالنفس والمال ومجانبة الحقد والحسد والبغى والأذى وما يكرهون من جميع الوجوه وترك ما يعتذر منه ، والصَّحْبَةُ مع العلماء بملازمة إكرامهم وقبول قولهم والرجوع إليهم في المهمات والنوازل وتعظيم ما عظم الله من محملهم حيث جعلهم خلفاء نبيه صلى الله عليه وسلم ووارثيه، والصَّحْبَةُ مع الضيف بحسن البشر وطلاقة الوجه وطيب الحديث وإظهار السرور ورؤية فضله واعتقاد المنة له بحيث أكرمه بدخول منزله وتناول طعامه ، وقال بعضهم :

من دعانا فأبينا فله الفضل علينا
فإذا نحن أنينا رجع الفضل إلينا اه بخ

وفي [هـ] وقد قسموا الصحبة إلى ثلاثة أقسام : صحبة من هو أعلى وهي في الحقيقة خدمة له ، وصحبة من هو أدنى وهي تقضى على المتبوع بالشفقة والرحمة وعلى التابع بالوفاق والرحمة ، وصحبة الأكفاء والنظراء وهي مبنية على الإيثار والفتوة والتغاي أي التغافل عن زلات الصديق ، فإن ذلك من مقتضيات الأخوة على حد ما قيل :

ليس الغني بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغاي

وفي [حـ] ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية ، أما الدنيوية فكما لا تنتفع بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا وأما الدينية فيجتمع فيها أيضا أغراض مختلفة : إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ، ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد من العبادة ، ومنها الاستفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب القوت ، ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الأحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ، ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة ، انظره . وفي [ثـ] أخذ علينا العهود أن نخالص الصحبة لله تعالى عز وجل في حق كل من صحبناه من الخلق فإن من صحب أحدا لعله زالت صحبته بزوال تلك العلة ، ومقصود الفقراء في جميع أمورهم الدوام لا الانقطاع . وقد ذكرنا من العلل الخفية المنعولة من الجهلة صحبتنا لإنسان بقصد اثواب على ذلك في الآخرة أو أن يأخذ بيدنا هناك ونحو ذلك ، بل نقصد وجه الله تعالى بالصحبة كما قال تعالى - إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - وإن كان ولا بد من العمل فلتسكن العلل بحكم التبع لا بالقصد الأول كما أننا نعبد الله عز وجل امتثالاً لأمره لا خوفاً من ناره ولا شوقاً إلى جنته ، وأما صحبتنا لإنسان بقصد انتفاعه هو بذاته فيه رائحة دعوى رياسة عليه إلا إن كنا نرى نفوسنا دونه - انظره (كنفع بثروة) بفتح مثلية كثرة المال . وفي [جـ] من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه . وفي [غـ] وأما السعي في منافع الإخوان فهو من أخلاق الأولياء والصالحين ، وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه عن بعض رجال الطبقات أنه كان يقول : سعى الإخوان في الدنيا يكون لإخوانهم لا لأنفسهم اه . قال الشعراني رضي الله عنه : ولما حججت سنة كذا جعلت دعائي حول البيت وفي البيت وفي مواضع الإجابة كله لإخواني . قال : لأن الفتوة أن يقدم الإنسان حظ إخوانه ويؤخر حظ نفسه ليكون الحق تعالى في حاجته بالقضاء والتيسير ، والحمد لله رب العالمين اه . الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه . ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته اه . وفي [حـ] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى » وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الإخوان إنما تتم أخوتهما إذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد ، وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار والمواساة بالمال مع الأخوة على ثلاثة مراتب : أدناها أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فإذا سئحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيتها ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة . الثانية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركتك إياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرتك في المال . قال الحسن : كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه . الثالثة : وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك ، وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين . ثم قال :

ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة ينبغي أن لا تعامله في الدنيا . قال أبو حازم : إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دنيالك وإنما أراد من كان في هذه الرتبة . وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى المؤمنين بها في قوله - وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون - أي كانوا خاطاء في الأموال لا يميز أحدهم رحله عن بعض ، وكان منهم من لا يصحب من قال نعلي لأنه أضافه إلى نفسه . وجاء فتح الموصلي إلى منزل لأخ له وكان غائبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاهما فقال : إن صدقت فأنت حرة لوجه الله سرورا بما فعل ، انظره . ثم قال : وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يحس صاحب البيت ، فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا ، فدخل الحسن فقال يامويلك هكذا كان لا يحشتم بعضنا بعضا حتى ظهرت أنت وأصحابك ، وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال الله تعالى - أو صديقكم - وقال - أو ما ملكتكم منه - إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض التصرف كما يريد وكان يتخرج عن الأكل بحكم النقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية ، وأذن لهم في الانبساط في بيوت الإخوان والأصدقاء انظره . وفي [عف] ومن أدبهم أن لا يرون أنفسهم ملوكا يختصون به . قال إبراهيم بن شيبان : كنا لانصحب من يقول نعلي ، ثم قال أحمد بن القلانسي : دخلت على قوم من الفقراء يوما بالبصرة فأكرموني وبحافني ، فقلت يوما لبعضهم : أين إزارى ؟ فسقطت من أعينهم . وكان إبراهيم بن آدم إذا صحبه إنسان شارطه على ثلاثة أشياء : أن تكون الخدمة والأذان له وأن تكون يده في جميع ما يفتح الله عليهم من الدنيا كيداه ، فقال رجل من أصحابه أنا لأقدر على هذا ، فقال أعجبني صدقتك ، وكان إبراهيم بن آدم ينظر البساتين ويعمل في الحصاد وينفق على أصحابه . وكان من أخلاق السلف أن من احتاج إلى شيء من مال أخيه استعمله من غير مؤامرة قال الله تعالى - وأمرهم شورى بينهم - أي مشاع هم فيه سواء اه . وفيه : وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانبساط إليه في التصرف في شيء من طعامه فلا حرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه قال الله تعالى - أو صديقكم - قيل دخل قوم على سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأزوا السفرة وأكلوا ، فدخل سفيان ففرح ، وقال : ذكرتموني أخلاق السلف ، هكذا كانوا ، انظره . وفي [هب] وسمعت رضى الله عنه يقول : كان لبعض المريدين أخ في الله عز وجل فمات ذلك الأخ وبقي المريد فجعل إذا فتح الله عليه بشيء يقسمه بين أولاده وبين أولاد الأخ في الله ، وكان لهذا المريد أرض مع إخوانه فبيعت عليهم من جانب أخزن ظلما . فلما أخذوا ثمنها كان نصيب المريد منها أربعين مثقالا سكة زماننا ، فقال له إخوانه مات فعل بدراهمك ؟ فقال أقسمها بيني وبين أولاد أخي في الله ، فاستحقوقوه وقالوا مارأينا مثلك في نقصان العقل ، تسبب بدراهمك واشتر بها كذا راصنع بها كذا ، وارك عليك هذه الحمة التي أنت مشغل بها ، فأرادت نفسه أن تميل إلى قولهم فقال لها : يا نفسي ماتقولى لله عز وجل إذا وقفت بين يديه غدا حيث يقول لك رزقتك أربعين مثقالا فاستأثرت بها وضيعت حق الأخوة فالיום أضيعك كما ضيعتها ، فوفقه الله فقسم الدراهم بينه وبين أولاد أخيه ، فلما خرج من عندهم فتح الله عليه وأعطاءه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وجعله من العارفين لصديق نيته ولصدقة عزمه ونفوذ جزمه ، والله الموفق اه . وفي [عم] وقد أجمع

أهل للطريق على أن أقل مراتب الأخوة في الله تعالى : أن أخاه لو طلب نصف ماله أو ما بيده من ثياب وطعام وغير ذلك لأعطاه له بانشرح صدره . وقالوا كل من ادعا أنه أخوك فزنه بهذا الميزان ، انظره : ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

إني أقول من المحال وجود من تسخو سريره بنصف المال
إني بلوت فلا أرى من يسمح بالمشي من مال له بالبال
لكن ترى من قد يمن بقلعه وبكل ما يعطى من الأموال
من شك في ذا فليجرب هل يرى في الوقت من يعطيه للمتعال

(وجاء) أي وكنتفع بجاه وهو القدر والمنزلة . وفي [عف] ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للإخوان والمسلمين كافة ، فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعيوب النفس وآفاتنا وشهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين ببذل الجاه والمعاونة في إصلاح ذات البين ، وفي هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ، ولا يصلح ذلك إلا لصوفي تام الحال عليم رباني . وروى عن زيد بن أسلم أنه قال : كان نبي من الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس ، انظره . ثم قال سهل بن عبد الله : لا يستحق الإنسان الرياسة حتى تجتمع فيه ثلاث خصال : يصرف جهله عن الناس ، ويحتمل جهل الناس ، ويترك ما في أيديهم ويبذل ما في يده لهم وهذه الرياسة ليست عين الرياسة التي زهد فيها وتعين الزهد فيها لضرورة صدقه وسلوكه ، وإنما هذه رياسة أقامه الحق فيها لإصلاح خلقه ، فهو فيها بالله يقوم بواجب حقها وشكر نعمتها لله تعالى ، انظره . وفي [هم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نقبل هدية ممن شفّعنا فيه عند ظالم بل نردها عليه جزما ، فإن علمنا كسر خاطره بذلك قبلناها وفرقناها على محتاويج المسلمين ، ولا ندوق منها شيئا إن كانت طعاما ولا تلبسا إن كانت تلبس ولا نشمها إن كانت تشم ولا غير ذلك ، وهذا العهد قد كثرت خيانتته من طائفة الفقراء الذين يشفعون في الناس عند الأمراء أو الكشاف ومشايخ العرب وهو جهل وقلة دين ولا سيما هدية الفلاحين فإن تحتها ألف بلية وتأمل لولا شفاعتك ما أنك ذلك الفلاح بشيء وكم له سنة وهو يسمع بك فلا يعطيك شيئا ، ثم من أقبح ما يقع فيه الشافع الحب للدنيا أنه إذا استحل قبول الهدايا يصير يشفع لأجل ذلك ويعدم الإخلاص فيعدم الأجر في الآخرة من ثبوت الأقدام على الصراط ونحو ذلك مما ورد ، انظره . وروى أبو داود : من شفّع شفاعته لأحد فأهدى له هدية عليها فقبها فقد أتى بابا عظيما من الكبائر وفي البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال « اشفّعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء » انظره وأخبرني من أتى به أنه شفّع للممض عند بعض الولاة في دفع ما وظف عليه من الدراهم وأخذ بطاقة تبرئه من ذلك ، فرأى في ليلته كأن جلد بغل ميت وضع أمامه يقطع منه قطعا ويدفعها لذلك الوالي ، فلما انتبه استغفر الله تعالى وذهب من ذلك ، ولذا كتب رحمه الله ورضي عنه لمن استشفّع به من الإخوان في مسجون عند بعض الولاة جبر الله حالنا وحالمهم وغفر لنا ولهم آمين :

واعلم أخي يقينا غير منهم أن ليس جاه لغير الدرهم الحسن
وإن شككت فجرب صدق قول أخ قد جرب الأمر عند قادة الزمن

ولا ينبغي لعاقل فضلا عن فاضل أن يتصدر للشفاعات عند ذوى الولايات والرياسات فإنها من الرزايا والبلايا ، ولا تسلم عاقبة من أخذ تلك الرايات ونصب نفسه لتلك البليات - قل هل تلبسكم بالأخسرين أعمالا - الآية - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - (وعلم) أى وكنتفع بعلم إفادة واستفادة : وفي [حتى] فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال ، فإن كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا ، فإن علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة ، انظر د . وفي [جع] وليعمل بعضا من أوقاته فيما يجرى على يديه من النفع لعباد الله لا عموما بل خصوصا الأقرب فالأقرب من غير إفراط ولا تفريط ، وليكن شديد الاهتمام في حقوق إخوانه في طريقته التي لا يمكنه التأخر عنها ولكن ملازمة الواجب منها فقط من غير أن يجعلها هيجيرا ، فإن لكل عاقل أوقاتا يخلو فيها بربه لا يمكنه التأخر عنها والاشتغال عنها وأوقاتا يجالس فيها إخوانه في الطريقة لله تعالى لتذكير أو تعليم أو استفادة مما لم يكن عنده من العلم من غير إفراط ولا تفريط ، ثم ليتحين مع الله الأوقات الفاضلة كوسط الليل بعد نوم الناس إلى طلوع الفجر وبعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى وبعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء عاملا في ذلك بالتسديد والتقريب في معرفة ما يقدر عليه ولا يوجب للنفس كسلا وضمجرا جاريا على حد قوله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وبشروا ولا تنفروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة »^(١) وقوله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الدين متين فتوغل فيه برفق ولا تبغض لنفسك عبادة الله فإن المنبت »^(٢) لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، الحديث ، وقوله صلى الله عليه وسلم « خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يعمل حتى تملوا » ويحذر كل الحذر من المجالس وما أخذ العلم التي تؤدي إلى الدخول في مداخل العامة أو الأحوال الخزنية فإن من تبسح ذلك لا يفلح لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وليكن اهتمامه في الأخذ في خاصة نفسه ولا يجعل لإخوانه في منافعهم إن أهل لذلك إلا ما فضل عن أوقاته . قال مالك رضى الله عنه : وقد سئل عن طلب العلم وقال : حسن ولكن اعرف ما يلزمك من صباحك إلى مساءك فالزمه فإنه أكد على لوازم الشخص في خاصة نفسه من الأمور التي يطالبه الله بها ولا يساعده في تركها ، ومن أعرض عن ذلك متعللا بطلب العلم فقد خسر الدنيا والآخرة ، والقول الحق في ذلك فليس لك إلا الله سبحانه وتعالى فلا تشتغل عنه بغيره ولا تجعل لنفسك سواه متتجما ولا إلى الإعراض عن بابه تعللا ولا عن الانحياش إليه في الشدائد والمضايق والكروب ملجأ ، ولا في الرخاء وتواتر النعم عن مراعاة شكره مصرفا ، وليكن الأمر في ذلك جاريا على قول أبي العباس المرسى : وأوقات العبد أربعة لأخامس لها : وهى إما أن تكون في وقت نعمة ففقتضى الحق منك وجود الشكر ، أو تكون في وقت شدة ففقتضى الحق منك وجود الصبر ، أو تكون في وقت معصية ففقتضى الحق منك وجود التوبة ، أو تكون في وقت طاعة ففقتضى الحق منك شهود المنة وهذه الحدود التي ذكرها فيها استغراق أوقات العبد كلها وهى المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم « من أعطى فشكر وأبلى

(١) (قوله الدلجة) بضم دال ويفتحها كعرفة وتمرة : السير أول الليل اهـ

(٢) (قوله المنبت) بضم ميم وسكون نون وفتح موحدة وتشديد فوقية : أى المنقطع في سفره لسكونه أجهد دابته اهـ

فصبر وظلم فاستغفر وظلم ففقر ، ثم سكنت صلى الله عليه وسلم حتى قال له بعض الجالسين ماذا له يا رسول الله ؟ قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » أراد بقوله صلى الله عليه وسلم « لهم الأمن » يعني الأمن من هذاب الله في الآخرة » وهم مهتدون » في الدنيا ، وليكن في جميع ما ذكرناه خالصا لله لا يخالطه شيء من غير الله تعالى ، وهذه النصيحة لأصحاب الحجاب من السالكين أما من صفت له المعارف حتى رصخت قدمه فيها فهو ما يعطيه وقته وحاله ومقامه وتجليه ليس له عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار ، انظره . وفي [جه] وينبغي لك يا أخى أن لا تطلب من العلوم إلا ما تكمل به ذاتك وينتقل معك حيث انتقلت وليس ذلك إلا العلم بالله تعالى من حيث الوهب والمجاهدة ، فإن علمك بالطب مثلا إنما يحتاج إليه في عالم الأسقام والأمراض فإذا انتقلت إلى عالم مافيه سقيم ولا مريض ، من تداوى بذلك العلم ؟ ، فقد علمت يا أخى أنه لا ينبغي للعاقل أن يأخذ من العلوم إلا ما ينتقل معه إلى البرزخ دون ما يفارقه عند انتقاله إلى عالم الآخرة ، وليس المنتقل معه إلا علمان فقط العلم بالله عز وجل والعلم بمواطن الآخرة حتى لا يشكر التجليات الواقعة فيها ، ولا يقول للحق إذا تجلى له نعوذ بالله منك ، فينبغي لك يا أخى الكشف عن هذين العلمين في هذه الدار لتجنى ثمرات ذلك في تلك الدار ، ولا تحمل من علوم هذه الدار إلا ما تمكن الحاجة إليه في طريق سيرك إلى الله عز وجل على مصطلح أهل الله تعالى ، وليس طريق الكشف عن هذين العلمين إلا بالخلوة والرياضة والمجاهدة والحذب الإلهي ، انظره (واغتنام) من اغتنم الشيء عده غنيمة (لدعوة) بصلاح الحال والمآل ، ومما ينبغي لك أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق أن تعتنى بالدعاء لكل أخ في الله حيا وميتا حاضرا أو غائبا بكل ما تحبه لنفسك ولاهلك فلان دعائك له دعاء لنفسك على التحقيق لقوله صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك » وفي لفظ آخر يقول الله عز وجل بك أبدأ يا عبدي » ولقوله صلى الله عليه وسلم « يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه » وقال صلى الله عليه وسلم « دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب لا ترد » وكان أبو الدرداء يقول : إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم . انظر [حى] وفي [جص] « دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك آمين ولك بمثل ذلك » قال الحنفى : وتختلف الإجابة لعائق من عدم أكل الحلال وعدم صدق لية اه : أى وعدم التوبة ورد المظالم ، وفي الحديث « أفى يستجاب لأحدكم ومطعمه حرام ومشربه حرام ومسكنه حرام وملبسه حرام » أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، وفيه « استكثر من الناس من دعاء الخير لك فإن العهد لا يدرى على لسان من يستجاب له » اه ، أى أو برحم . ومرت قضية معروف الكرخى مع من قال : رحم الله من دنا وشرب منى فتقدم وشرب منه مع أنه صائم رجاء إجابة دعوته وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا ننسى إخواننا في الدعاء لهم بظهر الغيب كلما وجدنا في قلوبنا حلاوة للإجابة وفاء بحقهم ، وليكن الدعاء لهم من غير تحجير على الحق تعالى في حصول شيء معين لهم إلا إذا طلبوه ، وذلك لأن الله تعالى أعلم بمصالحهم ومما يستحقونه في هذه الدار من المراتب وغيرها منا ومنهم . وكان سيدى على الخواص يقول : أكثروا الدعاء لإخوانكم في هذا الزمان واسألوا لهم باسم الله اللطيف وأخوانه كالمغيث والرحيم والغفار والحنان ، وأن أهل حضرات الأسماء قد استدارت إلى الغروب والله سميع عليم اه . وأخبرنى من أتى به أنه قال : ما خطر ببالي أحد من الإخوان إلا ودعوت له بخير الدنيا والآخرة وأحببت له ما أحب لنفسى ، إلهاما

من الله تعالى فله المنة وله الحمد في الأولى والآخرة . وفي [عف] ومن المستحب أن يودع إخوانه إذا أراد السفر ويدعوهم بدهاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال بعضهم : سمعت عبد الله بن عمر من مكة إلى المدينة ، فلما أردت مفارقتهم شيعني وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال لقمان لابنه يا بني إن الله تعالى إذا استودع شيئا حفظه وإن استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك » وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أراد أحدكم سفرأفليودع إخوانه فإن الله تعالى يجاعل له في دعائهم البركة » وروى عنه عليه الصلاة والسلام أيضا « أنه كان إذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت » ويلبغني أن يعتقد إخوانه إذا دعى لهم واستودعهم الله أن الله يستجيب دعاءه ، فقد روى أن عمر رضي الله عنه كان يعطى الناس عطاياهم إذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر : ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك ، فقال الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين إنني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به ، فقالت تخرج وتدعني على هذه الحالة ، فقلت أستودع الله ما في بطنك ، فخرجت ثم قدمت فإذا هي قد ماتت فجلستنا نتحدث فإذا نار تلوح على قبرها ، فقلت للقوم ما هذه النار ؟ فقالوا هذه من قبر فلانة نراها كل ليلة ، فقلت والله إنها كانت صوامع قوامه ، فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا وإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب ، فقيل إن هذا وديعتك ولو كنت استودعنا أمه لوجدتها ، فقال عمر : هو أشبه بك من الغراب بالغراب ، انظره . قال رحمه الله :

(ومنها التعاضدُ التعاونُ في التقى) ومنها انفتاحُ أعينٍ للبصيرةِ)

(ومنها) أي ومن فوائد الصلابة والأخوة في الله (التعاضد) من تعاضد القوم تعاونوا (التعاون) تأكيد لما قبله وتفسير له (في التقى) قال الله تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان - وفي [عف] ويقع بطريق الصلابة والأخوة التعاضد والتعاون ، وتتقوى جنود القلب وتستروح الأرواح بالتشام وتتفق في التوجه إلى الرفيق الأعلى ، ويصير مثالا في الشاهد كالأصوات إذا اجتمعت خرفت الأجرام وإذا تفردت قصرت عن بلوغ المرام . وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن كثير بأخيه » وقال الله تعالى نجبراً ممن لا صديق له - فما لنا من شافعين ولا صديق حميم - ثم قال : وقال عمر : إذا رأى أحدكم وداً من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك . وقد قال القائل :

وإذا صني لك من زمانك واحد فهو المراد وأين ذاك الواحد انظره

وفيه : وهكذا كان أهل الصفة يتعاونون على البر والتقوى ويحتمعون على المصالح الدينية ومواساة الإخوان بالمال والبدن اه ، وفيه : وأما الخدمة فشأن من دخل الرباط مبتدئاً ولم يذوق طعم المعاملة ولم يقن به لنفائس الأحوال أن يؤمر بالخدمة لتكون عبادته خدمته ، ويجذب بحسن الخدمة قلوب أهل الله إليه فتشمله بركة ذلك ، ويعين الإخوان المشتغلين بالعبادة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمنون إخوة بطلب بعضهم إلى بعض الخواص يقضى الله لهم حاجاتهم يوم القيامة » فيحفظ بالخدمة عن البطالة التي تميمت القلب ، والخدمة عند القوم من جملة العمل الصالح وهي طريق من طرق المواجد فكسبهم الأوصاف الحميلة والأحوال الحسنة ، ولا يرون استخدام من لبس من جسداهم ولا متطلعا إلى الاهتمام بهديهم ، ثم قال : فالقوم يكرهون خدمة الأغيار ويأبون مخالطتهم أيضا فإن من لا يحب

طريقهم ربما استضر بالنظر إليهم أكثر مما ينتفع فلانهم بشر ، وتبدو منهم أمور بمقتضى طبع البشر
ويشكرها الغير لقله علمه بمقاصدهم ، ليسكون إياهم موضع الشفقة على الخلق لامن طريق التعزل
والترفع على أحد من المسلمين ، والشاب الطالب إذا خدم أهل الله المشغولين بطاعته يشاركهم في الثواب
وحيث لم يؤهل لأحوالهم السنية يخدم من أهل لها فخدمته لأهل القرب علامة حب الله تعالى انظره .
وفي [جص] « المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوظه من ورائه » اه .
ومما ينبغي للإنسان أن يعنى بقضاء حاجات إخوانه وتفقد أحوالهم ، لكن مع بشاشة واستبشار وإظهار
فرح وسرور بلامن ولا أذى ، ورحم الله من قال :

تفقد الخلال (١) مستحسن فن يدها فتعسا بدا
سن سايان لنا سنة فكان فيما سنه المقتدا
تفقد الطير على رأسه فقال مالى لا أرى الهدهدا

وفي [عف] عن رؤيم : لا يزال الصوفية بخير ماتنا فروا ، فإذا اصطلمحوا هلكوا . وهذه إشارة من
رؤيم إلى حسن تفقد بعضهم أحوال بعض إشفافا من ظهور النفوس يقول : إذا اصطلمحوا أوزعوا
المنافرة من بينهم يخاف أن تخامر البواطن المساهلة والمرآة ، ومساحة البعض البعض في إهمال دقيق آدابهم ،
وبذلك تظهر النفوس وتستولى . وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدي
إلى عيوبى ، انظره . وفي [حى] قال بعضهم : إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية
فلعله أن يكون قد نسي ، فإن لم يقضها فكبر عليه واقرا هذه الآية - والموتى ببعضهم الله - ثم قال :
وكان في الساف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم
ويمونهم من ماله ، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه ، بل كانوا يرون منه مالم يروا من أبيهم في
حياته ، وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت ؟ هل لكم ملح ؟
هل لكم حاجة ؟ وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه ، وبه - إذا تظهر الشفقة والأخوة ،
فإذا لم تشعر بالشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها . قال ميمون بن مهران :
من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ألا وإن لله أوائى فى أرضه
وعى القلوب فأحب الأوائى إلى الله تعالى أصفاه وأصلبها وأرقها » أصفاه من الذنوب ،
وأصلبها فى الدين ، وأرقها على الإخوان ، ثم قال : ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة ،
بل تجتهد فى البداية بالإكرام فى الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد ، كان الحسن يقول :
إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا ، لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة ،
ثم قال : ومن تمام الشفقة أن لا يفرد بطعام لذيق أو بحضور فى مسرة دونه بل يتنقص لفراقه ويستوحش
بانفراده عن أخيه ، وفى قوله تعالى - رحماء بينهم - إشارة إلى الشفقة والرأفة ، انظره .

(ومنها) أى ومن فوائد الصحية والأخوة فى الله (انفتاح) ضد الانغلاق (أعين) جمع عين
(للبصيرة) عقيدة القلب والفتنة . وفى [عف] وفائدة الصحية أنها تفتح مسام الباطن ويكتسب الإنسان
بها علم الحوادث والعوارض . قيل : أعلم الناس بالآفات أكثرهم آفات ويتصلب الباطن برزين العلم

(١) قوله تفقد من السريم مطوى مكسوف .

ويمكن الصدق بطروق ومهوب الآفات ، ثم التخلّص منها بالإيمان ، انظره . وفي [ع] بعد هذا النقل قلت ، ويريد بهذا والله أعلم أنه يتقوى نور الفراسة الإيمانية باستمداد البعض من البعض وسريان من البعض إلى البعض إذ من فوائدها ما يسرى من الفاضل إلى المفضول من السر الباهر الذي هو منتهى القصد من الصحبة وغاية السؤال . وقد قيل من تحقق بحاله لم يخل حاضرته منها ، وأخط الناس مرتبة في مقام الصحبة للأخبار المحب لهم فقط ، وكفاه إن لم يكن منهم أنه معهم لحديث « المرء مع من أحب » اهـ . ولذا قال رحمه الله :

(كَذَا سَرَيَانُ النُّورِ عِنْدَ اجْتِمَاعِهِمْ عَلَى الذِّكْرِ وَهُوَ مِنْ نَتَائِجِ صُحْبَةٍ)

(كذا) أى من فوائد الصحبة والأخوة في الله (سريان) يقال سرى عرق للشجر دب تحت الأرض (النور) من بعضهم لبعض (عند اجتماعهم) أى الإخوان الصادقين كأنهم على قلب رجل واحد إذ هم القوم لا يشق جليسهم (على الذكر) بأى نوع كان أو المداكرة في العلم النافع (وهو) يسكون الماء لغة : أى سريان النور من بعضهم لبعض (من نتائج) جمع نتيجة وهى ثمرة الشيء وفائدته (صحبة) وأخوة في الله . وذكر في [ع] أن المرید الصادق يبذل في أراضى القلوب بذر الفلاح ويكثر ببركة نفسه وصحبته أهل الصلاح وهذا مثل هذه الأمة الهادية في الإنجيل - كزرع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه - تعود بركة البعض على البعض وتسرى الأحوال إلى البعض ، ويكون طريق الوراثة معمورا وعلم الإفادة منشورا وعن سيدى على الخواص رحمه الله ، وينبغى للمرید أن يذكر مع جماعة فإن ذكر الجماعة أكثر تأثيرا في رفع الحجب لكون الحق تعالى شبه القلوب بالحجارة ، ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة جماعة فكذلك قسوة القلب لا تزول إلا بذكر جماعة يجتمعون على قلب واحد لأذقوة الجماعة أشد من قوة شخص واحد ، وأما من حيث الثواب فلكل ثواب نفسه وثواب سماع رفيقه اهـ . قال رحمه الله :

(وَمِنْهَا تَحْمَلُ الْأَذَى وَالْمَصَائِبَ وَمِنْهَا شَفَاعَةُ يَغْفِرَانِ زَلَّةٍ)

(ومنها) أى ومن فوائد الصحبة والأخوة في الله (تحمل) أى تكلف حمل واحتمال (الأذى) يفتحان وبمعجمة المسكروه مقى صدر من الإخوان . وفي [ع] ومن آداب الصوفية . القيام بخدمة الإخوان واحتمال الأذى منهم فبذلك يظهر جوهر الفقير . روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أمر بقطع ميزاب كان في دار العباس بن عبد المطلب إلى الطريق بين الصفا والمروة ، فقال له العباس قلعت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بيده ؟ فقال إذا لا يردّه إلى مكانه غير يدك ، ولا يكون لك سلم غير عاتق عمر ، فأقامه على عاتقه ورده إلى موضعه . انتهى . وفيه : وباحتمال الأذى يظهر جوهر النفس . وقد قيل : لكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل ، وجوهر العقل الصبر . ثم قال عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « المؤمن الذى يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يحاط بهم ولا يصبر على أذاهم » وفي الخبر « أبعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم ؟ قيل ماذا كان يصنع أبو ضمضم ؟ قال كان إذا أصبح قال : اللهم إني تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى ، فن ضربنى لأضربه ومن شتمنى لأشتمه ومن ظلمنى لأظلمه » انظره . وفي [ح] قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري : إذا واخيت أحدا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فإنك لا تأمن من أن

ترى في جوابك ماهو شر من الأول. قال فجربته فوجدته كذلك. وقال بعضهم الصبر على مريض (١)
الأخ خير من معاتبة ، والمعاتبة خير من القطيعة ، والقطيعة خير من الوقعة . وينبغي أن لا يبالغ في
البغضة عند الوقعة. قال تعالى - عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة - وقال عليه الصلاة
والسلام : أحب حبيبك هوذا ما عسى أن يكون بغضك هوذا ما عسى أن يكون
حبيبك يوماء انظره . ونقل أن سيدنا عليا رضي الله عنه وعنايه أمين كان كثيرا ما يذكر أصحابه وجلالته
في استعمال حسن الأدب بقوله :

وكن معدنا للخير واصفح عن الأذى
واحجب إذا أحببت حبا مقاربا
وابغض إذا أبغضت بغضا مقاربا
ورحم الله من قال :

إذا كنت لم تصبر على الذم من أخ
وإن أنت لم تشرب مرارا (٢) على القذى
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
ومن قال : لا تظهرن لذي جهل معاتبة
بالماء يحمده حر النار يطفئها
تري السفية له عن كل محملة
ومن قال : ما كنت مذكنت إلا طوع إخواني
يخني الصديق فأستحل جنائنه
ويتبع الذنب ذنبا حين يفرق
يخني على فأعفو صافحا أبدا

بقيت فريدا لم تجد من تقاربه
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه
فرمما هيئت بالشئ أشياء
وليس للجهل غير الحلم إطفاء
زبح وفيه إلى التسفيه إصفاء
ليست مؤاخلة الإخوان من شافى
حق أدل على عفوى وإحسانى
هذا فأتبع غفرانا بغفران
لاشئ أحسن من جان على جان

(و) تحمل (المصائب) والبلايا. وفي [غ] ومن فوائد الصحبة أيضا تحمل البعض من المتصاحبين
عن البعض في دار الدنيا ما ينزل بهم من المصائب والأحزان ، وتلقيهم للوارد عليهم منهم في البرزخ
بحسن البشر ومزيد الكرامة والبرور والإحسان اه . وفي [غص] وسألته رضى الله عنه عن الفقراء
الذين لا يتحملون شيئا من بلايا الخلق ويزعمون أنهم مسلمون لله ، هل هم أكمل أو الذين يتحملون البلايا
عن الناس ؟ فقال رضى الله عنه : الذين يتحملون أكمل لزيادتهم بتفهم للناس مع أن التحمل لا يتنافى
التسليم ، فقلت : له فهل يحل للمتحملي للبلايا أن يأكلوا من مال من تحملاوا عنه البلايا ؟ فقال نعم ، لأنه
كأنه جعالة على عمل معلوم من قضاء الحوائج ، بل هو من أجل المكاسب ، لأن صاحبه قد خاطر بالروح
في دفع ذلك البلاء ، والله تعالى أعلم اه .

(ومنها) أى ومن فوائد الصحبة والأخوة في الله (شفاعة بغفران زلة) أى شفاعاة بعضهم لبعض
في مغفرة الذنوب ورفع الدرجات في الجنة عند المولى الكريم قال تعالى - يومئذ لا تنفع الشفاعاة عنده
إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا - وقال - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى - وقال في حق أقوام - فما

(١) قوله مريض بفتحين : كسب الابن الحامض ووجع النصيبة . (٢) بكسر ميم جمع مرة اه .

لنا من شافعين ولا صديق حميم - وفي [حى] ومنها أى ومن فوائد الصحبة انتظار الشفاعة في الآخرة ، فقد قال بعض السلف : استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة أخيك : وروى في غريب التفسير في قوله تعالى - ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله - قال : يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ، ويقال : إذا خفر الله للعبد شفع في إخوانه ، ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والألفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد اه . وورد أن الله تعالى يوقف هذه الطائفة بين يديه ويقول عز وجل : أولياى لم أزو عنكم الدنيا لهوانكم على ، ولكن زويتها عنكم لتستوفوا اليوم نصيبكم عندي ، اذهبوا فاخترقوا الصفوف ، فمن سلم عليكم من أجل أوزارك من أجل ، أو أطعمكم لقمة من أجل فدخلوا بيده وأدخلوه الجنة ، فيأتون المحشروهم يجررون أذيال الفخر ، فيقول أهل المحشر ياربنا ما بال هؤلاء دوننا فيقول الله عز وجل أنتم متم في الدنيا مرة واحدة ، وهؤلاء كان الواحد منهم يموت في اليوم سبعين مرة [خل] وقد مر أن أحد الأخوين في الله إذا قيل له ادخل الجنة يسأل عن منزله أخيه فإن كان دونه لم يدخل حتى يعطى أخوه مثل منزله راجعه - لمثل هذا فليعمل العاملون - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وفي [حص] « المرء مع من أحب وله ما اكتسب » قال الحنفى : أى وله جميع ما اكتسبه المحبوب : أى مثل ما اكتسبه من الخير فمن أحب إنسانا كان له مثل عمله الصالح لأنه معه في درجته اه قال رحمه الله :

(ومنها تودد وإيثار إخوة بدين ومهجة ودنيا دنية)

(ومنها) أى ومن فوائد الصحبة والأخوة في الله (تودد) وتحب في الله وفي [حص] « أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى التودد إلى الناس » . قال العزيزى : أى التحبب إليهم بنحو زيارة والمراد بالناس الصالحون اه . وفيه « رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس وأهل التودد في الدنيا لهم درجة في الجنة ومن كان له درجة في الجنة فهو في الجنة ونصف العلم حسن المسألة والاقتصاد في المعيشة نصف العيش يبقى نصف النفقة ، وركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط ، وماتم دين إنسان قط حتى يتم عقله ، والدعاء يرد الأمر ، وصدقة السر تطفى غضب الرب وصدقة العلانية تقي ميتة سوء ، وصنائع المعروف إلى الناس تقي مصارع سوء والآفات والمهلكات ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة والمعروف ينقطع فيما بين الناس ولا ينقطع فيما بين الله وبين من افتعله » وفيه « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداهى له سائر الجسد بالسهر والحمى » اه . فالؤمن السكامل ينبغي له أن يتألم لمصيبة تنزل بالمؤمنين كما يتألم الجسد لتألم بعض أعضائه . وفي [حى] قال خالد بن معدان : يقول الله عز وجل « أن أحب عبادى إلى المتحابون بحبى والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالمسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركهم وصرفت العقوبة عنهم » انظره : وفيه ، وقيل لابن السماك : أى الإخوان أخلق ببقاء المودة ؟ قال الوافر دينه الوافى عقله الذى لا يملك على القرب ولا ينسك على البعد إن دنوت منه دهك وإن بعدت عنه راعاك ، لا يقبضه عنك يسره وإن قطعه عنك عسره إن استغثته عضدك وإن احتجت إليه رفدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله يستقل كثير المعروف من نفسه ويستكثر قليل المودة من صديقه اه

(و) منها (إيثار) مصدر أثره أكرمه وقدمه على نفسه ، قال تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو

كان بهم خصاصة - وعنه صلى الله عليه وسلم «أيما امرئ اشتبه بشهوة فرد شهوته وأثر على نفسه غفر له» اهـ (أخوة) قال تعالى - إنما المؤمنون إخوة - وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نأمر إخواننا بالإكثار من إيثار إخوانهم وغيرهم على أنفسهم في المأكل والملبس وغير ذلك ليمتروا على تحمل الشدائد ، وهذا مطلوب منهم ماداموا تحت حكم الطبع فإذا بلغوا مبلغ الرجال - موا نفوسهم على إخوانهم عملا بالعدل في تقديم الأقرب فالأقرب أو لأقرب إليك من نفسك وعلى ذلك يحمل قوله صلى الله عليه وسلم «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» فالأمر درجات ، ولأن مدح الله المؤمنين على أنفسهم تشجيعا لهم ليخرجوا من حكم الطبع لأن ذلك أعلى ممن يبدأ بنفسه فليتنامل . ومن كلام سيدى أحمد بن الرفاعى رحمه الله تعالى : لا تصحب من يؤثر على نفسه فإنه لا يدوم فاعلم ذلك فإنه نفيس اهـ (بدين) أى بمراتب الدين وبدرجة الآخرة وفي [هف] قال بعضهم : حقيقة الإيثار أن تؤثر بحظ آخرتك على إخوانك فإن الدنيا أقل خطرا من أن يكون لأيثارها محل أو ذكر ، ومن هذا المعنى ما نقل أن بعضهم رأى أخاله فلم يظهر البشر الكثير في وجهه ، فأذكر أخوه ذلك منه فقال : يا أخى سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة تسعون لأكثرهما بشرا وعشرة لأقلهما بشرا» فأردت أن أكون أقل بشرا أم لك ليكون لك الأكثر ، انظره وفي [خل] أن الفقيه المعروف بابن الحميزى جاء زيارة الفقيه إلى المعروف بالظهير التزمتى وكان إذ ذاك منبسطا مع من حضره فلما أخبر بمجيئى الفقيه ابن الحميزى لزيارته انقبض عن ذلك وزال بسطه فدخل عليه وهو منقبض ، فسلم عليه فرد عليه السلام ولم يزد عليه شيئا ولم يكن كلامه له إلا جوابا ، فلما أن خرج رجع إلى ما كان عليه من البسط مع من حضره فستل عن موجب ذلك فقال استصغرت نفسى أن يكون مثل هذا السيد يزور مثلى فأردت أن أكافئه ببعض ما يستحقه فوجدت نفسى عاجزة عن مكافأته فأثرت به بالأجر كله حتى يكون فى صحيفته دوى لما ورد «إذا التقى المسلمان فأكثرهما ثوابا أبشهما لصاحبه» فأثرت به بذلك وهذا له أصل فى الاتباع السنة المطهرة وهو ما روى «أن أبا بكر رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كنت إذا لقيت عليا ابتدأتى بالسلام فلقيته اليوم فلم يسلم على حتى ابتدأته بالسلام ؟ فقال له اجلس فجلس وإذا بهلى رضى الله عنه قد جاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم لم تهتدى أبا بكر اليوم بالسلام ؟ فقال يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم قصرا فى الجنة لم أرمثله فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقبل لمن يبتدىء أخاه بالسلام ، فأردت أن أوتر اليوم أبا بكر على نفسى» أو كما قال ، وهذا أعظم فى الإكرام وأبر فى الاحترام ، انظره (ومهجة) بضم الميم الدم أودم القلب والروح كما فى [من] وفى [عف] قال سهل بن عبد الله الصوفى : من يرى دمه هديرا وماله مباحا . وقال رؤيم : التصوف مبنى على ثلاث خصال : التمسك بالفقر ، والافتقار والتحقق بالبذل والإيثار ، وترك التعرض والاختيار . قيل لما سعى بالصوفية وتميزا بالحنيد الفقه وقبض على الشحام والرقام والنزوى وبسط النطع لضرب رقابهم تقدم النورى فقيل له إلى ماذا تبادر ؟ فقال أوتر إخوانى بفضل حياة ساعة ، نظره . ورحم الله من قال :

الجود بالمال جود فيه مكرمة والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وروى «أن سيدنا عليا رضى الله عنه بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إلى جبريل ومكائيل عليهما السلام إنى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأبكما

يؤثر صاحبه بالحياة فاختر كلاهما الحياة فأوحى الله سبحانه إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب أنحيث بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل ينادى بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب وربك يباهى بك الملائكة اه (ودنيا دنية) خسيمة المقدار عند الملك الغفار الحديث ولو كانت الدنيا تزن عند الله جفاح بهوضة ماسق للكافر منها جرعة ماء وفي [عف] ومن شرط الحب في الله إيثار الأخ بكل ما يقدر عليه من أمر الدين والدنيا . قال الله تعالى - يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - فقله تعالى « لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا » أي لا يحسدون إخوانهم على ما لهم ، وهذان الوصفان بهما بكل صفو المحبة : أحدهما انتزاع الحسد على شيء من أمر الدين والدنيا ، والثاني الإيثار بالمقدور . وفي الخبر عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام « المرء على دين خليله ولاخير لك في محبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه » انظره . وفيه : ومن أخلاق الصوفية الإيثار والمواساة ، ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعاً وقوة اليقين شرعاً يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود . قال أبو يزيد البسطامي ^(١) : ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجاً فقال يا أبا يزيد ما حد الزهد ؟ قلت إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا ، فقال هكذا عندنا كلاب بلخ ، فقلت له وما حد الزهد عندكم ؟ قال إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا . وقال ذو النون : من علامة الزاهد المشروح صدره ثلاث : تفريق الجموع ، وترك المفقود ، والإيثار بالقوت . وروى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم النضير للأنصار إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم تقسم لكم شيئاً من الغنيمة ، فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ، فأزى الله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - » انظره . ثم قال : قال أبو حفص : الإيثار أن يقدم حظوظ الإخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة . وقال بعضهم : الإيثار لا يكون من اختيار إنما الإيثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك ولا تميز في ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة . وقال يوسف بن الحسين : من رأى لنفسه ملكاً لا يصح منه الإيثار ، لأنه يرى نفسه أحق بالشيء برؤية ملكه إنما الإيثار ممن يرى الأشياء كلها للحق ، فمن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شيء من ذلك إليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤديها إليه ، انظره . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا نرى نفوسنا أحق بما عندنا من المال والثياب والطعام وسائر ما نحتاج إليه من أمعة الدنيا من إخواننا المسلمين ، بل نرى الحق مشتركاً بيننا وبين جميع إخواننا ، ولكن كل من اشتدت حاجته منا أو من إخواننا كان أحق من الآخر ، كل ذلك عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ثم إنه لا يستطيع العمل بهذا العهد إلا من حقه التوفيق وخرج عن الطبع والله غفور رحيم اه . وفي [غ] وانظر ما ذكره من أن المرید لا ينبغي له أن يؤثر بفضل الشيخ ونحوها مما يخصه به كما قال الشيخ زروق رضي الله عنه : ومتى أعطاكم ما كولا أو غيره فلا تؤثروا به الغير ولا تشاركوا قريباً ولا بعيداً فيه ، فقد يكون جمع لكم فيه سر آفئوت من المدد بحسب الشراكة فيه اه . هل هو مستثنى مما تقدم أولاً ؟ والظاهر والله تعالى

أعلم أن المرهدين المتواخين في الله تعالى الصادقين في طريق الإرادة موكلون في ذلك إلى ما تنتجهم لهم
أحوال محبتهم وصدقهم ، فلا يعترض على من امتنع منهم من الإيثار كما لا يعترض على من جنع إليه
فكل مهما على صواب بحكم ما أنتجه له حال صدقه ومحبتهم فافهم اه . وللبعض الإخوان رحمه الله
ورضى عنه :

إياك والإيثار يا مرید بفضلة الشيخ بها مزيد
لما بها لك من الأسرار يسرى إليك النقص بالإيثار
وقبل إن ذاك موكل إلى ما أنتج الصدق بذات قد أعمالا

قال رحمه الله :

(وَتَرْكُ الْمَرَاءِ وَالْجِدَالِ وَخُلْفِهِمْ وَتَرْكُ زِحَامٍ فِي حُظُوظٍ رَدِيَةٍ)

(و) من فوائد الصحبة والأخوة في الله (ترك المراء) بكسر الميم مصدر مراء جادله (والجidal)
عطف تفسير . وفي [عف] قال بعضهم : المجادل الممارى يضع في نفسه عند الخوض في الجidal أن
لا يقنع بشيء ومن لا يقنع إلا أن لا يقنع فما إلى قناعته سبيل ، فنفس الصوفي تبدلت صفاتها وذهب
عنه صفة الشيطنة والسبعية وتبدلت باللين والرفق والسهولة والطمأنينة ، انظره . وفي [حص]
« إذا أخيت رجلا فلا تماره ولا تشاره »^(١) ولا تسأل عنه أحدا فعسى أن توافى له عدوا فيخبرك
بما ليس فيه فيفرق ما بينك وبينه وفيه « لا تمار أخاك ولا تمارحه ولا تعده موعدا فتخلفه » اه . وقال ميمون
ابن مهران : لا تمار من هو أعلم منك فإنه يحتزن عنك عامه ولم تضره شيئا وقال لقمان لابنه : من لا يملك
لسانه يندم ، ومن يكثر المراء يشتم ، ومن يدخل مداخل السوء ينهم . يا بني لا تمار العلماء فيمقتوك :
وقال مالك بن أنس رضي الله عنه : المراء يقسى القلب ويورث الضغائن ، وقال بلال بن مسعدة : إذا
رايت رجلا لجوجا مماريا معجبا بنفسه فقد تمت خسارته ، ولمسر بن كدام يخاطب ابنه كدام :

إني منحتك يا كدام نصيحتي فاسمع لقول أب عليك شفيقي
أما المزاخة والمراء فدعهما خلقتان لا أرضاهما لصديقي
إني بلوتهما فلم أخترهما لمجاور جاريا ولا لرفيقي

وفي [حى] ومن ذلك : أى ومن حقوق الأخوة السكوت عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم
به أخوك . قال ابن عباس : لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقلبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ريبض »^(٢) الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت في
أهل الجنة « هذا مع أن تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل أعظم ، لأن السكوت عن الحق أشد
على النفس من السكوت على الباطل ، وإنما الأجر على قدر النصب ، وأشد الأسباب لإثارة نار الحق
بين الإخوان المماراة والمنافسة فإنها عن التدابر والتقاطع ، فإن التقاطع ، يقع أولا بالأراء ، ثم بالأقوال
ثم بالأهدان . وقال عليه الصلاة والسلام « لا تدابروا ولا تهاضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد
الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » وأشد الاحتقار المماراة
فإن من رد على غيره كلامه فقد نسب إلى الجهل والحمق أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو

(١) قوله تشاره : بتشديد الراء : لا تخاصمه اه . (٢) ريبض : ريبضتين كسب .

عليه ، وكل ذلك استحقاق وإيفاء للصدور وإيماءات . وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فغضب وقال « ذروا المراء لقله خيره وذروا المراء فإن نفعه قليل وإنه يهيج العداوة بين الإخوان » وقال بعض السلف : من لاحى الإخوان وماراهم قلت مروءته وذهبت كرامته . وقال عبد الله بن الحسن : إياك وبمارة الرجال فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم . وقال بعض السلف : أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه من ظفر بواحد منهم فتركه ، وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة . وقد قال الحسن : لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل ، انظره .

(و) منها ترك (خلفهم) بالضم أى خلافهم إذ الخير كله في الائتلاف والشركة في الاختلاف ، فالتألف من ائتلاف الأخلاق والأرواح لحديث «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها في الله ائتلف وما تناكر في الله اختلف » ورحم الله من قال :

إن القلوب لأجناد مجندة قول الرسول فمن ذا فيه يختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف

ومن قال :

لعمرك ما الإخوان إخوان نطفة تصور في الأرحام في عالم الجسد
ولكننا الإخوان من كان وصفهم يطابق وصف الروح في عالم المدد

وفي [صف] ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف والمرافقة مع الإخوان وترك المخالفة : قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أشداء على الكفار رحاء بينهم - وقال الله تعالى - لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - والتودد والتألف من ائتلاف الأرواح على ما ورد في الخبر الذي أوردناه فما تعارف منها ائتلف قال الله تعالى - فأصبحتم بنعمته إخوانا - وقال سبحانه وتعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - وقال عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليمين تغسل إحداها الأخرى ، وما التقى مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيرا » انظره . وفيه قال الجنيد رحمه الله : ماتوا في الله واثني اثنان في الله واستوحش أحدهما من صاحبه إلا لعله في أحدهما ، فالواخاة في الله أصفى من الماء الزلال ، وما كان لله فالله مطالب بالصفاء فيه ، وكل ما صفا دام ، والأصل في دوام صفائه عدم المخالفة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمار أخاك ولا تمازجه ولا تعده موعدا فتخلفه » قال أبو سعيد الخراز : صفت الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم خلاف ، فقبل له وكيف ذلك ؟ قال لأنى كنت معهم على نفسى ، انظره وفي [هم] واعلم أن من أقبح الصفات في الفقراء خصامهم بين الناس وتمزيقهم أعراض بعضهم بعضا ، وإن ادعوا أنهم تحت تربية شيخ كذبوا وشيخهم برىء منهم إلا أن يتوبوا ، وكذلك من أقبح كل قبيح خصام الظالم والمظلوم لشيخه إذا لم يطاوعه على غرضه الفاسد ، ومن فعل ذلك مع شيخه مقتله الله وطرده من حضرات الصالحين وربما هوقب بتركة التوبة حتى يموت على أسوأ حال ، وهذا المقت قد عم غالب الفقراء في هذا الزمان فقتلوا وصاروا أبدانا بلا أرواح ، فالله يلهمهم التوبة من ذلك بفضله وكرمه إن شاء الله تعالى ، ويهيب شيخهم عليهم وعلى سوء أدبهم آمين آمين انتهى .

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

وأفصح الصفات في الإخوان	تخاصم على الدنى والفا
وأفطع الخلل بين الفقرا	تساب والشتم من بين الورى
وإن يكن من بينهم تداع	ليبت وال قل بالاسترجاع
لأن ذا من أعظم المصائب	في الفقراء إذ هم كالأقارب
ثم الدنى أهون عند الفقرا	من الوقوف عند باب الأمرا
والصلح في حقهم من القرب	فاسع للإصلاح تنل خير الرب
وإن يكن خصامهم لشيخهم	فهو أعظم الردى في حقهم
وذلك من علامة الحرمان	والطرد والإبعاد والخللان
وشيخهم منهم برى أبدا	إلا إذا تابوا وكل جددا
يارب وفق سائر الإخوان	إلى المسامحة والغفران
والحلم والإغضاء والإيثار	والعفو والصفح عن الأوزار
بجاه سيد الورى محمد	صلى عليه الله دون عدد
وبأبي الفيض التجاني أحمد	عليه وأبل الرضى مجددا اه

(و) منها (ترك زحام) بكسر الزاى مصدر زاحمه ضايقه (في حظوظ ردية) والردى الضعيف من كل شيء . وفى [مع] وفى تحفة الإخوان والخللان فى آداب أهل العرفان : وأما الآداب التى عاينها على الأخ فى الطريقة فى حق إخوانه : أن يكون محبا لهم كبيرهم وصغيرهم ، وأن لا يخصص نفسه بشيء دونهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، وأن يعودهم إذا مرضوا ، وأن يسأل عنهم إذا غابوا ، ويبذلهم بالسلام وطلاقة الوجه وأن يراهم خيرا منه وأن يطلب منهم الرضا وأن لا يزاحمهم على أمر دنيوى ، بل يبذل لهم ما فتح عليه به ، يوقر الكبير ويرحم الصغير ويعضدهم على ذكر الله تعالى وعبادته معهم على حب الله تعالى ، ويرغبهم فيما يرضى الله تعالى كافا عن عيوبهم مسامحا لهم فيما وقع منهم ، وليجعل رأس ماله مسامحة لإخوانه ظاهرا وباطنا ، لا يمانهم على شيء صدر منهم ، يعادى من يعاديه ويحب من يحبه ، يرشدهم إلى الصواب إن كان كبيرا ، ويتعلم منهم إن كان صغيرا ، لا يوسع على نفسه وهم فى ضيق يخدمهم ولو بتقديم النعال لهم وأن يكون بشوشا لهم فى مخاطبته ومحاورته اه . وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا نزاحم على شيء من الدنيا لما فى المزاخرة عليها من توجير القلوب وتكدير النفوس لاسيا ما فيه رياسة كتدريس العلم وأخذ العهد على القرين . واعلم أن كل ما حصل لك بواسطة نزاع من الناس فهو دنيا فتأمل فإنها ميزان تطيش على الدر ، فإن أعمال الآخرة الصرفة التى لا يتخالطها دنيوى كصيام النهار وقيام الليل ووزن المال عن المديونين لا نزاع فيه ولا مزاحمة ، وما رأينا أحدا قط فعل ذلك فاشتكاها أحد أو حط فيه عند حاكم أو غيره أبدا ولولا محبة العبد لنفسه وحده فى بلده ما تشوش ممن أقبل عليه الناس وعظموه فيها أبدا . ولو أنه كان زاهدا فى الدنيا لفرح بكل من ظهر فى بلده واستتر هو . وقد قال الأشياخ : آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة : أى لأن تمام انقياد الخلق للفقير لا يكون إلا بعد تمام مجاهدته فهناك تحصل له الرياسة ، فيجب عليه أن يخرج عن حبها من حيث طبعه فافهم ومن كلام الشيخ أبى العباس الغمرى رحمه الله حب الرياسة يقطع الظهور ، فاعلم

فلك والله غفور رحيم اه . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

حب الظهور يقطع الظهوراً ويحلب الآثام والنبورا
آخر ما يخرج من صدق حب الرياسة على التحقيق

وفى [خل] وعلامة المريد النظر إلى من هو دونه في الرزق وإلى من هو فوقه في عمل الآخرة ويتواضع ولا ينافس أهل الكبر والفخر والرياء والتكاثر ، ولا يأخذ ما أخذ لنفسه إلا بنية التقوى على دينه وإقامة فرائضه والاستغناء عن غيره ، ويدع جميع ما كان للناس من ذلك اه . قال رحمه الله :

(وَلَا بُدَّ مِنْ حُسْنِ ابْتِدَاءٍ وَمُنْتَهَى لِنَيْلِ جَمِيعِ مَا أُنِى فِي الْأُخُوَّةِ)

(ولابد) أى لالحالة ولا مندوحة (من) شرط (حسن ابتداء) الأخوة والصحبة فى الله (و) شرط حسن (منتهى) أى انتهائها (لنيل) أى لإصابة وإدراك (جميع ما أنى) وورد من الفضائل والمزايا (فى الأخوة) والصحبة فى الله . وفى [عف] ثم إن اختيار الصحبة والأخوة عمل وكل عمل يحتاج إلى النية وإلى حسن الخاتمة . وقد قال عليه الصلاة والسلام فى الخبر الطويل «سبعة يظلمهم الله تعالى ، فمنهم اثنان تحابا فى الله فعاشا على ذلك وماتا عليه» إشارة إلى أن الأخوة والصحبة من شرطهما حسن الخاتمة حتى يكتب لهما ثواب المؤاخاة . ومتى أفسدوا المؤاخاة بتضييع الحقوق فيهما فسد العمل من الأول قيل ما حسد الشيطان متعاونين على بر حسده متآخيين فى الله تعالى متحابين فيه فإنه يجهد نفسه ويحث قبيله على إفساد ما بينهما . وكان الفضيل يقول : إذا وقعت الغيبة ارتفعت لأخوة انظره . وفى [حى] من حقوق الأخوة الوفاء والإخلاص ، ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وهمد الموت مع أولاده وأصدقائه فإن الحب إنما يراد للآخرة فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعى ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام فى السبعة الذين يظلمهم الله فى ظله «ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه» وقال بعضهم : قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره فى حال الحياة ، ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم أكرم هجوزا دخلت عليه ، فقليل له فى ذلك ، فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين «فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به ، ومراعاتهم أوقع فى قلب الصديق من مراعاة الأخ فى نفسه فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر ، حتى الكلب الذى على باب داره يلغى أن يميز فى القلب على سائر الكلاب ، ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فإنه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متآخيين فى الله ومتحابين فيه فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما قال الله تعالى - وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم - وقال مخبرا عن يوسف عليه السلام - بعد أن نزغ للشيطان بينى وبين أخوتى - ويقال ما تواخى اثنان فى الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما ، وكان بشر يقول إذا قصر العبد فى طاعة الله سلبه الله من يؤنسه ، وذلك لأن الإخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ، ولذلك قال ابن المبارك : ألد الأشياء مجالسة الإخوان ، والانقلاب إلى كفاية المودة الدائمة هى التى تكون فى الله ، وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض ، انظره . قال رحمه الله :

(وَوَاسِ ذَوِي فَقْرٍ بَلَا مَنْ أَوْ أَدَى وَذَا الْوَصْفُ خَاصٌّ بِالنُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ)

(وواوس) من واساه : أناله من ماله وجعل فيه أسوة ، ولا يكون ذلك إلا لمن كفاف فإن كان من فضلة

فليس بمواساة ولا سباحة ، وقد در القائل :

ليس العطاء من الفضول سباحة حتى تجود وما لديك قليل

وفي [حى] اعلم أن الناس ثلاثة : رجل تفتنع بصحبته ، ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تنضرر به ولكن لا تنفع به ، ورجل لا تقدر أيضا أن تنفعه ، وتنضرر به ، وهو الأحمق أو السوء الخلق ، فهذا الثالث ينبغي أن تجتنبه . وأما الثانى فلا تجتنبه لأنك تنفع فى الآخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به ، وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ، إن أطلعنى فما أكثر إخوانك إن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم ، انظره . وفى [جص] ، أشد الأعمال ثلاثة ذكر الله على كل حال ، والإنصاف من نفسك ومواساة الأخ فى المال ، قال الحنفى : والسنة تقديم الأقارب ، ثم الأصدقاء ، ثم الجيران ثم الفقراء ، وينبغى تقديم الأوج من كل نوع من هؤلاء (ذوى) أى أصحاب (فقر) بفتح الفاء وبضم ضد الغنى . وفى [جص] للفقر أزين على المؤمن من العذار ^(١) الحسنى على خد الفرس . وفيه : الفقر أمانة فمن كتمه كان عبادة ومن باح به فقد قلد لإخوانه المسلمين : وفيه : الفقر شين عند الناس زين عند الله يوم القيامة . وفيه ، الغنى : الإيأس مما فى أيدي الناس ، وإيالك والطمع واجتنبه فإنه الفقر الحاضر . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحب الفقر وقلة ذات اليد وكذلك نحب من كان يهله الصفة أيضا من الفقراء والمساكين والمستضعفين ونحب مجالستهم محلا بقوله تعالى - ولا نعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا - وذلك لأن رحمة الله لا تفارقهم ، فنحبهم ونجالسهم بحبة الله لهم ، وكذلك نحب الفقر لما فيه من كثرة سؤالنا للحق وتوجهنا إليه لعلنا نلقى أخرى ، وإيضاح ذلك أن حاجة العبد تذكروه بالله تعالى ، وعدم حاجته تنسيه الحق ، قال تعالى - كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وقال تعالى - وإذا مسك الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أمرستم - ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ، أى لا يفضل عنهم من غدائهم ولا عشائهم شىء وذلك ليصبروا ومتوجهين إلى الله تعالى كل حين لا ينسون » ، فانظر ما أشد شفقتك صلى الله عليه وسلم على أهل بيته ، ويقاس بأهل بيته غيرهم ، فوالله لو علم الإنسان قدر الفقر لمتناه ليلا ونهارا . انظره . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شىء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء أصبرهم جلساء الله إلى يوم القيامة » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وهو خمسمائة عام » ومن أدعيتك صلى الله عليه وسلم : « اللهم أحيى مسكينا وتوفى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين » قال السهروردى : لو سأل أن يحشر المساكين فى زمرة لكان لهم الفخر العظيم والفضل العظيم فكيف وقد سأل أن يحشر فى زمرة هم (بلامن) على المنفق عليه بنحو أحسنت إليك وجبرت حالك ولولا أنا لم تكن ونحو ذلك مما عمت به البلوى فالله برحمتنا يفضلهم ورضاه (أو أذى) له بأن تتناول عليه بسبب ما أعطيتك أو تخبر بإحسانك إليه من لا يجب اطلاعه عليه قال تعالى - الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى - الآية . وقد قيل : إذا صنعت صنعة فانسها . وفى الخازن قال عبد الرحمن بن يزيد : كان أبى يقول : إذا أعطيت رجلا شيئا وأريت أن سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه ، والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على إظهارها

(١) العذار ككتاب : السير الذى على خد الدابة من اللجام اه .

والمن بها . قال قائلهم في المدح بترك المني :

زاد معروفك عندي عظما أنه عندك مستور حقير
تتناصاه كأن لم تأته وهو في العالم مشهور كبير

وقال قائلهم يلدن المنان بالعطاء :

أتيت قليلا ثم أسرع منة فنيك بمنون لذاك قليل انظره

وفي مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم . قال : فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، فقال أبو ذر خابوا وخسر ومن هم يارسول الله ؟ قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » وفي رواية عنه « المنان الذي لا يعطى شيئا إلا منه والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل إزاره » أي المرخي له البحار طرفه خيلاء وكبرا . وفي [مب] ومنها أي ومن أضر الأقوال الامتنان والتحدث بما يفعله من الخير مع الشخص على طريق المن دواؤه أن يعلم أنه يبطل الأجر قال تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى - وأن لا يرى أنه أوصل إليه مما كان في يده إلا ما هو له في علم الله وأن ذلك كان أمانة بيده ما كان له وقد أحسن الأخذ إليه بأخذ هذه الأمانة من يده وقد كان مخاطبا بأدائها بقوله تعالى - إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها - وهو لم يعرف لمن قبل أخذه لها فيشكر الله على أدائها ، ومن أعطى هذا النظر فلا يصح منه أصلا انظره (وهذا الوصف) وهو مواساة الفقراء والمساكين بلا من عليهم ولا أذى (خاص بأصحاب (النفوس الزكية) أي المطهرة من الأدناس ، ورحم الله من قال :

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وفي [عف] ومن أخلاق الصوفية الإنفاق من غير إقتار وترك الادخار ، وذلك أن الصوفي يرى خزان فضل الحق فهو بمثابة من هو مقيم على شاطئ بحر والمقيم على شاطئ البحر لا يدخر الماء في قربه وراويته . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن يوم إلا له ملكان يناديان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » وروى أنس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد » . ثم قال : وروى أن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم كان يأكل الشجر ويلبس الشعر ويبيت حيث أمسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبأ شيئا لغد ، فالصوفي كل خباياه في خزائن الله لصدق توكله وثقته ، بربه فالدنيا للصوفي كدار الغربة ليس له فيها ادخار ولا له منها استكثار . قال عليه الصلاة والسلام « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا » انظره ، قال تعالى - ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض - . قال رحمه الله :

(وَدَارِ بِمَذَلِّ الْمَالِ لَا نَكَ مُذْهِبًا وَلَا تُخَوِّجَنَّ أَحَا لِمُذَرِّ وَكُفَّةِ)

(ودار) من المداراة وهي بذل المال لعلامة الدين (يبدل) بذل معجزة أي بإعطاء (المال) لسلامة الدين والعرض لحديث « ذبوا ^(١) عن أعراضكم بأموالكم » لكن عن طيب نفس لئلا يطعم إخوانه الحرام لحديث « لا يحمل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه » وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نأخذ من أحد مالا ولا نأكل له طعاما إلا إن علمنا طيب نفسه

(١) (قوله ذبوا) بضم ذال معجزة فعل أمر من ذب كرداه .

بلا حلة ولا نية فاسدة تتبعه على ذلك من حب محمدة أو شهرة تكره ونحو ذلك ، ونعرف طيب نفسه وعدم طيبها بنور الكشف أو باحتفاف القرآن فإن القرآن إحدى الأدلة الشرعية فيحتاج من يريد العمل بذلك إلى سلوك على يد شيخ ناصح حتى يخرج به من أدواء الطمع وشره النفس ويصير يقدم أمر إخوته على دنياه ويؤخر رضا نفسه إذا عارضه رضا الله ، وما رأيت أحدا قام بهذا العهد مثل ما قام به سيدي على الخواص رحمه الله كانوا يأتونه بالأموال والأطعمة وفيها العلل فيردها فإذا قالوا له والله خاطرنا بها طيب يقول لم أنا خاطري بها ما هو طيب رضى الله عنه ، فعلم أننا نراعى حفظ أعمال إخواننا من الآفات ، كما نراعى أعمالنا ولا نساعدكم فيما ليس فيه أجر لم فنأخذ أموالهم ونأكل طعامهم المعلوم لأجل نفع نفوسنا ولا نلتفت لنقص رأس مالهم فن فعل ذلك فقد أساء على نفسه وعلى إخوانه والله غنى حميد اه . وفي [جص] مداراة الناس صدقة « وفيه » رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة ، ويؤخذ منه الحث على مداراة الناس بكل ما أمكن من الإحسان إليهم وتحمل أذاهم وكف الأذى عنهم وملاطفهم . وفي [عف] ومن أخلاق الصوفية : المداراة واحتمال الأذى من الخلق ، وبإغ من مداراة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قتيلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم فوداه بمائة ناقة من قبله ، وإن بأصحابه حاجة إلى بعير واحد يفتقون به . وكان من حسن مداراته أن لا يلبس طعاما ولا ينهر خادما ، ثم قال : عن أنس قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعتته ولا لشيء تركته لم تركته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمداراة مع كل واحد من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق كافة من أخلاق الصوفية ، انظره ، ورحم الله من قال :

وذرمهم مادمت في دارهم وأرضهم مادمت في أرضهم
ومن قال : مادمت حيا فدار الناس كلهم فلما أنت في دار المداراة
من يدر دارى من لم يدر سوف يرى عما قليل ندبما^(١) للندامات

(لا تك مدھنا) بذاك مهمل قال تعالى - ودوا لو تدهن فيدهنون - وفي [س] المداهنة خلاف ما يضمم كالإدهان والغش اه وهى حرام لأنها نوع من النفاق . وفي [عف] ومن أدبهم في الصعوبة المداراة وترك المداهنة ، وتشبه المداراة بالمداهنة ، والفرق بينهما أن المداراة ما أردت به صلاح أخيك فداريته لرجاء صلاحه واحتملت منه ما تكره ، والمداهنة ما قصدت به شيئا من الهوى من طلب حظ أو إقامة جاه اه . وقيل : المداراة بذل المال لإصلاح الدين ، والمداهنة بذل الدين لإصلاح الدنيا ، ولذا قيل : المداراة من أخلاق الأبرار ، والمداهنة من شيم الأشرار . ولابن آدم رحمه الله :

نرفع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع
نظوبى لعهد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

فدار أخى ما دمت حيا فتغنيا
ولست ترى من قد يدارى بيومنا
ولا تارك ممن قد يداهن للمفت
ولكن ترى من قد يداهن في الوقت

(ولا نخوجن) بنون خفيفة من أحوجه إلى كسلنا أقره إليه (أخا) في الله تعالى (لعذر) أى إلى الإتيان بعذر فيما صدر منه من زلة أو هفوة بل قابل ذلك بالحلم والاحتمال والعفو والإغضاء . وفي [عف] ومن أدهم أن لا يحوجوا صاحبهم إلى المداراة ولا يلجئوه إلى الاعتذار ولا يتكلفوا للصاحب ما يشق عليه ، بل يكونوا للصاحب من حيث هو مؤثرين مراد الصاحب على مراد أنفسهم . قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « شر الأصدقاء من أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار أو تكلفت له . وقال جعفر الصادق : أثقل إخواني من يتكلف لى وأتخفظ منه ، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي ، انظره . وفي [حى] وقد قيل : يلينى أن تستنيط لزلة أخيك سبعين عذرا فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك ، فتقول لقلبك ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلم تقبله ، فأنت المعيب لا أخوك : قال الأحنف : حق الصديق أن تحتل منه ثلاثا : ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة . وقال آخر : ما شتمت أحدا قط ، لأنه إن شتمنى كريم فأنا أحق من ظفرها له ، أولئيم فلا أجعل عرضي له غرضا ، ثم تمثل وقال :

وأعرض عن شتم اللئيم تكريما انظره
ورحم الله من قال :

خذ من خليلك ما صنى
فالعمر أقصر من معا
ودع الذى فيه الكدر
تبه الخليل على الغير

ومن قال :

حسب الأحبة أن يفرق بينهم
ريب الزمان فما لنا نستعجل

وفيه : ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره ، قال عليه الصلاة والسلام « من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه إثم صاحب المكس » انظره . ورحم الله من قال :

إذا اعتذر الصديق إليك يوما
فإن الشافعى روى حديثا
تجاوز عن مساويه الكبيره
عن المختار أن الله يمحو
بإسناد صحيح عن المغيرة
بعذر واحد ألقى كبيره

وقال بعضهم : لا تصحب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت ويعتذر إليك إذا أسأت ويحمل عنك مؤونة نفسك ويكفيك مؤونة نفسه . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

هذا أعز من الغراب الأعصم
هذا لعمري من المحال وجوده

وفي [جص] « من أتاه أخوه في الدين متصلا فليقبل ذلك منه محقا أو مبطلا ، فإن لم يفعل لم يرد على الخوض » وفي [س] تنصل إليه من الجناية خراج وتبرأ اه ورحم الله من قال :

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا
وقد أهلك من يعصيك مستترا
إن بر عندك فيما قال أو فجرا

ومن قال :

وهبني مسيئا كالذي قلت ظالما
فإن لم يكن للعفو عندك للذي
فعموا جيلا كي يكون لك الفضل
أتيت به أهلا فأنت له أهل

ومن قال :

إذا شئت أن تدها حكما مهذبا
إذا ما بدت من صاحبك زلة
حليما سريا ماجدا فطنا حرا
فكن أنت محتالا لزلته عنرا

ومن قال :

إذا اعتذر الصديق إليك يوما
فصنه عن عتابك وأعف عنه
من التقصير عذر أخ مقر
فإن العفو شيمة كل حر

ومن قال :

إذا اعتذر الجاني محال العذر ذنبه
وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

(وكلفة) أى ولا تحوجن أخاك أيضا إلى ما فيه كلفة ومشقة لحديث « المؤمن يسير المؤنة » أى قليل الكلفة على إخوانه . وفى [عف] ومن أخلاق الصوفية : ترك التكلف وذلك لأن التكلف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لأجل الناس وذلك يبين حال الصوفية ، وفى بعضه خفى منازعة للأقدار وعدم الرضا بما قسم الجبار ، ويقال التصوف ترك التكلف ، ويقال التكلف تخلف وهو تخلف عن شأوى الصديقين . روى أنس بن مالك قال « شهدت وليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيها خبز ولا لحم » أنظره : وفى [حى] وقال الفضيل : إنما تقاطع الناس بالتكلف ، يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطع ذلك عنه ، وقال الجنيد ماتواخى اثنان فى الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش لإلحالة فى أحدهما ، وقيل لبعضهم : من نصحب ؟ قال من يرفع عنك ثقل التكلف ؟ وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ ، وكان جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما يقول : أثقل إخوانى على من يتكلف لى وأتخفظ منه ، وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى . وقيل : من سقطت كلفته دامت ألفته ومن خفت مؤنته دامت مودته . وقال بعض الصحابة : إن الله لعن المتكلفين . وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا وأتقياء أمتى برءاء من التكلف » وقال بعضهم : إذا عمل الرجل فى بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به إذا أكل عنده ودخل الخلاء وصلى ونام ، أنظره وفيه : ولا يتم التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسى* الظن بنفسه ، فإذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم . وقال أبو معاوية الأسود : إخوانى كلهم خير منى ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال كلهم يرى الفضل عليه ومن فضلى على نفسه فهو خير منى ، وقال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله ، ولا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له .

تذلل لمن إن تذلل له يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال عن الأصدقاء يرى الفضل له انظره

وفيه : ومن تنمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور إخوانه فى كل ما يقصده ويقبل إشاراتهم ، فقد

قال تعالى: «وشاورهم في الأمر» وينبغي أن لا يخفى عنهم شيئا من أسرارهم ، كما روى أن يعقوب ابن أخي معروف قال : جاء أسود بن سالم إلى عمي معروف وكان مواخيا له ، فقال : إن بشر بن الحارث يحب مؤاخاتك ، وهو يستحي أن يشافهك بذلك وقد أرسلني إليك بسألك أن تعقد له فيها بينك وبينه أخوة يحنسها ويعتد بها إلا أنه يشترط فيها شروطا لا يجب أن يشتر بها ، ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقة فإنه يكره كثرة الالتقاء ، فقال أنا لو آخيت أحدا لم أحب مفارقتة ليلا ونهارا ولزرتة في كل وقت وآثرته على نفسي في كل حال ، ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله أحاديث كثيرة ، ثم قال : فيها وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فشاركه في العلم وقاسمه في البدن وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصه بذلك لمؤاخاته ، وأنا أشهدك أني قد عقدت له أخوة بيني وبينه وهقدت إخاءه في الله لرسالتك ولمسألته على أن لا يزورني إن كره ذلك ، ولكني أزوره متى أحببت ومره أن يلقاني في مواضع نلتقي بها ومره أن لا يخفى علي شيئا من شأنه وأن يطلعني على جميع أحواله ، فأخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضى وسر به ، أنظره . قال رحمه الله :

(وَسَاعِدُهُ فِي أَمْرِ يُوَافِقُ سُنَّةَ وَخَالَفَهُ فِي شَيْءٍ يُؤَدِّي لِبِدْعَةٍ)

(وساعده) من ساعده وافقه (في أمر) أى في كل أمر من الأمور (يوافق) كتاب الله تعالى و (سنة) رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي [حى] اعلم أن قوام الأخوة بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة . قال أبو عثمان الجبرى : موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم ، انظره . ورحم الله من قال :

أحب من الإخوان كل موافق	وكل غصبيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل أمر أريده	ويحفظني حيا وبعد وفاتي
فن لي بهذا ، ليت أنى أصبته	فقاسمته ما لي من الحسنات
ومن قال : وكنت إذا علقت حبال قوم	صحبتهم وشميتني الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم	واجتنب الإساءة إن أساؤا
أشياء سوى مشيتهم فأتى	مشيتهم وأترك ما أشاء

وفيه : واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة له انظره . واعلم أن أخاك من صدقك ونصحك وإن خالف صدقه ونصحه هواك ، وأن عدوك من كذبك وغشك وإن وافق ذلك هواك . وفي [غ] ومن الأخلاق التي يدوم بها التودد والتآلف أيضا : محافظة الأخ على مساعدة أخيه وترك مخالفته في كل شيء دق أو جل إلا فيما يخالف الشريعة المطهرة اهـ . وكان بعضهم يقول لشيوخه : أحبك وأحب الحق ما اتفقنا وإذا اختلفنا فأحب الحق وحده . والمؤمن يدور مع الحق حيثما دار ولا يبالي . وفي [خل] وينبغي للعابد أن يكون حذرا من مخالفة السنة فإن من خالف السنة خالف الحق ومن خالف الحق هلك ، انظره . ولذلك لا ينبغي مساعدة الأخ فيما يخالف السنة بل يعلمه إن كان جاهلا وينبهه إن كان غافلا وينبذ به إن كان معاندا مجاهرا ويطلب الله له في الغيب بالهداية والغفران ، ولذا قال رحمه الله (وخالفه) من المخالفة ضد الموافقة (في) كل (شيء) من الأشياء (يؤدى) ويوصل (لبدعة) بكسر موحدة الحدث في الدين بعد إكماله أو ما استحدثت

بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الأهواء المضادة والأعمال المردية . وعن الأبياني رحمه الله ثلاث لو كتبني على الظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة : اتبع ولا تبتدع ، واتضع ولا ترتفع ، ومن ورع لا يتسع . وعن ابن مسعود رضي الله عنه : « عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة » وعن حذيفة رضي الله عنه : « لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوما ولا صدقة ولا حججا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا ، يخرج من الدين كما تخرج الشعرة من العجين » وأخرج البيهقي « أبى الله أن يقبل عمل صاحب البدعة حتى يدع بدعته » وفي [خل] غن الغزالي اتفقت الأمة قاطبة على ذم البدعة وزجر المبتدع وتعتيب من يعرف بالبدعة ، ثم قال : وقال صلى الله عليه وسلم : « اتبعوا ولا تبتدعوا فإمما هلك من كان قلبكم بما ابتدعوا في دينهم ، وتركوا سنن أنبيائهم وقالوا بأرائهم فضلوا وأضلوا » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات صاحب بدعة فقد فتح على الإسلام فتح » وقال صلى الله عليه وسلم : « من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام » وقال صلى الله عليه وسلم « من أعرض عن صاحب بدعة بغضاله في الله ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ، ومن اتهم صاحب بدعة رفع الله له مائة درجة ، ومن سلم على صاحب بدعة أو لقيه بالبشر أو استقبله بما يسره فقد استخف بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » انظره . وأخرج أبو نعيم : « أهل البدع شر الخلق » وقال سهل بن عبد الله : من داهن مبتدعا سابه الله حلاوة الإيمان . وحكى عن أحمد بن حنبل أنه قال : كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدخان الماء فاستعملت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمقنن » فلم أتجرد فرأيت تلك الليلة في المنام قائلا يقول : أبشر يا أحمد فإن الله غفر لك باستعمال السنة ، فقلت : من أنت ؟ فقال جبريل : وقد جعلك الله إماما يقتدى بك » اهـ . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « منى أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ، ومن أحب صاحب بدعة لم يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر » وكان الإمام مالك رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل بهذا البيت :

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

وفي الحديث : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وعن بعضهم لما نزل قوله تعالى - ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما - صرخ إبليس صرخة عظيمة اجتمع إليه فيها جنوده من أقطار الأرض قائلين ما هذه الصرخة التي أفرغتنا بها ، قال أمر نزل في لم ينزل قط أعظم منه قالوا : وما هو ؟ فتلى عليهم الآية الكريمة وقال لهم : هل عندكم من حيلة ؟ قالوا : لا . قال : اطلبوا فإني سأطلب فابشوا ما شاء الله ، ثم صرخ فاجتمعوا إليه وقالوا : ما هذه الصرخة التي لم يسمع منك مثلها إلا التي قبلها ؟ قال : فهل وجدتم شيئا ؟ قالوا : لا . قال : لكني قد وجدت قالوا : وما وجدت ؟ قال : أزين لهم البدع التي يتخذونها ديناً ثم لا يستغفرون : أي لأن صاحب البدعة يراها بجهله حقاً وصواباً ولا يراها ذنباً حتى يستغفر الله فألحق بالأخسرين أعمالاً . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وقال تعالى - وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون - الآية - أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً - الآية ، ورحم الله من قال :

بنى اجتنب كل ذى بدعة ولا تصحب من بها يوصف
فيسرق طبعك من طبعه وأنت بذلك لا تعرف

قال رحمه الله :

(وَلَا تُضْمِرْنَ سُوءَ لِأَمْرِ نَقْمَتِهِ مِنْ الْأَخِ بَلْ فَانصَحْ بِالطَّيِّبِ كَلِمَةً
وَقَدْ شَرَطُوا لَهَا اخْتِيفًا عِنْدَ بَيْتِهَا وَإِلَّا فَقَدْ أَفْرَقْتُمَا فِي الْفَضِيحَةِ)

(ولا تضمرن) بنون خفيفة من الإضمار ضد الإظهار لأخيك في الله تعالى (سوءا) بالضم أى قبيحا ومكروها وكرازة في قلبك (لأمر) أى لأجل أمر يخالف الشرع (نقمته) كرهته منه ونقم كضرب قال تعالى - وما تقوموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله - وقال - وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا - (من الأخ) في الدين . وفى [عف] والأخوة في الله تعالى مواجهة ، قال تعالى - إخوانا على سرر متقابلين - ومتى أضمر أحدهما للآخر سوءا أو كره منه شيئا ولم ينبه عليه حتى يزيله أو يتسبب إلى لإلته منه فمواجهته بل استدبره ، انظره . وفيه : فهم أى الفقراء المجتمعون في الربط كجسد واحد بقلوب متفقة وعزائم متحدة ، ولا يوجد هذا في غيرهم من الطوائف . قال الله تعالى - في وصف المؤمنين - كأنهم بنيان مرصوص - وبمعكس ذلك وصف الأعداء فقال - تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى - روى النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما المؤمنون كجسد رجل واحد إذا اشتكى عضو من أعضائه اشتكى جسده أجمع ، وإذا اشتكى مؤمن اشتكى المؤمنون » فالصوفية من وظيفتهم اللازمة حفظ اجتماع البواطن وإزالة التفرقة بإزالة شعث البواطن لأنهم بنسبة الأرواح اجتمعوا وبرابطة التأليف الإلهي اتفقوا وبمشاهدة القلوب تواطؤا ولتهذيب النفوس وتصفية القلوب في الرباط رابطوا ، فلا بد لهم من التألف والتودد والنصح . وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » ثم قال : فهم باجتماعهم تجتمع بواطنهم وتتقيد نفوسهم لأن بعضهم عين على البعض على ماورد « المؤمن مرآة المؤمن » ثم قال : وإذا ظهرت نفس الصوفي بغضب وخصومة مع بعض الإخوان فشرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فإن النفس إذ قبولت بالقلب انحسرت مادة الشر ، وإذا قبولت النفس بالنفس ثارت الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا - ثم الشيخ أو الخادم إذا شكك إليه فقير من أخيه فله أن يعاتب أيهما شاء فيقول للمتعدي لم تعديت وللمتعدي عليه ما الذى أذنبت حتى تعدى عليك وسلط عليك وهلا قابلت نفسه بالقلب رفقا بأخيك وإعطاء للفتوة والصحبة حقها ، فمكل منهما جان وخارج عن دائرة الجمعية فيرد إلى الدائرة بالنفار فيعود إلى الاستغفار ولا يسلك طريق الإصرار ، ثم قال : وسمعت شيخنا يقول للفقير إذا جرى بينه وبين بعض إخوانه وحشة : قم واستغفر ، فيقول الفقير ما أرى باطنى صافيا ولا أوثر القيام للاستغفار ظاهرا من غير صفاء الباطن ويقول : أنت قم فبركة سعيك ، وقيامك ترزق الصفاء فمكان يجد ذلك ويرى أثره عند الفقير وترق القلوب وترفع الوحشة ، وهذا من خاصية هذه الطائفة لا يبيتون والبواطن منظوية على وحشة ، ولا يجتمعون للطعام والبواطن تضمر وحشة ، ولا يرون الاجتماع ظاهرا فى شيء من أمورهم إلا بعد الاجتماع بالبواطن وذهاب التفرقة والشعث ، فإذا قام الفقير للاستغفار لا يجوز رد استغفاره بحال . روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ارحموا ترجموا واغفروا يغفر لكم » انظره (بل) إذا نقيت منه مانهى عنه شرعا (فانصح) أى فاذا ذكر له ذلك على

وجه النصيحة ولو بالتعريض والتلويح إن ظننت الإفادة ولم يعلم بالحكم وإلا فعليك بخوبصتك ويكون نصحتك له (بألفظ) وأسهل وأحسن (كلمة) كسفرة أى بكلام لطيف حسن فإنه أجدر بالقبول وأرجى في نيل المأمول . وفي [ثيق] أخذ علينا العهد أن نعلم أصحابنا طرق السياسة إذا تصدوا للنصح في بلدهم فإن كثيرا من الناصحين ينصح من غير سياسة فيثير فتنا في البلد أعظم ممانصع هو فيه . وقد رأيت مرة بواب مسجد يقول لواحد دخل المسجد وباطن نعله إلى أسفل من غير تطبيق طبق نعلك يا يهودى يا نصرانى يا كلب يا زربول يا من لا يخاف الله ، قال الأمر إلى أن تشاكوا في بيت الوالى وانقسمت أهل الحارة فرقتين ، فتخاصموا وراحوا إلى بيت الوالى وغرموا مالا له جرم ولم يزالوا متعادين وعمجرت في الصلح بينهم حتى في ليلة النصف من شعبان ، فعلم أن من نصح بغير سياسة ففساده أكثر من صلاحه ، ولو أن بواب الجامع قال له يا أخى طبق نعلك لثلا يسقط منه نجاسة في المسجد لقال له جزاك الله خيرا وطبق نعله . وكان الشيخ محي الدين يقول : شرط الناصح إذا أراد أن ينصح أحدا أن يمهده بساطا قبل النصح حتى يكون ذلك المنصوح هو المبادر لفعل ما أراد نصحه لأجله اه : واعلم أنه يحصل كثيرا لمن ينصح بلا سياسة الندم على نصحه ، ويقول أنا الظالم الذى نصحته إذا أذاه المنصوح فيصير النصح الذى هو واجب ظلما وإنما حصل له الأذى من جهله بطريق السياسة في ذلك ، فاعلم ذلك فإنه نفيس . وفيه : وكان أخى أفضل الدين إذا رأى إنسانا مرتكباً أمورا شنيعة أو عازما على فعل أمور قبيحة يقطع عليه من قدام ، ويقول لأصحابه أنا ما يعجبني إلا حال فلان الذى يكره الأفعال الردية ويتجنب كذا وكذا ، ويعدله ما هو متلطخ به أو عازم على فعله ، فيقف ذلك الشخص عن الإقدام على ذلك الفعل الردى أو يتوب عما كان يرتكبه أو يترك التجاهر به بعد أن كان يتجاهر به والكذب يجوز لمصلحة . وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى رحمه الله يقول : لا ينبغي لأحد أن يتصدر للنصح الناس إلا إن أعطاه الله حسن السياسة بحيث يمهّد للمنصوح مهادا حتى يكون هو المبادر لذلك الفعل بنفسه لما رأى لنفسه فيه من الخط والمصلحة ، ومن لم يعطه الله هذه السياسة فإفسده أكثر مما يصالحه ، انظره . وفي [جه] وعليكم بمناصحة إخوانكم في الطريقة برفق ولين وسياسة من غير ضغينة ولا حقداه . وفي [غ] ومنها أن يحفظ الأخ قلبه بقدر استطاعته من أن يضر فيه سوا لأخيه إذا رأى منه ما يكره ، وحفظ القلب من ذلك يكون بتنبه إياه على ما كرهه منه لكن بلطافة وسياسة بحيث يفارق ما كرهه منه وهو لا يشعر أنه مقصود من أخيه بذلك التنبيه ، وهذا أولى متى أمكن لجريه على سنن الأخلاق المحمدية ولبعده عن مظان الضغينة وغيرها مما يؤدي إلى فساد الطوية ، فإن لم يمكن هذا أو أدى الحال إلى التنبيه بالكلام فليكن في الخلا لا في الملأ وبتقديم تمهيد يأنس به المنصوح بحيث يقع في نفسه ذم ما أراد أن يأمره الناصح بالتخلية عنه قبل أن يأمره بذلك وبإخلاص القصد في ذلك لله تعالى والعزم على أن لا يذكر ذلك لأحد كائنا من كان اه . وفي الحديث : « المؤمن أخو المؤمن لا يدع نصيحته على كل حال » وفي آخر : « المؤمن مرآة المؤمن » و « المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضغينة ويحوطه من ورائه » اه . وفي آخر : « إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى به أذى فليمطه عنه » فينبغي لمن رأى في أخيه أذى حسيا أن يزيله عنه ويسن أن يريه إياه لثلا يظن أنه يعيب به ، وكذا الأذى المعنوى كارتكاب معصية فينصحه ويسعى في توبته ويدعو له بظهر الغيب . وثبت أن سيدنا عمر كان مع جماعة من الصحابة رضى الله عن جميعهم الرضا الأبدى وعناهم آمين فقال لهم : كيف تصنعون إذا رأيتم مني أعوجاجا ، فسكنوا فأعادها فقال سعد بن بشير :

إذا رأينا منك اعوجاجا قومناك بسيوفنا ، فقال الحمد لله الذى أبقي فى هذه الأمة من يقومون بسيفه إذا اعوججت أو كما قال رضى الله عنه وعنايه آمين . قال تعالى - يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم - (وقد شرطوا) أى ساداتنا الصوفية رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين (لها) أى للنصيحة (اختفا) قصره للوزن من اختفى استتر (عندئذ) بثلاثة أى نشرها وبذلها للمنصوح (وإلا) بأن بثتها جهرا وعلانية بين الناس (فقد أفرغتها) من الإفراغ وهو الصب (فى) قوالب وأساليب (الفضيحة) المنهى عنها شرعا وطبعيا . وفى [حى] فإن علمته : أى الأخ فى الدين ، وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك بالنصيحة ، وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائده وتركه وتخوفه بما يكرهه فى الدنيا والآخرة ليفزجر عنه ، وتنبيهه على عيوبه وتقبح القبيح فى عينه وتحسن الحسن ، ولكن ينبغى أن يكون ذلك فى سر لا يطلع عليه أحد ، فإكان على الملاء فهو توبيخ وفضيحة وما كان فى السر فهو شفقة ونصيحة إذ قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن مرآة المؤمن » أى يرى منه ما لا يرى لنفسه فيستفيد المرء بأخيه معرفة عيوب نفسه ، ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة . وقال الشافعى رضى الله عنه : من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه : وقيل لمسعر : أتحب من يخبرك بعيوبك ؟ فقال إن نصحتني فيما بيني وبينه فنعم وإن قرعني بين الملاء فلا . وقد صدق فإن النصيح على الملاء فضيحة ، والله يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه فى ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا . وقال ذو النون : لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ، ولا مع النفس إلا بالمخالفة ، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة : ثم قال : وهذا فى عيب هو غافل عنه فأما ما علمت أنه يعلمه من نفسه فإتما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغى أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه ، وإن كان يظهره فلا بد من التلطف فى النصيح بالتعريض مرة وبالتصريح أخرى إلى حد لا يؤدى إلى الانحياش ، فإن علمت أن النصيح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الإصرار عليه فالسكوت عنه أولى ، وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك فى دينه أو دنياه ، أما ما يتعلق بتقصيره فى حقله فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعاضد عنه ، والتعرض لذلك ليس من النصيح فى شيء ، انظره . وفى [عف] فمن أدبهم التغافل عن زلل الإخوان والنصح فيما يجب فيه النصيحة وكنم عيب صاحبه وإطلاعه على عيب يعلم منه . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى . وهذا فيه مصلحة كلية تكون للشخص ممن ينبيه على عيوبه . قال جعفر بن برقان . قال لى ميمون بن مهران : قل لى فى وجهى ما أكره فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له فى وجهه ما يكرهه ، فإن الصادق يحب من يصدقه والكاذب لا يحب الناصح . قال الله تعالى - ولكن لا تحبون الناصحين - والنصيحة ما كانت فى السرا . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نبادر لنصح كل من علمنا ثبات قلبه فى الدين ولو بحضرة ملاء من الناس ، ولا نترقب وقتا ننصحه فيه فربما نسينا ذلك قبل مجئ ذلك الوقت ، والنصح بلا شك خير والخير لا يؤخر ، فإن علمنا منه تزلزل القلب والتكدير من نصحنه له فى الملاء نصحنه سرا أو نترقب له وقتا آخر . ثم قال : اعلم يا أخى أن كل من لامك على نصحه فى الملاء فإتما ذلك لنفاق فى قلبه ، والمنافق لا يراعى ، بل الواجب لإصداعه ^(١) بالحق ، ولو أنه كان سالما من النفاق لفرح بالنصح لاسيا فى هذا الزمان الذى قل فيه النصاح ، لكن يكون ذلك بلين

(١) إصداعه : أى إجهاره اه .

ورحمته وشفقة ما أمكن خشية من أن يزداد بغلظتك عليه نفرة^(١) من الخير إما لعدم توفيقه بالخصوص أو مع عدم كمال إخلاصك ، انظره . وفي [غ] ومن آداب المنصوح هنا أن يروض^(٢) نفسه لتلقى نصيحة أخيه بالقبول ويعلم أنه إنما فعل معه ذلك لسكمال مودته وصفاء إخوانته فيثني عليه ويحازيه بدعاء الخير على ما أسداه إليه . وقد روى عن سيدنا عمر رضى الله عنه أنه كان يقول : رحم الله امرأ أهدي إلى عيوبه . ومعلوم أن الصادق يحب من يصدقه والكاذب بخلافه فلا يحب الناصح كما قال تعالى : - ولكن لا تجبون الناصحين - وليحذر المنصوح من ثورة النفس عند سماعه النصيحة فيحقر الناصح ويقول له مثلك ينصحنى أو ما فى سننى ذلك فإن ذلك من الجفاء . ومن أعظم أسباب الانتكاس والسقوط من عين الله والعياذ بالله تعالى . قال الشيخ محيى الدين : ومن قال لناصحه على سبيل شفوف نفسه عليه مثلك ينصحنى أولئكى يقال هذا ، فاعلم أنه سقط من عين الله تعالى وقد حجبته الله تعالى عن عبوديته وعن الإيمان فإن الله تعالى يقول - وذكر فإن الله كرى تنفع المؤمنين - اه . قال رحمه الله :

(وَلَا تَتَكَلَّفْ فِي ثِيَابٍ رَفِيعَةٍ سِوَى لِلْوُفُودِ أَوْ لِعِيدٍ وَجُمُعَةٍ)
(وَفِي مَنَاطِقٍ إِلَّا لِإِبْضَاحٍ مُّشْكِلٍ وَلِلضَّيْفِ فِي الْقَرَى مَخَافَةَ بَفْضَةٍ)

(ولا تتكلف فى) لبس (ثياب رفيعة) فاخرة تفاخرا وتكاثرا . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه ألبسه الله تعالى من حل الجنة » وفى [حصص] « من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أى حلل الإيمان شاء يلبسها » وفيه : « إن الله يحب المؤمن المبتذل الذى لا يبالي ما لبس » وفيه « لبس الحشن الضيق حتى لا يجرد العز والفخر منك مساغا » أى مدخلا عند الحاجة إلى قمع النفس وتطهيرها ، فمن لبس الحشن الضيق زال عنه الكبر وادعاء العظم لأن هذه اللبسة تؤذن بانكسار النفس وانخفاضها ، هذا هو الغالب من حال المؤمن ولكن لا يبالغ فى ذلك فإن الله يحب أن يرى على عبده أثر نعمته إذا أنعم عليه ويكره التباؤس ، ولأن الله جميل يحب الجمال ونظيف يحب النظافة ، ولذا قال أبو الحسن الشاذلى رحمه الله لذى هيئة رثة أنكر عليه جمال هيئته : يا هذا هيئتى هذه تقول الحمد لله وهيئتك تقول للناس أعطونى من دنياكم . وقد قال تعالى - قل من حرم زينة الله - اه . وروى : « إياكم ولبستين لبسة مشهورة ولبسة محقورة » وفيه « احذروا الشهرتين الصوف والخز » فلبس الصوف يشهر النفس بالصلاح ولبس الخز يشهرها بالتجمل . وفيه « نهى عن الشهرتين دقة الثياب وغاظتها ولينها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن سواء فيما بين ذلك واقتصاد إذ خير الأمور أوساطها » وفيه « من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه ، ومن لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوبا مثله ثم يلهب فيه النار » وفيه أبغض العباد من كان ثوباه خيرا من عمله أن تكون ثيابه ثياب الأنبياء وعمله عمل الجبارين » اه . وفى [جه] وأما لباسه رضى الله عنه فيلبس المتوسط من الثياب مما يقيه الحر والبرد كما يلبس عامة الناس ، ولا يحب الامتياز بثوب حسن ولا قبيح ، انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تترك الترفع فى اللباس تواضعا واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

(١) نفرة بضم النون كنفرة اه . (٢) قوله يروض من راض نفسه كقال ذلها وقهرها اه .

ولو كان معنا قناطير من الذهب فنجعل ذلك في مرضاة الله تعالى من الإلتفاق على الفقراء والمساكين والمحاييج ، وهذا العهد يخل به كثير من الفقراء فضلا عن العوام ، ثم قال : وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : ينبغي التسليم لمن لبس الثياب الفاخرة من الأولياء كسيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي علي بن وفا وسيدي مدين وأضرابهم . وقد كان سيدي عبد القادر الجيلاني يلبس كل ذراع من الخام يدينار فاعترض عليه بعض الناس فقال : العبد إذا مات كفن مرة وأنا قد مت أكثر من مائة مائة في مخالفة نفسي فلي أن ألبس كل بدلة ثمن مائة كفن اه . . ثم السر في ترك اللباس الرفيع أن النفس تميل إليه بالخاصية وتفرح به ، وكل شيء فرح به العبد من الدنيا حجبته عن دخول حضرة الله عز وجل كما تحجب المعصية ف يريد الإنسان أن يجد قلبه حال لبس الرفيع الفاخر مثل حاله في حال لبس الخلق القليل الثمن فلا يقدر ومن شك فليجرب ، وكذلك جربنا السجود على الأرض الطاهرة بلا حائل يجد الإنسان انفساحا وانسراحا ووصلة بالله عز وجل ، بخلاف الصلاة على بساط أو حصير ، ومدار كلام الشارع ونصحه لنا على عكوفنا في حضرة الله عز وجل ليعطى الخدمة للحق حقها ويتحلى بشهوده تعالى لأنه صلى الله عليه وسلم أشفق علينا من أنفسنا فضلا عن والدينا ، فما منعنا من فعل شيء إلا وهو يبعدنا عن حضرة الحق تعالى ، ثم قال : ففتش يا أخي نفسك فيما تأكل وفيما تلبس فمن فتش لا يجد شيئا في هذا الزمان يشتري به جوخة نفيسة ولا شاشا نفيسا أبدا . وربما كان ذلك الشاش الرفيع أو الجوخة البندق التي على العالم أو الصالح من هدايا بعض الولاة أو ثمنها من وظائف لا يسد فيها لا بنفسه ولا بئائه ، انظره . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا نتمكن أحدا من إخواننا أن يتكلف من مآكل الدنيا وملابسها ما لا يقدر على المداومة عليها ، ومن خالف ولم يقنع باليسير طوعا فعن قريب يقنع كرها وكذلك لا نتمكن أحدا منهم يتوسع من مال الغير إلا من الربح الحاصل فمن توسع من مال الحبس لاصيا من صرف ذلك في مآكل قد صارت عذرة في الأخلية لا يمكن استرجاعها ، وكذلك لا نتمكنهم من كسوة أولادهم في العيد وغيره من ذلك ولو بكوا واغتاضت أمهم فإن احتماله بكاءهم وغيظ أمهم أهون من خصام صاحب المال له ومن دخوله في الحبس والله غني حميد اه . وفيه : أخذ علينا اليهود إذا وسع الله علينا الدنيا أن لا نسرف في التوسع بها على أنفسنا وعبائنا وإنما نجعل التوسع في الصرف على الفقراء والمحاييج والأرامل والأيتام ، ونلبس الثوب بعشرة دراهم ونحوها من غير زيادة ، وذلك كاف لنا في إظهار النعم المأمور بها إن شاء الله تعالى ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له : « يا رسول الله عندي كل المال من البقر والإبل والغنم » قال : « أفلا ترى أثر نعمة الله عليك » فعبر بالأثر إشارة للقلة في الملابس والمآكل ، هكذا فهمنا . ومن كلام عمر بن الخطاب : اخشوشنوا : أي في جميع أحوالكم في هذه الدار ، فكلوا الخبز ولو بالملح ، واركبوا الحمار ولو عريانا ، والبسوا الثياب ولو غليظة ، وانسكحوا النساء ولو جارية شوهاء ، لأن هذه ماهي داركم ولا محل استقراركم . ثم إنه يجب علينا الرضا بذلك عن ربنا عز وجل . وقد كان عيسى عليه السلام يقول للحواريين : بحق أقول لكم إن لبس المسوح الخشن وأكل الشعير غير منخول والنوم على المزابل كثير على من يموت . وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لمن وسع الله عليه في هذا الزمان لبس الأصواف الرفيعة ولا الجوخ البندق ولا الشاش الهنداوي ولا الظهر الإسكندراتي ، ولا أن يأكل في أواني الصيني ، هذا في حق الكبير

نفسه فكيف بمن يكسو عبده من ذلك . قال : وأما الذى يكسو دابته البراذع^(١) المثمنة والدبابى الحمر واللباج والركاب المطلية ويركب على بساط قيمته ثلاثون دينارا فحكمه حكم البهائم ، وذلك لكثرة المحاويع من المسلمين من أهل حارته وغيرهم ، فكان الواجب عاياه أن يتفقد ذلك الفقير المسكين كما تفقد دابته فى الملبس ، هذا فيما إذا وجد ثمن هذه التبسطات من كسب حلال لاتبعة فيه ، فكيف بمن يحصل ذلك من كسب كله غش وحيف وخداع ونصب^(٢) وحيل ، مع قلوب مائلة ونفوس كالبة وعقول سالبة ، فى زمان لا يوجد فيه القوت إلا بمعاناة أسباب الموت ، كما يعرف ذلك أرباب الصنائع والحرف من السوق^(٣) ، انظره . فهذا حال زمانه فكيف بزماننا الذى هو آخر عجب الذنب ، فمنهم من يركب على سرج قيمته ألف دينار فصاعدا وعليه هو مايساوى مثل ذلك ، ومع ذلك لاتسخر نفسه بفلس نحاس لمسكين لا يجد مايسدبه الرمق :

رفقا بها قد بلغ السيل الزبى^(٤) واتسع الخرق على المرتق

- إنا لله وإنا إليه راجعون - اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى ديننا ودنيانا وأخرانا آمين . وفى [خل] عن أبى طالب المكي فى كتابه . ومما أحدثوا . من البدع لبس الثياب الكثيرة . قال : وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم ثوب أحدهم من سبعة دراهم إلى عشرة دراهم ، وكانوا لا يجاوزون هذا إلا نادرا أو كما قال . وأما الخروج به عن حد السمى والوقار فلا يخفى على ذى بصيرة حالهم به كيف هو انظره . ونقل أن محمد بن واسع سيد أهل زمانه لما دخل على أمير البصرة وكان ثوبه إلى أنصاف ساقه قال له : ما هذه الشهرة يا ابن واسع ؟ فقال له أنتم شهرتمونا ، هكذا كان لباس من مضى وإنما أنتم طوأنتم ذبولكم فصارت السنة بينكم بدعة وشهرة اه . وحكى أن عمر رضى الله عنه لما قدم الشام وكان على حمل خطامه ليف ورحله وزاده تحته ومرقته عليه سأله الأجناد أن يلبس ثوبا أبيض وأن يركب برذونا ليرهب العدو بذلك ففعل ، فلما أن استوى على البرذون نادى بأعلى صوته أقبأوا عمر عثرته أقال الله عثرتك ، فرجع إلى مرقته وحمله وقال : بالإيمان اعتزنا ، فكان ذلك سببا لفتح البلاد . - ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز - وفى [عف] فالصوفى يرد النفس فى اللباس إلى متابعة صريح العلم . قيل لبعض الصوفية ثوبك ممزق ، قال : ولكنه من وجه حلال ، وقيل له : وهو وسخ ، قال : ولكنه طاهر . فنظر الصادق فى ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » أى قريضة ولا نافلة ، ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا ، لأن طهارة الثوب شرط فى صحة الصلاة ، وما عدا هذين النظيرين فنظره فى كونه يدفع الحر والبرد لأن ذلك مصلحة النفس ، وبعد ذلك ماتدعو إليه النفس فكله فضول وزيادة ونظر إلى الخلق . والصادق لا ينبغي أن يلبس الثوب إلا لله وهو ستر العورة أو لنفسه لدفع الحر والبرد ، ثم قال : وروى أن أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه لبس قيصا اشتراه بثلاثة دراهم ثم قطع كفه من رؤوس أصابعه . وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذا أردت أن تلقى صاحبك فرقع قبضك واخصف نعلك وقصر أملك وكل دون الشيع . وحكى عن الحريرى قال : كان فى جامع بغداد رجل لاتكاد تجده إلا فى ثوب واحد فى الشتاء والصيف ،

(١) البرذعة بمجمة وإعمال ذالها أكثر .

(٢) قوله نصب كقفل : القبر والعذاب اه .

(٣) قوله السوق بضم سين مهملة : الرعية .

(٤) قوله الزبى جمع زبية بضم أولهما : حفرة فى أعلى الجبل اه .

فستل عن ذلك فقال : قد كنت ولعت بكثرة لبس الثياب فرأيت ليلة فيما يرى النائم كأنى دخلت الجنة ، فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقراء على مائدة ، فأردت أن أجلس معهم فإذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدي وأقاموني وقالوا لى : هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قيصان فلا تجلس معهم ، فانتبهت ونذرت أن لا ألبس إلا ثوبا واحدا إلى أن ألقى الله تعالى . وقيل مات أبو يزيد ولم يترك إلا قيصه الذى كان عليه وكان عارية فردوه إلى صاحبه ، ثم قال : قال أبو حفص الحداد : إذا رأيت وضاعة الفقير فى ثوبه فلا ترجو خيره ، ثم قال : وقيل كان عمر رضى الله عنه إذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة^(١) وقال : دعوا هذه البراقات للنساء . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نوروا قلوبكم بلباس الصوف فإنه مذلة فى الدنيا ونور فى الآخرة وإياكم أن تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم » ثم قال : وللعزيمة أقوام يركبونها ويراعونها لا يرون النزول إلى الرخص خوفا من فوت فضيلة الزهد فى الدنيا ، واللباس الناعم من الدنيا . وقد قيل : من رقى ثوبه رقى دينه . وقد يرخص فى ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ويقف على رخصة الشرع . وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر » فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله جميل يحب الجمال فتكون هذه الرخصة فى حق من يلبسه لابهوى نفسه فى ذلك غير مفتخر به ومختال ، فأما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكاثر بها فقد ورد فيه وعيده : وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أزرة المؤمن إلى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو فى النار » من جر لزاره بطرا لم ينظر الله إليه يوم القيامة ، فبينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر فى ردائه إذ أعجبه رداؤه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » والأحوال تختلف ومن صح حاله بصحة علمه صحت نيته فى مأكوله وملبوسه وسائر تصاريفه ، وفى كل الأحوال يستقيم ويتسدد باستقامة الباطن مع الله تعالى ، وبقدرك ذلك تستقيم تصاريف العبد كلها بحسن توفيق الله تعالى اه . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب : رجل أراد أن يغسل ثوبه فلم يجد له خلقة يلبسها ، ورجل لم ينصب على مستوقده قدرين ، ورجل طلب شرابه فلم يقل له أيهما تريد » وفى [شب] وكان الإمام على رضى الله عنه يرقع قيصه ويقول : إن لبس المرقع يخشع القلب . ومما ينسب له رضى الله عنه :

حقيق بالتواضع من يموت ويكفى المرء من دنياه قوت
فما للمرء يصبح ذا هموم وحرص ليس تدركه النعوت
فيا هذا سترحل عن قريب إلى قوم كلامهم السكوت

ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وضع ماله ومال زوجته فاطمة بنت عبد الملك فى بيت مال المسلمين وصارا كما أحاد الناس ، حتى صار أنه لا يملك إلا قيصا واحدا وهى كذلك ، فإذا أراد غسله مكث فى البيت حتى يجف ، على حد ما قيل :

قوم إذا غسلوا الثياب رأيتهم لبسوا البيوت وزوروا الأبواب

ومع ما كان عليه من الورع والزهد والعدل الذى ضرب به المثل كان له سرب ينزل فيه كل ليلة ويضع الغل فى عنقه فلا يزال يبكى ويتضرع إلى الصباح : وقيل له فى مرض الموت : تركت أولادك وهم ثلاثة عشر لبس لهم درهم ولادينار - فقال لم أمنعهم حقهم ، ولم أعطهم حقا لغيرهم ، وإنما ولدى

(١) قوله : الدرة بكسر الدال : آلة يضرب بها اه .

أحد رجلين إما مطيع لله تعالى فالله كافيه وهو يتولى الصالحين ، وإما عاص لله فما أبالي بما وقع له اه .
وفي [هب] إن الذي يتميز عن الناس في مركبه وملبسه وداره وما كله قبيح ، فقلت وما سبب قبحه ؟
فقال : إنه يشغل قلوب الناس بالالتفات إليه فيقطعهم عن الله تعالى فيكون تمييزه عنهم سببا في قطعهم .
قلت فالمحجوبون الذين يلتفتون إليه مقطوعون فلا يضرهم التفاتهم إليه ، فقال يزيدهم قطيعة على قطيعة .
قال : وأيضا فإن الروح تفر من الذات المشتغلة بهذا التمييز لأن بذلك التمييز يحصل للروح ذلة ومسكنة
فتكره فعل الذات وتفر عنها فلا تسددها ولا ترشدها إلى ما يليق بها مع خالقها فيكون ذلك سبب هلاكها
فقلت : فلتمييز حيثلة آفتان آفة في نفسه وآفة في غيره اه [تنمة] من الناس من يقصد بالتجمل
السلامة من إذاية الناس والتوصل إلى حقوقه كما هو شأن الوقت ومن شك فليجرب ، ولذا نقل عن
ابن زكري رحمه الله أنه قال : إسقاط الجاه ليس مطلوباً لذاته بل لما يتبعه من غلظ النفس ، ولا بد
للإنسان من جاه ما لثلاث تبخس حقوقه وتنتهك حرمة لأن الناس إنما يعتبرون ظاهر الصور . وقد كان
مالك رضي الله عنه يتجمل في ملبسه ولا يقبل بل ، ولذا قيل : ينبغي للعالم أن يظهر مروءته في ثيابه
إجلالا للعلم وصيانة لعرضه ودينه قال تعالى - يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين - ورحم الله من قال :

حسن ثيابك ما استطعت فإنها	زين الرجال بها تفر وتكرم
ودع التواضع في الثياب تخشنا	فالله يعلم ما تسر وتسكتم
فراث ثوبك لا يزيدك رفعة	عند الإله وأنت عبد مجرم
وجديد ثوبك لا يضرك بعدما	تخشى الإله وتنتق ما يحرم

وروى أبو داود عن أبي الأحوص عن أبيه قال : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب دون :
أى خاق ، فقال ألك مال ؟ قلت : نعم ، قال : من أى المال ؟ قلت : قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيول
والرقيق ، فقال إذا أتاك الله مالا فليز أثر نعمة الله عليك وكرامته وإن الله يكره البؤس والتباؤس »
ربنا آتانا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا - آمين (سوى للوفود) جمع وفد . وفي [س] وفد
إليه وعليه قدم وورد ، وهم وفود ووفد كصحب وأوفاد ووفد كركع ، انظره : أى سوى لملاقاة
الوفود والإخوان ، فينبغي للإنسان أن يتجمل لذلك كما هو سيرته صلى الله عليه وسلم في ملاقاتهم .
وفي [جص] أحسنوا لباسكم وأصلحو أحوالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس اه ولذا قيل :
ينبغي للمرأة أن يحسن ثوبه ويدنه لملاقاة إخوانه ، وأن يتحرز من المذمة ويطلب راحة إخوانه فلا
يستقلرونه . وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها : إن الله يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج
إليهم . وفيه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم عليه الوفد لبس أحسن ثيابه وأمر عليه (١)
أصحابه بذلك » وفي الحنفى : « كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد الخروج لمقابلة الجماعة أخذ ماء من
الركوة وغسل وجهه ويديه وصرح لحيته ولبس أحسن ثيابه وأمر الصحابة بذلك عند إرادة الاجتماع
بالناس ، وقال إن الله جميل يحب الجمال » وفي [ثيق] وقد كان الفضيل بن عياض رضي الله
عنه يقول : لو قيل لى إن أمير المؤمنين يدخل عليك الآن فسويت لحيتي بيدي لأجل دخوله لخفت
أن أكتب في جريدة المنافقين .

(١) عليه بكسر عين جمع على كسبية جمع صبي : أى جلة اه .

قالت : وهذا كله محمول على من لم تخضره نية صالحة ، أما من حضرته نية صالحة كأن أصلح عمامته أو لبس أحسن ثيابه لدخول أحد عليه ليأخذ عنه علما أو أدبا فهو محمود ، وقد كان صلى الله عليه وسلم إذا قدم عليه وفد يلبس أحسن ثيابه ويتعمم ويصلح طباط عمامته في جب الماء ، والله أعلم اهـ . وفي الحديث : « إن الله تعالى يبغض الوسخ والشعث » أي لأنه تعالى نظيف يحب النظافة : وفي آخر : « اغسلوا ثيابكم وخذلوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا فإن بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم » وفيه أيضا : أخذ علينا اليهود أن نسرع بغسل الثوب إذا اتسخ ونلبس أحسن ما نجد لإظهارا لعظمة ربنا من حيث إن ضخامة العبد تدل على عظمة الله سيده ، ومن هنا اتخذ الفقراء الصادقون الثياب النفيسة وجلسوا على السجادات النفيسة في الصلاة وغيرها من حيث كونهم أهل حضرة الله عز وجل لا لعلة أخرى ، وأما من لبس الثوب الوسخ الخلق والعمامة المشرطة من الفقراء فلأنما هو إظهار للذل والعبودية لله عز وجل . فرجع أمرهم أيضا إلى الله ، فلجمال أقوام وللجلال أقوام وكل كامل في مرتبته والله عليهم حكيم اهـ . قال تعالى - قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا - « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » الحديث (أولعيد) أي لأجل يومه فيستحب فيه لبس الحسن من الثياب ولو غير أبيض . وفي مختصر خليل رحمه الله : وندب إحياء ليلته وغسل وبعد الصبح وتطيب وتزين وإن لغير مصل . قال بعضهم : راجع للأمور الأربعة . قال الزرقاني : أي إلا النساء الخارجات له فلا يقربن طيبا ولا زينة وإن كن عجائز ، ولا ينبغي لأحد ترك إظهار الزينة والطيب في الأعياد تقشفا مع القدرة عليه فن تركه رغبة عنه فهو مبتدع قاله الخطاب . لكن ينبغي أن ينضم لذلك طهارة القلوب من الأدناس والعيوب ومراقبة علام الغيوب التي عليها المدار عند أولى الأبصار ، ورحم الله من قال :

ما عيذك الفخر إلا يوم يغفر لك	لا أن تجر به مستكبرا حلك
كم من جديد ثياب دينه خاق	تسكاد تابعه الأقطار حين سلك
وكم مرقع أثواب جديد تقى	بكت عليه السماء والأرض حين هلك
ومن قال :	وما العيد باستعمال طيب وزينة
ولكن رضا الرحمن هو الذي يقا	ل فيه عليه في الحقيقة عيد

وليعرض الإخوان رحمه الله ورضي عنه مما كتب به لبعض الأحياء يوم عيد :

الحمد لله إذ شفاك من سقم	يا أحمد بن محمد ومن ألم
عافاك ربى من الأهوال والحن	أبقاك ربى بقاء الدهر للأثم
عيد يعود بعفو وعافية	وبالأمان من الأسواء والنقم

(و) سوى لحضور صلاة (جمعة) أي وجماعة ، وفي مختصر خليل : وندب تحسين هيئة وجميل ثياب الخ . قال الزرقاني : وهو البياض وإن عتيقا وهما للصلاة لاليوم بخلاف العيد فلاليوم . وندب فيه الجديد ولو أسود ، فإن كان يوم الجمعة يوم عيد لبس الجديد غير الأبيض أول النهار والأبيض للصلاة الجمعة ولو عتيقا كما مر ، ويدل له خبر الموطأ « ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين لجمعه سوى ثوبي مهنته » (١) إذ الاتخاذ يشعر بتقديمه : انظره . وفي [جص] « ما على أحدكم إذا وجد سعة أن يتخذ

ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته « أى ليس على أحدكم حرج فى ذلك فلا إسراف فيه بل هو محبوب فإنه تعالى جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده قاله العزيزى . وفى [جه] ويداوم رضى الله عنه على غسل الجمعة ويؤكد لتأكيد سنتيه ويفعله على الوجه المسنون من كونه متصلا بالرواح ، ويلبس ثيابه إن كان وإلا ذهب للمسجد الجامع بما عليه ، ولا نراه يتطيب بالمسك ونحوه يومها وإن كان الطيب لها مستحب ، ولا فى سائر الأيام وهو يحبه كثيرا ويحب إليه ، ولعله من أجل ماكثر استعماله لأهل الرفاهية وكثير من السفهاء بقصد الترفه ، ويمشى هونا فى سعيه للصلوات كلها ، ويحب فاعل ذلك عملا بمقتضى الحديث « إذا أتيتم الصلاة فأتوها بسكينة ووقار » اه . وفى [خل] وينهى ، يعنى الإمام الناس عما أحدثه بعضهم من الإتيان للجمعة من غير غسل ولا تغيير هيئة فإن هذا من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم ، وقد كانوا رضى الله عنهم إذا أراد أحدهم أن يؤكد الأمر لصاحبه يقول له ولا تكن ممن يترك الغسل للجمعة : ومن كتاب الفتوى : وكان أهل المدينة يتسابون ويقولون لأنت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة . وقد قال مالك فى موطنه : إن غسل الجمعة واجب وهو ظاهر الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم « غسل الجمعة واجب على كل محتلم » واختلف العلماء فى ذلك هل هو واجب وجوب الفرائض أو وجوب السنن المؤكدة ، انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على غسل الجمعة صيفا وشتاء ولا نتركه إلا لعذر شرعى ، وفى ذلك من الأسرار مالا يذكر إلا مشافهة . وكان الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول : ما تركت غسل الجمعة فى شتاء ولا صيف ولا سفر ولا حضر . وهذا العهد يحل به كثير من الناس حتى بعض الفقراء وطلبة العلم . فتراهم يتساهلون به ويستثقلونه إما كسلا أو لعدم سباحة نفوسهم بفلوس الحمام . ومن الحكمة الظاهرة فى الغسل انتعاش الأعضاء بالماء حتى بصير بدنه كله حيا فيناجى الله بكل عضو فيه ، ولذلك أمرنا الشارع بالغسل قبل الذهاب إلى الجمعة لنصلى على أثر الغسل ، ولو أمرنا بالغسل أول ليلة الجمعة بما تخلل ذلك معصية أو غفلة فيموت البدن وإذا مات ، فابقى يناجى ربه ويتضرع إليه على الوجه المطلوب من العبد ، فتأمل ذلك والله تعالى أعلم ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا تهاون بترك السنن الشرعية ونقول الأمر سهل كما عليه طائفة من المتهورين كغسل الجمعة مثلا ، والتطيب والتزين لدخول المسجد ، والبدء بخلع النعل اليسرى إذا دخلنا المسجد أو خرجنا ، ونحو ذلك فقد أخبرنى سيدى على الخواص رحمه الله أن بكل سنة من السنن درجة فى الجنة لا ينالها إلا فاعل تلك السنة . وفى الحديث « ولا يشبع مؤمن من خبز » فاعلم ذلك واعمل عليه فإنه نفيس اه .

ومما ينبغى للإنسان أن يواظب عليه ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الجمعة فى صلاة الفجر - الم - تنزيل - السجدة ، و- هل أتى على الإنسان - » وفى كفاية الطالب لأبى الحسن عند قول أبى زيد فى الرسالة ويسجد لها من قرأها فى الفريضة والنافلة . وروى ابن وهب : لا تذكره قراءتها فى الفريضة ابتداء : وصوبها للخمى وابن يونس وابن بشير وغيرهم لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يداوم على قراءة السجدة فى الركعة الأولى من صلاة الصبح يوم الجمعة ابن بشير : وعلى ذلك كان يواظب الأخيار من أشياخي وأشياخهم اه - فبهذا هم اقتدوا -

وفي [عف] فعلى المبتدئ التمسك بكل فريضة وفضيلة فبذلك يثبت قدمه في بدايته ويراعى يوم الجمعة خاصة ويجعله لله تعالى خالصا لا يمزجه بشيء من أحوال نفسه وما آثرها ، ويذكر إلى الجامع بعد الغسل للجمعة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أباهريرة اغتسل للجمعة ولو اشتريت الماء بعشائلك ، وما من نبي إلا وقد أمره الله تعالى أن يغتسل للجمعة » ويشغل بالصلاة والتضرع والدعاء والتلاوة وأنواع الأذكار من غير فتور إلى أن يصلي الجمعة ، ويجلس معتكفا في الجامع إلى أن يصلي قرض العصر ، وبقيّة النهار يشغله بالتسبيح والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه يرى بركة ذلك في جميع الأسبوع حتى يرى ثمرة ذلك يوم الجمعة . وقد كان من الصادقين من يضبط أحواله وأقواله وأفعاله جميع الأسبوع لأنه يوم المزيد لكل صادق ، ويكون ما يجد يوم الجمعة معيارا يعتبر به سائر الأسبوع الذي مضى فإنه إذا كان الأسبوع سليما يكون يوم الجمعة فيه مزيد الأنوار والبركات ، وما يجد في يوم الجمعة من الظلمة وسامة النفس وقلة الانشراح فلما ضيع في الأسبوع يعرف ذلك ويعتبره ، انظره . وفي [جص] « إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم رمضان سلمت السنة » قال العزري : لأنه تعالى جعل لأهل كل ملة يوما يتفرغون فيه لعبادته فيوم الجمعة يوم عبادتنا كشهر رمضان في الشهور ، وساعة الإجابة فيه كليلة القدر في رمضان ، فمن سلم له يوم جمعة سلمت أيامه ، ومن سلم له رمضان سلمت له سنته اهـ .

(و) لا تتكلف أيضا (في منطق) أى في الكلام بالتصنع والتمشيق والفصاحة والبلاغة لأجل أن تمدح بذلك الحديث : « إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تحلل البقرة بلسانها » أى يتمشيق بلسانه في الكلام ويلفه كما تلف البقرة الكلا بلسانها لفا ، وفي آخر : « هلك المتنطعون » أى المتعمقون في الكلام البليغ تكبرا وتصنعا وتفاخرا على الأقران لاسجية وسليقة ، فمن كانت فصاحته وبلاغته سجية فهو وصف ممدوح لحديث : « جمال الرجل فصاحة لسانه » ورحم الله من قال :

لسان فصيح معرب في مقاله فياليته في موقف الحشر يسلم
وما ينفع الإعراب إن لم يكن تقى وما ضر ذا تقوى لسان معجم

وفي [عف] والتكلف مذموم في جميع الأشياء كالتكلف باللبوس للناس من غير نية فيه والتكلف في الكلام وزيادة التملق الذي صار دأب أهل الزمان ، فما كاد يسلم من ذلك إلا آحاد وأفراد وكم من متملق لا يعرف أنه تملق ولا يفظن له ، وقد يتملق الشخص إلى حد يخرج به إلى صريح النفاق وهو مبان لحال الصوفى ، وأخرج عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الجيئة والعي ، شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان ، شعبتان من النفاق » البذاء : الفحش ، وأراد بالبيان هنا كثرة الكلام والتكلف للناس بزيادة تملق وثناء عليهم وإظهار التفصح ، وذلك ليس من شأن أهل الصدق : انظره (إلا لإيضاح) وتبيين كلام (مشكل) من أشكل الأمر التبس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تسكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا . وفي [جه] وكثيرا ما يقول رضى الله عنه : العالم على الحقيقة من يشكل الواضح ويوضح المشكل لسعة علمه وكثرة فهمه وحسن نظره وتحقيقه ، فهذا الذي يجب حضور مجلسه والاستماع من غرائب وفوائد علمه ، كما قال الشيخ ابن عرفة في أبياته المنسوبة له :

إذا لم يكن في مجلس الدرس نكتة بتقرير إيضاح لمشكل صورة

وغزو غريب النقل أو حل مشكل أو إشكال أبدته نتيجة فكرة
فدح سعيه وانظر لنفسك واجتهد وإياك تركا فهو أقبح خلة

انظره (و) لا تتكلف أيضا (للضيف) للواحد والجمع وقد يجمع على أضياف وضيوف
وضيفان وهي ضيف وضيعة . انظر [س] (في) كل ما تقدمه له من (القرى) وغيره ، والقرى
بالكسر والقصر : ما يقدم للضيف أول نزوله ، وهو من المسائل التي يندب فيها التعجيل الجموعة
في قول من قال رحمه الله :

بادر بتوبة قرى والدفن بكر صلاة مع جهاد دين
وذيلها من قال رحمه الله :

تعجيل أوبة كذا رمى الجمار ثم الزكاة أدها قبل انكسار
ومن آدابه تقديم الموجد وترك التكلف بالمفقود ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

أقول لمن حل بي مرحبا فأحضره مالدى حضر
ولو كان خبز شعير وما فحسبي سنة من قد غير
فأما الكريم فيشكره وأما اللئيم فقد احتقر
بخبز وخل قرى جابر وأقرى بكسرة خبز عمر
بهديهم يا أخى فاهتدى ودع من يباهى ومن افتخر
فإن زمانك لا يقبل ۝ محال به صرفا فالخدر

وفي [جص] « كفى بالمرء شرا أن يتسخط ما قرب إليه » وفيه « إذ اشتد عليك كلب » (١) الجوع
فعليك برغيف وجرة من ماء القراح (٢) « وقل على الدنيا وأهلها الدمار » (٣) وفيه « أكرموا الخبز
فإن الله أكرمه ، ومن أكرم الخبز أكرمه الله » وروى « ما استحق أحد الخبز إلا ابتلاه الله بالجوع »
ورحم الله من قال :

أرى خبز الشعير بماء وملح لمن طالب النجاة له كثيرا
[لطيفة] قد أخبرني من أثق به أنه سمع من دعا إنسانا ليأكل معه خبز شعير وزيتا فقال له
ذاك غداء الشيطان نعوذ بالله من الخسران والخذلان . وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه وعنايه
أمين « ومشيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبز شعير وإهالة سنخة » وإهالة بكسر الهمزة
ما أذيب من الشحم والسنخة كنبقة المتغيرة الريح . وفي سنن أبي داود عن أنس رضي الله عنه « أن
النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى سعد بن عباد فجاء بخبز وزيت فأكل ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة » وزاد غيره « وذكركم الله فيمن
عنده » وفي [حني] وأما آداب التقديم فترك التكلف أولا وتقديم ما حضر ، فإن لم يحضره شيء ولم
يملك فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه ، وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه ،
بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال : لولا أني أخذته بدين لأطعمتك منه .

(١) قوله كلب بفتحين مصدر كلب الكلب كتب : أصابه داء كالجنون اه .

(٢) قوله القراح كسحاب : الماء الخالص اه . (٣) قوله الدمار : كهلاك وزنا ومعنى اه .

وقال بعض السلف في تفسير التكلف : أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة . وكان الفضيل يقول : إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه ، وقال بعضهم : ما بأبالي بمن أتاني من إخواني فإني لا أتكلف له إنما أقرب ما عندي ، ولو تكلفت له لكرهت مجيئه وملته . وقال بعضهم : كنت أدخل على أخ لي فتكلف لي فقلت له إنك لا تأكل وحدك هذا ولا أنا وحدى فما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه فلما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المحب ، فقطع التكلف ودام اجتماعهما بسببه . ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذى قلوبهم . وروى أن رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال على : أجيبك على ثلاث شرائط : لا تدخل من السوق شيئا ، ولا تدخر في البيت ، ولا تجحف بعيالك . وكان بعضهم يقدم من كل ما في البيت فلا يترك نوعا إلا ويحضر شيئا منه . وقال بعضهم : دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزا وخلا وقال : لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلف لكم . وقال بعضهم : إذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر ، وإن استقرت فلا تبقى ولا تذر . وقال سلمان : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا . وفي حديث يونس النبي ^(١) صلى الله عليه وسلم : أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسرا وجزلهم بقل كان يزرعه ، ثم قال لهم كلوا لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلف لكم . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة : أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ، ويقولون لا ندري أيهما أعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه اه . وفيه : روى الأعمش عن أبي وائل قال : مضيت مع صاحب لي زور سلمان فقدم لنا خبز شعير وملح جريشا ، فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعترا كان أطيب ، فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعترا فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا ، فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة ، انظروه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تحتقر ما تقدمه للضيف ولا تحتقر ما قدم لنا إذا كنا ضيوفا ولو كسرة يابسة أو تمر واحدة ، لاسيما في هذا الزمان الذي قل فيه الحلال حتى إنه لا يكاد يوجد منه شيء في يد شيخ من مشايخ الفقراء فضلا عن آحاد الناس ، ولم يكلفنا الله تعالى أن نضيف الناس بالحرام والشبهات وإنما أمرنا أن نضيفهم بالحلال ، ثم قال : وقد بلغنا أن الحسن البصري زار عمر بن عبد العزيز أيام خلافته ، فأخرج له عمر نصف رغيف ونصف خيارة وقال : كل يا حسن فإن هذا زمان لا يتحمل الحلال فيه الإسراف اه . وقال ميمون بن مهران : زرت الحسن البصري فدققت الباب فخرجت لي جارية خماسية فقالت من تكون ؟ فقلت لها ميمون ، قالت كاتب عمر بن العزيز ؟ فقلت لها نعم ، فقالت وما حياتك يا شقي إلى هذا الزمان الخميث ، ثم استأذنت الحسن فأذن لي فدخلت عليه ، فأخرج لي كسرة وشقة بطيخ ، وذكر لي زيارته لعمر بن عبد العزيز وتقديمه له الكسرة والخيارة فإذا كان هذا حال الخلفاء أمراء المؤمنين في المئة الأولى فما ظنك يا أخي بالنصف الثاني من القرن العاشر صاحب الغرائب والعجائب في عدم تورع أحد من أهله ذلك التورع ، فأطعم يا أخي الله تعالى بشرط الحل فإنك مسئول عن كل لقمة تطعمها لضيوفاك من أين اكتسبتها والله يتولى هداك ، انظروه ، وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله

(١) هو يونس بن متى نسب إلى أمه ، وقيل هو اسم أبيه صلى الله عليه وسلم اه مرتضى .

صلى الله عليه وسلم أن تقرى^(١) الضيف ونكرمه ونأمر جميع إخواننا بذلك ونبين لهم ما ورد في تأكيد حقه ، وهذه السنة عظيمة والعامل بها قليل لاسيما قرى الأمراء لانكاد ترى لهم رغيفا إلا في النادر ، وكان الأولى لهم إحياء هذه السنة التي اندرست ، ويقرون كل وارد عليهم حسب الطاقة لأن حامل العلم والقرآن من نواب النبي صلى الله عليه وسلم وصغيرته كبيرة ، فينبغي لكل عالم أن يدعو طلبته إلى طعامه كلما قرعوا عليه ولورغيفا يفرقه عليهم ، ثم قال : وسمعت أخى أفضل الدين يقول : إياك أن تضيف إنسانا ويخطر ببالك المقابلة إذا وردت أنت الآخر عليه بل أطعمه لوجه الله لا تريد منه جزاء ولا شكورا ، ومتى خطر في بالك أنه يقابلك إذا وردت عليه فلست مخلصا بل أنت مرء والمرأى أجره جابط من أصله ، وهذا حال غالب الناس اليوم ، فإن علمت ذلك يا ولدى من إنسان فلا تأكل له طعاما لاسيما الفلاحين فإن أحدهم لا يتكلف لمن ورد عليه إلا على نية طلب العوض لعجزهم عن بلوغ مقام الإخلاص ، وإن شككت فجرب اه . ثم قال : وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إياك أن تأكل لمن استضافك لأجل اعتقاده فيك الصلاح فإنك إن كنت صالحا في نفس الأمر فقد أكلت بدينك وإن لم تكن صالحا فقد أكلت حراما بنص الشريعة ، فقلت له ممن آكل ؟ فقال لا تأكل إلا ممن لورأك تشرب الخمر لا يقطع ضيافته عنك فإنه حينئذ يطعمك الله تعالى ، بخلاف من غلب ظنك فيه . أنك لو سلمت من الصلاح لم يطعمك لقمة اه . وهذا ورع الفقراء الذين مضوا ، وأما اليوم فلا تكاد ترى أحدا يتورع من ذلك ، ثم قال : ومن أعان ضيفا على تعدى آداب الشارع فهو إلى قلة الأجر أقرب ، فينبغي للفقير أن يكون أشفق على الناس وعلى دينهم من أنفسهم ، فقلت له ربما خاف الإنسان من نسبته إلى تقصير إذا أخرج للضيف كسرة يابسة ؟ فقال من يخاف العتب من الناس ماهو من رجال هذا المقام إنما هذا لمن يراعى الله وحده . وقد جربنا أنه ما أخلص عبدا في شيء ورد عليه أبدا فإن رد عليه بسوء فإنما ذلك لشيء يخالطه من أهوية النفوس ، ثم قال : وسمعت سيدى محمد بن عنان رحمه الله يقول : إذا صرت موردة للناس فإياك أن تتكلف للضيف فإنك تهرب ولو على طول ، والله عليم حكيم اه . وفي [عف] ويكره أكل طعام المباهاة وما تكلف للأعراس والتعازي ، انظره . وفي [جه] ومن عادته رضى الله عنه أنه لا يخرج من داره شيئا لأضيافه أو غيرهم إلا بعد كفاية من بداره منه ، وإن أخرج يوما طعاما لم يكن فيها غيره حاضرا عوضهم آخر مثله لا محالة ، وينبه على ذلك ويربى به غيره مخافة التوصل لحق بترك حق ، ومن شأنه رضى الله عنه حفظ الطعام واحترامه متى فضل شيء منه التمس في الحين من يأكله ، وإذا خرج الطعام من داره للأضياف وفضل عنهم يتصدق به فلا يرجع إلى الدار منه شيء أصلا لأنه خرج لله تعالى اه .

[قلت] للحديث « العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه » وأما من لم يخرج له على تلك النية فله أكل ما فضل للضيف ولا سيما إن صحت النية ، فقد عدوا فضلة الضيف من الأمور التي لا حساب فيها على الإنسان ، وجمعها من قال رحمه الله :

قد جاء لا حساب في أكل السحور كذا مع الإخوان أو أكل الفطور
وزد لهذا فضلة الضيف فقلت صرح بعض أن هذا قد ورد

وفي [خل] وقد كان بعض السلف إذا جاءه الأضياف يقدم لهم في وقت واحد ما يقوم بنفقته شهرا ونحوه ، فيقال له في ذلك فيقول قد ورد أن بقية الضيف لا حساب على المرء فيها ، فنكان لا يأكل إلا فضلة الضيوف لأجل ذلك اهـ (مخافة) أى من أجل خوف (بغضة) بكسر موحدة : شدة البغض الحديث : « لا تكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله » وفي [عف] ومن أدبهم أن لا يتكلفوا للإخوان . قيل لما ورد أبو حفص العراق تكلف له الجنيذ أنواعا من الأطعمة فأنكر ذلك أبو حفص وقال : صير أصحابي مثل المخانيث يقدم لهم الألوان والفتوة عندنا ترك التكلف ، وإحضار ما حضر فإن بالتكلف ربما يؤثر مفارقة الضيف ويترك التكلف يستوى مقامه وذهابه اهـ . وفي [ثيق] أخذ علينا العمود أن لا نتكلف قط لضيف ولو كان من أعز الناس أو من الصالحين سدا لباب التكلف الذي تبرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « نحن معاشر الأنبياء برءاء من التكلف » ثم قال : واعلم يا أخى أن كل من تكلف للضيف فلا بد له من كراهته للقائم وقتل بابه عليه والهرب منهم ولو على طول حيث أخطأ السنة ومن شك فليجرب ، ثم قال : وكان سيدى الشيخ على الخواص يسقى الضيف الماء فقط ويقول الماء أحل ما وجدناه اليوم والأكل كثير عند غيرنا ولكل مقام رجال . والله واسع عليم - اهـ . وفي [غ] وفي الحديث : « من مكارم الأخلاق التزاور في الله » وحق على المزور أن يقرب إلى أخيه ما تيسر عنده وإن لم يجد إلا جرعة ماء وإن احتشم أن يقرب إلى أخيه ما تيسر له لم يزل في مقت الله يومه وليلته اهـ . وفي [جص] « لا خير فيمن لا يضيف » وفيه « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » وفيه « إذا دخل الضيف دخل برزقه وإذا خرج خرج بمغفرة ذنوبهم » وفيه « من ذبح لضيفه ذبيحة إكراما لله كانت فداءه من النار » قال الحنفى : أى ذبيحة كانت ولو دجاجة ونحوها اهـ . وقال : وإكرام الضيف بحسب ما يقتضيه الحال من إطعامه حتى يشبع ولا يجلس فوقه بل تحته ويهيئ له ما يركبه إن كان منزله بعيدا اهـ . وفيه : سخافة بالمرء أن يستخدم ضيفه . وقد علمت أن السين والتاء للطلب أما لو تطوع بخدمة بنية صالحة فلا يضر . ونقل أن بعض الأولياء كان يضرب أضيافه فاستغرب بعضهم ذلك فقصدته ليختبره فصار يصب الماء على يده بنفسه ويقدم له النعل ، وكل ما يفعل معه شيئا من ذلك يقول له الضيف واجب عليك ذلك ، فقال له لم لم تضربني كغيزى من الضيوف ؟ فقال لأنك لم تمنعني من السنة فضررتي لهم لأجل كفهم عن منعهم من خدمتهم اهـ . ومما ينبغى أيضا مواكلة الضيف لقوله صلى الله عليه وسلم لأمتنا عائشة رضى الله عنها وعناها أمين « وآكلى ضيفك فإن الضيف يستحي أن يأكل وحده » اهـ . وأن يلقمه لقمة لحديث : « إذا أكل أحدكم مع الضيف فليلقمه ^(١) بيده فإذا فعل ذلك كتب له بكل لقمة عمل سنة صيام نهارها وقيام ليلها » اهـ ومما ينبغى للضيف أن لا يسأل عما قدم إليه من الطعام أحلال أم لا ؟ لحديث « إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم فأطعمه من طعامه فليأكل ولا يسأل عنه وإن سقاه من شرابه فليشرب ولا يسأل عنه » أى اللهم إلا أن يعلم حرمة فلا يقربه وليتستر على نفسه بالصيام ونحوه كما وقع لبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه غير ما مر ، ومما ينبغى له أن لا يصوم إلا بإذن رب المنزل لحديث « إذا نزل الرجل بقوم فلا يصم

(١) بضم تحتية وتشديد فاف : من التلقم اهـ .

إلا يذنبهم اه . وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن نكرم كل ضيف ورد علينا سواء كان إنساناً مؤمناً أو كافراً أو غير إنسان من سائر الحيوانات أو غيرها حتى الأيام والساعات والدرج والدقائق والثواني والحواطر والواردات كل صنف بما يناسبه ، فيكرم الضيف المسلم بالبشاشة وإطعام الطعام والفرش والغطاء وتحلية الكلام له ونحو ذلك . قال بعضهم : وينبغي أن يزيد في البشاشة والإكرام للضيف الكافر تأليفاً له على الإسلام ، ونكرم الأيام والساعات والدرج^(١) والدقائق والثواني بالطاعات والإكثار من ذكر الله عز وجل وكثرة الاستغفار لتفارقنا ، وهي شاكرة غير دامة إذا رجعت إلى خالقها ، والواردات والحواطر بتنظيف بواطننا من الحرام والشبهات فإن لم يقع منا إكرام لما ذكر أكثرنا من الاستغفار اه - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - قال رحمه الله :

(وَكُنْ مُتَوَاضِعًا حَيِيًّا وَلِيِّنَا وَكُنْ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ مَعَ كُلِّ ذَرَّةٍ)

(وكن متواضعاً) من تواضع : تخضع وتذل . وفي [عف] ومن أحسن أخلاق الصوفية التواضع ولا يلبس العبد لبسة أفضل من التواضع ، ومن ظفر بكفر التواضع والحكمة يقيم نفسه عند كل أحد مقداراً يعلم أنه يقيمه ويقيم كل أحد على ما عنده من نفسه ، ومن رزق هذا فقد استراح وأراح وما يعقلها إلا العالمون ، ثم أخرج بسنده عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض » وقال عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - قال « على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس » وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمساكين ، ثم أخرج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وأن ترضى بالدون من المجلس وأن لا تحب المدحة والتزكية والبر » وورد أيضاً عنه عليه الصلاة والسلام : « طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة سئل الجنيد عن التواضع فقال : خفض الجناح ولين الجانب ، وسئل الفضيل عن التواضع فقال : تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه ، وقال أيضاً : من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب ثم قال : قال أبو حفص : من أحب أن يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليتزم بحرمتهم فن شدة تواضعهم في أنفسهم يقتدى بهم ولا يتكبر . وقال لقمان عليه السلام : لكل شيء مطية ومطية العمل التواضع . وقال النووي : خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا : عالم زاهد ، وفقه صوفي ، وغني متواضع ، وفقير شاكِر ، وشريف سني . وقال يوسف بن أسباط : وقد سئل ما غاية التواضع قال : أن تخرج من بيتك فلا تاتي أحداً إلا رأيته خيراً منك . ثم قال بعضهم : من تكبر فقد أخبر عن ندالة نفسه ، ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه . وقال الترمذي : التواضع على ضربين : الأول أن يتواضع العبد لأمر الله ونهيه فإن النفس لطلب الراحة تتلهى عن أمره والشهوة التي فيها تهوى في نهيه فإذا وضع نفسه لأمره ونهيه فهو تواضع ، والثاني أن يضع نفسه لعظمة الله فإن اشتتت نفسه شيئاً مما أطلق له من

(١) قوله الدرج بفتحين جمع درجة كقصب وقصبة وكفرة وغرف : المرقاة التي يصعد بها اه .

كل نوع من الأنواع منعها ذلك ، وحيلة ذلك أن يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى : واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه ، فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب ، فتلين وتطيع للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها ، انظره .

وفي [حى] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وماتواضع أحد الله إلا رفعه الله » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة ^(١) يسكانه بها فإن هو رفع نفسه جهلها ثم قال : اللهم ضعه ، وإن وضع نفسه قال اللهم ارفعه » وقال صلى الله عليه وسلم : « طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة ، ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذل أفقره الله ، ومن أكثر ذكر الله أحبه الله » وفيه : وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ، إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي وألزم قلبه خوفاً وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجل . وقال صلى الله عليه وسلم « السكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى » وقال المسيح عليه السلام : طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة ، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة ، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله يوم القيامة . وفيه قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة » وقال صلى الله عليه وسلم : « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا رحمكم الله » ثم قال : وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم وصغار » وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل ، وأن ترفع نفسك عن من هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل : وقال الحسن : التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جلالاً أو ثياباً أو علماً فلم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة ، أنظره . وفي الحكم : من أثبت لنفسه تواضعاً فهو المتكبر حقاً إذ ليس التواضع إلا عن رفعة ، فمَنْ أثبت لنفسك تواضعاً فأنت المتكبر حقاً .

وعن أبي يزيد رحمه الله ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر . قيل فمَنْ يكون متواضعاً ؟ إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالاً . وفي [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه عن حقيقة التواضع ؟ فقال رضى الله عنه : حقيقته أن يرى نفسه دون كل جليس ذوقاً لا علماً ، وذلك لأن الذوق لا يصير عند صاحبه بقية كبر ولا يتكدر قط ممن يزدريه ، بخلاف من كان تواضعه لجليسه علماً فإنه يطرده الكبر في بعض الأوقات ويتكدر ممن ينقصه ، ثم قال : شروط التواضع الغيبة عن التواضع ، وذلك لأن من يشهد تواضعه لا بد أن يكون أثبت لنفسه مقاما غالباً ، ثم تواضع وتنازل منه لأخيه وكفى بذلك كبراً ، وفي الحديث : « لا يدخل الجنة من في قلبه ذرة من كبر » انظره وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتواضع لإخواننا المسلمين بمعنى أننا نرى نفسنا دونهم في المقام لا أننا نرى مقاما فوقهم وتتنازل لهم منه كما هو ظاهر لفظ التواضع ، انظره .

(١) حكمة كقصة : مقدم وجه الإنسان ، وما أحاط بحنك الفرس من الجاهل .

وفي [ثيق] فاشهد نفسك يا أخى دون جليستك المسلم لتصير من أهل التواضع ويرفعك الله تعالى فوق أقرانك فإن في الحديث الصحيح: « من تواضع لله رفعه الله » فإن رأيت نفسك فوق إخوانك صرت تحتهم وإن شهدتهم فوقك صرت فوقهم ، ولم يتعبدنا الحق تعالى بأن نرى نفوسنا فوق أحد من الخلق إلا من حيث الشكر فقط ، لا من حيث الزهو والعجب والكبر ، بل نهانا عن الكبر أشد النهي ، وقال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر » يعنى على أخيه المسلم : ثم قال : وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا يبلغ العبد مقام التواضع حتى لا يرى له مقاما على شيء في الوجود عند الله تعالى : أى على سبيل التواضع إلا بنص صريح من الشارع صلى الله عليه وسلم ، بل ينزل نفسه تحت الأرضين السفلى الذى هو مقر نفوس العارفين ، وما دام يرى له مقاما عاليا يتنازل منه إلى الناس فهو من المتكبرين ، فهو وإن تواضع يرى نفسه على الناس الذين تواضع لهم لأنه أثبت له مقاما فوقهم تنازل لهم منه ، وما هكذا يكون تواضع العارفين . وسمعت مراراً يقول : من علامة المتخلق بمقام التواضع على الحقيقة أن يتحمل أذى الخلق أجمعين ولا يقابلهم بأذى كما يفعل العبد مع سيده ، وهذا الأمر هو الذى أعان الفقراء على تحمل الأذى من الخلق ، فإنهم لو رأوا نفوسهم أعلى أو متساوية لما احتملوا أذى أحد من الخلق ، بل كانوا يقابلونهم بنظير ما فعلوا معهم ، وتأمل يا أخى العبد لما ظهر له مقام سيده الذى اشتراه ووزن ثمنه كيف يشتمه سيده ويضربه وهو ساكت منكس الرأس ، ومن علامة المتحقق به أيضا : إن لا يمنع أحدا شيئا طلبه منه إلا لغرض صحيح شرعى كما يفعل العبد مع سيده ، ومن علامته أيضا أن لا يخطر في باله أن أحدا يقوم له أبدا أو أنه يستحق القيام له كما هو شأن العبد مع سيده ومن علامته أيضا أن لا يتأثر ممن يهجو ويذكروه بالنقائص ، بل يقول إن الهجو ورميه بالنقائص وقع من أهله في محله إلا أن يكون الأولى في الشرع خلاف ذلك ، ومن علامة المتحقق به أيضا أن لا يتجرأ على دخوله المسجد إلا تبعا للناس وإذا جاء فوجد المسجد ليس فيه أحد يقف على الباب حتى يدخل أحد فيدخل تبعاله لأسرار يذوقها أهل الله تعالى ، ثم قال : ومن علامة المتحقق به أيضا كثرة تسليمه للخلق في كل ما يدعونه من مراتب الكمال ويقول إن أهل الأرض لا يعرفون أخبار من هو في السماء : أى إن الأدنى بعيد عن الإحاطة بحال الأعلى فليمتحن العبد نفسه بهذه العلامات فإن رآها متخلقة بها فليشكر الله وإلا فليتب إلى الله تعالى من التكبر ، انظره . وفي [جص] « تواضعوا لمن تعلمون منه العلم وتواضعوا لمن تعلمون ولا تكونوا جبابرة العلماء » قال المناوى : وتماه « فيغلب جهلكم علمكم » قال الحفنى : فإن من خضع لشيخه تجلى الله عليه بالأنوار وكان سببا لإتحافه بالفهم حيث راعى حق شيخه في السر والعلانية ، ومشايخ التسليك أولى بذلك فقد قالوا : لا ينبغي له أن يجالس شيخه إلا إذا وصل إلى حالة لا ينتقد شيخه في فعل ما ، وإلا فقد يرى شيخه يخالط الناس ويمارح فينتقده فيحرم بركته مع كون شيخه يفعل ذلك ظاهرا وقلبه مع الله تعالى ، فالوفق من كان في مرضاة شيخه وقضاء حاجته وإن لم يسأله وأن يعتقده أفضل أهل العصر ولا يشتغل بغيره عنه ، وقد وقع أن الشيخ خليلا صاحب المختصر جاء يوما فلم يجد شيخه فسأل عنه فقيل له : إنه ذهب يأتي بسرباقي ينزح الحش^(١) ، فخلع ثيابه ونزح الحش فجاء الشيخ فوجده

(١) قوله ينزح بفتح معجمة من نزح كنع : وقوله الحش بفتح حاء وضما : الكنيف اه .

ينزع الحش فتوجه إلى الله تعالى ودعاه بأن يكون من أهل الفقه والتأليف والوصول فوجدت عنده أنوار المعارف في الجلال اه . وفيه « وقرأوا من تعلمون منه العلم ووقروا من تعلمونه العلم » قال المناوي : فحق المعلم أن يجري طلبته مجرى بنيه فإنه لهم في الحقيقة أب ومن توقيرهم أن لا يستعملهم في قضاء حوائجهم اه .

[قلت] فالسین والتاء للطلب والمذموم أن يطلب منهم ذلك طوعا أو كرها ، وأما من تبرع منهم بشيء بنية صالحة فلا يمنع من ذلك إن كان حرا مكلفا وإلا فلا . وفي [حتى] ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له في كل نائية وينصر وليه ويعادى عدوه وينتهض جهارا له في حاجاته ومسخر بين يديه في أوطاره ، فإن قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي أن يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا إلى الله تعالى ونصرة لدينه ، أنظره وانظر [نخل] فقد أفاد وأجاد فيما عمت به البلوى معلى الوقت من استعباد واسترقاق تلامذتهم طوعا وكرها في أغراض فانية وحظوظ نفسانية وأهواء شيطانية ، عافانا الله وإياهم من الخن والفن وأغرقتنا وإياهم في دائرة فضله ورضاه بمحض جوده وكرمه آمين . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

فیدعون بالردی علی من تلمذوا	إذا لم يساعدهم بأهوا مضلة
فمن لم ينلهم من دراهمه المتی	ينل منهم شرا وأسوأ غلظة
ودار بخدمة ومال جميعهم	تنل منهم الرضى بأسرع لمحة
بلوت فلا أرى سوى من يعلم	لأغراض نفسه وأهوا خبيثة
ومن شك فليخبر ^(١) أهيل زمانه	يرى صدق ما أقول من غير مربة

(حييا) أى وكن كثير الحياء وهو لغة تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاقب به ، وشرعا خلق يبعث على ترك القبيح وفعل الحسن ، وقيل الحياء ما يمنعك عما يضرك . وقال الحلبي : الحياء من الله طريق إلى كل طاعة وترك كل معصية فيفوز صاحبه بكمال الإيمان ، وفي [حص] « الحياء والإيمان مقرونان لا يفترقان إلا جميعا » وفيه « الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار » وفيه « الحياء زينة ، والتقى كرم ، وخير المركب الصبر ، وانتظار الفرج من الله عبادة » وفيه : « الحياء خير كله والحياء لا يأتي إلا بخير » وفي [عف] قال سهل : أدنى مقام من مقامات القرب الحياء . وقال النصرى : باتباع السنة تنال المعرفة ، وبإداء الفرائض تنال القرية ، وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة ومنها الحياء ، والحياء على الوصف العام والوصف الخاص ، فأما الوصف العام فما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : « استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا نستحي يا رسول الله ، قال ليس ذلك ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى : ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء » وهذا الحياء من المقامات ، وأما الحياء الخاص فمن الأحوال وهو ما نقل عن عثمان رضى الله عنه أنه قال : إني لأغتسل في البيت المظلم فأنطوى حياء من الله ، أنظره . ولذا قال فيه صلى الله عليه وسلم « أحبي هذه الأمة عثمان ، وقال فيه لما غطى فخذه الشريفين في

(١) قوله فليخبر بفتح تخية وضم موحدة من خبر كنصره .

فضية البئر المعلومة : ألا أستحيي لمن تستحيي منه الملائكة ، وفي [شب] قيل لأبي سفيان ما أول الحياء ؟ فقال أن تستحيي منه أن يراك حيث نهاك . قيل فما غايته ؟ قال أن تستحيي منه أن يعلم أنك تريد بقلبك سواه . وقالت عائشة رضي الله عنها « مكارم الأخلاق عشرة : صدق الحديث ، وصدق البأس ، وأداء الأمانة ، وإكرام الجار ، وصلة الرحم ، والمكافأة بالصنيع ، وبذل المعروف ، وحفظ الزمائم للصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء . وقال بعض السلف لابنه : يا بني إذا دعيتك نفسك إلى معصية فارم ببصرك إلى السماء واستح من فيها ، فإن لم تفعل فارم ببصرك إلى الأرض واستح ممن فيها ، فإن لم تفعل فعد نفسك من البهائم وافعل ماشئت ، ورحم الله من قال :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ماتشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وروى آخر : ما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى « إذا لم تستح فاصنع ماشئت » ورحم الله من قال :

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

وفي الحديث القدسي : « يا عبدي إنك ما استحييت مني أنسيت الناس عيوبك وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب زلاتك ولا أناقشك الحساب يوم القيامة » انظره . وفي [عم] أخذنا عهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تستحي من الله حق الحياء سرا وجهرا حتى لا تكون لنا سريرة سيئة نخشى من ظهورها وفضيحتها لافي الدنيا ولا في الآخرة ، ونأمر جميع إخواننا بذلك وبحاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح يسلك به حضرات القرب ويدخل به حضرات الإحسان حتى لا يكاد يخرج منها إلا في النادر ، وهناك يكون شهوده للحق مستداما فتارة يرى أن الله يراه وتارة يؤمن بأنه جليس الله وإن كان لا يراه ، كالأعمى يعرف أنه جليس زيد وإن كان لا يراه ، ومن لم يسلك على يد شيخ فمن لازمه غالبا قلة الحياء مع الله تعالى حتى في صلاته . وسمعت أنخي أفضل الدين رحمه الله يقول : لا يبلغ أحد مقام الحياء مع الله تعالى حتى يتعطل كاتب الشمال فلا يجد شيئا يكتبه في حقه أبدا ، وحتى يصير لا يتجرأ على مدرجله إلا إن استأذن الحق ، ولا يتكلم كلمة إلا إن استأذنه وهكذا ، هذا في الأمور العادية أما الأمور المشروعة فيمكنني فيها بالإذن العام ، وبالجملة فكل من وقع في سهوة كمعصية أو مكروه فما استحي من الله حق الحياء المشروع ، ثم قال : وسألت شيخ الإسلام زكريا رحمه الله عن الفرق بين الحياء الشرعي والحياء الطبيعي ؟ فقال : الفرق بينهما هو أن الحياء الشرعي يكون فيما أمر به الشارع أو نهى عنه فيستحي من الله أن يترك مأمورا أو يقع في منهي . والحياء الطبيعي يكون فيما سكت عنه الشارع من الأمور العادية كأن يستحي أن يخرج بعمامة لا تليق به أو يخرج إلى السوق بغير رداء على كتفه ونحو ذلك ، ومن الفرق أيضا أن يكون تقبيحه للأمور تبعا للشارع لا بحكم الطبع كما يقع فيه غالب الناس فيقع في الغيبة والنميمة ولا يستقبح ذلك ، ويستقبح أكل الشئ المخدر أو شرب القهوة أو الجلوس على دكان حشاش مع أن ذلك أخف من إثم الغيبة والنميمة بيقين ، ولو أنه مشى على الحياء الشرعي لاستقبح ما قبحه الشارع أكثر مما قبحه الطبع اه . فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك ، انظره . وفي جد سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول : من استحي من الله تعالى في هذه الدار استحي الله منه في الدار الآخرة ، فقلت

ماصفة استحباء الله من عبده ؟ فقال رضى الله عنه : أن يباسطه ويقول يا عبدى لا تخف منى فإن جميع ما كان وقع منك من الخلفات والتقصير فى دار الدنيا إنما كان بقضائى وقدرى وتنفيذ مشيئى وإرادتى التى لم أكلف أحدا بمخالفتها فأنت يا عبدى كنت موضعاً لجرىان أحكامى وظهور سلطانى ، فيأنس العبد بذلك ألد الموانسة ولو أن العبد قال هو ذلك القول لربه فى دار الدنيا أو الآخرة لأساء الأدب مع الله تعالى ولم يسمع منه ، فاعرف أدب الخطاب تفتح لك الأبواب ، فقلت له فما هى الأسباب الحافظة للعبد عن الوقوع فىم لا ينبغى ؟ فقال رضى الله عنه هى أربعة : الحياء والخوف ، والرجاء ، والعصمة أو الحفظ فى علم الله تعالى لهذا الشخص اهـ (ولينا) بتشديد تحتية وتخفيف كهين وهين وميت وميت ، لكن قال ابن الأعرابى : إن العرب تمدح بالهين واللين مخففين وتلزم بهما مثقلين . وفى [جص] « المؤمن هين لين حتى تخاله من اللين أحمق » وفيه « المؤمنون هينون لينون كالجمل الآنف ^(١) » إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ » وفيه « ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غدا : كل هين لين قريب سهل » وفيه « من كان سهلاً هيناً ليناً حرمه الله على النار » وفى [عف] ومن أخلاق الصوفية : السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس إلى أخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف ، ثم قال أبو مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال « أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل فكلمه فأرعد ، فقال هون عليك فإنى لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » وعن بعضهم فى معنى لين جانب الصوفية :

هينون لينون أيسار بنو يسر سواس ^(١) مكرمة أبناء أيسار
لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا ولا يمارون إن ماروا بإكثار
من تائق منهم تقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى انظره
وفيه : ومن أذهبهم فى الصحبة لين الجانب وترك ظهور النفس بالصولة : قال أبو على الروذبارى : الصولة على من فوقك قحة ^(٢) وعلى من مثلك سوء أدب وعلى من دونك عجز اهـ .
وعن النبي صلى الله عليه وسلم « من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ، ومن حرم خطه من الرفق فقد حرم حظه من الخير » وعنه صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الرفق فى الأمر كله » وعن الغزالي رحمه الله : فلا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به ، رفيق فيما ينهى عنه ، حلیم فيما يأمر به حلیم فيما ينهى عنه ، فقيه فيما يأمر به ، فقيه فيما ينهى عنه . ووعظ بعضهم المأمون فأغلظ عليه فقال له : يا هذا أرفق فقد بعث من هو خير منك إلى من هو شر منى . قال تعالى - فقولا له قولاً ليناً - ويؤخذ منه أنه يتعين على العالم الرفق بالطالب وأن لا يوبخه ولا يعنفه ولا يشدد عليه فى شىء ، قال تعالى - وقولوا للناس حسناً - وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعود نفوسنا طيب الكلام وطلاقة الوجه لكل مسلم من عدو وصديق ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح يدخل به الحضرات الإلهية فيشده محاسن الوجود ويحجبه عن مساويه ، إذ المحاسن هى الأصل والمساوى عارضة عرضت من حيث الأحكام الشرعية لا غير ، فإذا شهد تلك المشاهد صار يخاطب من الخلق السر القائم بهياكلهم لاهم ، ومن كان يخاطب سر الله تعالى

(٢) قوله سواس : جمع سائس .

(١) قوله الألف بكسر التون ككتف اهـ .

(٣) القحة : الخالص من اللوم .

فكانه يخاطب الله ، ومن كان هذا مشهده رزق من طيب الكلام وطلاقة الوجه مالا يقدر قدره وجنبه الله كل كلام جاف . ثم قال : فعلم أن من لم يسلك على يد شيخ كما ذكرنا فن لازمه غالبا الكلام الجاف للناس لاسيما أصحاب الموازين على ظاهر الشرع فإنهم يزدرون ويحتقرون كل من خالف مافهموه ويغلظون عليه الكلام إلا إن كان له مال أو جاه كما هو مشاهد منهم حال خطابهم الأمراء والمباشرين مع علمهم بمظالمهم وشربهم الخمر وتضييع الصلوات وغير ذلك ، فيتلطفون بهم في حال خطابهم أشد الملاطفة ، ومن لا مال له ولا جاه من الحشاشين وأصحاب الكتب ولو فتح الله عيون بصائر هؤلاء لتلطفوا في كلامهم لسائر المسلمين ، فإن ذلك أقرب إلى انقيادهم وسماع وعظهم . وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من شرط الداعي إلى الله تعالى أن لا يكون عنده غلظة ولا فظاظة على الفسقة المارقين ، بل يجب عليه تليين الكلام والتقرب إلى خواطرهم بالإحسان إليهم حتى يميلوا إليه فإذا مالوا فابنصحهم إذ ذاك . وقد بلغنا أن داود عليه السلام كان يغلظ القول على عصاة بني إسرائيل حتى أنه يقول : اللهم لا ترحم من عصاك ، فلما وقع في الخطيئة التي ذكرها الله تعالى صار يقول اللهم اغفر للخطاة حتى تغفر لداود معهم ، ثم أوحى الله تعالى إليه : يا داود المستقيم لا يحتاج إليك والأعوج أغلظت عليه بالقول حتى تفر منك ونفرت منه ، فلماذا أرسلت ، فغضب داود لذلك وصار يطوف على بني إسرائيل في بيوتهم ويكلمهم بالكلام اللين ويعظهم بالموعظة الحسنة ويجادلهم بالتي هي أحسن ، ثم قال فاعرف يا أخي طرق السياسة وعود نفسك طيب الكلام سواء كان المخاطب صالحا أو طالحا ، انظره (وكن حسن الأخلاق) جمع خلق بضمين (مع كل ذرة) في الوجود ناطقة أو صامتة ساكنة أو متحركة :

وفي [حى] وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته وهو الذى مدح الله سبحانه به نبيه عليه الصلاة والسلام إذ قال - وإنك لعلى خالق عظيم - وقال صلى الله عليه وسلم : « أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق » وقال أسامة بن شريك « قلنا يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان قال خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم محاسن الأخلاق » وقال صلى الله عليه وسلم « أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيقطع عنه النار » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق ، قال أبو هريرة رضى الله عنه وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وفيه » وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلى قوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - . وسئل صلى الله عليه وسلم « أى الأعمال أفضل ؟ قال خلق حسن » وفيه : قال الفضيل « قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها ؟ قال لا خير فيها هى من أهل النار » وقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما يوضع فى الميزان حسن الخلق والسخاء ، ولما خلق الله الكفر قال اللهم قونى فقواه بالبخل وسوء الخلق » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما » وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعدوا بشيء من عمله : تقوى تحجزه ^(١) عن معاصي الله ، أو حلم يكف به السفه أو خلق يعيىش به بين الناس »

(١) قوله تحجزه بفتح فوقية وضم جيم من حجز كنصر اه .

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة: اللهم أهدني لأحسن الأخلاق ولا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت» وقال صلى الله عليه وسلم «من سعادة المرء حسن الخلق» وقال أنس: قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف في العبادة» وقال صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح» وقال عليه الصلاة والسلام: «إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم وقال أنس: إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة الجنة وهو غير عابد، ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك جهنم وهو عابد». وقال وهب بن منبه: مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترفع ولا تعاد طينا، لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبنى عابد سيء الخلق. وقال يحيى بن معاذ: سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحسن الخلق حسنة لا تنصر معها كثرة السيئات، انظره. وفي [جص] «الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل» وفيه «الخلق الحسن لا ينزع إلا من ولد حيضة أو ولد زنية» وفيه «حسن الملكة بالمعروف نماء وسوء الخلق شؤم والبر زيادة في العمر والصدقة تمنع ميتة السوء» وفيه «حسن الملكة يمن وسوء الخلق شؤم وطاعة المرأة ندامة والصدقة تدفع القضاء السوء» وروى «من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر همه سقم بدنه ومن لاحى الرجال ذهب كرامته وسقطت مروءته» وروى «ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وسوء الخلق شؤم وشراركم أسوأكم خلقا» اهـ. وروى «مكتوب في التوراة صلة الرحم وحسن الخلق وبر القرابة يعمر الديار ويكثر الأموال ويزيد في الآجال وإن كان القوم كفارا: اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق ولا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها ولا يصرف سيئها إلا أنت يا أرحم الراحمين آمين. وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحسن خلقنا مع الناس ما استطعنا ونرغب جميع إخواننا في ذلك، وبحسبنا من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح حتى يلفظ كفافه ويخرجه من دركات الجفاء إلى درجات حسن الخلق ومن لم يسلك على يد شيخ فمن لازمه غالبا سوء الخلق إلا أن تحفه العناية من الأزل فثقل هذا لا يحتاج إلى شيخ في ذلك إن شاء الله، ثم قال: وكان السلف الصالح رضى الله عنهم كلهم يقولون: الدرجات هي الخلق الحسن فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدرجات، وكانوا إذا آذاهم إنسان يعتذرون إليه ويقولون نحن الظالمون عليك ولو أننا أطعناك فيما طلبته منا ما آذيتنا فاللوم علينا لا عليك، وكانوا إذا بلغهم عن امرأة أو عبد سوء خلق تزوجوا أو اشتروا العبد وصبروا على سوء خلقهما، وكذلك كانوا يشترون الحمارة أو البغلة الحرون فيركبونها ولا يضربونها يروضون نفوسهم في الصبر عليها، وكان على هذا القدم سيدي أفضل الدين رحمه الله فكان لا يحرك رجله على الحمارة أبدا إذا ركبها، ثم قال: فعلم أن من أعظم حسن الخلق صبرك على من تقدر على تنفيذ غضبك فيه ثم تركه كزوجتك وفتاك. وقد كان سيدي على الخواص رحمه الله يقول: لي مع ابنة عمي سبع وخمسون سنة ما أظن أننا ابتنا ليلة واحدة صلحاء إلى يومنا هذا. وحكى عن الشيخ جلال الدين شارح المنهاج أنه كان له فتى قوى الرأس كثير اللعب فكان الشيخ يذهب إلى القرن يخبز ويمر عليه وهو يلعب فيقف عليه وهو حامل طبق الخبز ويقول وبلك قم تعال كل من هذا الخبز السخن، فلا يقوم له فيذهب الشيخ إلى البيت ويرجع له ثاني مرة يطلبه للغداء رضى الله عنه، وكذلك من أعظم حسن الخلق أن تغفر وتسامح من آذاك من الناس عملا بقوله تعالى - وإذا

ما غضبوا هم يغفرون. وكذا من أعظم حسن الخلق أن يكون الإنسان نقاعا للناس ومع ذلك يذمونهم ويتقصونه فلا يمنعه ذلك من النفع لهم وذلك كغيب الفقراء وناظر وقصم فإن من لازمهم غالبا ذم الفقراء لهما وحملهما على محامل سيئة، وإن جميع ما يصل إليهم إنما هو فضلة الغيب والناظر. وقد كان الشيخ بدر الدين شيخ نقباء سيدي أبي السعود بن أبي العثائر يعمل الطعام الفاخر من عنده للفقراء والزوار، ويقول شخص خرج لكم عن هذا الطعام ويوهمهم أن ذلك من غيره، ثم يسمعهم يقعون في عرضه ويقولون هذا لا يأتينا إلا بما فضل عنه، ومع ذلك فلا يصدده ذلك عن الإحسان إليهم بل يفرح ويقول: العبد لا يعمل إلا الله وأما الخلق ففاليك ليس معهم شيء يأخذونه منهم يوم القيامة، وحكى ذلك لسيدى على الخواص فقال: هذا من أعظم أخلاق الرجال فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك، انظره.

وفيه: أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتخلق بالفظاظة وعدم الشفقة والرحمة على أحد من المساكين وسائر الحيوانات بل نكون رحما بخلق الله كلهم بطريقة الشرع لإدخالنا لعدم الأذى عليهم كما نحب أن يفعل بنا ذلك فإن من لا يرحم لا يرحم، فنحن الشفرة^(١) للذبح ما شرع لنا ذبحه وقتله من الحيوانات المؤذية ولا نمثل بشيء منها قط ولو قلة أو بعوضة فضلا عن الكلب والهر، ثم قال: وكان سيدي أحمد بن الرفاعي يأمر أصحابه بالصبر على أذى القمل، ويقول: كيف يدعى أحدكم الصبر على البلاء وهو ينفذ غضبه في قلة أو برغوث ولا يحمل أذاها فضلا عن أذى أعدائه من الناس؟ فإن أردت يا أخي العمل بهذا العهد فاسلك على يد شيخ ناصح يلطف^(٢) كذاثلك ويزيل عنك الغلظة والتجبر ويلحقك بالملائكة الكرام وتصير تشفق على غيرك من سائر خلق الله كما تشفق على نفسك ولا تتجبر إلا على من أمرك الله بالتجبر عليه والله يتولى هداك، أنظره. وفي الحديث «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» اه. وفي [شب] قال بعض العارفين: علامة حسن الخلق عشر خصال: قلة الخلاف، وحسن الإنصاف، وترك طلب العثرات، وتحسين ما يبدو من السيئات، والتماس المَعذرة، واحتمال الأذى، والرجوع بالملامة على النفس، والتفرد بمعرفة عيوب النفس دون عيوب الغير، وطلاقة الوجه للصغير والكبير، ولطف الكلام مع كل أحد. وقد عرفوا علم الأخلاق بأنه علم بأصول يعرف بها أنواع الفضائل وكيفية اكتسابها وأنواع الرذائل وكيفية اجتنابها، وفائدته: تخلق الإنسان بالأخلاق الحمودة وتجنبه الأخلاق المذمومة، ورحم الله من قال:

بمكارم الأخلاق كن متخالفا ليفوح مسك ثنائك العطر الشذى^(١)

وانفع صديقك إن أردت صداقة وادفع عدوك بالتى فإذا الذى

وروى أن لقمان اختار من حكمه أربعاً وأوصى بها ولده فقال: له تذكر اثنتين، وأنس اثنتين، فأما اللتان أوصاه بتذكرهما فالذنب والموت، وأما اللتان أوصاه بنسيانهما فأحسانه للناس وإساعتهم عليه. ونظم ذلك الأجهورى رحمه الله فقال:

إذا شئت أن تحبى ودينك سالم وعقلك موفور يزيد ويكمل

(١) قوله الشفرة بفتح معجمة كثرة: السكين اه.

(٢) قوله يلطف بضم تحتية وكسر طاء مشددة من التلطيف كالتخفيف وزنا ومعنى اه.

(٣) قوله الشذى: أى الشديد الرائحة اه.

فكن معرضا عن كل بر صنعته مع الناس والسوء الذي بك يعمل
وكن ذا كرا للذنب والموت تعملا بما اختار لقمان الحكيم المفضل
وكان الإمام على كرم الله وجهه يترنم بهذه الأبيات :

إن المكارم أخلاق مطهرة فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم أني لا أصدقها ولست أرشد إلا حين أعصيا
والعين تعلم من عيني محدثها إن كان من حزبي أو من أعاديها

وفي الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وسلم قال « أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » والله در القائل :

خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين

ولن في الكلام لجمع الأنام فستحسن من ذوي الجاه لين (٢) أنظره

وفي [عف] وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذًا بوصية جامعة لمحاسن الأخلاق فقال له : « يا معاذ أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة : وحفظ الجوار ، ورحمة اليتيم ، ولين الكلام ، وبذل السلام ، وحسن العمل ، وقصر الأمل ، وقصد العمل ، ولزوم الإيمان ، والتفقه في القرآن ، وخب الآخرة ، والجزع من الحساب ، وخفض الجناح . وإياك أن تسب حليما ، أو تكذب صادقا أو تطمع آثما أو تعصى إماما عادلا ، أو تفسد أرضا . أوصيك بتقوى الله عند كل حجر وشجر ومدر ، وأن تحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر والعلانية بالعلانية ، بذلك أدب الله عباده ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب » وروى معاذ عنه صلى الله عليه وسلم : « حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب » اه . قال رحمه الله :

(تَبَسُّمٌ وَلَا تَضْحَكُ وَلَا تَمَزُجُ قَلِيلًا وَلَا تَقُلِ الْآخِلَ فِي مَرْجِ إِخْوَةٍ)

(تبسم) التبسم أقل الضحك وأحسنه . وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان كثير التبسم » وفي [جص] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا بلسائه ألين الناس : ضحكا بساما : أي كثير التبسم ، وهو تفسير الضحك . وفيه : كان لا يضحك إلا تبسما ، قال الحفني : أي غالبا وإلا فقد ضحك بصوت وبقية الأنبياء والرسل مثله اه . وثبت أنه صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه لكن غالبه التبسم . وأنه لا ينبعث في الضحك فكان إذا غلبه الضحك قطعه لشدة خوفه من جلال مولاه ، فكان غالب أوقاته الحزن لأنه أشد الناس خوفا من الله ، وإذا انسرب تبسم وربما ضحك لبيان الجواز . وفيه : « تبسمك في وجه أخيك لك صدقة » وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر لك صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة اه (ولا تضحك) أي لا تكثر من الضحك فإنه يميم القلب ويخل بالمروءة ويدل على الغفلة عن الآخرة ، والاسترسال فيه من فعل السفهاء وأهل البطالة

المسترسلين في شهواتهم وعدم تفكيرهم في الآخرة ، وعن ذلك تنشأ جميع الشرور . وكان الحسن البصري رحمه الله يقول : أعجب ممن يملأ فاه بالضحك وهو لا يعلم في أي ديوان اسمه هل في الجنة أو في النار . وفي [عف] والضحك من خصائص الإنسان ويميزه عن جنس الحيوان ، ولا يكون الضحك إلا عن سابقة تعجب والتعجب يستدعي الفكر ، والفكر شرف الإنسان وخاصته ، ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه في العلم ، ولهذا قيل : إياك وكثرة الضحك فإنه يمت القلب . وقيل : وكثرة الضحك من الرعونة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال : إن الله تعالى يبغض الضحاك من غير عجب والمشاء في غير أرب اه . وفي [حى] وقال عمر رضى الله عنه : من كثر ضحكك قلت هيئته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثرت سقطته ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه . وقال صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لبكىتم كثيرا وضحكتكم قليلا » ونظر وهب بن الورد إلى قوم يضحكون في عيد الفطر فقال : إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين ، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين ، أنظره . وفي [جص] « الضحك ضحك كان ضحك يحبه الله وضحك يبعثه الله ، فأما الضحك الذى يحبه الله فالرجل يكشر في وجه أخيه حدثا عهد به وشوقا إلى رؤيته ، وأما الضحك الذى يبعثه الله تعالى عليه فالرجل يتكلم بالكلمة الجفاء والباطل ليضحك أو يضحك يهوى بها في جهنم سبعين خريفا » وفيه « كن ورعا تكن أعبد الناس ، وكن قنعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما ، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » قال الحنفى : فإذا غلبك الضحك فامنع نفسك ، وهذا الخطاب لعامة الناس ، وهناك طائفة أنسها بالله فتضحك كثيرا لما شاهدوه من الأنوار فلم يضرهم ، ولذا وجد في مجلس بعض أهل الله شاب يضحك مع أن الناس يبتعدون من الوعظ فقبل له ما هذا ؟ فقال إن أنسى برى فلم أفكر في جنة ولا نار لأنه سيدى يفعل بي ماشاء ، بل اشتغالى برى فلما أفاض الأنوار على قلبى صرت أضحك فرحا بذلك وأسلم له كل ما فعل بي اه (وللمزح قللا) بألف مبدلة من الخفيفة للوقوف ومزح كمنع دعب مزحا ومزاحا ومزاحة بضم أولهما وهما اسمان ، ويقال مازحه مزاحا بكسر الميم داعبه ولاعبه ، وقيل في الفرق بينهما المداعبة مالا يغضب جده والمزاح ما يغضب جده وفي [حى] وإياك أن تمزح لبيبا أو غير لبيب فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترى عليك ، لأن المزاح يخرق الهيبة ، ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ، ويذهب بحلاوة الود ، ويشين فقه الفقيه ، ويجرى السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ، ويمحقه المتقون ، وهو يمت القلب ويباعد عن الرب تعالى ، ويكسب الغفلة ويورث الذلة ، وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر ، وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب . وقد قيل : لا يكون المزاح إلا من سخف أو من بطر ، ومن بلى في مجلس بمزاح أولغظ فليذكر الله عند قيامه قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك » أنظره . وفيه : إن المزاح للكلام بمنزلة الملح للطعام فلمنهى عنه الإفراط فيه والمداومة عليه فالمداومة عليه اشتغال باللعب والهزل والإفراط فيه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة وتسقط المهابة والوقار . وقال عمر بن عبد العزيز : اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه

يورث الضغينة ويجر إلى القبيح ، تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال ، قال عمر رضى الله عنه : أتدرون لم سمي المزاح مزاحا؟ قالوا : لا ، قال : لأنه أراح صاحبه عن الحق ، وقيل لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ، ويقال المزاح مسلبة لهم مقطعة للأصدقاء ، أنظره (ولا ثقل إلا الحق) ضد الباطل (في) حال (مزح إخوة) تطيبوا لقلوبهم وترويحاً لنفوسهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل مع أصحابه ، وفي الحديث « إن الله تعالى لا يؤخذ المزاح الصادق » وذلك قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن شخص « الذى فى عينيه بياض » إذ كل شخص لا تخلو عيناه من بياض وكقوله لعجوز « لا تدخل الجنة عجوز » لقوله تعالى - إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً - وفى [حى] روى أبو هريرة « أنهم قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا فقال إني وإن دأبتكم لا أقول إلا حقاً » وقال عطاء : إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح؟ فقال نعم ، قال فما كان مزاحه ؟ قال كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كسى ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسعاً فقال لها البسيه واحدى وجرى منه ذيل كذيل العروس . وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع نسائه . وعن عائشة رضى الله عنها - أنها قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بحريّة طبختها له وقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها : كلى فأبت فقلت لها : كلى ، فأتيت لتأكلن أو لألطخن بها وجهك ، فأبت فوضعت يدي في الحريّة فلطخت بها وجهها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه وقال لسودة الطخى وجهها فلطخت بها وجهي ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، فر عمر رضى الله عنه على الباب فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجوهكما . وروى « أن عجوزاً أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها لا تدخل الجنة عجوز فبكت ، فقال إنك لست بعجوز يومئذ ، قال الله تعالى - إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً » وقال أنس : كان ابن لأبى طلحة يقال له أبو عمير ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينا ويقول « يا أبا عمير ما فعل النغير ؟ كان يلعب به وهو فرخ العصفور » ثم قال : وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً » إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقاً ، وأما غيره إذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيف ما كان ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها في النار أبعد من الثريا » أنظره . وفى [عف] قال سعيد بن العاص لابنه : اقتصد في مزاحك فالإفراط فيه يذهب بالبهاء ويجرى عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤمنين ويوحش المخالطين . قال بعضهم : المزاح مسلبة للبهاء ، مقطعة للإخاء وكما يصعب معرفة الاعتدال في ذلك يصعب معرفة الاعتدال في الضحك ، أنظره : وصف بعضهم ابن طاوس فقال : كان مع الصبي صبيّاً ، ومع الكهل كهلاً ، وكان فيه مزاحه إذا خلا ، وروى معاوية بن عبد الكريم قال : كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقول ونمزح عنده ويمزحنا وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك ، وكنا إذا دخلنا على الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد نبسكى . وفيه عن أنس رضى الله عنه قال « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : أحملى على جمل ؟ فقال أحملك على ابن الناقة . قال أقول لك أحملى على جمل تقول أحملك على ابن الناقة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام فاحمل ابن الناقة » وروى صهيب فقال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر يأكل ، فقال

أصيب من هذا الطعام، فجعلت آكل من التمر فقال أنا كل وأنت رمد؟ فقلت إذا أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم « وروى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم « يا ذا الأذنين » وسئلت عائشة رضى الله عنها كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت قالت : كان ألين الناس بساما ضحكا . وروت أيضا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقتها ثم سابقها بعد ذلك فسبقها فقال هذه بتلك » ثم قال : وروى بكر بن عبد الله قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتازحون حتى يتبادحون بالبطيخ ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال ، يقال بلدح يبلدح إذا رمى : أى يترامون بالبطيخ ، انظره قال رحمه الله :

(وَأَحْسَنُ لِمُحْسِنٍ بِقَدْرِ اسْتِطَاعَةٍ وَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَكَافِرٍ خَيْرَ دَعْوَةٍ)

(وأحسن) من الإحسان ضد الإساءة (لمحسن) إليك ومنعم عليك حسا ومعنى ، كما روى أن المحسن رحمه الله قيل له إن فلانا اغتابك فبعث إليه رطباً على طبق^(١) وقال قد بلغنى أنك أهديت إلى من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام . وفي [خل] وإذا نظرت إلى المسيء بعين التحقيق فهو محسن أكثر من أحسن إليك بالفاني لأنه أحسن إليك بالباقي إذ أنك تأخذ من حسناته إن كانت موجودة وإلا أخذت من سيئاتك ، وشأن أهل التوفيق اغتنام الباقي ، فينبغي لك أن تكافئه على إحسانه قال الله تعالى - هل جزاء الإحسان إلا الإحسان - وحكى عن إبراهيم ابن آدم أنه لقيه إنسان فصفعه ، فقيل له إنه إبراهيم بن آدم فرجع إليه فطأطأ على قدمه فقبلها ، فقال ياسيدي والله ما عرفتك ، وطلب منه أن يسامحه ؟ فقال والله ما ارتفعت يدك عني حتى سألت الله تعالى لك المغفرة ، فقال له وما حملك على ذلك ؟ فقال لأنك لما صفعتني علمت أن الله يثيبني على ذلك ، وما كنت بالذي توصل إلى خيرا فأوصل إليك شرا . وعن بعضهم : لو كنت مغتابا لأحد لا غتبت والدي ، لأنهما أحق بحسناتي ، فهم رضى الله عنهم أبدا ينظرون إلى بواطن الأمور وهو اقربا وغيرهم إلى ضدها ، نسأل الله السلامة والعافية (بقدر استطاعة) أى بحسب الطاقة والإمكان . وفي [عف] ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الإحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر إلى الأغيار ورؤيتهم النعم من المنعم الجبار ، ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما من الناس أحد أمن علينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة ، ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أباً بكر خليلاً » وقال « ما نفعتني مال كمال أبي بكر » فالتحق حجبوا عن الله بالخلق في المنع والعطاء فالصوفي في الابتداء يفتنى عن الخلق ويرى الأشياء من الله حيث طالع ناصية التوحيد ، ويحرق الحجاب الذي منع الخلق عن صرف التوحيد فلا يثبت للخلق منعا ولا عطاء ويحجبه الحق عن الخلق ، فإذا ارتقى إلى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق ويثبت لهم وجودا في المنع والعطاء بعد أن يرى المسبب أولا وذلك لسعة علمه وقوة معرفته ، يثبت الوسائط فلا يحجبه الخلق عن الحق كعمامة المسلمين ولا يحجبه الحق عن الخلق كأرباب الإرادة والمبتدئين ، فيكون شكره للحق لأنه المنعم والمعطى والمسبب ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب ، انظره . وفي [جص] « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » إذ لا يتم

إلا يشكر الوسائط فأشكر الناس لله أشكرهم للناس ، وفي الحديث القدسي : « عبادي لم تشكروني إذا لم تشكروني من أجريت النعمة على يدي » وفيه : « دعاء المحسن إليه للمحسن لا يرد » أي ولا سيما بظهر الغيب للحديث : « دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب ، عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك آمين ولك مثل ذلك » وفيه : « من أعطى شيئا فوجد فليجز^(١) به ومن لم يجد فليثن به فإن أثني به فقد شكره وإن كتمه فقد كفره ، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور » يظهر أنه عالم أوزاهد أو متواضع وليس كذلك ورحم الله من قال :

من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان

وفي [حى] ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حقل بل على نيته وإن لم يتم ذلك . قال على رضى الله عنه : من لم يحمد أخاه على حسن نيته لم يحمده على حسن الصنعة ، انظره . ورحم الله من قال :
لأشكرنك معروفا هممت به إن اهتمامك بالمعروف معروف
وينبغي لمن لا يشكر الناس أن لا يقبل عطاياهم ، ورحم الله من قال :
لا أقبل الدهر نيلا لا يقوم به شكرى ولو كان مهديه إلى أبى

وفي [جه] وكان سيدنا رضى الله عنه وعنايه أمين لا يغفل عن مجازاة من أحسن إليه ويقبل منهم في الظاهر ويجازيهم بالدعاء وغيره لأجل أن لا تكون لأحد منه عليه ، لأنه رضى الله عنه تأبى همة أن تكون للخلق يد عليه لفساد الزمان وأهله وفساد أغراضهم : وقد شاهدت يوما وأنا حاضر عنده أنه رجل فقال له يا سيدى جعلت لك من مالى كذا وكذا محبة فيك وهدية لك ، فقبل منه ذلك وطرحه بين يديه ، ثم أسر له في أذنه قال له سيدى أطلب منك أن تفعل لى ما هو كيت وكيت^(٢) ، فقال له سيدنا رضى الله عنه : ارفع متاعك ولم يقبله منه . وكنت جالسا أيضا بين يديه فأتاه إنسان فسلم عليه وقبل يديه ودفع لى دراهم بقصد الزيارة لسيدنا رضى الله عنه فقال له يا سيدى خذ هذه الصدقة التى أتيتك بها فقال لى اردد عليه متاعه وقال له لا تحل لى الصدقة إنما أنا ضئى عن الصدقة . ويتحرز من مقاصد العامة غاية ويدفع بالتي هى أحسن ، انظره . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نخدر من يحسن إلينا في هذا الزمان أكثر ممن يسيء علينا لأن غالب الإحسان اليوم لا يسلم من العلل والمثل لا سيما إن وقع بيننا وبينه نفس ومن شك سوف يجرب ، أقل العلل أنه يخلصنا بالبر لاعتقاده فينا الصلاح والدين ولولا ذلك ما أعطانا شيئا ، فقد أكلنا حينئذ بدينا وتساؤلنا في ديننا حتى صرنا أسوأ حالا ممن يحترف معيشته بمحرمات الآلات . وكان سفيان الثوري يقول : لو علمت أنهم يكتمون ما يعطونه لى لقبلة ولكنهم يقولون أعطينا سفيان اليوم كذا وكذا ، وقد عمل لى مرة شخص من الإخوان دجاجة سمينة وحشاها بالحرارات وأرسلها لى فأعطيتها لشخص ضرير فأكلها فهاهنا عليه مع أنها حينئذ في ميزانه يوم القيامة أثقل مما لو أكلها أنا لأن ذلك الضرير ما ينظر مثل ذلك إلا في النوم ، ولو أنه كان مخلصا في الدجاجة لشكرنى على ذلك والله عليم حكيم اهـ (وإن لم تجد) ما تحسن به إليه (فكافه) وجازه (خير دعوة) بصلاح حاله ومآله وغفران زلاته وستر عوراته وإقالة عثراته لحديث « جزاء الغنى من الفقير النصيحة له والدعاء » أى لأنها مقدوره فإذا نصبح ودعاه فقد كافاه . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) قوله فليجز بفتح تحتية من جزى كرى اهـ . (٢) قوله كيت وكيت بفتح فوقية وكسرها وضمها فيهما اهـ .

« من قال لأخيه جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء » وفي [جص] « من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء » قال العريزي: وهذا عند العجز عن مكافأته بالإحسان فإن قدر على مكافأته فالجمع بينهما أفضل من الاختصار على الدعاء وفيه « من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوه حتى تروا أنكم قد كافأتموه » وروى « من أسدى إلى قوم نعمة فلم يشكروها له فدعا عليهم استجيب له » وروى أبو داود عن جابر رضى الله عنه أنه قال « صنع أبو الهيثم طعاما ودعا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلما فرغ من الأكل قال أثيبوا أخاكم وادعوا له بالبركة فإن الرجل إذا أكل^(١) طعامه وشرب شرابه ثم دعى له بالبركة فذلك ثوابه منهم » اهـ . وثبت « أنه صلى الله عليه وسلم وعده أيضا بخادم فلما أتاه أبو الهيثم وجد عنده رأسين من الرقيق فقال له خذ أيهما تختار فقال له اختر لي يا رسول الله فقال خذ هذا فإنى رأيتك يصلى » الحديث . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشكر كل من أسدى إلينا معروفا ونكافئه على ذلك ولو بالدعاء أدبا مع الشارع صلى الله عليه وسلم فى أمره لنا بذلك، وقد كثرت الحيانة لهذا العهد من غالب الناس حتى صرت تربي اليتيم إلى أن يصير له أولاد ولا يتذكر لك نعمة ولا يحفظ معك أدبا ، وصار من وقع له ذلك يحذر من يريد يفعل مثله مع الناس فيبتدئ أن المنعم من أولياء الله تعالى لا يلتفت إلى شكره فالمنعم عليه لا يستحق ذلك كما سيأتى والكامل على الأخلاق الإلهية والله عز وجل يحول النعم حين تكفر . فاشكر يا أخى من أسدى إليك معروفا لكن من غير وقوف معه فتراه كالقناة الجارى لنا منها الماء أو كالأجير الذى بغرف لنا من طعام رجل غيره بأجرة جعلها له ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ مرشد حتى يصل به إلى حضرة الإحسان ، ويرى الأمور كلها لله تعالى كشفا وشهودا ، ويصير يرى النعم من الله تعالى ببادى الرأى ولا يضيفها إلى الخلق إلا بعد تأمل وتفكر ، عكس من لم يسلك الطريق فإنه لا يكاد يشهد النعمة من الله تعالى إلا بعد تأمل وتفكر . فاسلك يا أخى الطريق لتفوز بالأدب مع الله تعالى ومع خلقه كما أمرك فقال تعالى - أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير - وقد قرن الله تعالى السعادة بشهود الأمور كلها من الله وقرن الشر بشهودها من الخلق ومقام الكمال فى السعادة شهود الأمور كلها ببادى الرأى من الله خلقا وإيجادا ومن العبد نسبة وإسنادا لأجل إقامة الحدود ، انظره . ثم قال : واعلم أن كفران النعم للوسائل مما يحولها وإذا حولت فلا يقدر من كفرت نعمته أن تجرى لك نعمة على يديه - سنة الله التى قد خلت فى عباده - لأن كفران النعمة يقطع طريقها، فبتقدير أن من كفرت نعمته لا يؤاخذك فأنت لا تستحق تلك النعمة ، فلا بد من وجود صفة الاستحقاق فى المنعم عليه وعدم كفرانه نعمة من كان واسطة فيها من زوج ووالد وسيد ونحوهم ، وقد كثرت كفران النعم فى هذا الزمان من الزوجة والأولاد والأرقاء والمريدين وبذلك تعسرت عليهم الأرزاق، وكلما تأخر الزمان زاد على الناس الأمر فى تعسير الأرزاق وفى تحويلها عنهم بالكلية لقلة الشكر بالعمل من قيام الليل وغيره حتى تتورم منهم الأقدام ، فإن الشكر بالقول مابقى يكفى لغالب النعم فى هذا الزمان لكون الموازين قد أقيمت فيه على الناس لقرب الساعة وماقارب الشيء أعطى حكمه ولقاة الإخلاص فى القول، وقد قال تعالى فى حق آل داود - اعملوا آل داود شكرا -

(١) قوله أكل بضم همزة وكسر كاف مبنى للمفعول اهـ .

ولم يقل قولوا آل داود شكراً ، وهذه الأمة المحمدية أولى بأن يشكروا بالعمل لأنهم أعظم نعمة بنبيهم وشريعتهم ، فليقتبها من كان غافلاً عن ذلك ليدوم الماء في مجاريه ، انظره . قال رحمه الله :

(وَخَصَّ ذَوِي فَضْلٍ بِأَسْنَى التَّجَالِسِ وَحَافِظٍ مِنَ الْإِخْوَانِ عَنْ سِتْرِ عَوْرَةٍ)

(وخص) من خصه بكذا فضله به (ذوى) أصحاب (فضل) وشرف كأهل العلم والصلاح والنسبة : وفي [جص] : « ذو السلطان وذو العلم أحق بشرف المجلس » أى ولو كان السلطان جاثراً تسكيناً لشرفه لأن تقديم غيره عليه يورث الضرر منه ، وكذا العالم وإن لم يكن عاملاً بعلمه تعظيماً للعلم لحديث « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » وفيه : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » وعنه صلى الله عليه وسلم : « من إجلال الله لإكرام ذى الشبهة المسلم » وعنه صلى الله عليه وسلم : « ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قبض الله من يكرمه عند كبر سنه » وقال النووى فى قوله صلى الله عليه وسلم « ليلنى منكم أولو الإحلام والنهى » الخ ولا يختص هذا التقديم بالصلاة بل السنة أن يقدم أهل الفضل فى كل مجمع إلى الإمام وكبير المجلس كمجالس العلم والقضاء والذكر والمشاورة ومواقف القتال وإمامة الصلاة والتدريس والإفتاء وإسماع الحديث ونحوها ، ويكون الناس فيها على مراتبهم فى العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاءة فى ذلك الباب اهـ (بأسنى) وأشرف (المجالس) لحديث « أفضل الحسنات تكرمة المجلساء » وفى آخر : « إن للمسلم حقاً إذا رآه أخوه أن يقرح له » أى ويجلسه بجانبه لإكراماً له فيندب ذلك لاسيما للعلماء والصلحاء تعظيماً لهم وكذا ولاية الأمر تأليفهم واتقاء لشرفهم ، وفى آخر « ثلاث تصفين لك ود أخيك : تسلم عليه إذا لقيته ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه » وفى [جص] : « خير المجالس أوسعها » وفيه : « شر المجالس الأسواق والطرق وخير المجالس المساجد فإن لم تجلس فى المسجد فالزم بيتك » أى لتسلم من الناس ويسلموا منك . وفيه « أدوا حق المجالس اذكروا الله كثيراً وأرشدوا السبيل وعضوا الأبصار » وفيه « إياكم والجلوس على الطرقات فإن أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها : غص البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وللعلامة ابن حجر رحمه الله فى آداب الجلوس على الطريق :

جمعت آداب من رام الجلوس على الطريق من قول خير الخلق إنساناً
أفش السلام وأحسن فى الكلام وشميت عاطفاً وسلاماً زاد إحساناً
فى الحمل عاون ومظلوماً أغث واعف عن لطفان واهد سبيلاً واهد حيراناً
بالعرف مروانه عن نكر وكف أذى وغص طرفاً وأكثر ذكر مولانا اهـ
وفيه « كفارة المجلس أن يقول العبد سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك أستغفرك وأتوب إليك » وفيه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فأراد أن يقوم استغفر عشر إلى خمس عشرة » وفيه : « كان إذا قام من المجلس استغفر الله عشرين مرة » أى يقول أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه اهـ . وفى [عف] ومن أدبهم : تقديم من يعرفون فضله والتوسعة له فى المجلس والإيثار بالموضع . روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً فى صفة ضيقة فجاء قوم من البدريين فلم يجدوا موضعاً يجلسون فيه فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن من أهل بدر فجلسوا مكانهم فاشتد ذلك عليهم فأنزل الله تعالى - وإذا قيل انشزوا فانشزوا - الآية » وحكى أن على بن بندار الصوفى ورد على أبى عبد الله بن خفيف زائراً فقامشياً فقال له أبو عبد الله

تقدم ، فقال بأى علم ؟ فقال بأنك لقيت الجنيد وما لقيته اهـ . وفي [غ] ومعلوم قيام الصديق الأكبر رضى الله عنه لمولانا على كرم الله وجهه وإيثاره بالجلوس بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله له عليه الصلاة والسلام : « إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوه اهـ . ونقل أن الأصمعي دخل على الخليل وهو جالس على حصير ضيق ، فقال له اجلس ، فقال له : أجلس أضيق عليك ؟ فقال له : مه ، الدنيا تضيق بمتباغضين وما ضاق مجلس بمتحابين ، وللشافعي رضى الله عنه :

من لم يكن بين إخوان يسر بهم فإن أوقاته نقص وخسران (١)
وأطيب الأرض ما للنفس فيه هوى سم (٢) الخياط مع الأحباب ميدان
وأجبت الأرض ما للنفس فيه أذى خضر الجنان (٣) مع الأعداء نيران
ورحم الله من قال :

صل من هويت وإن أبدى مباغضة فأطيب العيش وصل بين إلفين (٤)
واقطع حبال خدن لا تلامه فقلما تسع الدنيا بغيضين
ومن قال :

ألا أدن (٥) وإن ضاق الندى (٦) فإنه رحيب بود ضمتته الأضالع
يضيق الفضا عن صاحبين تباغضا وسم خياط بالحييين واسع
ومن قال :

رحب القلاة مع الأعداء ضيقة سم الخياط مع الأحباب (٧) ميدان
ومن آداب المجلس إذا كان فيه سعة أن يكون بين كل اثنين ثلثا ذراع وأن لا يجلس الرجل بين الرجل وابنه أو قريبه أو صديقه إلا بإذنه لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يجلس الرجل بين الرجل وابنه في المجلس » وقوله أيضا : « لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما » وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجلس بين اثنين إلا إن علمنا ولو بالقرائن رضاهما بذلك لا سيما إن رأيناها يتحادثان ويتسارران فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى حذق وفساسة والله أعلم اهـ . (وحافظ) من حافظه راعاه (من) جميع (الإخوان) في الله (عن ستر) بفتح السين ضد الكشف وبالكسر ما يستر به أى على ستر كل (عورة) بدت منهم حسية أو معنوية . وفي [عف] ومن أدبهم ستر عورات الإخوان قال عيسى عليه السلام لأصحابه : كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما فكشف الريح عنه ثوبه ، قالوا نستره ونغطيه ، فقال بل تكشفون عورته ، قالوا سبحان الله ! من يفعل هذا ؟ قال : أحدكم يسمع في أخيه بالكلمة فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها اهـ . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستر جميع عورات المسلمين مع تبيينها لهم ستر على نقائصهم ، وأول ما ترجع فائدة ذلك علينا في الدنيا والآخرة فإن من ستر الناس ستر ومن هتك الناس هتك جزاء

(١) وفي رواية بدل البيت الأول :

لو ضمت بيت نمل والحبيب به لكان ذلك لي ظل وبستان وأطيب الخ مصححه .

- (٢) قوله سم بتثنية السين اهـ . (٣) قوله الجنان بكسر جيم جمع جنة بفتحها اهـ .
(٤) قوله إلفين تثنية لاف بكسر همزة كضرس : الصاحب اهـ . (٥) قوله أدن فعل أمر من دنا كدعا قربا اهـ .
(٦) قوله الندى كنى المجلس اهـ . (٧) ميدان بفتح ميم اهـ .

وفاقا . واعلم أن كل من كمل عقله لا يستبعد وقوعه في شيء من الذنوب فإن لم يكن وقع فيها فهو معرض للوقوع فيها ، فليُنظر في جميع ما وقع فيه الناس فسحبوا إلى بيت الوالى يجد نفسه قابلة له لأن طينة البشر واحدة إلا من عصمه الله كالأنبياء ، ثم قال وهذا العهد قد صار العمل به أعز من الكبريت الأحمر ، فلا تكاد تجد أحدا من إخوانك الأصدقاء فضلا عن غيرهم يسترك عورة إذا اطلع عليها بل ينشرها في الناس وكلما وصيته على السكتمان تحركت عنده الداعية للإفشاء . وقد قال الإمام الغزالي : لا تركز إلى صديق حتى تمتحنه غاية الامتحان ، وربما أحصى عليك الزلات حال رضاه عنك ليهجوك بها حال سخطه عليك كما هو مشاهد كثيرا فيمن يصحب الناس لغير الله ، ثم قال : وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إذا نازعتك نفسك في إظهار عورة مسلم فقل لها انظري ثمرة ذلك فإنك إذا أظهرتها للناس لا بد من إظهار جميع زلاتك على رؤوس الأشهاد يوم القيامة حتى تفتضحى بحضرة من كان يعتقد فيك الصلاح في دار الدنيا فربما أن النفس تكتم مآثرت ، ولتأمل الذى يظهر عورات الناس بعينه يجد نفسه أغضب الله وتعرض للهتكة ولا يعطيه الناس لأجل ذلك شيئا إنما ذلك رفث ومقت وفسوق لا غير نسأل الله تعالى العافية . وبالجمله فلا يتجسس على عورات الناس إلا فاسق ، فإن القلب المطهر من سوء لا يظن في الناس إلا خيرا ، انظره . ورحم الله من قال :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وروى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة » وروى ابن ماجه : « من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته » وفي [جص] : « من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا ميتا » وفيه : « من رأى عورة وإخوانا بل ولا عورة أحد من خلق الله تعالى ، بل وقد كان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول : كان قد بقى في الناس بعض سترة لبعضهم بعضا فرفع الله حكمها في سنة سبع وأربعين وتسعمائة ، وما بقى أحد يقدر على كشف عورة أخيه ويسترها إلا قليل من الناس ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وسمعت رضى الله عنه يقول : لا يكمل المؤمن حتى لا يصير يرى لأحد في الوجود عورة لا ظاهرة ولا باطنة ، فلا ينظر إلا محاسن الوجود ، ومادام يرى للناس العورات فالواجب عليه المجاهدة على يد شيخ عارف يصفيه من كدورات البشرية حتى يلحقه بالملائكة أو المحفوظين من الأولياء اه . وفي [حى] ولا يتم إيمان الرجل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ولا شك أنه يحب منه أن يستر عورته ويسكت عن عيوبه ومساويه ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة » وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة » وقال : « إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره » قيل لبعض الأدباء كيف حفظك السر ؟ قال أنا قبره . وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار . وقيل إن قلب الأحق في فيه ، ولسان العاقل في قلبه : أى لا يستطيع الأحق إخفاء ما في نفسه فيبيديه من حيث لا يدري به ، فمن هذا تجب مقاطعة الحمقى والتوقى عن صحبتهم ، بل عن مشاهدتهم ، انظره . ورحم الله من قال :

وما السر في صدرى كذا وبقبره لأنى أرى المقبور ينتظر النشر

ولكنني أنساه حتى كأنني
ولو جاز كتم السر بيني وبينه
ومن قال : السر عندي في بيت له غلق
وليس بكنم سرا غير ذي كرم
فما كان منه لم أحظ ساعة خبرا
عن السر والأحشاء لم تعلم السرا
ضاعت مفاتيحه والبيت مقفول
والسر عند لثام الناس مبذول

وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نقشي سرنا لصاحب ولا لزوجة ولا لأحد من المسلمين إلا لعذر شرعي ، ثم قال . وهذا العهد قد كثرت خيائته من غالب الناس حتى صار لا يسلم من خيائته إلا القليل ، وذلك لكثرة انحلال القلوب وعدم ارتباطها ببعضها ببعض ، فمن أفشى سره وطلب من الناس كتمانته فهو أحق . وقد أنشد الإمام الشافعي رضي الله عنه :
إذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحق
إذا ضاق صدر المرء عن حمل سره فصدر الذي يستودع السر أضيق

ثم قال : ومن كلام الشافعي : من كتم سره كانت الخيرة في يده ، وقال : من نكث لك نم عليك ومن نقل إليك نقل عنك . فانظر يا أخي من تودعه سر كما فإن رأيته ينقل عن الناس ما يسمعه منهم فاعلم أنه لا يكتف لك سرا ، ثم قال : فعلم أن من كتم الأسرار ما يتعلق بعزل الولاة وأضرابهم . فإياك أن يطلعك الله على شيء من أحوالهم وأحوال السلطان الأعظم فتخبر به الناس واصبروا كتم ذلك حتى يقع في الوجود ويشهده الخاص والعام والله عليم حكيم . وكان سيدي إبراهيم المتبولي يقول : إياكم وإطلاعكم الناس على ما كشف من أحوال الخلق ، فإن المفشي لها حكمه حكم الجالس في بيت الخلاء مكشوف العورة مفتوح الباب ، ومن مر عليه من العقلاء يلغنه لكشفه عورته وهتكه سريره وتعرضه نفسه للقتل بذلك . وقد قال رجل من أهل الكشف مرة لرجل من الناس : رأيت فلانا مع امرأتك فجاء ذلك المتهم وقتل ذلك الشيخ الذي أخبر بالزنى ، ثم قال فاكتم السر المتعلق بك وبالمسلمين والله يتولى هداك ، انظره (١) . قال رحمه الله :

(فَكُنْ مُحْسِنًا لِأَهْلِ عِلْمٍ وَسُنَّةٍ وَلَا تَكُ مُبْفِضًا لِجُمَالِ شِرْعَةٍ
فَهُمْ سُرُجُ الدُّنْيَا وَآخِرَتِهَا فَلَدِّهِمْ تَنَلَّ مِنْهُمْ شَفَاعَةٌ يَوْمَ حَشْرَةٍ)

(فكن) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (محسنا) ومعينا بحسب طاقتك وقدرتك فإن الله يحب المحسنين (لأهل علم) شرعي من تفسير وحديث وفقه وما يتوصل به إلى ذلك من نحو ومنطق وغير ذلك . وفي [جص] «أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله» : أي فينبغي للإنسان أن يعاملهم بالإجلال والإعظام والتوقير والاحترام والإحسان إليهم بالقول والفعل ، وفي [هب] ومنها : أي ومن الأمور التي تزيد في الإيمان تعظيم العلماء الذين هم حملة الشريعة رضي الله عنهم فتعظيمهم يزيد في الإيمان جعلنا الله من الذين يعرفون قدرهم : قال رضي الله عنه : ولو علم العامة قدر العلماء عند الله عز وجل ما تركوهم يمشون على الأرض ولتناوب أهل كل حومة العالم الذي فيهم وحماؤه على أعناقهم والله تعالى أعلم اه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نبجل العلماء والصالحين والأكابر ولولم يعملوا بعلمهم ، ونقوم بواجب علمهم

وحقوقهم ونكل أمرهم إلى الله تعالى ، فمن أخل بواجب حقوقهم من الإكرام والتبجيل فقد خان الله ورسوله ، فإن العلماء نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملته شرعه وخدامه ، فمن استهان بهم تعدى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كفر . وقد مال إلى ذلك من كفر من قال عن عمامة عالم هذه عميمة عالم بالتصغير ، انظره . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نكرم العلماء ونجلهم ونوقرهم ، ولا نرى لنا قدرة على مكافأتهم ولو أعطيناهم جميع ما نملك أو خدمناهم العمر كله ، وهذا العهد قد أخل به غالب طلبة العلم والمريدين في طريق الصوفية الآن حتى لا تسكاد ترى أحدا منهم يقوم بواجب حق معلمه ، وهذا داء عظيم في الدين مؤذن باستهانة العلم وبأمر من أمرنا بإجلال العلماء صلى الله عليه وسلم ، فصار أحدهم يفخر على شيخه حتى صار شيخه يداهنه ويمالقه حتى يسكت عنه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وقد بلغنا عن الإمام النووي أنه دعاه يوما شيخه الكمال الأربلي^(١) ليأكل معه فقال ياسيدي أعفني من ذلك فإن لي عندنا شرعيا فتركه فسأله بعض إخوانه ما ذلك العذر ؟ فقال أخاف أن تسبق عين شيخي إلى لقمة فأكلها وأنا لا أشعر . وكان رضى الله عنه إذا خرج للدرس ليقرأ على شيخه يتصدق عنه في الطريق بما تيسر ويقول اللهم استر عني عيب معلمي حتى لاتقع عيني له على نقیصة ، ولا يبلغني ذلك عنه عن أحد رضى الله عنه . ثم من أقل آفات سوء أدبك يا أخى مع الشيخ أنك تحرم فوائده فلما بكنمها عنك بغضا فيك وإما أن لسانه ينقصد عن إيضاح المعاني لك فلا يتحصل من كلامه على شئ يعتمد عليه عقوبة لك ، فإذا جاءه شخص من المتأدبين معه انطلق لسانه له لموضع صدقه وأدبه معه ، فعلم أنه ينبغي للطالب أن يخاطب شيخه بالإجلال والإطراق وغض البصر كما يخاطب الملوك ، ثم قال : وكذلك ينبغي له أن لا يقزوج امرأة شيخه سواء كانت مطلقة في حياته أو بعد مماته ، وكذلك لا ينبغي له أن يسعى على وظيفته أو خلوته أو بيته بعد موته فضلا عن حياته إلا لضرورة شرعية ترجع على الأدب مع الشيخ ، وكذلك لا ينبغي أن يسعى على أحد من أصحاب شيخه أو جيرانه فضلا عن أولاده ، فإن الواجب على كل طالب أن يحفظ نفسه عن كل ما يغير خاطر شيخه في غيبته وحضوره ، انظره . وروى صاحب البستان : « إن لله مدينة تحت العرش من مسك أذفر على بابها ملك ينادى كل يوم ألا من زار عالما فقد زار أنبيائي ، ألا من زار أنبيائي فقد زارني ألا من زارني فله الجنة » وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أكرم عالما فقد أكرم سبعين نبيا ، ومن أكرم متعلما فقد أكرم سبعين شهيدا ، ومن أحب العلم والعلماء لم تكتب عليه خطيئة » وروى : « أكرموا حملة القرآن فمن أكرمهم فقد أكرمني ومن أكرمني فقد أكرم الله » وفي [غص] وسألته رضى الله عنه متى يكمل العالم في درجة العلم ؟ فقال إذا صار الشارع مشهودا له في كل عمل مشروع وصار يستأذنه في جميع ما يأمر به الناس وينهاهم عنه من الأمور المستنبطة ويفعل بما يأذن له فيه منها فإن المجتهد قد يخطئ ، فقلت له هذا فيما يأمر به الغير فكيف حاله فيما يفعله هو ؟ فقال لا يكمل في مقام العلم حتى يستأذنه في كل أكل وشرب ولبس ودخول وخروج وجماع وغير ذلك من سائر الحركات والسكنات ، فإذا فعل ذلك كان كاملا في العلم والأدب وشارك الصحابة في معنى الصحبة والله تعالى أعلم اهـ (و) كن محسنا لأهل (سنة) محمدية ولا تجدهم إلا العلماء العاملين ، وقد قيل : إن لم تسكن العلماء أولياء الله

(١) الأربلي نسبة إلى أربل كآحمد : اسم بلد بقرب الموصل ، والموصل بين الفرات والجللة .

فليس لله ولي ، وروى « العلماء قادة والمتقون سادة ومجالستهم زيادة » وروى أيضا « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما يكرم الله » وعن سيدى على الخواص رحمه الله : من إكرام الله وإكرام رسوله صلى الله عليه وسلم إكرام جميع المسلمين اه . وروى الطبراني : « ما من مسلم يدخل عليه أخوه فيكرمه إلا غفر الله له » اه .

وفى [جص] « العلم أفضل من العبادة ، وملاك الدين الورع » وفيه : « العلم حياة الإسلام ، وعماد الدين ، ومن علم علما أتم الله له أجره ، ومن تعلم فعمل علمه الله مالم يعلم » ولذا قال بعضهم لسيدى على بن وفا لما ثبت عليه علوما كثيرة بم نلت هذا العلم ؟ قال بكونى عملت بما علمت . ونقل أنه مكتوب فى الإنجيل : لا تطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم . قالوا يا رسول الله كيف يسوفنا بالعلم ؟ قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم ، فلا يزال العبد فى العلم قائلا وللعلم مسوفا حتى يموت وما عمل ، نسأل الله السلامة والعافية . وفيه : « العلم خزان ومفاتيحها السؤال فاسألوا برحمتكم الله فإنه يؤجر فيه أربعة : السائل والمعلم ، والمستمع والمحب لهم » وفيه : العلم خليل المؤمن والعقل دليله والعمل قيمه والحلم وزيره والصبر أمير جنوده والرفق والده واللين أخوه » وفيه العلم علمان فعلم فى القلب فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان فذلك حجة على ابن آدم » وفيه « العلم والمال يستران كل عيب ، والجهل والفقر يكشفان كل عيب وفيه ساعة من عالم متكىء على فراشه ينظر فى علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما » وفيه طلب العلم أفضل عند الله من الصلاة والصيام ، والحج والجهاد » وفيه « طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة ، وطلب العلم يوما خير من صيام ثلاثة أشهر » انظره . وقال بعضهم : إن سماع مسألة واحدة من العالم أفضل من سبعين حجة مبرورة اه . وفى [حى] عن أبى الدرداء أنه قال : لأن أتعلم مسألة من العلم أحب إلى من قيام ليلة ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة » وقال صلى الله عليه وسلم : « باب من العلم يتعلمه الرجل خير من الدنيا وما فيها » . وقال صلى الله عليه وسلم : « حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة ، وعبادة ألف مريض ، وشهود ألف جنازة ، فليل يا رسول الله : ومن قراءة القرآن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : وهل ينفع القرآن إلا بالعلم » وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس السوء ، انظره . وفيه قال الشافعى رضى الله عنه : طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله : كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلى فقال : يا هذا ما الذى قت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رأيه وعقله . وفيه : عن معاذ بن جبل رضى الله عنه تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قرينة ، وهو الأنيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة فى الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم ، وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتهم تمسحهم وكل رطب ويابس لم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها ، لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوت الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد

منازل الأبرار والدرجات العلى ، والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه يمجّد وبه يتورّع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والجرام ، وهو لإمام والعمل تابعه ويلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء اه . وروى : « من علم علما شرعيا فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل شيئا ، ومن علم آية من كتاب الله تعالى أو بابا من العلم أنهى الله أجره إلى يوم القيامة ، ومن طلب العلم تكفل الله برزقه من حيث لا يحتسب » وورد « لطالب العلم رزقان رزق بسبب ورزق بلا سبب » وروى : « تناصحوا في العلم ولا يكتّم بعضكم بعضا فإن خيانة في العلم أشد من خيانة في المال » اه (ولاتك مبغضا لحمال) جمع حامل كعذال جمع عاذل (شرعة) بكسر معجمة الشريعة المحمدية المطهرة ، فإن مبغضهم والعياذ بالله من - الأخسرين أعمالا - الآية . قال تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين -

وفى [جص] « العالم سلطان الله في الأرض فمن وقع فيه فقد هلك » وفيه : « أغد عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة قتهلك » اه . قال الحنفى : قال ابن عبد البر : الخامسة معادة العلماء وبغضهم فمن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قارب وفيه الهلاك ، انظره : أى ولهذا كانت الغيبة في العلماء وحمة القرآن كبيرة . وعن ابن عساكر : اعلم يا أخى وفقنى الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق ثقاته أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار متقصيهم معلومة ، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالسب (١) ابتلاه الله قبل موته بموت القلب - فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم - أنظر العزيزى ، ورحم الله من قال :

لحوم أهل العلم مسمومة ومن يعاديهم سريع العطب
ومن قال : والعلماء أنجس للوقت مؤذيهم استحق كل المقت

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه : « اطلبوا العلم فإن عجزتم فاحبوا أهله فإن لم تحبوه فلا تبغضوه » وفى [جص] « ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق بئس النفاق : ذو الشبهة في الإسلام وذو العلم وإمام مقسط » وعن الشافعى رضى الله عنه : من لا يحب العلم لا خير فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة فإنه حياة القلوب ومفتاح البصائر اه . ولسيدنا على رضى الله عنه وعنايه آمين :

الناس من جهة التمثيل أكفاء (٢)
أبوهم آدم (٣) والأم حواء
فإن يكن لهم من أصلهم نسب
يفأخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم لأنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا
الناس موتى وأهل العلم أحياء

ورحم الله من قال :

أخو العلم حى خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت (١) وهو ماش على الثرى يعد من الأحياء وهو عديم

(١) قوله بالسب وفى نسخة بالثلب بثلثة : الجهر بالعيب اه . (٢) بسيط مقطوع اه .

(٣) قوله آدم بثنوين . (٤) قوله ميت بسكون تحتية تخفيفا اه .

ومن قال :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله
وإن امرأ لم يحيي^(٢) بالعلم ميت
فأجسامهم قبل القبور قبور
فليس له حتى النشور نشور

ومن قال :

تعلم فإن العلم زين لأهله
وكن مستفيدا كل يوم زيادة
تفقه فإن الفقه أفضل قائد
هو العلم الهادي إلى سنن الهدى
فإن فقيها واحدا متورعا
وللشافعي رضي الله عنه :

رأيت العلم صاحبه كريم
وليس يزال يرفعه إلى
ويتبعونه في كل حال
فلولا العلم ما سعدت رجال
ولو ولدته آباء لثام
أن تعظم أمره القوم الكرام
كراعي الضأن تتبعه السوام^(٣)
ولا عرف الحلالا ولا الحرام
وللقشاشي رضي الله عنه :

إذا ما اعتز ذو علم بعلم
فكم طيب يفوح ولا كسك
فعلم الفقه أشرف في اعتزاز
وكم طير يطير ولا كبا

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « كن عالما أو متعلما أو محبا أو مستمعا ولا تكن خامسا فتهلك »
يعنى المبغض. وعنه صلى الله عليه وسلم : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو معلما أو متعلما »
وقال أبو الدرداء : العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج^(٤) لا خير فيهم (فهم) رضي
الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم (سرج) بضمين جمع سراج أى مصابيح (الدنيا)
يستضاء بهم فيها من ظلمات الجهل (و) سرج (أخرى) أى الآخرة كذلك قال تعالى - يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات - وقال - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وفي [حصص]
العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء وورثي وورثة الأنبياء وفيه : « اتبعوا العلماء فإنهم سراج الدنيا ومصابيح
الآخرة » وفيه : « عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة » قال الحنفى : أى يشرق لهم كإشراق السراج
أو المراد ينتفعون بهديه بأن يسألوه كبعض العلماء حين يقول الله تعالى لهم تمنوا على فيتحيرون ويذهبون
للعلماء فيأمر ونهم بطلب رؤية الله تعالى اه . وفي [حى] قال بعضهم : العلماء سراج الأزمنة كل واحد
مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره . وقال الحسن رحمه الله : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم :
أى أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية . وقال عكرمة : إن لهذا العلم ثمنا ،
قيل وما هو ؟ قال أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه . وقال يحيى بن معاذ : العلماء أرسم بأمة محمد

(٢) قوله واسبح من سببح كنع : عام في الماء اه .

(٣) قوله همج بفتحين : اللفظة من الناس اه .

(١) قوله يحيى بفتح تحتين من حي كفرح اه .

(٢) قوله السوام جمع سائمة كراعية وزنا ومعنى اه .

صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم . قيل وكيف ذلك ؟ قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة اه . وفى [عف] أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشر فقال : « لا تسألونى عن الشر وسلونى عن الخير ، يقولها ثلاثا ثم قال : إن شر الشر شرار العلماء ، وإن خير الخير خيار العلماء » فالعلماء أدلة الأمة وعمد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية وتقباء ديوان الإسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وأمناء الله فى خلقه وأطباء العباد وجهابذة الملة الحنيفية وحلة عظيم الأمانة فهم أحق الخلق بمحققات التقوى وأحوج العباد إلى الزهد فى الدنيا لأنهم يحتاجون إليها لأنفسهم ولغيرهم ففسادهم فساد متعدد وصلاتهم صلاح متعدد قال سفيان بن عيينة : « أجهل الناس من ترك العمل بما يعلم ، وأعلم الناس من عمل بما يعلم ، وأفضل الناس أخشعهم لله تعالى » وهذا قول صحيح يحكم بأن العالم إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم فلا يغرك تشدقه واستطالته وحناقته وقوته فى المناظرة والمحادثة فإنه جاهل وليس بعالم إلا أن يتوب الله عليه ببركة العلم فإن العلم فى الإسلام لا يضيع أهله ويرجى عود العالم ببركة العلم ، انظره . وفى الحديث : « اتقوا زلة العالم وانظروا فيته » وفى [جص] : « العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا الدنيا فإذا خالطوا السلطان وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسول فاحذروهم » اه . قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون - وقال - إن الله لا يحب الخائنين - والعلم أمانة عند العلماء جبر الله حالنا وحالمهم وآعانا وإياهم على حفظ ورعاية ما أودعنا من شرائعهم آمين . وفيه : « إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص » وفيه : « إن أبغض الخلق إلى الله العالم يزور العمال » وفيه : « سيكون قوم بعدى من أمى يقرءون القرآن ويتفقهون فى الدين يأتهم الشيطان فيقول لو أتيتهم السلطان فأصلح دنياكم واعتزلتموهم بدينكم ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك كذلك لا يجتنى من قريبهم إلا الخطايا » قال تعالى - ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار - قال الحنفى : ومثل السلطان نوابه ما لم يكن المخالط لهم محفوظا مطهرا يحفظ نفسه من المداينة ونحو مدحهم بغير حق ومما يدمسه الشيطان على بعض أهل العلم أن يقول لهم لازموا الأمراء لأجل قضاء حوائج المسلمين فإن ذلك خير مع أن ملازمهم تؤدى إلى الخيانة فى الدين لبذل جهدهم فى طلب ما يرضيهم اه . وفى [حى] ومنها أى ومن علامات علماء الآخرة أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم ألبنة مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلا ، بل ينبغى أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين ، والمخالط لهم لا يخلو عن تسكف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم بإظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم ، فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مدهائلا لهم ، أو يتسكف فى كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت ^(١) الصريح أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت ، ثم قال : وعلى الجملة فخالطتهم مفتاح للشروع وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم « من بداجفا - يعنى من سكن البادية جفا : أى كان من طبعه الغلظة - ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن » وقال صلى الله عليه وسلم : « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتكرهون ، فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ، ومن رضى وتابع أبعد الله تعالى ، قيل أفلا

(١) البهت بفتح . وحدة كقاس الكذب الصريح اه .

نقاتلهم؟ قال صلى الله عليه وسلم: لا، ماصلوا « وقال سفيان: في جهنم وادلا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك . وقال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قيل وما هي؟ قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه . وقال صلى الله عليه وسلم: « العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلاطين ، فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسول فاحذروهم واعتزلوهم » رواه أنس ، وقيل للأعمش: لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذ عنك ، فقال لا تعجلوا: ثلث يموتون قبل الإدراك: وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق ، وثلث الباقي لا يفلح منه إلا القليل ، ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله: إذا رأيتم العالم يغشى^(١) الأمراء فاحذروا منه فإنه لص. وقال الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا أي حاكما ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء » وقال مكحول الدمشقي رحمه الله: من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا إليه وطمعا فيما لديه خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه . وقال سحنون: ما أسمع^(٢) بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسئل عنه فيقال هو عند الأمير . قال: وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك ، ثم قال: وعلماء زماننا شر من علماء بني إسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه، ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاتهم عند ربهم ، ثم قال: قال أبو ذر لسلمة ياسلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه ، وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة^(٣) مقبولة وكلام حلو لا يزال الشيطان يلقى إليه أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين ، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ويأخذ في الثناء والإطراء وفيه هلاك الدين، وكان يقال: العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن رحمه الله: أما بعد فأشر على بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى ، فكتب إليه الحسن: أما أهل الدين فلا يريدونك، وأما أهل الدنيا فلن تريداهم ، ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة ، انظره : ورحم الله من قال :

إنما السلطان نار كلما زدت في القرب إليه تحترق
وإذا لم تحترق بالنار منه أنت في الدنيا إليه تحت رفق

ومن قال :

قل للأمير مقالة من عالم فطن نبيه
إن الفقيه إذا أتى أبوابكم لاخير فيه

وفي [جص] « ما ازداد رجل من السلطان قربا إلا ازداد عن الله بعدا ، ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه ، ولا كثرت ماله إلا اشتد حسابه » قال الحنفى: ومثل السلطان نوابه فهو تحذير عن الاجتماع بهم إلا بقدر الحاجة لأن غالب مجالسهم لهو وشغل عن الله تعالى ، وأكثر أموالهم حرام ، وكثرة الاجتماع

(٢) قوله أسمع أي: أبلغ اه .

(١) قوله يغشى من غشى كفرج: أناه اه .

(٣) قوله لهجة كتمرة وقصة: لسان فصيح اه .

هم توقع في تعاطي أموالهم ، وهو حسرة وندامة اه . قال تعالى - سباعون للكذب أكالون للسحت - وروى « إن أخوف ما أخاف عليكم كل منافق عليم باللسان » يقعدون في أبواب الملوك ويقعون في أعراض المسلمين ويتطلبون لهم الرخص في نهب أموالهم وسفك دمائهم ، ويفتنونهم بالأباطيل التي تناسب أغراضهم وشهواتهم في المسلمين ، فيباغون المبالغ الرفيع عندهم ليفسدوهم أخراهم بدنيا غيرهم - إنا لله وإنا إليه راجعون - وفي [خل] وينبغي للعالم أو يتعين عليه أن لا يتردد لأحد من أبناء الدنيا لأن العالم ينبغي أن يكون الناس على بابه لا عكس الحال أن يكون هو على أبوابهم ، فإن التردد إلى أبواب من لا ينبغي كالذي يفعله بعض الناس سم قاتل لأنه لا خفاء في أحوالهم وزادوا على ذلك ما هو أشنع وأقبح وهو أنهم يقولون إن ترددهم إلى أبوابهم من باب التواضع ، أو من باب إرشادهم إلى الخير إلى غير ذلك من التسويلات النفسانية والتحسينات الشيطانية وحيث اعتقدوا ذلك فلا ترجى ثوبتهم ولا رجوعهم عن ذلك إذ لا يتوب أحد من فعل الخير - إنا لله وإنا إليه راجعون - على أن بعضهم قد نقل أن العدل إذا تردد إلى باب القاضي فلن ذلك جرحه في حقه وترد شهادته فإذا كان هذا في التردد إلى باب القاضي وهو عالم من علماء المسلمين فماذا يقال فيمن تردد إلى أبواب الظلمة الجهلة الفسقة نعوذ بالله من المسخ والخللان ، وفيه : وينبغي للعالم أن يصون هذا المنصب الشريف من التردد إذا انقطع عنه المعلوم لمن يرجى أن يعين على إطلاق المعلوم أو التحدث فيه أو إنشاء معلوم عوضه . وحدثني من أثق به أنه رأى بعض العلماء كان يدرس في مدرسة فانقطع المعلوم عنه وعن طلبته أو نقص عنه ، فقالوا للمدرس لعلك تمشي إلى فلان وكان من أبناء الدنيا لتجتمع به عسى أن يأمر بإطلاق ذلك المعلوم ، فقال نعم مرارا إلى أن عزموا عاياه فقال والله إني لأستحي من ربي أن يكذب هذه الشبهة عنده فقالوا : وكيف ؟ فقال إني أصبح كل يوم أقول : اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، فأقول هذا وأقف بين يدي مخلوق أسأله ذلك والله لا فعلته فلم يمش إليه - لمثل هذا فليعمل العاملون - ونقل أن الخليفة المنصور لقي سفيان الثوري فقال له ما يمنعك أن تأتينا يا أبا عبد الله ، فقال إن الله سبحانه نهانا عنكم حيث يقول - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار - ودخل عليه يوما وقد أرسل إليه فقال له : سل حاجتك ؟ فقال أو تقضيها ؟ قال : نعم ، قال حاجتي أن لا ترسل إلي حتى آتيك ولا تعطيني حتى أسألك ، ثم خرج فقال المنصور ألقينا الحب للعلماء فلنقطوه إلا ما كان من سفيان ، وقيل له : ألا تدخل على الولاة فتتخفظ وتعظم وتنههم ؟ فقال : أتأمروني أن أصبح في بحر ولا تبطل قدماي إني أخاف أن يرحبوني فأميل إليهم فيحبط عملي . وكان يقول : إذا أرضيت ربك أسخطت الناس ، وإذا أسخطتهم فنيأ للسهم والتهيؤ للسهم أحب إلى من أن يذهب دين الرجل ، ورحم الله من قال :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا يحياه بالأطماع حتى تبهما (١)

وكتب رحمه الله إلى بعض العباد : اعلم يا أخي أنك في زمان كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوزون أن يدركوه ومعهم من العلم ما ليس معنا ولهم من القدم ما ليس لنا ، فكيف بنا حين أدركناه على قلة العلم وقلة الصبر وقلة الأعوان على الخير وفساد من الزمان ، فعليك بالحمول فإن هذا زمان

خول وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس فقد كان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض . وأما اليوم فقد ذهب ذلك فالنجاة الآن في تركهم فيما نرى ، وإيالك يا أخى والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء ، ويقال لك تشفع أو تدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة فإن ذلك من خديعة إبليس ، وإنما اتخذ ذلك القراء سلما للقرب منهم واصطليداً للدنيا بذلك . وكان يقول للمهدى : احذر من هؤلاء الأعوان والمتردين عليك من الفقراء والفقهاء فإن هلاكك على أيديهم يأكلون طعاندك ويأخذون دراهمك ويغشونك ويمدحونك بما ليس فيك . ونصح يوماً إنساناً رآه في خدمة الولاية فقال فما أصنع بعيالى ؟ فقال ألا تسمعون لهذا يقول إنه إذا عصى الله رزق عياله وإذا أطاعه ضيعهم . وكان يقول إذا رأيتم العالم يلوذ بباب السلطان فاعلموا أنه لص وإذا رأيتموه يلوذ بباب الأغنياء فاعلموا إنه مرء انظر [شب] وفيه : وكان بشر الخافى يقول : يا طالب العلم إنما أنت متلذذ متفكك بالعلم تسمع وتحكى لا غير ، ولو عملت بما علمت لتجرعت مرارة العلم ، ويحك إنما يراد بالعلم العمل فاسمع يا أخى وتعلم ثم تعمل واهرب ، ألا ترى إلى سفيان الثوري رضى الله عنه كيف طلب العلم وتعلم وهرب ، فإن طلب العلم إنما يدل على الهرب من الدنيا لا على حبها ، وكان يقول : كان العلماء رضى الله عنهم موصوفين بثلاثة أشياء : صدق اللسان ، وطيب المطعم ، وكثرة الزهد في الدنيا . وأنا اليوم لا أعرف في هؤلاء واحداً فيه واحدة من هذه الخصال ثم قال : ويحكم بأعلماء السوء أنتم ورثة الأنبياء وإنما ورثوكم العلم فحملتموه وزغتم عن العمل به وجعلتم علمكم حرفة تكسبون به معاشكم . وكان إبراهيم البلخي يقول : إذا كان العالم طامعاً وللمال جامعا فيمن يقتدى الجاهل . وكان إبراهيم بن أدهم يقول : قد غلب على العباد والنسك والعلماء في هذا الزمان التهاون بالذنوب حتى غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم وحجبوا عن شهود عيوبهم فهلكوا وهم لا يشعرون أقبلوا على أكل الحرام وتركوا طلب الحلال ورضوا من العمل بالعلم ، يستحى أحدهم أن يقول فيما لا يعلم لا أعلم ، هم عبيد الدنيا لا علماء الشريعة إذ لو علموا بالشريعة لمنعتهم عن القبائح ، إن سألوا ألحوا وإن سئلوا شحوا لبسوا الثياب على قلوب الذئاب ، اتخذوا مساجد الله التي يذكر فيه اسمه لرفع أصواتهم باللغو والجدال والقييل والقوال ، واتخذوا العلم شبكة يصطادون بها الدنيا ، فإياكم ومجالستهم اه . فتخلص يا أخى من هذه الأحوال وتأمل قول من قال :

العلم نور فلا تهمل بمجالسته وأعمل بحيلة يرى فالفضل في العمل
وقول بعض أهل الإشارات :
تعلم ما استطعت لقصد وجهى فإن العلم من سفن النجاة
وليس العلم في الدنيا بفخر إذا ما حل في غير الثقافة
ومن طلب العلوم لغير وجهى بعيد أن تراه من الهداة انظره
ورحم الله من قال :

لو كان للعلم من دون التقي شرف لكان أفضل خلق الله إبليس
وفي [خل] وعن ذى النون المصري رحمه الله أنه قال : كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركها لها ، فالיום يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا ، وكان الرجل ينفق ماله على العلم ، واليوم يكتسب الرجل بعلمه مالا ، وكان يرى على طالب العلم زهادة وإصلاح في باطنه وظاهره ، فالיום ترى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر ، وفيه قال مالك رحمه الله : إذا علمت علما فليز عليك أثره

وسمته وسكنته ووقاره وحلمه لقوله عليه الصلاة والسلام : « العلماء ورثة الأنبياء » انظر : وفيه قال ابن مسعود رضي الله عنه : العالم يعرف بلبيله إذا الناس نائمون ، وبنياره إذا الناس مفطرون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، بخشوعه إذا الناس يختالون ، وبجزئه إذا الناس يفرحون . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : لا ينبغي للعالم أن يخوض مع من يخوض ولا يجهل مع من يجهل ولكن يعفو ويصفح اه . ثم قال : قال الفضيل بن عياض رحمه الله : لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله تعالى لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادت لهم الناس وكانوا لهم تبعاً وعز الإسلام وأهله ، واسكنهم أذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما في أيديهم فذلوا وهانوا على الناس ، وفي الحديث إن الصفا الزلازل ^(١) الذي لا تثبت عليه أقدام العلماء الطمع ، قال الحنفى : ألا ترى أن طمع العالم يؤديه إلى مدح الأمراء الظلمة ليعطوه شيئاً فيغويهم في الظلم ويوقع كلام الناس في عرضه ، ولربما اقتدى به غيره في الطمع وجلب الدنيا ولو من حرام : قال المناوي في كبيره : قال أبو جعفر البغدادي : ست خصال لا تحسن يست رجال : لا يحسن الطمع في العلماء ، ولا العجلة في الأمراء ، ولا الشح في الأغنياء ، ولا الكبر في الفقراء ، ولا السفه في المشايخ ، ولا اللؤم في ذوى الأحساب اه . وعليك بمطالعة فقيه درر الفوائد - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - (فلذ) من لاذ بالشيء استأثر وتحصن به (بهم) دنيا وأخرى (تتل) تصب وتترك (منهم) في الدارين (شفاعة) عزيمة (يوم حسرة) وندامة هو يوم القيامة . وفي [جص] : « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » وفيه : « وإذا اجتمع العالم والعابد على الصراط قيل للعابد ادخل الجنة وتنعم بعبادتك ، وقيل للعالم قف هنا فاشفع لمن أحببت فلنك لا تشفع لأحد إلا شفعت فقام مقام الأنبياء » وفي [خل] وقدروى أن يحيى ابن يحيى راوى الموطأ لما أن جاء إلى مالك ليقرأ عليه فقال له مالك اجتهد يا بني فإنه قد جاء شاب في سنك فقراً على ربيعة ، فما كان إلا أيام وتوفي الشاب فحضر جنازته علماء المدينة ولحد ربيعة بيده ، ثم رآه بعد ذلك بعض علماء المدينة في النوم وهو في حالة حسنة فسأله عن حاله ؟ فقال غفر الله لي وقال ملائكتك هذا عبدي فلان كانت نيته أن يبلغ درجة العلماء فبلغوه درجاتهم فأنام معهم أنتظر ما ينتظرون . قال : فقلت وما ينتظرون ؟ قال الشفاعة يوم القيامة في العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، انظره وروى : « إن الله تعالى يقول للمجاهدين والعابدين ادخلا الجنة فيقول العلماء يا ربنا بفضل علمنا جاهدوا وعبدوا فما لنا عندك ؟ فيقول أنتم عندى كبعض ملائكتي ، اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة » وروى « إنه يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء » ولا شك أن أعلى ما للشهيد دمه وأن أدنى ما للعالم مداده . قال بعضهم : والمراد بالعلماء العاملين بعلمهم - الذين يوفون بهد الله ولا يتقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب - والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وانفقوا مآرز قناتهم سرا وعلاية ويدرون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار - الآية ، وإلا فليسوا من أهل الشفاعة بل ليتهم يشفعون في أنفسهم ، وأنى لهم ذلك قال تعالى - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون -

(١) قوله الصفا مفردة صفاة : صخرة ملساء والزلازل كشداد كثير الزلازل اه .

وروى « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وإن العالم ليعذب عذابا يطيف (١) به أهل النار استعظاما لشدة عذابه ، وإنه يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه (٢) فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك؟ فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن الشر وآتية » وقال الشعبي : يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديكم وتعليمكم ؟ فيقولون : إننا كنا نأمر بالخير ولا نفعله ونهى عن الشر ونفعله . وقال حاتم الأصم رحمه الله : ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو . وقال مالك بن دينار « إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا . ورحم الله من قال :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما	إذا عبت منهم أمورا أنت تأتيا
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا	فالموبقات لعمرى أنت جانها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها	وأنت أكثر منهم رغبة فيها
ومن قال : وغير تقي يأمر الناس بالتقى	طبيب يداوى المريض وهو عليل
ومن قال : فأصبحت تنهى ولا تنتهى	متى تلحق الناس يا أكوع
ويا حجر السن لا تنقضى	تسن (١) الحديد ولا تقطع

وفي البخاري عن إبراهيم التيمي « ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبا » اه قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون - وقال - ولكم الويل مما تصفون - وقال - أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون - وقال صلى الله عليه وسلم : « أبعد الناس من الله تعالى يوم القيامة القاص الذي يخالف إلى غير ما أمر به » وفي [حى] وقال كعب رحمه الله : يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ، ويخوفون الناس ولا يخافون ، وينهون عن غشيان الولاية ويأتونهم ، ويؤثرون الدنيا على الآخرة ، يأكلون بالسنتهم ، يقرّبون الأغنياء دون الفقراء ، يتغيرون على العلم كما تتغير النساء على الرجال ، يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره أولئك الجبارون أعداء الرحمن » وقال تعالى لعيسى عليه السلام : « يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ للناس وإلا فاستحي منى » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أسرى في بأقوام تقرض شفاهم بمقاريض من نار فقلت من أنتم ؟ فقالوا كنا نأمر بالخير ولا تأتية ونهى عن الشر ونأتية » وقال صلى الله عليه وسلم « هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر شرار العلماء وخير الخير خيار العلماء » وقال الأوزاعي رحمه الله : شكت النواويس ما يجادون من تن جيف الكفار فأوحى الله إليها بطون علماء السوء أتت مما أنتم فيه . وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك (٢) السكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياى يخادعون ولى

(١) قوله يطيف بضم تحتية من أطاف : أحرق اه . (٢) قوله أفتابه جمع قتب كضرس : الأمعاء اه .

(٣) بفتح فوقية وضم سين من سن السكين كرد : أحده اه .

(٤) قوله مسوك جمع مسك ، كفلس وفلوس : الجلد اه .

يسهزون لأنيحن^(١) لهم فتنة تذر الحليم فيهم حيران « وقال ابن مسعود رضي الله عنه : سيأتي على الناس زمان تملح^(٢) فيه غدوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح يفرل عليها قطر السماء فلا يوجد لها غدوبة ، وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة ، فعند ذلك يسلبها الله تعالى يتابع الحكمة ويطنى مصابيح العلم من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر في علمه ، فأنخصب الألسن يومئذ وما أجذب القلوب ، فو الله الذي لا إله إلا هو ما ذاك إلا أن المعلمين علموا لغير الله تعالى والمعلمين تعلموا لغير الله تعالى . وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من طلب علما يبتغي^(٣) به وجه الله تعالى ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » وعرفها : ربحها . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتقاروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار » وقال صلى الله عليه وسلم : « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا » وقال عيسى عليه السلام : مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت ، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله يوم القيامة على رموس الأشهاد . وفي أخبار^(٤) داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى « إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيله مناجاتي ، يادادود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي ، أولئك قطاع الطريق على عبادي ، يادادود إذا رأيت لي طالبا فكُن له خادما يادادود من رد لي هاربا كتبه جهنما^(٥) ومن كتيته جهنما لم أعذبه أبدا ، ولذلك قال الحسن رحمه الله : عقوبة العلماء موت القلب وموت القلوب طلب الدنيا بعمل الآخرة ، ولذلك قال يحيى بن معاذ : إنما ذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا ، وقال سعيد بن المسيب رحمه الله : إذا رأيتم العالم يغشى^(٦) الأمراء فهو لص . وقال عمر رضي الله عنه : إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب يخوض فيما أحب . وكتب رجل إلى أخ له : إنك قد أوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب ، فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم . وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول لعلماء الدنيا : يا أصحاب العلم قصوركم قيسرية ، وبيوتكم كسروية ، وأثوابكم ظاهرية ، وأخفافكم جالوتية ، ومراكبكم قارونية ، وأوانيسكم فرعونية ، ومآتمكم^(٧) جاهلية ، ومذاهبكم شيطانية ، فأين الشريعة المحمدية . ورحم الله من قال :

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

ومما ينبغي في حق العالم أن لا يكون مائلا إلى الترفه في المطعم والمشرب والتنعيم في الملبس والتجمل في الأثاث والمسكن ، بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما زاد إلى طرق القلة مبله ازداد من الله قربا وارتفع في علماء الآخرة حزيه ، أنظره . وانظر فيه ما وقع لحاتم الأصم مع ابن المقاتل والطنافسي وأهل المدينة المنورة بأنواره صلى الله

(١) لأقدرن وأسهلن اه . (٢) قوله تملح بفتح اللام وكسرها من ملح كنعن وضرب اه .

(٣) قوله يبتغي بضم تحتية وفتح غين مبنى للفعل اه .

(٤) جمع خبر اه . (٥) جهنم بضم جيم كبرج : القاد الحبير اه .

(٦) قوله يغشى من غشى كرضى اه . (٧) مآتم جمع مأتم كقعد : كل مجتمع لحزن أو فرح أو خاص بالنساء .

عليه وسلم ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا علم العالم فلم يعمل كان كالمصباح يضيء على الناس ويحرق نفسه » ورحم الله من قال :

ما هو إلا ذبالة^(١) وقدت تضيء للناس وهي تحترق

ورحم الله من قال :

منعتك الذنوب عن كل علم نافع للقلوب يجلو صداها
فاغنم توبة لعلك تنجو وأزجر النفس يأخى عن هواها

وعنه صلى الله عليه وسلم : « من ازداد علماً ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعداً » وقد قيل : كثرة العلم في غير طاعة مادة الذنوب ، وفي ذلك قال بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

كثرة العلم في سوى طاعة الله من أصل الذنوب خف من رداها

وفي [عم] وكان سفيان الثوري رضي الله عنه إذا لاموه على عدم جلوسه لتعليم الناس العلم يقول : والله لو علمنا منهم أنهم يطلبون بالعلم وجه الله العظيم لأتيناهم في بيوتهم وعلمناهم ، ولكنهم يطلبون العلم ليجادلوا به الناس ويحترقوا به أمر معاشهم . وكان الفضيل بن عياض يقول : والله لو صحت النية في العلم لم يكن عمل مقدم عليه إلا العمل بما يحتاج منه ولكنهم يتعلمون لغير العمل . وحكى أن سفيان الثوري دخل على الفضيل يوماً فقال : يا أبا علي عظنا بموعظة ؟ فقال الفضيل وماذا أعظكم ، كنتم معاشر العلماء سرجاً يستضاء بكم في البلاد فصرتم ظلمة ، وكنتم نجوماً يهتدى بكم في ظلمات الجهل فصرتم حيرة ، يأتي أحدكم إلى هؤلاء الأمراء فيجلس على فرشهم ويأكل طعامهم ثم بعد ذلك يدخل المسجد ويدرس العلم والحديث ويعظ الناس ويقول حدثني فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والله ما هكذا كان يحمل العلم ، فبكي سفيان وانصرف . ثم قال : وكان كعب الأحبار يقول : سيأتي على الناس زمان يتعلم جهالهم العلم ويتغيرون على القرب من الأمراء كما يتغيرون على النساء وكما يتغيرون النساء على الرجال وذلك حظهم من علمهم . ثم قال : وكان عبد الله بن المبارك يقول : قد غلب على القراء في هذا الزمان أكل الحرام والشبهات حتى إنهم غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم واتخذوا علمهم شبكة يصطادون بها الدنيا فلما كملوها لم يجدوا فيها شيئاً وكان يقول : لولا نقص دخل على أهل الحديث والفقه لكانوا أفضل الناس ، ولكنهم صاروا يحترقون بعلمهم ويصطادون به الدنيا فهانوا في ملكوت السموات والأرض ، وكان يقول : من عقل الرجل أن لا يطلب الزيادة من العلم إلا إذا عمل بما علم ، فيتعلم العلم كي يعمل به إذ العلم إنما يطلب للعمل ، وكان الشعبي يقول : اطلبوا العلم وأنتم تبكون فإن أحدكم إنما يريد به زيادة إقامة الحججة على نفسه يوم القيامة . ثم قال : وكان الثوري يقول : عليكم بالإخلاص في العلم لينفع الله به العباد . قال : ولم يبلغنا عن أحد من العلماء غير العاملين أنه رأى بعد موته فقال : غفر لي بعلمي أبداً قال : ومن الدلائل الصريحة على رياء العالم أن يتأذى ممن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره ، وكان الشافعي رحمه الله يقول : ينبغي للعالم أن تكون له خبيثة من العمل الصالح فيما بينه وبين الله ولا يعتمد على العلم قط ، فإنه قليل الجدوى في الآخرة . ثم قال : وروى النسائي والترمذي مرفوعاً : « أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرّفه نعمه فعرّفها ، فقال : فاعملت فيها ؟ قال : قاتلت

فيك حتى استشهدت، فقال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال فلان جرى، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأقى به فعرّفه نعمه فعرّفها فقال: فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال كذبت ولكنك تعلمت لي قال عالم وقرأت القرآن لي قال قارى فقد قيل، ثم سحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع عليه وأعطاه من أصناف المال فأقى به فعرّفه نعمه فعرّفها فقال: فاعملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال كذبت ولكنك فعلت لي قال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، أنظره. ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه:

أول من يسحب للنيران ثلاثة في خير العدنان
من قاتل الكفار ثم قتلا وعلم العلوم ثم بذلا
ماله للسمعة والرياء يارب نجنا من البلاء
واغفر ذنوبنا بمحض الفضل وشفعن نبينا في الكل
عليه دائما صلاة الله والآل والصحب بلا تناء

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - والله أعلم وأحكم.

[فصل في النهي عن إضاعة المال]

(وَمَالِكَ صُنْ عَنِ الضَّيَاعِ كَهَرَفِهِ رَزَجِ رَبِّي زَيْ وَخَمِرِ وَخُطَّةِ
فَمُرْتَسِكِبْ لِدَاكَ يُبْلَى بِنَسْكَبِهِ وَمُسْتَوْجِبْ بِذَنْبِهِ سَلَبَ نِعْمَةٍ
فَمَنْ لَمْ يَصَبْ فِي نَفْسِهِ أَوْ بِمَالِهِ فَمُسْتَذَرَجٌ وَبَا بِأَخْصِ صَفَقَةٍ)

(ومالك) هو ماملكته من كل شيء (صن) من الصيانة وهي الحفظ (عن الضياع) بفتح الضاد مصدر ضاع هلك وتلف. واعلم أن النهي عن إضاعة المال ولزوم حفظه أمر اجتمعت عليه الأمة قال تعالى - وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة - وقال - وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين - وفي [جص] : « إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال » قال العزيزي : هو صرفه في غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف، وسبب النهي أنه إفساد، والله لا يحب الفساد، ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس اه. وفي [خل] واعلم أن إبليس يأتيك من وجوه كثيرة لا يغفل ولا يألوك خيالا إن كنت مقلا عندك من الدنيا شيء يسير تريد أن تقوته نفسك أمرك بالصدقة ورغبت فيها لتخرج ما في يديك وتحتاج رجاء أن يظفر بك في حالة الغفلة، وإن كنت غنيا أمرك بالإسك ورغبت فيه وخوفك الفقر والحاجة، وقال لك ابدأ بمن تعول ولعلك تسكبر وتضعف ويطول عمرك، يريد بذلك أن تصير إلى حال البخل فيظفر بك. انتهى. وفي [د] : « والله من لم يحاول على نفسه حتى تخلى دار أبيه » وإذا قاله لمن بين يديه في الإسراف في الإنفاق، ذكر ذلك تحذيرا وتخويفا

وتفطيعا لما يترتب على ذلك من الفتنة في الدين واختلال العقل وذهاب المروءة، ولفظ يحاول يحتمل الاقتصاد في المعيشة ويحتمل الخدمة والسكد والعمل اه . وفي [جه] ومما أملاه علينا رضى الله عنه قال : لله تصرف في بعض خلقه فجعل الدنيا في أيديهم فمن حفظها منهم مع المحافظة على أمر الله تعالى فيه من غير تضییع حفظها الله في يده وصانه بها وجعلها له بركة ، ومن ضيعها من يده تهاونا بها ضيعه الله وأحوجها إليها ولم يجد لها اه . وفيه : واعتن بتحصين مالك من التلف فإن مالك به يمان إيمانك بالله تعالى فإن أتلفته أتلقت إيمانك بالله فإنه وقع في الخبر : « إن من الناس من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو افتقر لكفر » اه وفيه : وقد كان بعض الأصحاب من خاصته دخل بيده مال فأعطاه منه ثم أراد إعطاء ما بيده بحالة وتفصيلا ، فعلم به سيدنا رضى الله عنه فقال له لا تفعل ودع مالك عندك ، لأنك إن فعلت ذلك وجدت فقدان ذلك من قلبك وأثر ذلك فيك ، فيحصل لك بذلك ضرر عظيم وتقطع الحبة من أصلها ، فلا تقتدي في هذه العطايا ، فأنا إن رأيتني فعلت شيئا منها فني ذلك أقامني الله عز وجل . اه . وفي [عف] قال جعفر الخلدی : جاء رجل إلى الجنيد وأراد أن يخرج عن ماله كله ويجلس معهم على الفقر ، فقال له الجنيد ، لا تخرج عن مالك كله : احبس منه مقدار ما يكفيك وأخرج الفضل وتقوت بما حبست ، واجتهد في طلب الحلال ، لا تخرج كل ما عندك فليست آمن عليك أن تطالبك نفسك ، ثم قال : وقد يكون الشيخ يعلم من حال المرید أنه إذا خرج من الشيء يكسبه من الحال مالا يتطلع به إلى المال ، فحينئذ يجوز له أن يفسح للمرید في الخروج من المال ، كما فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وقبل منه جميع ماله . اه : أى ولم يقبل ذلك من سيدنا عمر لحكمة بالغة قال تعالى - حريص عليكم بالمؤمنين رهوف رحيم - وصح أن عمر أتى بنصف ماله فدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ما خلقت وراءك لأهلك يا عمر ؟ قال خلقت لهم نصف مالى » وأن أبا بكر جاء بماله كله فدفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ما خلقت وراءك يا أبا بكر ؟ فقال عدة الله وعدة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فسكى عمر فقال بأبى أنت يا أبا بكر والله ما سبقنا إلى باب خير إلا كنت سابقنا » اه . وفي البخارى عن كعب بن مالك قال : قلت يا رسول الله إن من توبنى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم . قال : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قلت فإنى أمسك سهمى الذى بخير » اه . وروى : « يأتى أحدكم بماله لا يملك غيره فيتصدق به ثم يقعد بعد ذلك يتكفف الناس ، إنما الصدقة عن ظهر غنى » ورحم الله من قال :

وحفظ المال خير من فناه وضرب فى البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يسقى الكثير مع الفساد

(كصرفه) وإنفاقه (بهرج) من هرج الناس وقعوا في فتنة واختلاط وقتل : أى في قتال بين المسلمين عدوانا وظلما . وفي [جص] « إن بين يدي الساعة أياما ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج » والهرج : القتل ، وفيه : « إذا كانت الفتنة بين المسلمين فاتخذ سيفا من خشب » وذلك كناية عن عزل أهل الفتن والسكف عن القتال معهم . ونقل أن بعض الصحابة اتخذ سيفا من خشب أيام الفتنة لهذا الحديث . وفيه : « لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمى » وفيه : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم » وفيه : « من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله » وفيه : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار : قيل يا رسول الله

الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه « وفيه : » ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرف لها تستشرفه ، ومن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذبه « وفيه : » سلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته « وفي [هب] إن ذات بني آدم عليها ثلاث مئة وستة وستون ملكا ، وهذا العدد على كل ذات ذات ، فمن قتل ذاتا بغير حق فإن هذا العدد من الملائكة الذين في الذات المقتولة إذا خرجوا منها بعد القتل لا يكون لهم شغل إلا الدعاء باللجنة على من قتل الذات وأخرجهم منها بغير حق ، ودعاء الملائكة مستجاب ، وأيضا فإن الذات عليها سبعة من الكرام الحفظة الكاتبين فإذا قتلت الذات بغير حق فإنهم لا شغل لهم إلا نقل كل ما في صحيفة المقتول من سيئات ، فينقلونه من صحيفته ويجعلونه في صحيفة القاتل ، وكل ما فعل القاتل من حسنة ، فإنهم ينقلونه منها ويجعلونه في صحيفة المقتول وهذا شغلهم إلى أن يموت القاتل ، ثم يصير هذا ذكرا لهم فيذكرون ما فعل القاتل من السيئات ، وذكر الملائكة كالمطر ، وكل ذكر ينزل معه فإن ذكروا أحدا بسوء نزل عليه سوء ، وإن ذكروه بخير نزل عليه الخير ، فلا يزالون يذكرون المقتول بخير والخير ينزل عليه ، ولا يزالون يذكرون القاتل بشر والشر ينزل عليه ، انظروا . وكصرفه في (ربي) بالكسر والقصر وسواء ربي الفضل وربى النساء ، وقد قيل كل عقدة فاسدة فهي ربي ، وروى : « ذرهم ربي يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية في الإسلام وهو في الخطيئة » وفي [جص] « الربى سبعون حوبا »^(١) أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه « وفيه : » لعن الله الربى وآكله وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون ، والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة^(٢) والمتنصصة « وفيه : » الربى وإن كثرت فإن عاقبته تصير إلى قل « والقل بالضم القلة قال تعالى - يمحى الله الربى ويرى الصدقات - وفيه : « أربى ربي شتم الأعراض وأشد الشتم المهجاء والراوية^(٣) أحد الشاتمين « وفيه : « أربى الربى تفضيل المرء على أخيه بالشتم « أى زيادته واستطالته بلسانه في عرض أخيه بأكثر مما يستحقه . وفي [د] الله يغرقك في بحر الكرم وذا قاله لرجل ارتكب شيئا من الربى فغضب عليه غضبا شديدا فتأب إلى الله وسأله أن يسامحه ويدعوله فسأله وذكره ، اه . قال تعالى : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله - الآية . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تأكل طعام من يعامل بالربى والحيلة إلا لضرورة شرعية كأن لم نجد شيئا نسد به الرمي أو ترتبت على ذلك مصلحة دينية ترجح على تركه . ثم قال : فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ صادق يسلك به الطريق حتى يدخله حضرات القناعة وحضرة الزهد في الدنيا وتصير نفسه تقنع بالخبز الجاف اليابس من غير إدام وتلبس الحصى بدل الثياب ، ومن لم يسلك فمن لازمه محبة الدنيا غالبا وعدم صبره عن شهواتها ، فكلما طلبت نفسه شهوة تحمل الدين لأجلها ورضى بالربى له وعليه . وكان سفيان الثوري يقول : والله لو أجبت نفسي إلى ما طلبت لخفت أن أكون شرطيا أو مكاسا اه . فاسلك يا أنخى كما ذكرنا لتخلص من ورطة^(٤) الربى والوقوع فيه ، والله يتولى هداك ، أنظروا . وقد ثبت أن من حكمة الله تعالى وعادته أن من أكل الربى يحول الله صورته عند الموت كصورة حمار ، إما في الدنيا وإما في الآخرة ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة آمين (زنى) بالكسر والقصر : وفي [جص] : « الزنى يورث الفقر « وفيه : » عفوا تعف

(٢) قوله النامصة : أى النافقة للشعر بقصد التزيين اه .

(٤) قوله ورطة كثرة : الهلاك اه .

(١) قوله حوبا بضم حاء وفتحها : الذئب .

(٣) قوله الراوية : أى الناقل لها اه .

نساؤكم ، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، ومن اعتذر إلى أخيه المسلم من شيء بلغه عنه « زاد في رواية :
 « محقا كان أو مبطلا فلم يقبل عذره لم يرد على الخوض » وفيه : « إذا ظهر الزنى والربى في قرية فقد
 أحلوا بأنفسهم عذاب الله » وفيه : « إن السموات السبع والأرضين السبع والجبال ليلعن الشيخ الزانى ،
 وإن فروج الزناة ليؤذى أهل النار ريحها » وفيه : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى ، مدرك ذلك
 لأعماله ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ،
 والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذب به » وفيه : « من زنى زنى به ولو لم يحيطان
 داره » أى فن عقوبة الزانى أن يقع الزنى ممن حوته حيطان داره كزوجته وبنته .

وتقل أن امرأة وجدت زوجها يغتسل فقالت : ما هذا؟ فقال : زنت بزوجة فلان ، ثم جاء ذات يوم
 فوجد زوجته تغتسل ، فقال لها ما هذا؟ قالت : زنى بى فلان الذى زنت بزوجته ، جزاء وفاقا والجزاء من
 جنس العمل . وحكى أن بعض الملوك لما سمع بهذا الحديث أراد تجربته فى بنت له وكانت فى غاية من
 الحسن والجمال فكنها لعجوز وأمرها أن تطوف بها فى الأسواق والأزقة مكشوفة الأطراف وأن
 لا تمنع أحدا تعرض لها بأى شيء شاء ، فامرت بها على أحد إلا وأطرق رأسه منهاجيا وخجلا ، ولم
 يمد أحد نظره إليها ، فلما رجعت بها وأرادت أن تدخل لدار الملك أمسكها إنسان وقبلها ثم ذهب
 عنها ، فأدخلتها على أبيها فسألها عما وقع فذكرت له القصة ، فسجد شكرا لله تعالى وقال : الحمد لله ما
 وقع منى فى عمرى قط إلا قبلة واحدة لا امرأة وقد قوصصت بها جزاء وفاقا . وفى [د] : « أولاد الزنى
 ليس لهم إلا النار ، لأن الله حكم على نطفة الحرام بالنار إلا إذا حصل لهم التطهير بخدمة أحد من الأكابر
 أو أكل معهم أو قضى لهم حاجة وهم : الفرد الجامع والخليفة والوزيران ومفاتيح الكنوز اه (و)
 كصرفه فى (خمر) وهى كل ما يخامر العقل ويستره ويلذهب ثمراته من كل مشروب . وفى [جص]
 « ستشرب أمتى من بعدى الخمر يسمونها بغير اسمها يكون عونهم على شربها أمراؤهم » وفيه : « الخمر
 أم الخبائث فمن شربها لم تقبل صلاته أربعين يوما ، فإن مات وهى فى بطنه مات ميتة جاهلية » وفيه :
 « الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر ، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته وعمته » وفيه :
 « لعن الله الخمر وشاربها وساقياها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها »
 وفيه : « لن يزال العبد فى فسحة من دينه ما لم يشرب الخمر فإذا شربها خرق الله ستره وكان الشيطان
 وليه وسمعه وبصره ورجله يسوقه إلى كل شر ويصرفه عن كل خير » وروى الترمذى رحمه الله : « إذا
 فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل عليها البلاء ، قيل وما هن يا رسول الله ؟ قال : إذا كان المغنم دولا
 والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق الولد أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت
 الأصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير
 واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك جهرا وخسفا ومسحا »
 وروى البيهقى رحمه الله : « إذا استحل أمتى خمسا فعليهم الدمار ^(١) إذا ظهر التلاعن ، وشربت الخمر
 ولبس الحرير ، واتخذت المعازف واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء » وروى الترمذى رحمه الله :
 « ثلاثة لا يقبل الله لهم شهادة أن لا إله إلا الله : الراكب والمركوب ، والراكبة والمركوبة ، والإمام الجائر اه »

(١) قوله الدمار كهلاك وزنا ومعنى اه .

(و) مكسره في (خطة) بالضم الأمر كالقضاء والإفتاء والحسبة والعدالة والعمالة وغير ذلك ، وفي الحديث : « إنا لانتعمل على أمرنا هذا من طلبه » وفي آخر : « اتقوا الله فإن أخونكم ^(١) » عندنا من طالب العمل « وفي آخر : « لا تطاب الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكانت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها » وفي [جمع] وأحذركم لمن خوله الله نعمة أن يمديه بها فيما لا يرضى الله مثل شرب الخمر والوقوع في الزنى ومد اليد بها في المعاملة في الربى ، وصرفها في وجوه طلب الرياسة والسلطنة ، وفي طلب إذاية المسلمين من سفك دمائهم ونهب أموالهم أو هتك حرمتهم ، أو بإذاية ولو بأقل قليل ، فإن الفاعل هذه الأمور بما أنعم الله عليه مستحق لسلب النعمة من الله مع ما يعرض له من مقت الله وسخطه في الدنيا والآخرة ، والسعيد إذا وقع في شيء من هذه الأمور يرى عن قريب تعجيل العقوبة ويرى التنبيه في قلبه من الله أن هذه المصيبة وقعت على تلك الفعلة له (فرتكب) من ارتكب الشيء اكتسبه وفعاه (لذلك) أي لشيء مما ذكر (يبلى) أي يبتليه الله في الحين إن سبقت له العناية من الله تعالى (بنسبة) بفتح النون : المصيبة يقال نسبه الدهر أصابه بنسبة .

وفي [حص] : « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد الله بعبده شرا أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة » قال الحنفى : ولذا كان أهل الله يتلذذون بالأمراض كما يتلذذ بالمأكل لعلمهم بأنها منه تعالى لسلامة البدن في المال وإن حصل بها مشاق ، كالأبوين يأتيان بطبيب لولدهما يكويه ليسلم بدنه وإن حصل له مشقة بذلك ، والله تعالى أرحم بعبده من والديه ، وكل ما ينعم الإنسان من أمور الدنيا فيه ثواب حتى الشوكة وسقوط القلم من يد الكاتب إذا اغتم بسببه . وفيه : إذا أراد الله بعبده خيرا عاتبه في منامه : أي لامه على تقصيره أو أراه في منامه ما ينبهه كأن يرى كبشا ينطحه أو يسقط في مهواة فينبهه أن ذلك مما صدر منه من المعصية فيتوب . ونام بعضهم عن ورده فرأى بقرة تنطحه فأفاق وتنبه أن ذلك من ترك ورده اه . وأخبرني من أثق به أنه تبرع بشيء من الأذكار ثم تركها يوما فرأى في منامه جملا أراد أن يبتلعه فاستيقظ فرعا فاستدرك ما فاتته ، قال تعالى - وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (ومستوجب) أي مستحق (بذنبه) الذي ارتكبه (سلب نعمة) لأن نعم الله إذا شكرت قرت ، وإذا كفرت فرت . قال تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وفي [حص] : « الدعاء يرد القضاء وإن البر يزيد في الرزق وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » ثم قرأ - إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة - الآية ، ولا يعارضه حديث : « إن الرزق لا تنقصه المعصية ولا تزيده الحسنة » لأن ذلك بالنسبة لما في علم الله تعالى ، وأما الرزق المعلوم للملائكة الموكلين فهو الذي يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، انظر العزيزي . وفي [جه] وأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى وارتقاب المؤاخذه منه في الذنوب فإن لكل ذنب مصيبتين لا يخلو العبد عنهما ، والمصيبة واحدة في الدنيا وواحدة في الآخرة فصيبة الآخرة واقعة قطعا إلا أن تقابل بالعضو منه سبحانه وتعالى ، ومصيبة الدنيا واقعة بكل من اقترف ذنبا إلا أن يدفعها وارد إلهي بصدقة لمسكين أو صلة رحم بمال أو تنفيس عن مديان بقضاء الدين عنه أو بعفوه عنه إن كان له ، وإلا فهي واقعة ، فالخذر الخذر من مخالفة أمر الله وإن وقعت مخالفة والعبء غير معصوم

فالمبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله وإن لم يكن ذلك عاجلا فليعلم العبد أنه ساقط من عين الحق متعرض لغضبه إلا أن يمن عليه بعفو ويستديم في قلبه أنه مستوجب لهذا من الله فيستديم بذلك انكسار قلبه وانحطاط رتبته في نفسه دون تعزز فما دام العبد على هذا فهو على سبيل خير اه (فمن لم يصب) بمصيبة عاجلة (في نفسه) أى جسده كمرض أو لإذابة الناس (أو) لم يصب (بماله) بفقد أو تلف وضياع وفي الحديث : « لا خير في مال لا يرزأ منه وجسد لا ينال منه » وفي آخر : « إن أبغض عباد الله إلى الله العفريت النفريت الذى لم يرزأ في مال ولا ولد » (فستدرج) من استدرجه خدعه قال تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - واستدرج الله تعالى العبد أنه كلما جدد خطيئة جدد له نعمة وأنساه الاستغفار أو أن يأخذه قليلا قليلا ولا يباغته ، وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيت الله تعالى يعطى العباد ما يشاءون وهم مصررون على المعاصي فاعلم أن ذلك استدرج منه لهم » ثم تلا - فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون - الآية وفي [جص] « إذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك استدرج » والمراد بالاستدرج تقريبه من العقوبة شيئا فشيئا ، انظر العزيزي . وفي [خل] الاستدرج اسم لمعين أحدهما استدرج عقوبة للسيئة تنبيهها على الإنابة ، والثاني استدرج للإنابة فيه ولا رجوع فتعود بالله من الاستدرج ، وإنما يستدرج العبد على قدر بغيته فمنهم من يستدرج بالملك وطاعة الناس له ، ومنهم من يستدرج بالدنو من الملوك وولاية الأمر والخطوة عندهم ، ومنهم من يستدرج بالتوسعة في المال والأولاد ومنهم من يستدرج بالعلم بأن يكرم بسببه ويحمد ويعظم ويسمع قوله ، ومنهم من يستدرج بكثرة العبادة فجميع من ذكر من المستدرجين لا يخلو من الرياء والعجب وكل مزين له ما هو فيه لا يرى إلا أنه على الطريق مقبول منه إحسانه ، وقد عمى عن فتنة ما هو فيه من الاستدرج ، ومنهم من ينبه فيتنبه فيرجع إلى الإنابة ويفزع إلى الاستكانة ، ومنهم من يهمل فيهمل نفسه إلى حضور أجله . واعلم أن الاستدرج عقوبة للمضيعين شكر النعم اه (بخ) انظره . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نغتر إهمال الحق تعالى وحلمه علينا إذا وقعنا في شيء من معاصيه سرا أو جهرا تعظيما لأمر الله عز وجل ، ومحك^(١) الصدق في تعظيم الله عز وجل أن نأثر إذا وقعنا في المعصية سرا مثل ما نأثر ونندم إذا وقعنا فيها جهرا وشاعت عنايب الخالص والعام ، ومتى زاد قبح المعصية الواقعة جهرا على وقوعنا فيها سرا فنحن لم نبلغ في تعظيم حرمان الله حدها المشروع لنأمن أنه تعالى أحق أن يستحي منه ، انظره . وفي الحديث : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها » وفي الحكم من جهل المرید أن يسئ الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد ، فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن إلا منع المزيد ، وقد يقام مقام البعد وهو لا يدري ولو لم يكن إلا أن يخلبك وما تريد انظره (وبا) قصره للوزن يقال باء بذنبه احتمله واعترف به (بأبخص) أنقص وأخسر (صفقة) من صفق على يده إذا وجب البيع والحق - بالأخسرين أعمالا للدين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - الآية ، ورحم الله من قال :

(١) قوله محك : أى ميار اه .

مضى أمسك الأذى شهيدا معدلا ويومك هذا بالفعال شهيد
فإن تك بالأمس اقترفت إساءة فتن بإحسان وأنت حميد
ولا ترج^(١) جعل الخير منك إلى غد لعل غدا يأتي وأنت فقيد

ومن قال :

العمر ينقص والذنوب تزيد وتقال عثرات الفقى فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد رجل جوارحه عليه شهود

[تنبيه] من إضاعة المال المنهى عنها شرعا وطبعا صرفه في البنيان الغير المحتاج إليه شرعا ، وروى الطبراني « من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة » وفي [جص] « كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا مسجدا » وفيه « كل بنيان وبال على صاحبه يوم القيامة إلا من عمل به » وفيه « كل نفقة يتفقها المسلم يؤجر على نفسه وعلى عياله وعلى صديقه وعلى بهيمته إلا في بناء إلا بناء مسجدا يبتغي بها وجه الله » وفيه « إذا أراد الله بعبد هوانا أنفق ماله في البنيان والماء والطين » وفيه « من جمع مالا من غير حقه سلطه الله على المال والطين » أى حجب له صرفه في البنيان الغير المحتاج إليه ، وفيه « اتقوا الحجر الحرام فإنه أساس الخراب » ومن شك فليجرب ، ولذلك ترى أبنية الظلمة لا يستمتعون بها إلا قليلا جدا فتبقى لليوم تفرخ فيها قال تعالى - فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين - نسأل الله السلامة والعفو والعافية آمين . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نبني في هذه الدار فوق الحاجة ولا نزخرف لنادارا خوفا من حب الإقامة في هذه الدار ونسيان الدار الآخرة كما جرب ذلك فلا يكاد فاعل ذلك يقدر على تحرير نيته في ذلك أبدا ، وما وضع صلى الله عليه وسلم لبنة على لبنة حتى إن درجة من درج الغرفة التي بنام فيها تزلزلت فلم يأذن لأحد في إصلاحها مع أنها زهقت من تحت رجاء فانفكت رجله ومكث سبعا وعشرين يوما لا يقدر على الخروج للناس « فاتبع يأخى نبيك في ذلك ثم إنك لو اتبعت الحل في كسبك لما وجدت ثمن الطوب الذي تبني به فضلا عن الحجر والرخام^(٢) فوالله ثم والله لقد خسر من اتخذ هذه الدار وطنا ، وقدر أيت في المنام شيخ الإسلام زكريا وهو يقول لى : قل لولد ولدى زكرياء كن في الدنيا بجسمك وفي الآخرة بقلبك فإنى والله ما هكنا كنت . فاعلم ذلك واعمل به والله يتولى هداك ، انظره . وروى « إذا رفع الرجل بناء فوق سبع أدرع نودى يا أفسق الفاسقين إلى أين » وعن الحسن البصرى أنه مر على بيت مبنى فقال : إن هذا لا ينبغي : فإنه عمر دنياه وخرب آخرته ، وغرته أهل الدنيا ومقتته أهل السماء اه . وقد بنى سيدنا نوح على نيينا وعليه الصلاة والسلام خوص فنظر إليه وقال هذا كثير على من يموت . ورحم الله من قال :

أتبنى بناء الخالدين وإنما مقامك فيه لو عقلت قليل
لقد كان في ظل الأراك^(٣) كفاية لمن كل يوم يقتضيه رحيل
ألا إن قطاع الطريق إلى الحمى كثير وأما الواصلون قليل

(٢) قوله الرخام كسباب اه .

(١) قوله ترج بضم فوقية وكسر جيم من أرجاء : أخره اه .

(٣) قوله الأراك كسباب : شجر يستاك بعبادته اه .

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تنفّر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - آمين ، والله تعالى أعلم وأحكم .

[فصل في محبة الحق وأمله وكراهة الظلم وأمله]

وفي [جص] « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان » وفيه « أحب الأعمال إلى الله الحب في الله والبغض في الله » وفيه « أفضل الإيمان أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله عز وجل وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وأن تقول خيرا أو تصمت » وفيه « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » وفي [عف] وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو أن رجلا صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب في الله ولم يبغض فيه ما نفعه ذلك أه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحب لله ونبغض لله حتى زوجاتنا وأولادنا وأعمالنا فلا يكون لنا في شيء من ذلك علة نفسانية أبدا ، وهذا العهد من أعز ما يوجد فلن غالب الناس يدعى المحبة لله وهو كاذب . ثم قال : فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به الطريق حتى يوقفه في حضرة يشهد فيها وجه نسبة الأمور للحق درن وجه نسبتها للخلق ، فإذا شهد ذلك المشهد يجد وجه الحق أجمل من كل جميل وأطيب رائحة من كل مسك ، فحجبه عن شهود وجه نسبة الأمور للخلق وشهد وجه قبيح : وجه الخلق بالنسبة لوجه الحق كوجه الطاعة إذا تصورت صورة جميلة ووجه المعصية إذا تصورت صورة قبيحة ، فهل يصير أحد يقدم القبيح للصورة والرائحة مثلا ويؤخر الصورة الحسنة الطيبة الرائحة ، فهذا هو المراد بوجه الحق في كلام القوم . وإيضاح ذلك أن كل فعل مخلوق له وجهان : وجه إلى الحق يعني موافقا للشريعة ، ووجه إلى الخلق يعني مخالفا لها ، فكل ما وافق الشريعة فهو وجه الحق وهو باق أبدا الآبدن ، وكل ما خالف الشريعة فهو وجه الخلق وهو هالك من وقت ظهوره إلى أبدا الآبدن إلا من حيث المؤاخظة عليه في الآخرة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه - أي وجه الشيء الموافق لما يحبه الله ويرضاه ، انظره . وفي [هب] الذي يجب أن يتوجه البغض إليه في المعاصي هو أفعاله لأذاته المؤمنة وقلبه الطاهر وإيمانه الدائم . قال : فالأمور التي توجب محبته لازمة والذنوب التي توجب بغضه عارضة طارئة فتكون محبته هي الساكنة في قلوبنا وبغضه يتوجه نحو الأمور العارضة حتى إنا نمثل ذنوبه بين أعيننا وفي أفكارنا بمنزلة أحجار مربوطة بشيابه خارجة عن ذاته فنحب ذاته ونبغض الأحجار المربوطة بشيابه ، وهذا القدر الذي أمرنا به الشارع في بغض المعاصي من غير زيادة عليه ، وأكثر الناس لا يفرقون بين بغض الأفعال الخارجة عن الذات وبين بغض الذات فيريدون أن يبغضوا الأفعال فلا يعلمون كيف يبغضونها فيبغضون في بغض الذات ، وبغض الذات إنما أمرنا به في حق الكافر فنبغض ذواتهم وكل ما يصدر منها ، وأما المؤمن المعاصي فلإنما لم نؤمر ببغضه ببغضا يطفىء محبة ذاته ومحبة إيمانه بالله ، ومحبة إيمانه برسوله صلى الله عليه وسلم ، ومحبة إيمانه بجميع الرسل ، ومحبة إيمانه بجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومحبة إيمانه بسائر الكتب السماوية ، ومحبة إيمانه باليوم الآخر

وكل ما فيه من حشر ونشر وجنة ونار وصراط وميزان ، ومحبة لإيمانه بجميع الملائكة عليهم الصلاة والسلام ، ومحبة لإيمانه بالقدر خيره وشره ، وهكذا نجبه على كل وصف ممدوح فيه ، فإذا تقدمت محبتنا فيه على هذه الخصال الحميدة لم يمكن أن يدخل بغضه في قلوبنا أبدا وإنما نبغض أفعاله وتدعو له بخير ولا سيما إن نظرنا إليه بعين الحقيقة ، وأكثر الناس إذا أرادوا أن يبغضوا العاصي توجهوا إليه أولا قبل كل شيء بالبغض وغفلوا عن الخصال التي توجب محبته فلا يستحضرونها في عقولهم فيسكن بغضه في قلوبهم ويسرى ذلك البغض إلى ذاته فتكون هي المبعوضة في نظرهم وذلك لا يحل ولا يجوز اهـ .
قال رحمه الله :

(صَنِ الْقَلْبِ عَنْ مَحَبَّةِ الظُّلْمِ وَالْخَنَاءِ وَالْبُغْضِ الْحَقِّ أَوْ أَهْلِ سُنَّةٍ
فَمُؤْمِنُنَا يُحِبُّ حَقًّا وَأَهْلَهُ وَيَكْرَهُ بَاطِلًا وَالْجَرِيمَةَ
وَأَضْمِرُ قَلِيٍّ مِنَ الْعَامِيِّ مُجَاهِرٌ فَيَا مُصْطَفَى تَأْسُ فِي ابْنِ الْعَشِيرَةِ)

(صن) من صانته حفظه (القلب) الفؤاد أو أخص منه والعقل (عن محبة الظلم) بالضم وضع الشيء في غير محله . وفي [جص] : « الظلم ثلاثة : فظلم لا يغفره الله ، وظلم يغفره ، وظلم لا يتركه . فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك قال الله تعالى - إن الشرك لظلم عظيم - وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين لبعضهم من بعض » وفيه : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » وفيه « أيما رجل ظلم شبرا من الأرض كلفه الله أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس » وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « قلت يا رسول الله أي الظلم أظلم ؟ فقال ذراع من الأرض ينتقصها المرء المسلم من حق أخيه ، فليس حصاة من الأرض يأخذها إلا طوقها يوم القيامة إلى قعر الأرض ولا يعلم قعرها إلا الله الذي خلقها اهـ .

[لطيفة] مر بعضهم برجل صلبه الحجاج فقال : يارب حلمك بالظالمين قد أضر بالمظلومين ، فرأى في ليلته كأن القيامة قد قامت وأنه دخل الجنة فرأى المصاوب في أعلى عليين فإذا مناد ينادى حلمي على الظالمين صير المظلومين في أعلى عليين اهـ . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نغصب من أحد شيئا ولو دواة أو قلما أو سواكا أو خلا لا (١) أو شيئا من سائر الحقوق خوفا من وقوعنا في العقوبة ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ يسلك به إلى حضرات الإيمان بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يصير ما توعد به كأنه رأى عين على حد سواء ، ثم قال : وقد حكى لي شخص من الفقهاء أنه مر على مارس قمح في سنبلة فرأى سنبلة أعجبتة فأخذها وفركها فلما أراد أن يأكلها تذكر الحساب عنها يوم القيامة فرماها في المارس ، فنام تلك الليلة فرأى القيامة قد قامت وجاء صاحب السنبلة فادعى عليه بسنبلته ، فقال يارب إنني خفت من الحساب في هذا اليوم فرميتها في مارسه ، فقال صدق يارب ، ولكن لم يصل إلى تبين البر ، لأنه طار في الريح . قال : فأعجزني في تحصيله ، ثم استيقظت فزعا مرعوبا ، انظره . وروى : « من كانت عنده

(١) قوله خلا لا ككتاب : عود يخلل به بين الأسنان اهـ .

مظلومة لأخيه فليستحلله منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه وطرحت عليه » وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رءوس الخلائق هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه . قال : فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ، ثم قرأ - فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون - قال فيغفر الله تعالى من حقه يومئذ ما شاء الله ولا يغفر من حقوق الخلق شيئاً ، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق اتوا إلى حقوقكم . قال : فيقول العبد يارب فنيته الدنيا فمن أين أوتيهم حقوقهم ؟ فيقول الله للملائكة خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر مظلومته ، فإن كان وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفه الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها ، وإن كان عبداً شقياً ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة ربنا فنيته حسناته وبقي طالبوه فيقول الله تعالى خذوا من سيئاتهم فأضيفوا إلى سيئاته ثم صكوا له صكاً^(١) إلى النار . ونقل أن طاوساً دخل على هشام بن عبد الملك فقال له : اتق الله يوم الأذان . قال هشام وما يوم الأذان ؟ قال قوله تعالى - فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين - فصعق هشام ، فقال طاوس هذا ذل الصفة ، فكيف بالمعينة . وعن بعضهم : لا تنظم الضعفاء فتكون من شرار الأشقياء . وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل : وعزتي وجلالي لأنتقم من الظالم في عاجله وآجله ، ولأنتقم من رأى مظلوماً يقدر على أن ينصره فلم يفعل » ورحم الله من قال :

لا تنظمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم يرجع عقابه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وفي الحديث : « لا يبغى على الناس إلا ولد يبغي وإلا من فيه عرق منه » وفي آخر : « احذروا البغى فإنه ليس من عقوبة هي أحضر - أى أعجل - من عقوبة البغى » وفي آخر : « ليس شيء أعجل عقاباً من البغى وقطيعة الرحم ، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع » أى فقراء خالية ، قال تعالى - ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون - الآية . وقال - إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين .

(و) صن القلب عن محبة (الخنى) كالفتى : الفحش . وفي [جص] « ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه ، ولا كان الحياء في شيء إلا زانه » وفيه : « كفى بالمرء أن يكون بذنباً فاحشاً بخيلاً » أى كفاه ذلك من الشر ، وفيه : « لو كان الفحش خلقاً لكان شر خلق الله » قال الحنفى : وقد كتب شخص ورقة للحكيم نصر الدين الطوسى : فيها يا كلب يا ابن الكلب : فكان جوابه أما قولك كذا فليس بصحيح لأن الكلب من ذوات الأربع وهو نابح طويل الأظفار ، وأنا منتصب القامة بآدى البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك ، وأطال في نقض مقاله بذكر الفصول والخواص الفارقة برطوبة وحشمة من غير انزعاج يحمله على التكلم بالفحش فلم يكتب له في الجواب كلمة فاحشة اه . وقد نحا هذا المنحى أبو عبد الله سيدى محمد الكنوسوى رضى الله عنه وعنايه آمين ، فيما أجاب به النجم الأزهر والعلامة الأشهر سيدى أحمد البكائى رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه ونقل أن بعضهم سمع رجلاً يسفه على بعض أهل العلم فقال لأصحابه : نزهوا أسماعكم عن استماع الخنى كما تنزهون

(١) قوله صكا . كفلس : أى كتبوا له كتاباً . اه .

السنتكم عن النطق به فإن المستمع شريك القاتل ، فإن السفية ينظر إلى أخبث شيء في وعائه فيحرص على أن يفرغه في أوعيتكم اه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نخاصم أحدا ولا نخاطبه بلفظ فيه فحش ولا بأذى تخلقا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن فاحشا ولا متفحشا صلى الله عليه وسلم (وآل) أى وصن قلبك أيضا عن محبة أهل الظلم وأهل الخنى فإن من أحب قوما خسر في زمرتهم ، فمن أحب أهل الله كان معهم في الجنان ومن أحب أهل الظلم كان معهم في النيران ، قال تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - الآية . وفي [جص] : « كل نفس تحشر على هواها فمن هوى الكفرة فهو مع الكفرة ولا ينفعه عمله شيئا » اه . قال تعالى - لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله - الآية ، وفيه : « من مشى مع ظالم وهو يعلم أنه ظالم خرج من الإسلام » وفي الحديث : « ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباح الظلمة حتى من لاق لهم دواة ^(١) » أو برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم » وفي آخر : « من مشى مع مظلوم يعينه على مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام ، ومن مشى مع ظالم ليبينه على ظلمه أزل الله قدميه على الصراط يوم تدخس فيه الأقدام » ونقل أن بعض الأمراء بعث إلى الضحاك بعتاء أهل بخارى ليقسمه بينهم فأبى ، فقيل له ما عليك أن تعطيهم ولا ترزأهم شيئا . فقال إني لأحب أن أعين الظلمة على شيء من أمرهم اه وحسبى أن الزهرى لما تناط السلاطين كتب إليه أخ له في الدين : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك ويرحمك ، أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فاعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آتست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغنى بدنوك ممن لم يرد حقا ويترك باطلا حتى أدناك ، اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم ، وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلماء يصعدون فيك إلى ضلالهم ، يدخلون الشك بك على العلماء ويصطادون بك قلوب الجهلاء ، فما أيسر ما عمروا منك في جنب ما خربوا عليك ، وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك ، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم - فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات - الآية - فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا - الآية ، وإنك تعامل من لا يهمل ويحفظ عليك من لا يغفل ، فداو دينك فقد دخله سقم ، وهبي زادك فقد حضر السفر البعيد ، وما ينحنى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء ، والسلام اه .

لعمرك نهيت من كان نائما وأسمعت من كانت له أذنان

(و) صن القلب أيضا عن (بغض الحق) وأهله (أو) بغض أهل (سنة) إذ لا يبغضهم إلا الفسقة المردة الفجرة قال تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ومن المجرمين - وفي [جص] : « الشرك في أمتي أخفى من ديبب النمل على الصفاء في الليلة الظلماء » وأدناه أن تحب على شيء من الجور وأن تبغض على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - الآية . وفي [جمع] وصون قلوبكم إذا رأيتم أحدا فعل حقا يخالف هواكم أو هدم باطلا يخالف هواكم أيضا أن تبغضوه أو تؤذوه فإن ذلك معدود من الشرك عند الله تعالى ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « الشرك في أمتي أخفى من ديبب النمل على الصفاء » وأقل ذلك أن تحب على باطل أو تبغض على حق أو كما قال صلى الله عليه وسلم مامعناه هذا ، وكذا

(١) قوله : لاق كباغ : أصليح مدادها اه .

صونوا قلوبكم عن فعل باطلا أو هدم حقا يطابق هواكم أن تحبوه أو تشنوا عليه فإنه أيضا معلود من الشرك عند الله تعالى فإن المؤمن يحب الحق وأهله ويجب أن يقام الحق ويعمل به، ويبغض الباطل وأهله ويبغض أن يقام الباطل ويعمل به. ولذا قال رحمه الله (فؤمنا) أي معشر الأمة المحمدية (بحب حقا) ولو خالف هواه (وأهله) أي ويجب أهل الحق وإن لم يعمل بعملهم فعسى محبته تلحقه بهم الحديث: «من أحب قوما حشر معهم» وروى: «الحق أصل في الجنة والباطل أصل في النار» أي فكل منهما يتبعه فرعه وهو من يعمل به. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: تكلموا بالحق تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله. وفي [جص] «اعبد الله ولا تشرك به شيئا» وزل مع القرآن أينما زال، واقبل الحق ممن جاء به من صغير أو كبير وإن كان بغضيا بعيدا، واردد الباطل على من جاء به من كبير أو صغير وإن كان حبيبا قريبا» وفيه: «طلب الحق غربة» أي أن من يطلب الحق بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بصير كالغريب لقلة من يعينه وينصره، لأن غالب الناس مع هوى نفسه «ماترك الحق لعمر من صديق» (ويكره باطلا) وإن وافق هواه ويكره أهل الباطل وإن كان يعمل بعملهم (و) يكره أيضا (آل جريمة) وهي الذنب وإن كان من أعظمهم ذنبا، ورحم الله من قال:

أحب الصالحين ولست منهم وأرجو أن أنال بهم شفاعه
وأكره من بضاعته المعاصي وإن كنا سواء في البضاعة

وروى: «إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها» وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «من سرته حسنة وساعته سيئة فهو مؤمن» وكتب أبو الدرداء إلى بعضهم: أما بعد، فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله فإذا أحبه الله حبه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله فإذا أبغضه الله أبغضه إلى خلقه. وعنه رضي الله عنه: أدركت الناس وررقالا شوك فيه، فأصبحوا شوكا لا ورق فيه، إن فقدتهم فقدوك وإن تركتهم لا يتركونك. قالوا فكيف نصنع؟ قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك اه. وفي [حي] قال ابن عمر رضي الله عنهما: «والله لو صمت النهار لا أفطره وقت الليل لا أنامه، وأنفقت مالى علقا علقا^(١) في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله، مانفعتي ذلك شيئا». وقال ابن السماك عند موته: اللهم إنك تعلم أني إذ كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قرينة لي إليك. وفيه: وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: هل عملت لي عملا قط؟ قال إلهي: إني صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت، فقال: إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور، فأى عمل عملت لي؟ قال موسى عليه السلام داني على عمل هو لك؟ قال: يا موسى هل واليت لي وليا قط، وهل عادت في عدوا قط؟ فعلم موسى عليه السلام أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله تعالى يوم القيامة مع من يحب. وقال الحسن: مصارمة الفاسق قريان إلى الله. وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله» فلهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم في الله كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم في الله، وروى أن الله

(١) قوله علقا كضرس: النفيس لمن كل شيء.

تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء: أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة وأما انقطاعك إلى فقد تعزرت
 بي ، ولكن هل عادت في عدوا أو هل واليت في وليا ؟ وقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا تجعل
 لنا جرحاً على منة فترزقه مني محبة » وروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام : لو أنك عبدتني
 بعبادة أهل السموات والأرض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئاً .
 وقال عيسى عليه السلام : تحبوا إلى الله ببغض أهل المعاصي ، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم ، واتمسوا
 رضى الله بسخطهم . قالوا ياروح الله فنجالس ؟ قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ، ومن يزيد
 في علمكم كلامه ، ومن يرغبكم في الآخرة عمله ، انظره . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نبغض
 العصاة لله لا بحكم الطبع كما نحب أهل الطاعة لله لا بحكم الطبع . قال صلى الله عليه وسلم : « الحب في
 الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان » والمراد بالبغض بغض الصفات لا الذوات لأن الصفات
 هي التي يكره العبد لأجلها أو يحب ، ومحك الصدق في ذلك أن تكره ذلك العبد المعاصي وهو محسن
 إليك ولا تجد في قلبك له محبة لأجل إحسانه إثارة الجانب الله عز وجل ، فتأمل فلإنها ميزان تطيش على
 الذر . وأما عند عدم إحسانه إليك فقد تكرهه لحظ نفس ، أنظره . وفيه : أخذ علينا اليهود أن
 لا نبادر لهجر إنسان إلا بعد المبالغة في التفتيش على دسائس النفوس فربما يهجر الواحد منا إنساناً لحظ
 نفسه ، وتسول له نفسه أن ذلك المهجر لله عز وجل ، وربما يقيم على ذلك الأدلة لا سيما إن كان الهاجر
 من أصحاب الجدل ، ولو تأمل الهاجر في أنه لا يرفع له إلى السماء عمل لعلم حرمة المؤمن ولم يهجر
 إنساناً قط ، إلا إن كان مصراً على صغيرة أو مرتكباً كبيرة ، والهجر من هذا الوجه قليل وقوعه وأكثر
 ما يقع المهجر من الإنسان لمن خالفه في هواه لا غير ، والله يحفظ من يشاء كيف يشاء . واعلم يا أخى
 أن من أقبح ما يكون مشاحنة العلماء والمتشبهين بالصالحين على أمر الوظائف والأنظار وغيرها فإن
 في ذلك فساد العامة والله غفور رحيم اهـ (وأضر) من الإضرار ضد الإظهار (قلى) بالكسر والقصر
 مصدر قلاه كرماء كرهه أشد الكراهة (من) هو (بالمعاصي) والمساوى والمخالفات (مجاهر) لأن
 التجاهر بها من أعظم الفسق ولأن إظهارها يؤدي لمفسدة أعظم . وفي [جص] : « كل أمتي معافى إلا
 المجاهرين » وإن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول عملت البارحة
 كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه » وفيه : « ثلاثة لا تحرم عليك أعراضهم :
 المجاهر بالفسق ، والإمام الجائر ، والمبتدع » وفيه : « من لا حياء له لا غيبة له » أى فمن تجاهر بالمعاصي فلا
 يحرم ذكره بما تجاهر به ليعرف ويحذر . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود إذا رأينا من يتجاهر بالمعاصي
 من جيراننا ولا يستتر منا أن نستتره نحن فيما يمكننا ستره فيه بعدم إشاعة ذلك عنه ونكون أولى به من
 نفسه فنكتب إن شاء الله من المحسنين ، وليقيض الله لنا من يستر عوراتنا إذا ظهرت ، ويكنى الخجاء
 مقت القلوب له ، نسأل الله العافية . ولا ينافى ذلك تشديدنا في التكبر عليه فيما تجاهر به للناس آخرين
 لأن كلامنا إنما هو فيما لم يعلم به الناس إلا من طريقنا لأنه فيه من المستترين ، والحمد لله رب العالمين اهـ .
 وروى « إذا مررت بأهل الشره ^(١) فسلموا عليهم نطقاً عنكم شرهم ونائرتهم » : أى فإن في السلام عليهم إشارة
 إلى عدم احتقارهم ، وذلك سبب لسكون شرهم .

(١) قوله الشره بكسر . معجمة كشدة اهـ .

ورحم الله من قال: إلى أحيى عدوى عند رؤيته لأدفع الشر عني بالتحيات وأظهر البشر للإنسان أبغضه كأنه قد ملا قلبي مسرات

وفي [حى] وطرق السلف قد اختلفت في إظهار البغض مع أهل المعاصي ، وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه إلى غيره ، فأما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم ومنهم من شدد الإنكار واختار المهاجرة ، انظره . وفي [جه] وأما ما ذكرنا من بغض أهل المعاصي فليكن محله القلب فقط ، وإن خرج إلى جارحة من الجوارح أدى إلى منكر أعظم منه فترك إخراجها من القلب إلى الجوارح أولى اه (فبا المصطفى) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (تأس) من الناسى وهو الاقتداء قال تعالى - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة الآية (فى) الذى فعله من السهولة واللين والرفق وإظهار البشاشة وطلاقة الوجه (مع ابن) أو أخ (العشيرة) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بنس ابن العشيرة أو أخ العشيرة ، ثم أذن له فألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم أنت له القول ؟ قال يا عائشة إن من شر الناس من يتركه الناس أو يلدعه الناس اتقاء فحشه » وروى : « إنا لنكشرفى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم » أى لأن المداورة مطلوبة مع كل واحد ، وما فعله صلى الله عليه وسلم مع ابن العشيرة من المداورة المأمور بها الحديث « أمرت بالمداورة » قال رحمه الله :

(فَإِنْ عِبَادَ اللَّهِ أَغْرَاضُ أَسْمُهُمُ الْمَصَائِبُ فِي الدُّنْيَا بِحُكْمِ الْمَشِيئَةِ
تَصَيَّرَ أَخِي إِذْ رَمَنَكَ بِسَهْمٍ صَبْرٌ جَمِيلٌ فَإِنْتَظِرْ خَيْرَ فَرْجٍ
وَإِنْ ضَيَّقَتْ دَرْعًا فَأَقْرِعِ الْبَابَ بِالدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ وَالتَّحِيُّ بِقَلْبٍ مَدْلَةٍ)

(فإن عباد الله) سبحانه وتعالى (أغراض) جمع غرض بفتح حين هدف ^(١) يرمى (أسهم) جمع سهم واحد النبل (المصائب) وأل فيه من المصراع الأول . وفي [حص] « كل ماساء المؤمن فهو مصيبة » ومن أصيب وصبر واحتسب جوزى أحسن الجزاء فى الدنيا والآخرة قال تعالى - وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون الآية . وفيه : من أصيب بمصيبة فذكر مصيبته فأحدث استرجاعا وإن تقادم عهدا كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب . وعنه صلى الله عليه وسلم : « إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب » أى فإن المؤمن إذا تذكر ما أصيب به من فقد النبي صلى الله عليه وسلم هانت عليه جميع المصائب واضمحلت ولم يبق لها خطر ^(٢) ولا بال اه . وفي [حى] قال بعض الحكماء : الأيام سهام والناس أغراض والدهر يرمى كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجرائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالى فى بدنك ، لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستثقلت ممر الساعة بك ، ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها ولأنها لأمر من العلقم إذا عجنها الحليم ، وقد علم الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وماتأنى به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ . اللهم ارشدنا إلى الصواب ، انظره . وفي [جه] وليكن

(٢) قوله خطر بفتح حين : القدر والمنزلة اه .

(١) قوله هدف بفتح حين وبدال مهملة اه .

في علمكم أن جميع العباد في هذه الدار أغراض لسهم مصائب الزمان إما بمصيبة تنزل أو بنعمة تزول أو بحبيب يفجع بموته أو هلاك أو غير ذلك مما لا حد لحمله وتفصيله، فمن نزل به منكم مثل ذلك فالصبر الصبر لتجرح مرارتها فإنه لذلك نزل العباد في هذه الدار انظره (في الدنيا) نقيض الآخرة فإنها دار المهن والفتن والأكدار والأغيار، ورحم الله من قال :

هي الدار دار الأذى والقذى	ودار الغيار ودار العبر
فلو نلتها بخدا فيرها	لمت ولم تقض منها الوطر
أيا من يؤمل طول البقا	وطول الخلود عليه ضرر
إذا ما كبرت وبان الشباب	فلا خير في العيش بعد الكبر
ومن قال : طبع على كدر وأنت تريدها	صفوا من الأقداء والأقذار
ومكلف الأيام ضد طباعها	متطلب في الماء جذوة (١) نار
ومن قال : ومن رام في الدنيا حياة سليمة	من المم والأكدار رام محالا
ومن قال : يحن الزمان كثيرة لا تنقضي	وسروره يأتيك كالأعياد
ملك الأكابر فاسترق رقابهم	وتراه رقا في يد الأوغاد

وعن جعفر الصادق رضي الله عنه : من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق . قيل له وما ذاك ؟ قال الراحة في الدنيا . وفي الحكم : لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار ، فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها . وفيه أيضا : إنما جعلها محلا للأغيار ومعدنا للأكدار ترهيدا لك فيها . علم أنك لا تقبل النصيح المجرد فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها اه : ورحم الله من قال :

يامولعا بالأمانى غير معتبر	كيف الإقامة والدنيا على سفر
لا تركزن إلى دار الغرور ولا	تسكن إلى وطن فيها ولا وطر
وسالم الناس تسلم من مكايدهم	مسلم لقضاء الله والقدر
كم منحة بدرت ما كنت تأملها	ومحنة لم تكن منها على حذر اه

(بحكم المشيئة) الإلهية إذ هي وما فيها مظاهر أحكام الألوهية اقتضتها الحكمة الربانية وأبرزتها القدرة الفردانية على وفق المشيئة الصمدانية ، ورحم الله من قال :

تبارك من أجرى الأمور بحكمة	كما شاء لا ظلما أراد ولا هضم
فما كل شيء غير ما الله شاءه	فإن شئت طب نفسا وإن شئت مت غما

ومن قال :

نفذت مقادير الإله وحكمه	فأرح فؤادك من لعل ومن لو
-------------------------	--------------------------

وللشافعي رضي الله عنه :

ما شئت كان وإن لم أشأ	وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت	ففي العلم يجري القتي والمسن

(١) الجذوة بتثنية الجيم : الجمرة والقبسة من النار .

هَلِي ذَا مَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ وَهَذَا أَعْنَتْ وَذَا لَمْ تَعْنِ
فَنَهُمْ شَقَى وَمَنْهُمْ سَعِيدٌ وَمَنْهُمْ قَبِيحٌ وَمَنْهُمْ حَسَنٌ

(نصبر) أى تكلف الصبر الذى هو جماع كل خير وفضل ، وقد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف جميلة ، وذكره فى القرآن فى نيف وسبعين موضعا وأضاف إليه أكثر الدرجات والخيرات ، وما من قرينة وطاعة إلا وأجرها منحصر إلا الصبر قال تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وليجزى الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا - أولئك يجزون الغرفة بما صبروا - وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا - وتمت كلمة ربك الحسنى على نبي إسرائيل بما صبروا - وبشر الصابرين - والله يحب الصابرين - إلى غير ذلك من الآيات ، وفى الحديث « الصبر نصف الإيمان » انظر [حى] وفيه « الصبر كفز من كنوز الجنة » وقال على رضى الله عنه : الصبر بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة درجة ، وصبر عن محارم الله تعالى فله ستائة درجة ، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة . وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهى من الفرائض لأن كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم ، فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصديقين فإن ذلك شديد على النفس ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أسألك من اليقين ماتهن على به مصائب الدنيا » انظره . وفى [جص] « ثلاث يدرك بهن العبد رغائب الدنيا والآخرة : الصبر على البلاء ، والرضى بالقضاء ، والدعاء فى الرخاء » . وفى الحديث « تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة » وفيه « الصبر والاحتساب أفضل من عتق الرقاب ويدخل الله صاحبه الجنة بغير حساب » ونقل أن موسى عليه السلام قال : إلهى أى منازل الجنة أحب إليك ؟ قال حظيرة القدس . قال من يسكنها ؟ قال أصحاب المصائب . قال يارب من هم ؟ قال الذين إذا ابتليتهم صبروا وإذا أنعمت عليهم شكروا وإذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون اه . وفى [جه] ومن عظم رضى الله عنه صبره على الأمراض فى خاصة نفسه وفى داره وعياله فلا أصبر منه فلا يخلو عن الأمراض فى داره على الدوام ولا فى نفسه على ممر الليالى والأيام ، فصبره رضى الله عنه للمشقات وتحمله للمعضلات لا تقدر عليه الجبال الراسيات ، وكل من شكى إليه سلاه بالصبر ، وإن هذه الدار إنما خلقت للبلايا والرزيات ، انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصبر على مصائب الزمان وإن لم نصبر صبرنا على عدم الصبر فإنه ابتلاء أيضا لما فيه من إظهار المروق ^(١) من تحت الأقدار ، ويحتاج صاحب هذا المقام إلى عيين ينظر بها إلى تقدير الضجر عليه فيضجر تحت الأقدار ، وعين ينظر بها إلى الأمر بالصبر فيتصبر ، هذه ضرورة الصبر على عدم الصبر ، وكذلك تأمر بالصبر والتصبر جميعا إخواننا إذا ابتلوا بشيء فى أنفسهم وأموالهم ونجبرهم بما جاء فى الأحاديث فى فضل البلاء والمرض والحمى ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ ضرورة ليعلمه أدب المرض وينجبه بأنه ممرض عضو من أعضاء البدن الظاهرة والباطنة إلا باستعماله فى غير ما أمر به إلا أن يكون معصوما ، فمن عرف

(١) قوله للمروق كالمروج وزنا ومعنى اه

ماقلناه ووجعه عضو فليفتش نفسه فإنه لا بد أن يكون فعل به غير ما أمر فليعزم على التوبة النصوح فهي أقرب إلى شفاء ذلك العضو . وقد أغفل هذا خلق كثير فلم ينتبهوا لما قلناه فدامت أمراضهم أوطالت ، فكل عضو عليه زكاة فإن أخرجها صاحبها منه فقد أخرج ما فيه من الخبيث والمرض وإن لم يخرجها فلا بد له قبل دخول الجنة من التطهير إما بالعقوبة من رحمة الامتنان وإما بالتوبة والاستغفار وإما بعذاب النار ، انظره . وقد ذكر رضى الله عنه أن امرأة استكثبت منه لبعض الولاة فأبى فأصابه رمد نحو ستة أشهر عقوبة له إذ لم يكتب لها . إذا أحب الله عبدا عجل له العقوبة فاعلم ذلك واعمل عليه والله رءوف بالعباد (أخى) بضم الهمزة تصغير أخ (إذمرتك) أى حين أصابتك ورشقتك (بسمهما) أى بنبلها الذى لا يخطئ غالبا . وفى [جه] وعليكم بالصبر فى أمر الله فيما وقع من البلى والحن فإن الدنيا دار الفتن وبلاياها كأمواج البحر ، وما أنزل الله بنى آدم فى الدنيا إلا لمصادمة فتلتها وبلاياها فلا مطمع لأحد من بنى آدم فى الخروج عن هذا مادام فى الدنيا ، والصبر بحسب أحواله كل على قدر طاقته ووسعه ، واعملوا فى نفوسكم سلوة . إذا نزلت البلى والحن بأحدكم فليعلم أن لهذا خلقت الدنيا ولهذا بنيت ومازلها الآدمى إلا لهذا الأمر وكل الناس راكضون فى هذا الميدان فليعلم أنه كأحدهم مساو لهم ، انظره . ورحم الله من قال :

فأصبر لها غير محتال ولا ضجر	فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل
ومن قال : فأتجرع كأس الصبر معتصم	بالله إلا أتاه الله بالفرج .
ومن قال : إذا عضك الدهر الخوون بنابه	فلا تقرعن السن واستعمل الصبرا
فهلا فحال الدهر ما قد علمته	فيوما ترى عسرا ويوما ترى يسرا

(بصبر جميل) وهو الذى لا جزع فيه (فانتظر) من المولى الكريم الرءوف الرحيم (خير فرجة) بتثليث انفاء وهو التقصى والتخلص من الهم لحديث «أفضل العبادات انتظار الفرج من الله بالصبر» وفى آخر «سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يستل فإن انتظار الفرج بالصبر عبادة» اه . ورحم الله من قال :

إذا ضاق الجنان فكن صبورا	كريما فالشدائد لاتدوم
فبالصبر الجميل تنال خيرا	وتقضى بعد ذلك ماتروم
فلكم من محنة عظمت ودامت	وخان مواصل وجفا حميم
أنى فرج الإله لها صباحا	فما أمست ، وأقلعت الهموم
فصمم فالذى أبلى يعافى	وثق بالله فهو بنا عليم اه
ومن قال : أنفق من الصبر الجميل فإنه	لم يخش فقرا متفق من صبر

وفى [جص] «كلمات الفرج : لا إله إلا الله الحليم الكريم . لا إله إلا الله العظيم . لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم» . قال المناوى : هذا الدعاء كان مشهورا عند أهل البيت يسمونه دعاء الفرج فيتكلمون به فى التوابع والشدائد فتعارف عندهم الفرج به اه . وفى [حى] وقد قيل الصبر الجميل أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ، ولا يخرج عنه حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع إذ قد يكون من جميع الحاضرين لأجل الموت سواء ، ولأن البكاء

توَجَّعَ القلبُ على المِيتِ فإنَّ ذلكَ مقتضى البشريَّةِ ، ولا يفارق الإنسانُ إلى الموتِ : وفيه قال صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى : إذا وجهت إلى عبدٍ من عبيدى مصيبةً في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلكَ بصبرٍ جميلٍ استحييتُ منه يومَ القيامةِ أنْ أنصبَّ له ميزاناً أو أنشرَّ له ديواناً » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من عبدٍ أصيبَ بمصيبةٍ فقال كما أمر الله تعالى : إن الله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتى وأعقبني خيراً منها إلا فعلَ الله به ذلكَ » وقال أنس : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل قال يا جبريل ماجزء من سلبت كرميتيه ؟ قال سبحانه لا أعلم لنا إلا ما علمتنا : قال تعالى : جزاؤه انخلود في دارى والنظر إلى وجهى » وقال صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى إذا ابتليت عبيدى ببلاء فصبر ولم يشككنى إلى عواده أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه ، فإذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له ، وإن توفيته فإلى رحمتى » وقال صلى الله عليه وسلم : « من إجلال الله ومعرفة حقّه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك » وقد قيل : من كنوز البركتان المصائب والأوجاع والصدقة . وعن عمر رضى الله عنه : اعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر : الصبر في المصائب حسن ، وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى ، انظره . وفى [جص] : « الصبر ثلاثة : فصبر على المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر على المعصية . فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين نخوم الأرض إلى منتهى الأرضين السبع ، ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين نخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين » قال العزيرى : فالصبر على المحرمات أعلى المراتب لصعوبة مخالفة النفس وحملها على غير طبعها ، ودونه الصبر على الأوامر لأن أكثرها محبوب للنفس ، ودونه الصبر على المكروه لأنه يأق البر والفاجر اختياراً أو اضطراراً . ولا تنافى بين ما هنا وما مر عن ابن عباس لأن الشئ يختلف بحسب الخيشتات . وفى [عف] قيل : وقف رجل على الشبل فقال له أى صبر أشد على الصابرين ؟ فقال الصبر فى الله فقال : لا ، فقال الصبر لله ، فقال : لا ، فقال الصبر مع الله ، فقال : لا ، فغضب الشبل وقال ويحك أى شئ هو ؟ فقال الرجل الصبر عن الله ، فصرخ الشبل صرخة كاد أن تتلف روحه . ثم قال : وقال أبو الحسن بن سالم هم ثلاثة : متصبر ، وصابر ، وصبار : فالمتصبر من صبر فى الله فرة يصبر ومرة يجزع ، والصابر من يصبر فى الله والله ولا يجزع ولكن تتوقع منه الشكوى ، وقد يمكن منه الجزع ، وأما الصبار فذلك الذى صبره الله وفى الله وبالله فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يجزع ولا يتغير من جهة الوجود والحقيقة لا من جهة الرسم والخلقة وإشارته فى هذا ظهور حكم العلم فيه مع ظهور صفة الطبيعة . وكان الشبل يتمثل بهذين البيتين :

إن صوت المحب من ألم الشوق وخوف الفراق يورث ضراً

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب للصبر صبراً

قال جعفر الصادق رضى الله عنه : أمر الله تعالى أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الأعلى للرسول

صلى الله عليه وسلم حيث جعل صبره بالله لا بنفسه فقال - وما صبرك إلا بالله - وسئل السرى عن الصبر فتكلم فيه فدب على رجله عقرب فجعل يضربه بإبرته ، فقيل له لأم تدفعه ؟ قال أستحي من الله تعالى أن أتكلم فى حال ثم أخالف ما أتكلم فيه ، انظره . وفى [جه] : ومن ابتلى منكم بمصيبة أو نزلت به من الشرور نائبة فليصبر بانتظار الفرج من الله تعالى فإن كل شدة لا بد لها من غاية وكل كرب لا بد له

من فرج، وإن ضاق به الحال فعليه بالتضرع والابتهال حتى يبلغ بالفرج من الله غاية الآمال. ولا تنزعوا من المصائب والبايات، فإن الله سبحانه وتعالى ما أنزل العباد في دار الدنيا إلا لتصاريف الأحكام الإلهية والأقدار الربانية مما تضيق به النفوس من أجل البلاء والبؤس ولم يجد العباد مصرفاً عن هذا، انظروه. وفيه: ومن أدبه الباطن الذي دلت عليه أقواله وأفعاله أنه رضى الله عنه لا يختار مع الله ولا يدبر مع تدبيره شيئاً كما تقدم، حتى إنه إذا دعا لنفسه أو لأحد بشيء مما كان مجهولاً عاقبته أو فيه خط كان دعاؤه طلب الخيرة من الله، ويقول لنا المرة بعد المرة لا أدعو إلا بلساني وقلبي مستسلم لله تعالى، ويقول لا أريد شيئاً ولا أطلب شيئاً، تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد، ويقول: إنما أجازى الخلق بلساني لا غير لعدم كسر قلوبهم وغير ذلك، انظروه (وإن ضقت ذرعاً) بفتح ذال معجمة يقال ضاق به ذرعاً: ضعفت طاقته ولم يجد من المسكروه فيه مخلصاً، قال تعالى - ولما جاءت رسلنا لوطاسي بهم وضاق بهم ذرعاً - ورحم الله من قال:

لا تنزع عن إذا ما الأمر ضقت به ذرعاً ونم وتوسد خالي البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها بغير الله من حال إلى حال

(فاقرع) من قرع الباب كمنع دقه (الباب) أي باب مولاك الغني الكريم البر الرعوف الرحيم.

وفي المثل: من قرع باباً وألح ولج. ورحم الله من قال:

إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتجى

لا تيأسن وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجاً

أخلق^(١) بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومد من القرع للأبواب أن يلجأ

ومن قال: ما ضاق حال بعيد فاستعد له عبادة الله إلا جاءه الفرع

ولا أناخ بباب الله راحلة إلا ترزح عنه أحم والخرج

ونقل أن في بعض الكتب المنزلة « لأقطعن أمل^(٢) من أمل سواي وألبسه ثوب المذلة بين الناس،

أنتقرع بالفقر باب غيري وبأبي خير لك » اه. وكتب بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه لبعض الخلالن

إذ عمت الفتنة الأوطان بموت الحسن السلطان عاياه سحائب الرحمة والرضوان مانصه:

إذا اشتدت عليك أمور أقرع بلطف باب مولاك العلي

فتم من شدة نزلت فزالت بلطف الله ذى البطش القوى

فتم من فتنة غلبت كثيرة بإذن الله فانصرتي ولي

بجاه المصطفى والختم فارأف بنا والطف بلطفك الخفي

ولالإمام الشافعي رضى الله عنه دعاء مشهور بالإجابة وهو: اللهم بالطيف أسألك اللطف فيما جرت

به المقادير. فمن واظب عليه مائة وإحدى وأربعين مرة كان محفوظاً من الفتن مصوناً من الحن، ومن

شغره رضى الله عنه:

ولرب حادثة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج

ضاق فلما استحسنت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

(٢) قوله أمل كنصر اه.

(١) قوله أخلق فعل ما صنعته على صيغة الأمر اه.

ورحم الله من قال :

وإني لأدعو الله والأمر ضيق علىّ فما ينفعك أن يتفرجاً
ورب فتى سدت عليه وجوهه أضاء لها في دعوة الله مخرجاً
ومن قال : إذا تضايق أمر فانتظر فرجاً فأضيق الأمر أدناه إلى الفرج

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « اشتد أزيمة تنفرجى » والعرب تقول : إذا تناهت الشدة انفرجت .
قال تعالى - فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً - وقال - وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا -
وفى [جه] والذى أوصيك به ويكون عليه سيرك وعملك هو أن تعلق قلبك بالله ما استطعت ، ووطن
قلبك على الثبوت نجارى الأقدار الإلهية ولا تعود نفسك بالجزع من أمر الله فإن ذلك مهلك للعبد دنيا
وأخرى ، وإن اشتد بك الكرب وضاق بك الأمر فالجأ إلى الله تعالى وقف موقفك فى باب لطفه
واسأله من كمال لطفه تفريج ماضق وزوال ما اشتد كربيه ، وأكثر الضراعة والابتهال إلى الله تعالى
فى ذلك ، وليكن ذلك منك على حالة منفرد القلب بالله متفرغاً عن الشواغل مثل حالة المرأة الكبيرة
السن التى ليس لها إلا ولد واحد أخذ من بين يديها ليقطع رأسه فهى تتوسل بالله وبالناس فى كشف
ما نزل بها فإنها فى هذا الحال ليس لها هم غير ولدها ولا يلتفت قلبها لأمر من أمور الدنيا والآخرة ،
فإن من كان على هذه الحالة وفرغ إلى الله تعالى فى نزول الكرب والشدائد على هذا الحد وناداه باسمه
اللطيف ما استطاع أسرع إليه الفرج فى أقرب وقت ، وإن لم يكن على هذه الحالة أبطأ به الأمر .
ورحم الله من قال :

حمدت الله ربى إذ هدانى إلى الإسلام والدين الخفيف

فبذكره لسانى كل وقت ويعرفه فؤادى باللطيف

(بالدعاء) قصره للوزن أى الرغبة والضرعة (إلى الله) الغنى الكريم البر الرؤف الرحيم سبحانه
وتعالى قدره وتبارك خيره قال - ادعونى استجب لكم - وقال - وإذا سألك عبادى عني فإني قريب
أجيب دعوة الداع إذا دعان - وفى [جص] : « الدعاء مفتاح الرحمة ، والوضوء مفتاح الصلاة ، والصلاة
مفتاح الجنة » وفيه : « الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين » وفيه : « الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل فعلىكم
عباد الله بالدعاء » وفيه : « أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام » وفيه « ما أذن
الله لعبده فى الدعاء حتى أذن له فى الإجابة » وفى الحسك : متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن
يعطيك اه . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « من أعطى الدعاء لم يحرم الإجابة » ورحم الله من قال :

لو لم ترد نيل ما أرجوه من طلب من فيض جودك ما ألهمتنى الطلب

وورد أن ترك الدعاء معصية ، وإن من لم يسأل الله يغضب عليه . ورحم الله من قال :

لا تسألن بنى آدم حاجة وسل الذى أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله وبنى آدم حين يسئل يغضب

وفى [جد] سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : إياك أن تترك الدعاء اتسكالا على ما سبق به القدر
فتفوتك السنة ، فإن الدعاء نفسه عبادة وسنة ، سواء أجيب الدعاء أم لم يجب اه . وروى الحاكم : « ما من
مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : ما أن يعجل له دعوته ،
ولما أن يدخرها له فى الآخرة ، ولما أن يصرف عنه من السوء مثلها . قالوا إذ نكثر ؟ قال الله أكثر

فلماذا عجل للعبد دعاؤه في الدنيا ورأى ما دخر لغيره في الجنة ممن لم يستجب دعاؤه قال يا ليتني لم يعجل لي شيء من دعائي في الدنيا : اه . ورحم الله من قال :

أنهزأ بالدعاء وتزدرية وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن لها أمد وللأمد انقضاء
سيمسكها إلى أجل مسمى ويرسلها إذا نفذ القضاء
سيتقى الله قوما بعد كفر وإن ظلموا فليس لهم بقاء

وفي [شب] ومما جرب لدفع كل شدة هذان البيتان فاتخذهما لك عدة :

إليك رسول الله أشكو نوائيا من الدهر لا يقوى لها المتحمل
ولني لأرجو أنها بك تنجلي فإنك لي جاه وحصن ومعقل

ومما جرب لدفع الكروب قراءة هذه الأبيات المختومة بالتوسل بسيد السادات. وقد قال السيوطي

نقلا عن النووي : ما قرأها أحد ثم دعا الله عقبها بشيء إلا استجيب له :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجي للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفرزع
يا من خزائن رزقه في قول كن أمن فإن الخير عندك أجمع
مالي سوى فقرى إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقرى أرفع
مالي سوى قرعى لبابك حيلة فلئن رددت فأى باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا الفضل أجزل والمواهب أوسع
بالذل قد وافيت بابك عالما أن التذلل عند بابك ينفع
وجعلت معتمدى عليك توكل وبسطت كفى سائلا أتضرع
فبحق من أحببته وبعثته وأجبت دعوة من به يتشفع
اجعل لنا من كل ضيق مخرجا والطف بنا يا من إليك المرجع اه

[فائدة] ومن الأدعية المستجابة إذا نزل بالشخص أمر ضيق فليطبق أصابع يده اليمنى ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، اللهم لك الحمد ومنك الفرج وإليك المشتكى وبك المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اه . ومنها : « اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفه عين وأصلح لي شأني كله بلا إله إلا أنت » (والتجى) إلى الله تعالى وفر إليه إذ لا ملجأ ولا منجا إلا هو سبحانه وتعالى (بقلب مدلة) وخضوع وانكسار فإن الله عند المنكسرة القلوب وإنه يجيب كل قلب حزين . وقد كان صلى الله عليه وسلم متواصلا بالأحزان دائم الفكر . وقيل : أوحى الله إلى بعض أنبيائه « هب لي من قلبك الخشوع ، ومن عينك الدموع ، وسلى أستجب لك فإني قريب مجيب » (وعن) أبي يزيد رحمه الله قيل لي : خزانة مملوءة فإن أردتنا فعليك بالذل والافتقار . وعن سيدى عبد القادر الجيلاني رحمه الله : أتيت جميع أبواب الحق فوجدت عليها الازدحام حتى أتيت باب الذلة والافتقار فوجدته خاليا ، فدخلت منه فالتفت فإذا أنا قد سبقت القوم وتركت الناس على الأبواب . ورحم الله من قال من أهل الإشارات :

لا يبعدنك عتبنا عن بابنا قال العهد باق والوداد مصان
فبحبنا وبلطفنا وبفضلنا شاع الحديث وسارت الركبان
فلذا ذلت لعزنا ياذا النهى ذلت لعزتك الملوك وهانوا اه

وعن سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين في قوله تعالى - ففروا إلى الله - اعلم أن معناه
فروا إلى الله بعبادته دون غيره عبادة واستنادا والتجاء واختيارا له من جميع خلقه ، وفي التحويل عليه
والبراءة من غيره مساكنة وملاحظة واعتبار هذا هو الفرار إلى الله تعالى . انظر [جمع] وفي [جه] :
وعليكم بكثرة التضرع والابتهاال لمن له كمال العز والجلال فإن الله رحيم بعباده ودود فإنه أكرم وأعظم
فضلا من أن يتضرع إليه متضرع أحاطت به المصائب والأحزان ومد إليه يديه مستعطفا نواله راجيا
كرمه وأفضاله أن يرده خائبا أو يعرض عنه برحمته ، والعاجز من عاجز حتى عن التضرع والابتهاال ،
ومن ضيع نفسه من الله فلا جابر له ، وليكن لكم لباب الله ليئات على مرور الساعات وكرور^(١) الأوقات
فإن من اعتاد ذلك في كرور أوقاته غشيه من رحمة الله ونفحاته ما يكون ما حقا لمصائبه وكدوراته
ومسهلا لثقل أعباء ما ثقل عليه من ملهاته ، فإنه سبحانه وتعالى غنى كريم يستجيب لسكرومه إذا رأى
عبدا قد تعود الوقوف ببابه ولو في أقل الأوقات أن يسلمه للمصائب التي لا يخرج له منها أو يكسده^(٢)
بهلكة يعز عليه الخلاص منها . احفظوا هذا العهد واركضوا في هذا الميدان ولو في أقل قليل من مرور
اليوم واليلة تجددوا التيسير في جميع الأمور والخلاص من كثير من الشرور اه . وفيه : ثم الحذر الحذر
من تكرار الفرع إلى الله تعالى في كل كرب فإنك بذلك بصير لك الجزع من أمر الله عادة ولا تنتفع
بحياتك ، بل يكون الأمر مرة ومرة ، تثبت لأمر الله ولا تجزع ولا تطلب التفريج ومرة تسأل الله
التفريج ، فمن صار إلى الله على هذا المنوال فتحت له أبواب السعادة الأخروية وتمكن في حياته من
الحياة الطيبة الواقعة في قوله تعالى - من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة اه .
وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نلج بالاستغاثة عند حاول البلاء ونسأل الله تعالى الإقالة ، ولا نتجبد
ولا نتصبر إلا بعد أن سألناه الإقالة ولم يقلنا سبحانه وتعالى فنرجع إليه تعالى وإلى مراده فإنه أعلم
بمصالحنا منا ، ومن تأمل المرض وجده أرجح من جميع طاعاته لأنه أجبر محض لا يدخله رياء ولا عجب
ولا حظ للنفس فيه ، وإنما قلنا نلج بالاستغاثة برفع البلاء هبلا إلى الضعيف لأن مثلنا ليس من رجال
البلاء . وقد سأل الإمام الشافعي رضى الله عنه دوام البلاء حين كانت به بواسير وقال : اللهم إن كان
في هذا رضاك فزدني ؟ فقال له شيخه : سل الله يا محمد العفو والعافية ، فليست أنا ولا أنت من رجال
البلاء ، إنما ذلك للأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وكان سفيان الثوري يقول : والله ما أدري إذا ابتليت
ماذا يقع مني لعلى أكفر رضى الله عنه . قلت : فما خافوا من المرض إلا لما فيه ، لا لذاته فافهم . وقد
رأينا كثيرا من أصحاب الأنفس القوية يبتلى فيظهر التجلد والقوة ، فيشد الله عليه حتى يسأل الإقالة
كرها عليه ، والحق تعالى يحب من عباده إظهار الضعف ويكره منهم التجبر فاعلم ذلك اه : وفي
[هم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نميل إلى الضعيف ونبادر عند نزول
البلاء علينا إلى سؤال العفو والعافية ولا نتجبد إلا بما نعلم من أنفسنا بالغرائر القدرة على الصبر عليه ،

(٢) قوله يكسده : أى يغدشه اه .

(١) قوله كرور : بمعنى مرور اه .

وهذا العهد يخل به كثير من الناس ممن يدعى الصلاح من غير سلوك على يد شيخ فيظهر القوة لتحمل ما فوق طاقته فربما تخلفت عنه العناية فيصبح ويقع منه ألقاظ ربما يكفر بها. ثم قال: فاسلك يا أخى على يد شيخ يشهدك ضعفك حتى تجد نفسك أضعف من ناموسة كما هو شأن العارفين رضى الله عنهم . ثم قال : قل يا أخى إلى الضعف الذى هو أساسك وسداك ولحمتك وإن جاءتك قوة من الله تعالى فى تحمل البلاء فهى عارضة والله يتولى هداك ، انظره . قال رحمه الله :

(فأهـى إلّا مثل أحلام نائمٍ وضيفٍ وظلّ زال عنك بسرعة
وبحر مرارة تمرّ على الورى بما بين نعمة وحزن ونعمة)

(فأهـى) أى فليست الدنيا فى التمثيل (إلا مثل أحلام نائم) جمع حلم كقفل وعنى ما يرى فى النوم : وفى [حى] مثال آخر للدنيا من حيث التعبير بخيالاتها ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها تشبه خيالات المنام وأضغاث الأحلام ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون » وقال يونس بن عبيد : ما شئت نفسى فى الدنيا إلا كرجل نام فرأى فى منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك إذ انتبه . فكذلك « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » فإذا ليس بأيديهم شئ مما ركنوا إليه وفرحوا به . وقيل لبعض الحكماء أى شئ أشبه بالدنيا ؟ قال أحلام النائم اه . ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصرى رحمه الله أنشد :

أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع

ورحم الله من قال :

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل إذا مانلت بالأمس لذة وأفنيتها هل أنت إلا كحالم

(و) مثل (ضيف) وفى [جص] « كونوا فى الدنيا أضيافا ، واتخذوا المساجد بيوتا ، وعودوا قلوبكم الرقة ، وأكثروا التفكر والبكاء ، ولا تختلفن بكم الأهواء ، تهنون مالاتسكنون ، وتجمعون مالاتأكلون وتؤملون مالاتدركون » اه . وقال بعضهم : ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة . ورحم الله من قال :

وما المال والأهلون إلا وديعة ولا يد من يوم ترد الودائع

ومن قال :

إنما الدنيا كظل زائل أو كضيف بات ليلا وارتحل
(و) مثل (ظل زال) ذهب وانقطع (عنك بسرعة) فإن الدنيا سوية ولميحة قليلة ومتاعها قابل - والآخرة خير لمن اتقى - والآخرة خير لك من الأولى - وكان سيدنا الحسن بن على رضى الله عنهما وعنا بهما آمين كثيرا ما ينشد :

يا أهل لذات دنيا لابقاء لها إن اغتراراً بظل زائل حمق

ورحم الله من قال :

هب الدنيا تساق إليك عنوا أليس مصير ذلك إلى الزوال
وما دنياك إلا مثل ظل أظلك ثم آذن بانتقال .

ومن شعر أمية الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : « آمن شعر أمية وكفر قلبه » :

كل عيش وإن تطاول دهرًا صائر أمره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في قلال الجبال أرمي الوعولا
إن يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الوليد يوما ثقيلا

والمؤمن يأخذ ضالته حينما وجدها ولا يبالي ، وكان الوالد رحمه الله ورعى عنه كثيرا ما يقول لى :
خذ الفائدة ممن لا فائدة فيه . وروى أن أعرايا نزل بقوم فقدموا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة
لم فنام فاقتلوا الخيمة وأصابته الشمس فانتبه فقام وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظل ثنية ولا بد يوما أن ظلك زائل

وقال صلى الله عليه وسلم : « مالى وللدنيا وإنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صيف
فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها » ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها ولم
يبال كيف انقضت أيامه في ضر وضيق أوفى سعة ورفاهية ، بل لا يبنى لبنة على لبنة ، توفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ، رأى بعض الصحابة يبني بيتا من جص ^(١)
فقال : « أرى الأمر أعجل من هذا » وأنكر ذلك عليه ، ورحم الله من قال :

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها على أنهم فيها عراة ^(٢) وجووع ^(٣)
أراها وإن كانت تحب فإنها سحابة صيف عن قريب تقشع

(و) مثل (بحر مرارة) أى من جهة المرارة : أى فمن أى ناحية جثتها وجدتها مرا . وفى [د] :
أنا ما رأيت الدنيا إلا كما على البحر من أين جثته تلقاه مرا ، سببه كانوا يتكلمون بين يديه رضى الله عنه
في أحوال البلدان ويفضلون أهل هذه على أهل هذه ، فذكره اه . وفى [حى] قال عيسى عليه السلام :
مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء اليم كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله اه . ومن حكمه على نبينا
وعليه الصلاة والسلام : الدنيا ثلاثة أيام : يوم مضى ليس بيدك منه شيء ، ويوم يأتي لا تدرى أتذكره
أم لا ، ويوم أنت فيه فاغتنمه اه . وقال بعضهم رحمه الله : الدنيا ساعة فاجعلها طاعة . وفى [حى]
وقال صلى الله عليه وسلم : « أهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من ماله إلا ما أكلت فأفنت
أو لبست فألبيت ، أو تصدقت فأبقيت » وقال صلى الله عليه وسلم : « الدنيا دار من لا دار له ، ومال من
لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وعليها يعادى من لا علم له ، وعليها يحسد من لا فقه له ، ولها يسعى
من لا يقين له » وقال صلى الله عليه وسلم : « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء ، وألزم الله
قلبه أربع خصال : هما لا ينقطع عنه أبدا ، وشغلا لا يتفرغ منه أبدا ، وفقرا لا يبلغ غناه أبدا ، وأملا
لا يبلغ منه أبدا » وقال أبو هريرة : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا
جميعها بما فيها ؟ فقلت : بلى يا رسول الله ، فأخذ بيدي وأتى بى واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رموس
أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال : يا أبا هريرة هذه الرموس كانت تحمصكم كحصىكم وتأمل كأملكم
ثم هى اليوم عظام بلا جلد ثم هى صائرة رمادا ، وهذه العذرات هى ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث

(١) قوله جص بكسر جيم ويفتح اه .

(٢) قوله عراة جمع عار كقاس اه . (٣) قوله جوع : جمع جائع كركم وراكم اه .

اكتسبوها ثم قلدوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها ، وهذه الخرق البالية كانت ريشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها ، وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا يتجمعون عليها أطراف البلاد ، فمن كان باكيا على الدنيا فليبك : قال : فما برحنا حتى اشتد بكأؤنا ، انظروا .
ورحم الله من قال :

ولقد سألت الدار عن أخبارهم فتبسمت عجباً ولم تبدى
حتى مررت على الكنيف فقال لي أمواهم ونواهم عندي

وفيه : وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك بأخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً .
وقال مطرف ابن الشخير : لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين ريشهم ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم . وقال ابن عباس : إن الله جعل الدنيا ثلاثة أجزاء : جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر . فالؤمن يقزود ، والمنافق يتزين ، والكافر يتمتع . وقال بعضهم : الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئاً فليصبر على معاشر الكلاب . ثم قال : وقال أبو أسامة الباهلي رضي الله عنه : لما بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنت إبليس جنوده فقالوا : قد بعث نبي وأخرجت أمة قال : ويحبون الدنيا ؟ قالوا نعم ، قال : لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي أن لا يعبدوا الأوثان وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث : أخذ المال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه وإمساكه عن حقه ، والشر كله من هذا نبع . وقال رجل لعلي كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا ؟ قال : وما أصف لك من دار من صبح فيها سقم ، ومن أمن فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها افتتن ، في حلالها الحساب ، وفي حرامها العقاب ، وفي متشايبها العتاب . وقال أبو حازم : اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فإنك لا تجد عليها أعواناً ، وأما مؤنة الدنيا فإنك لا تضرب بيدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه . وقال عيسى عليه السلام : ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتفره ويأمنها ويثق بها وتخذله ، ويل للمغتربين كيف أرثهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ، وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله ، كيف يفتضح غدا بذنبه . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام « يا موسى مالك ولدار الظالمين لأنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي إلا لعامل يعمل فيها فتعمت الدار هي ، يا موسى إنى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم » انظروا . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - من كان يريد حرث الآخرة - الآية ثم قال : يقول الله عز وجل : يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك » وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما طلعت شمس إلا وبعث بجنها ملكان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثروا ألهي » وروى الحاكم « من جعل الهموم هما واحداً هم المعاد كفاد الله هم دنياه ، ومن تشعبت به الهموم وأحوال الدنيا لم يبال الله في أي أودية هلك . وفي بعض الكتب الإلهية : « إن الله تعالى قال : يا دنياي من خدمني فاخدمه ومن خدمني فاستخدمه » وفي [جص] : « اتقوا الدنيا فوالذي نفسي بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت » وفيه : « إن الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا » قال الحفني : ولذا كان بعض الصوفية يأخذ تلامذته ويذهب بهم إلى المزابل ويقول لهم : انظروا إلى سكركم ودجاجكم ، انظروا . وفيه : « إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها ، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه

بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن ننظر إلى الدنيا وشهواتها بعين الزهد لا بعين الرغبة فإن الدنيا كرامة عليها كلاب تتجاذبها كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : فمن رغب فيها تلطخ بالنجاسات وعضته الكلاب وهببت عليه وكشرت بأسنانها عليه وقاسى ما لا خير فيه . وفي الأثر : إن الله عز وجل من منذ خلق الدنيا لم ينظر إليها : يعني نظر رضا عليها وعمن يجبها لا نظر لإرادة وتدبير فإنه تعالى هو المدبر لها والخالق ، فافهم . وفي الحديث : « إن الدنيا لاتزن عند الله جناح بعوضة » فالعارف لا ينظر إليها نظر محبة تخلفا بأخلاق الله عز وجل وأخلاق أنبيائه وأصفياه مع أنه يدبرها وينفقها وقلبه فارغ منها ، انظره (تمر على الوري) الخلق (بما) أى بحالة (بين نعمة) وفرح وسرور (وحزن) وهم (ونقمة) بكسر النون وفتحها المكافأة بالعقوبة قال تعالى - كل يوم هو في شأن - قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير - الآية ، ورحم الله من قال :

فيوم سرور ويوم كرب ويوم علينا ويوم لنا
ومن قال :

وما كل وقت ثرى مسعفا فكن حافذا لطريق الأدب
تري الله يكشف ماقد خبا فتحظى بأجر ونيل الرتب
ومن قال :

سألت عن الدنيا الدنية قال لي هي الدار فيها الدوائر تدور
إذا أضحكك أبكت وإن أحسنت أست وإن عدلت يوما فسوف تجور
وفي [جه] ولا إمكان للعبد من التمكن من دوام الراحة من كل بلاء في الدنيا ، بل على العاقل أن يعلم أن أحوال الدنيا أبدا متعاقبة بين ساعات انقباض وانبساط وخيرات وسرور وأفراح وأحزان لا يخرج أحد ممن سكن الدنيا عن هذا المقدار ، فإن نزلت مصيبة أو ضاقت نائبة فليعلم أن لها وقتا تنتهي إليه ، ثم يعقبها الفرح والسرور ، فإن من عقل هذا عن الله في تصارييف دنياه تلقى كل مصيبة بالصبر والرضا بالقضاء والشكر التام على النعماء اهـ . ورحم الله من قال :

ثمانية تجري على المرء دائما وكل امرئ لا يد يلقى الثمانية
سرور وحزن واجتماع وفرقة وعسر ويسر ثم سقم وعافية

وفيه : وبين الشيخ رضي الله عنه كيف تعرف الله سبحانه بهذه الأمور التي تتوارد عليهم من شدة ورخاء وعافية وفننة وخوف وأمان ومرض وصحة ، وتحول حال القلب من قبض وبسط وعزم ونقصه ويتلوقوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - ويقول : إن الناس إذا كانوا في شدة أحسن منهم إذا كانوا في عافية لو كانوا يعلمون ، لأنهم إذا وسعتهم النعم كانوا غافلين لاهين ساهين فإذا مستهم الضر اضطروهم ذلك إلى دعاء مولاهم جبرا ، ولا تمكنهم الغفلة حينئذ كما أمكنتهم مع النعمة فحالم حينئذ أحسن لو قوفهم بباب مولاهم وسؤالهم منه دفع بلاؤهم ، ولهذا ذكر قوله تعالى : - وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض - انظره قال رحمه الله :

(فَمِمَّنْ تَدْعُوكَ لِشُكْرِ مِثْلِ مَا تَنَادِيكَ نِقْمَةً إِلَى حُسْنِ تَوْبَةٍ
فَمَا نِقْمَةٌ إِلَّا بِهَا خَيْرٌ نِعْمَةٍ فَيَكْتَفَاهَا خَيْرٌ لِصَاحِبِ نَهْمَةٍ)

(فنعمتها) أى فنعمة الدنيا وهى كل مفروح ومسرور به . وفى [حى] اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة ، ولكن النعمة بالحقيقة هى السعادة الأخروية وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التى لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض . وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق . فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط فإن تسميته نعمة صحيحة ، وصدق لأنه يقضى إلى النعمة الحقيقية . ثم تنقسم إلى ما هو نافع فى الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق ، وإلى ما هو ضار فيهما كالجهل وسوء الخلق ، وإلى ما ينفع فى الحال ويضر فى المال كالتلذذ باتباع الشهوات ، وإلى ما يضر فى الحال ويؤلم ولكن ينفع فى المال كقمع الشهوات ومخالفة النفس . فالنافع فى الحال والمال هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما ، والنافع فى الحال المضر فى المال بلاء محض عند ذوى البصائر وتنظنه الجهال نعمة ، مثاله الجائع إذا وجد عسلا فيه سم فإنه بعده نعمة إن كان جاهلا وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه : والضار فى الحال النافع فى المال نعمة عند ذوى الألباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع فى الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة ، فالصبي الجاهل إذا كان شربه ظنه بلاء والعاقل بعده نعمة ويتقصد المنة ممن يهديه إليه ويقر به منه ، انظره (تدعوك) بلسان الحال والمقال (للشكر) أى لشكر من أنعم بها عليك وهو الله الغنى الكريم البر الرءوف الرحيم وشكر من أجراها على يده لقوله صلى الله عليه وسلم : « من لا يشكر على القليل لا يشكر على الكثير ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله » وفى [حى] والشكر يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح . أما بالقلب فقصد الخير وإظهاره لكافة الخلق ، وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه ، وأما بالجوارح فباستعمال نعم الله تعالى فى طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ، حتى إن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم : وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا فى جملة شكر نعم الله بهذه الأعضاء ، والشكر باللسان لإظهار الرضى عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة : « كيف أصبحت ؟ قال بخير ، فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال فى الثالثة بخير أحمد الله وأشكره ، فقال صلى الله عليه وسلم : هذا الذى أردت منك » وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليسكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء ، وكل عيب سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت ، فالشكر طاعة والشكوى مصيبة قبيحة من أهل الدين ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينادى يوم القيامة ليقيم الحمادون فتقوم زمرة ، فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة . قيل ومن الحمادون ؟ قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال » . وفى لفظ آخر : « الذين يشكرون الله على السراء والضراء » وقال ابن مسعود : الشكر نصف الإيمان ، انظره . وفى [جص] : « الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده » وفيه : « الحمد على النعمة أمان لزوالها » وفيه : « خصمان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا : من نظر فى دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ونظر فى دينه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه كتبه الله شاكرا صابرا ، ومن نظر فى دينه إلى من هو دونه ونظر فى دينه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا » اهـ : وعنه صلى الله عليه وسلم : « من أعطى فشكر وابتلى فضبر

وظلم فغفر وظلم فاستغفر أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » وتقل أن سفيان الثوري دخل على جعفر الصادق وقال له : علمني يا ابن رسول الله مما علمك الله ؟ قال له إذا تظاهرت الذنوب فعليك بالاستغفار ، وإذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر ، وإذا تظاهرت الغموم فقل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فخرج سفيان يقول ثلاث وأى ثلاث . وفي الحديث : « من أنعم عليه نعمة فليحمد الله ، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ، ومن حزنه ^(١) أمر فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله » وفي آخر : « من أنعم الله عليه نعمة فأراد بقلعها فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله » وروى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال : « يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك » وفي لفظ آخر « وشكركم لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك ، فأوحى الله تعالى إليه : إذا عرفت هذا فقد شكرتني . وفي خبر آخر : « إذا عرفت أن النعمة مني رضيت منك بذلك شكرا » ووقع مثل ذلك لداود عليه الصلاة والسلام ، ورحم الله من قال :

إذا كان شكري نعمة الله نعمة - على له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضلته وإن طالت الأيام وتصل العمر
إذا مس بالسراء عم سرورها وإن مس بالضراء يعقبها الأجر
فما منها إلا له فيه نعمة تضيق بها الأوهام والهمم والجهر

وفي [جه] وكان سيدنا رضى الله عنه وعنا به أمين يذكر الناس بنعمة مولاهم وما خولهم وأولاهم ، يرشد بذلك إلى محبة الله سبحانه والحياء منه أن يعصى بسبب ما أسداه لعبيده وما يجريه عليهم دائما وأبدا من أفضاله وإحسانه ويتلو - وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة - ويكثر الكلام في ذلك جل أوقاته وغالب أحيانه وبين ما هو مستمر على العبد دائما وأبدا من نعمة النفع والدفع والمحسوسة والمعنوية والظاهرة والباطنة يفصل كل ذلك تفصيلا ويأتي عليه بياناً وتحصيلاً ، فيبين أن الإيمان بالله ورسوله من النعم الباطنة الدائمة المستمرة على العبد وأن الله يمد به في كل لحظة لحظة ويمسكه سبحانه عليه كل لحظة لحظة ، ولم يسلط عليه فيه شيطاناً مريداً يفسده عليه ولا جباراً عنيداً يسلب عنه مأمنه لديه ، عناية منه سبحانه ورحمة وفضلاً ونعمة ، ولو سلط الشيطان على إفساده كما سلطه على إفساد الأعمال لسكفر كثير من الناس بعد إيمانهم ، وانقلبوا بعد رجوعهم إلى خسراتهم ، ولكن الله امتن على الإنسان بحفظه كما امتن بتخصيصه بسابق الفضل والإحسان ، وبأى سبب استحق العبد هذه النعمة حيث أعطاها يوم قدرت المقادير وقسمت القسم حيث لا وجود لذاتك هناك ولا عمل يتقرب به إلى معطيها ولا شيء يدلى به ويستند إليه ، بل هي محض الجود والامتنان والفضل والإحسان ، ولو شعر الإنسان بهذه النعمة العظمى وعرفها لاستغفره الفرح بالله واستولى عليه سلطان المحبة والشغف بهذا المعطى الكريم والمولى العظيم الذى خاق فهدى ، وتمفضل وأعطى وخصص أزلاً واجتنبى ، انظره ورحم الله من قال :

أوليتنى نعماً أبوح بشكرها وكفيتنى كل الأمور بأسرها
فلأشكركم ما حييت وإن أمت فلتشكركم أعظمى في قبرها

(١) قوله حزنه كنصر : أهابه .

[فائدة] من شكر نعم الله وتعظيمها التقاط ما يوجد من كسرة خبز وتمر وحب وغير ذلك مما له جرمة مما يؤكل في المزابيل والطرق والأزقة ، وإزالتها من مواضع المهنة إلى موضع طاهر تصان فيه : وفي [خل] وكان سيدى أبو محمد المرجاني رحمه الله إذا جاءه القمح لم يترك أحدا من الفقراء في الزاوية في ذلك اليوم يعمل عملا حتى يلتقطوا ما وقع من الحب على الباب أو على الطريق فإذا فعلوا ذلك حينئذ يرجعون إلى ما كانوا يعملون . هذا الباب مجرب كل من عظم نعمة الله لطف الله تعالى به وأكرمه ، وإن وقعت الشدة بالناس جعل الله لمن هذه صفته فرجا ومخرجا ، فعلى منوالهم فانسج إن كنت ذا حزم اه . وثبت أن ذلك هو سبب الغلاء . وفيه : من هذا المعنى ينبغي لمن رأى قرطاسا في الطريق أو مزبلة أن يرفعه ويرزله عن موضع المهنة ويضعه في موضع طاهر يصان فيه وسواء كان مكتوبا أم لا ، لأن المكتوب لا يخلو من اسم من أسماء الله تعالى أو اسم من أسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو اسم من أسماء الصحابة أو الأولياء والصالحين رضي الله عنهم ، وفي ذلك ثواب عظيم وأجر جسيم ، وغير المكتوب يؤخذ توقيرا وتعظيما لنعم الله تعالى إذ أن الورقة لا بد فيها من النشا ولو قل ، انظره (مثل ما تناديك) بلسان الحال والمقال (نعمة) رزئت وأصبحت بها تطهيرا من الأدران والأدناس (إلى حسن توبة) وهي التوبة النصوح قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا - وعنه صلى الله عليه وسلم : « التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرض منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبدا » وفي [هب] اعلم أن سبب رسوخ التوبة في ذات العبد ومد أغصانها فيها وتمسك عروقها منها وبلوغها الغاية فيها هو محبة المؤمنين جميعا من غير فرق كما يبغض الكافرين جميعا من غير فرق . قال : فإذا كانت هذه المحبة في العبد نزلت عليه التوبة من الله وأوكرها وأراد دفعها فلإنها تنزل لا محالة ، وسبب ذلك أن العبد لا يفرق في محبته للمؤمنين حتى يحب بعضا دون بعض إلا للدسيسة بغض في قلبه نشأت عن حسد أو كبر ونحو ذلك فتكون طويته خبيثة والتوبة النصوح لا تنزل إلا بأرض طيبة وطوية طاهرة ، فإذا أحب جميع المؤمنين فقد ارتفعت الدسائس كلها عن قلبه فتنزل التوبة عليه حينئذ ، انظره (فما نعمة) من النعم في الظاهر (إلا بها خير نعمة) أي إلا وفيها أفضل نعمة في الباطن ، والمؤمن بخير على كل حال إن أصابته سراء شكر وإن أصابته ضراء صبر ، قال تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وفي [عف] قال بعضهم في قوله تعالى - وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة - قال : الظاهرة العوافي والغنى ، والباطنة البلاوى والفقر فإن هذه نعم أخروية لما يستوجب بها من الجزاء ، وحقيقة الشكر أن يرى جميع المقضى له به نعا غير ما يضره في دينه ، لأن الله تعالى لا يقضى للعبد المؤمن شيئا إلا وهو نعمة في حقه ، فلما عاجلة يعرفها ويفهمها ولما آجلة بما يقضى له من المكاره فلما أن تكون درجة له أو تمحيصا أو تكفيرا ، فإذا علم أن مولاه أنصح له من نفسه وأعلم بمصالحه وأن كل مامنه نعم فقد شكر اه . وفيه : قال سفيان عند أربعة : اللهم ارض عنا ، فقالت له أما تستحي أن تطلب رضى من لست عنه براص ، فسألها بعض الحاضرين متى يكون العبد راضيا عن الله تعالى ؟ فقالت إذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة ، انظره . ورحم الله من قال :

إذا اشتدت البلاوى تحفف بالرضى عن الله ، بالرضوان فاز المراقب
وكم نعمة مقرونة ببلية على الناس تخفى والبلايا مواهب

ومن قال :

ولتعرض ولتبصرن مهما ابتليت تنل رضى الإله وإلا خبت لم تنل
وفى [جه] فإذا ذكرت له حادثة أملت ومصيبة نزلت قال من أسأته سبحانه: والحكيم هو الذى
لا يفعل الشيء إلا لحكمة ولا تخلو أفعاله عنها ، ولو كشف للعبد عن أسرار القدر لرأى تلك الأفعال
التي هي في الظاهر نقمة على غاية ما يكون من الإحكام والإتقان ، وأنها لا ينبغي أن تكون إلا كذلك
ولا يختار لنفسه غيرها وتنزل النازلة بالعبد هي في ظاهرها مصيبة وفى باطنها رحمة ينقذه الله بها مما هو
أشد مثلاً أو يدفع عنه بها فتنة في دينه ، والله ما قضى الله لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، انظره .
وفيه : ويأتيه من أصيب في ماله وبدنه وعباله في غاية ما يكون من المشقة والضيق ، فإذا سمع كلامه
انزاحت عنه الأتراح واعتراه السرور والانشرح كأنما سقى عنده الراح بالراح . وقد أتاه رجل من
الإخوان قد امتحن بأخذ ماله من قبل السلطان فسأته أخلاقه وأحواله وسره وعلايته وأفعاله ،
فجلس بين يدي سيدنا رضى الله عنه في ملأ من أصحابه فجعل ينتصت لكلامه ، ويتكلم الشيخ رضى
الله عنه على عادته في الدلالة على الله ويذكر الناس بأنهم الله الظاهرة والباطنة ، ويريه أن ما نزل
بالعبد من المحن التي هي في الظاهر نقمة كلها رحمة من الله وفضل منه ونعمة وأنه لا يفعل ذلك سبحانه
إلا لحكمة ، وجعل يوضح ذلك فتحول حال الرجل لحينه وظهر عليه أثر السرور والفرح ويقول الحمد لله
يكورها فرحاً منه بنعمة الإسلام التي لم يقدر قدرها قبل ذلك واستخفاها بالدنيا التي رزقها ويقول
ما سمعت هذا قط ولا رأيته ، انظره . فكلامه رضى الله عنه وعنايه أمين ترياق للقلوب ودواء للعيوب
وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين (فكلتاها) أى فكل واحدة من النعمة والنقمة (خير)
أى فيها خير كثير وثواب كبير (لصاحب نهية) بضم النون العقل وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « عجيبت
للمسلم إذا أصابته مصيبة احتسب وصبر وإذا أصابه خير حمد الله وشكره ، وإن المسلم يؤجر في كل شيء »
حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه » وفى [جه] : وفى كل من الطاعة والمعصية دلالة على الله ، فالطاعة تدعو
إلى شكر الله والمعصية تلجى إلى التوبة إلى الله ، والنعمة والنقمة كذلك هذه تعرفك بمولاك والأخرى
ترفع بها إليه شكواك ، ويذكر قولهم رضى الله عنهم : من لم يقبل على الله بسوايخ الامتنان سيق إليه
بسلاسل الامتحان ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن ننظر لكل نعمة أو محنة بوجهين ولا
نقف قط مع ظاهر نعمة ولا ظاهر نقمة فربما أتت النعم في المحن ، وربما أتت المحن في النعم ، فإننا إذا
نظرنا إلى باطن النعم وجدناها مشتملة على أنواع من البليات ، أقل ما هنالك أن الحق تعالى يطالب صاحب
النعمة بعدم إضافتها إلى أحد من الخلق نفساً واحداً ويطلبه بصرفها في المواطن التي تدب الحق تعالى
إلى صرف النعم فيها ، ويطلبه أيضاً بالقيام بحقوقها ودوام الشكر عليها بالأعمال دون اللسان كما قال تعالى :
« اعملوا آل داود شكراً - لم يقل تعالى قولوا آل داود شكراً ، ونحن أولى من أمة داود بذلك فافهم . ومن
كان مشهوده في النعمة هكذا فتى يتفرغ للالتذاذ بها ، وأما المحن والرزايا فإذا نظرنا إلى باطنها وجدناها
من أعظم النعم علينا ، ومرادنا المحن والرزايا في الدنيا لا في الدين ، وذلك لأن المحن تورث الذل
ونقص الجناح وعدم الطغيان كما قال تعالى - كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وتورث عدم
الإعجاب بالطاعات والعلوم والمعارف ، وفى المثل السائر : من لا يجىء بشراب الليمون جاء بحطبه ، فلا
يمتنع عبد قط بنقمة إلا إذا لم ترده نعم الله عليه إلى حضرة ربه ، فإذا لم ترده النعم ابتلاه بالحن ليرجع

قال الله تعالى - وبلو ناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون - وذكر سيدي تاج الدين بن عطاء الله ماهو أعجب من ذلك فقال: رب معصية أورثت ذلاً وانكساراً خيراً من طاعة أورثت عزاً واستكباراً فاعلم ذلك اه . قال رحمه الله :

(فَدَعَ مَاعَلَيْهِ النَّاسُ لَا تَعْتَرِضْ لَهُمْ وَلَا سِيَّيَا مَنْ كَانَ صَاحِبَ أَمْرٍ
فَسُبْحَانَ مَنْ أَقَامَ كَلًّا بِمَا يَشَاءُ فَذَلِكَ مُرَادُهُ بِكُلِّ الْخَلِيقَةِ)

(فدع) أترك عنك (ماعليه الناس) كافة من الأحوال ولا تزن عليهم ما يصدر منهم بميزانك لحديث «دعوا الناس فقد كفيتهموهم» ولأنه لا يأمر بمعروف وينهى عن منكر إلا أمير أو مأمور أو مرأ (لا تعترض لهم) أى لا تعترض عليهم فى شيء من الأشياء ، فإن الاعتراض عليهم اعتراض على بارئهم سبحانه وتعالى ، بل سلم أمرهم لمن خلقهم وعملهم ولمن تجلى فيهم بما شاء كيف شاء فكل مهياً وميسر لما خلق له وهو أعلم بمصالح عبده - إنه حكيم عليم - وللنابلسي رحمه الله :

وتمسك بربك الحق واقنع بالتجلى فى سائر الأسماء

وعن الحائمي رضى الله عنه : من شهد الخلق لافعل لهم فقد فاز ، ومن شهدهم لاحياة لهم فقد حاز ، ومن شهدهم عين العدم فقد وصل . ورحم الله من قال :

(١) من أبصر الخلق كالسراب فقد ترقى عن الحجاب
إلى وجود يراه رتقا بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه هناك يهتدى إلى الصواب

[لطيفة] حكى أن بعض الكفرة دمرهم الله لما دخلوا بعض مدائن المسلمين قصد مسجدها فتغوط فيه فقطع ورقة من مصحف واستجمر بها وربماها ، فخرج وبعض المسلمين فى المسجد ينظر إليه ولم يستطع أن يتكلم ، فلما خرج أخذ تلك الورقة ليغسلها من النجاسة ونظر فإذا فى أولها - ولو شاء ربك ما فعلوه - الآية ، فاستسلم لأمر الله تعالى إنه حكيم عليم . وفى [جه] وعليكم بعدم الاعتراض على الناس فيما أقامهم الله فيه مما ليس بمحمود شرعاً ولا طبعاً فإن أمورهم تجرى على المشيئة الإلهية فهم مقبوضون فى قبضة الله لا محيد لهم عن حكمه ، وجميع أمورهم تصدر عن قضائه وقدره إلا ما أوجب الشرع القيام به عليهم أمراً وزجراً بحسب العوارض والنائبات فى بعض الأزمان لا كل الأزمان ، وقفوا عند قوله صلى الله عليه وسلم : « مروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام ، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله ، قيل يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال بل أجر خمسين منهم لا منكم اه : أى لأنكم تجدون على الخير أعواناً وهم لا يجدون عليه أعواناً . وفى [د] أرى الله تعالى ساغ الوجود مساع الهلاك . سببه أنه كان يتحدث فى فساد الوقت ومال الناس فيه من الانهماك فى المعاصي وقلة مبالايتهم لأمسك بمخالفة أمر الله تعالى فذكره اه : وفى [جص] « إذا رأيت الناس قد مرجت (٢) عهودهم ونخت

(١) قوله من أبصر الخ : بسيط مجزوم مقطوع . (٢) كفرح : اختلطت اه .

أماناتهم وكانوا هكذا - وشبك بين أنامله - فالزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ماتعرف ودع ماتسكر ، وعليك بخاصة أمر نفسك ودع عنك أمر العامة : وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نزن على الناس أحوالهم بميزان يوم مضى لشهود النقص في نفوسنا كل يوم في معاملتنا الله تعالى فضلا عن حاملة عبادته ، فكيف ينبغي أن نزنهم في هذا الزمان بميزان السلف من الصحابة والتابعين . وقد كان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول : والله لقد أدركنا أقواما كنا في جنهم لصوصا فما بقي إلا الأخذ في الهضم والمساحة منا ومنهم وإلا وقعنا نحن وهم في العناء والتعب ، فإننا في هذا الزمان عكارة^(١) جميع من تقدمنا من الخلق ، والغالب علينا عنصر الماء والطين ، ومعلوم أن الماء والطين إذا حرك وروق نحو ثلاثين مرة وأخذ صافيه في كل مرة كيف يكون حاله ، فما بقي دواء في هذا الزمان أنفع من كثرة الاستغفار ، بل لو جلس الواحد منا بقية عمره يستغفره عما مضى له من الذنوب ما جبر خلل المعاصي السابقة فضلا عن اللاحقة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أستغفر الله اه (ولا سيما) وفي [س] « ولا سيما زيد » لأمثل زيد و« ما » لغو ويرفع زيد انظره (من كان صاحب إمرة) بكسر الهمزة وسكون الميم لغة في الإمارة . وفي [جه] وسلموا للعامة وولاية الأمر ما أقامهم الله فيه من غير تعرض لمنافرة أو تبغيض أو تنكير فإن الله هو الذي أقام خلقه فيما أراد ولا قدرة لأحد أن يخرج الخلق عما أقامهم الله فيه اه وفي الحديث : « إذا رأيتم الأمر لا تستطيعون تغييره فاصبروا حتى يكون الله هو الذي يغيره » وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نتصدر لإزالة منكرات الولاة إلا إن كان معنا تصريف فيهم وإلا آذونا وتقونا من بلادنا أو أحوجونا إلى الاستخفاء زمانا طويلا . وكان سيدي إبراهيم المتبولي يقول : تغيير المنكر باليد للولاة ومن والاهم ، وتغييره باللسان للعلماء العاملين ، وتغييره بالقلب للفقراء الصادقين ، فيتوجه الفقير بقلبه إلى الله تعالى الله فتنكسر جرة الحمر ، وتخرج المرأة الزانية مثلا هاربة ، وتخرس الغواني عند الظلمة فلا تقدر تنطق بكلمة ، ويرجع الظالم عن ظلمه في الحال ، انظره . وفي [جد] سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تنازعوا الأمر أهله » هل يدخل في ذلك السلطان الجائر لكونه أهلا للأمر الذي أقيم فيه والخلق يستحقونه لمساهم عليه من الخروج عن طاعة الله عز وجل ؟ فقال رضي الله عنه : نعم يدخل الجائر في ذلك ولولا استحقاق الخلق ما ولاه الحق عليهم ، فإياك والاعتراض^(٢) في تولية من ولاه الحق تعالى على الناس من قاض أو أمير أو وزير فإن المولى له هو الله عز وجل ، وإن كان ولا بدلك من منازعته فاعرف من ولاه ثم نازع بشرطه . وكان حذيفة رضي الله عنه يقول : إن عدل السلطان فلنا وله ، وإن جار فلنا وعليه ، فنحن في الحالين سعداء إن شاء الله تعالى . وأما إذا تكلمنا في ولاتنا بما هم عليه من الجور فليس لنا هذا المقام لأنه سقط ما كان لنا في جورهم من الأجر لعدم صبرنا عليهم ، فتأمل والله أعلم اه . وفي [جص] : « السلطان العادل المتواضع ظل الله ورحمه في الأرض يرفع له عمل سبعين صديقا » وفيه : « السلطان ظل الله في الأرض فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله » وفيه : « من أجل سلطان الله أجله الله يوم القيامة » ومفهومه أن من أهانه أو حاربه أهانه الله وأذله يوم القيامة ، وفيه : « السلطان ظل الله في الأرض يأوى إليه كل مظلوم من عباده ، فإن عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر ، وإن جار أو أخاف أو ظلم كان

(١) أي أكثر فسادا وخبثا وقلة عمل . (٢) الاعتراض على أهل الإمارات سيما السلطان اه .

عليه الوزر وكان على الرعية الصبر ، وإذا جارت الولاية فحطت السماء وإذا منعت الزكاة هلكت المواشي ، وإذا ظهر الزنى ظهر الفقر والمسكنة ، وإذا أخفرت الذمة أديل الكفار ، وفيه : « إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلها ، إنما السلطان ظل الله ورحمه في الأرض » وفيه : « طاعة الإمام حق على المرء المسلم ما لم يأمر بمعصية الله ، فإذا أمر بمعصية الله فلا طاعة له » اهـ . ومثل السلطان في ذلك كله نوابه وعماله . وفي [حى] أعلم أن السلطان به قوام الدين فلا ينبغي أن يستحق وإن كان ظالماً فاسقاً . قال عمرو ابن العاص رحمه الله : إمام غشوم خير من فتنة تدوم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر » وقال سهل : من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ، ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ، ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل . وسئل أى الناس خير ؟ فقال السلطان فقيل : كنا نرى أن شر الناس السلطان ، فقال مهلاً إن الله تعالى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال الناس ونظرة إلى سلامة أبدانهم ، فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنبه . وكان يقول : الخشب السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصاً يقصون اهـ . وفي [جص] : « لا تسبوا الأئمة وادعوا الله لهم بالصلاح فإن صلاحهم لكم صلاح » وفيه : « لا تسبوا السلطان فإنه في الله في أرضه » اهـ . بل ندعوا له بالنصر والتأييد والتوفيق والتسديد . اللهم انصر السلطان وانصر عساكره ، وانصر ولاية الأمور على عمر الدهور ، وألهمهم العدل والساد والرشد والإرشاد ، وأيدهم بتأييدك وسددهم بتسديدك ، وأهدهم وأهدهم ، وارحمهم وارحمهم ، واحمهم ببضة الإسلام على عمر البالي والآيام بحاج سيد الأنام عليه وعلى آله الصلاة والسلام آمين . ومما كتبه سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنايه أمين لبعض الوزراء : أعلم أنك في مرتبة قد حوت ما لا يحاط به من الخيرات والسرور وجمعت ما لا ينتهى إلى غايته من البلاء والشروع وأنت واقف بينهما في هذه المرتبة ، فراقب الله في قلبك وانظر إلى خلق الله بعين الشفقة ولضعفهم ومسكينهم بعين الرأفة وقضاء حوائجهم ، وإياك والاستهزاء والتواني في تبليغ أمورهم إلى مولانا السلطان فإن الله سبحانه وتعالى نظراً في العبد عند كل نظرة ينظرها فمن رآه من ذوى العلو والارتفاع نظر في خلقه بعين الرأفة والرحمة وخفض لهم جناحه ونظر إليهم بعين إضافتهم لله تعالى عظمهم لذلك النظر وسارع في قضاء حوائجهم بما يقدر عليه ، وكان منه ذلك الله تعالى نظر فيه ربنا سبحانه وتعالى بعين الرحمة وعين التكريم والتعظيم وسارع له في قضاء حوائجه وكلاءه الوليد من أبيه في مساعدة من ظفر به هذه النظرة من ربه ، ومن كان على الأخرى والعياذ بالله من عدم المبالاة بخلق الله والتباعد عن قضاء حوائجهم والتناهي عن رحمتهم وانشفقة عليهم فجزاؤه ما هو معلوم في النارية قول الله سبحانه وتعالى فيمن اتصف بهذه الصفة - خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه - إلى قوله - إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين - انظر [جه] .

وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود إذا حصل لنا جاه عند حاكم من محتسب أو قاض أو شيخ عرب أن لا نفعل عن نصيحة قط ولا عن قضاء حوائج الناس عنده فإذا أجاب لقضاء الحوائج والكرب اتخذناه صاحباً ، ولا تترك صحبتته لقول الناس ما يحبه إلا ليستمطر منه دنيا ونحو ذلك فإن المعاملة مع الله عز وجل ، ونعلمه أن الله تعالى ماولى عبداً وأقام له الجاه في قلوب العباد بالأصالة إلا ليتزود بتلك الولاية إلى الدار الآخرة خير لا غير ، وأما التبسط في الدنيا أيام الولاية فإنما هو فعل السفهاء ، ثم إن ذلك من

أكبر أسباب العزل له وفتح أبواب كثرة الرشوة عليه خوف العزل كلما هددوه به كما هو مشاهد :
ومثل التبسط المذكور تنفيذ غضبه في الرعية وميله إلى الباطل الكثير في التهم والجرائم وعدم رحمة
المصالحات ونسيان يوم يشيب فيه الوليد وتسير فيه الجبال وتصبح فيه الحجارة ويقطر فيه الحصى دما
فإن هذا يتلفه بالكلية ويهدم أساسه ولو استند لكل ولي على وجه الأرض أخلى به ولم يساعده، وهذا
يقع فيه الآن أكثر الحكام فيظلم وينهب ويحجور ويبلص ويهلك الحرث والنسل ويقول ما دام سيدى الشيخ
طيبا على ما أخاف ، ولعمري سيدى الشيخ في نفسه كالثور الذى وحل في ربوة لا يستطيع الخروج منها
فكيف يقدر على إنقاذ ثور آخر وحل تجاهه في تلك الربوة فاعلم ذلك انظره . وفيه : أخذ علينا اليهود
أن نكرم ولاية أمورنا من أمير ووزير وقاضى وعسكر ووال ، ويجوز لنا أن نقبل أيديهم ونقوم لهم إذا
وردوا علينا إعطاء للمراتب حقها أو دفعا لشركهم كما نقوم لعلمائنا ولو لم يعملوا بعلمهم . وكان سيدى
على الخواص رضى الله عنه يقول : قم لأهل العلم مطلقا فإنه لا يوجد لنا عالم إلا وهو عامل بعلمه ، وذلك
لأنه إذا زل يعرف أنه عصي الله فيستغفر الله ويندم ويتوب فقد عمل بعلمه ، ولو أنه كان جاهلا ما اهتدى
للتوبة فلولا علمه ما تاب فقد تفقه علمه اه . ولذا قيل : العلم لا يضيع أهله . ثم قال : وسمعت
يقول مرارا : مذهبي القيام للأمراء لنكتة أطلعني الله عليها وهى أن الأمير ما طلع للفقيه إلا بعد أن خلع
كبريائه وعظمته قبل أن يدخل على الفقير ، ولو أنه بقي على كبره ورؤية نفسه على الفقير ما طلع له قط
ولا قبل يده ولا رجله فما لقي الأمير الفقير إلا وهو فقير فاستحق التعظيم اه ، وذكر نحو ذلك الشيخ
محبي الدين في الفتوحات . واعلم أن الإقبال على الأمراء مع التحرز عن ميل النفس والركون إليهم محمود
شرها لما يبنى على ذلك من مصالح العباد ، وإذا رأيت عالما أو صالحا يدخل عليهم زاهدا فيما بأيديهم
من سطام الدنيا لا يجوز لنا الإنكار عليه ولا حمله على المحامل السيئة فربما دخل عليهم وأقبل عليهم ليميلوا
إليه ويقبلوا شفاعته في المظلومين ، وما عند الأمراء أحد أحب إليهم ممن يزهد فيما في أيديهم ويرد
عليهم ما يعطونه له من الدنيا . وكان سيدى إبراهيم المتبولى رحمه الله يقول : أعطوا أهل المراتب حقوقهم
من الإكرام في هذه الدار ، هذا هو الأدب منا مادنا في هذه الدار ، وسوف يعلمنا الله تعالى الآداب
اللائقة بهم في الدار الآخرة إذا انتقلنا إليها إن شاء الله تعالى اه . ثم قال : وكان سيدى على الخواص
إذا بلغه أن أحدا من الأمراء عازم على زيارته يذهب إليه ويؤمره في بيته قبل أن يأتى إليه ، ويقول
المعوم إنما هو قبول هداياهم وصؤالهم في الدنيا لا غير ، انظره . وفي [هب] إن في أبواب الخزن
وأهل الظلم من هو مؤمن متعلق القلب بربه سبحانه ، وفيهم من هو منقطع عن الله عز وجل ، وعلامة
ذلك الانقباض والانبساط ، فمن كان منهم متقبضا متغيرا يعلم أنه يخالف لأمر ربه مطيع لغيره متكدر
البال متغير الحال فذلك هو الأول فهو من الناجين في الآخرة بعد الحساب والعقاب والملام والعتاب
إلا أن يعفو الله سبحانه وتعالى ، ومن كان منهم حالة ظلمه متبسطا فرحا مسرورا لا حزن عليه
ولا خوف فذلك هو الثانى فهو يستحلى المعصية وظلم العباد كما يستحلى الجعل^(١) النجاسات وأكل
القاذورات . قلت : وقد سبق أنه من أشد الناس عذابا يوم القيامة ذكر هذا الكلام لرجل استشاره في
خلطة الخزن ، وأنه إن لم يخالطهم خاف على نفسه فدل على الخير وأوصاه بالمساكين ، وذكر له الكلام

(١) قوله الجعل ضم جيم وفتح عين كصره : الحرباء اه .

المقدم : وزاده زيادة فقال : إن المؤمن كطير نزل على أرض نجسة فينقبض ويضم جناحيه وعلى أرض طاهرة فينسط ويفتح جناحيه ويسعى في الطلب . وقال له : إن أهل الانقطاع والعبادة بالله إذا غصبوا دراهم وجعلوها في جيوبهم وكان على تلك الدراهم اسم من أسماء الله تعالى فإذا جاء من هو متعلق بربه تعالى واحتال على تلك الدراهم بالطلب أو من غيره حتى أخذ من ذلك المتقطع فقد أنقذه ملائكة كراما على الله عز وجل انظره (فسبحان) أى أسبح تسبيحا وأتره تنزيها (من) أى الله تعالى الذى (أقام كلا) أى أقام كل واحد من خلقه (بما يشاء) قصره للوزن أى فيما يشاءه ويريد به فهو الحكيم الخبير بمصالح خلقه . وفى [جـه] وكان يعنى سيدنا رضى الله عنه وعنايه أمين يرشد إلى ترك التدبير والاختيار مع الله تعالى ويكثر الكلام فيه دائما ويتلو شاهدا على ذلك - فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم - الآية - وما كان لمؤمن ولا مؤمنة - الآية - وقوله - إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله - الآية - وقوله - ما كان لهم الخيرة - ويقول : إنما يدبر من يعلم عواقب الأمور ومن لا يعلمها كيف يدبر وأى شئ يتدبر كما فى بعض الآثار القدسية : « ابن آدم تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لى فيما أريد أعطيتك ما تريد ، وإن نازعتنى فيما أريد أنعتبك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد » وبعد التدبير مع الله من الشرك لأنه تعالى منفرد بالإيجاد والتدبير - ألا له الخلق والأمر - فمن دبر فى ملكه شيئا فقد تعدى ونازع أحكام الربوبية فمن دبر لنفسه عاد تدبيره عليه وبالا . ويدل على الرضى والتسليم لأحكام الله لأنه سبحانه الحكيم ولأنه الرحيم ، انظره . وفيه : ومن أدبه رضى الله عنه أنه لا يريد الخوض فى شئ من تصاريف أقدار الله سبحانه وتعالى ولا التعرض للكلام فيما وقع ولا تمتنى زوال ما هو واقع منها ، وبعد الخوض فى ذلك كله اعتراضا على الله تعالى وسوء أدب معه ، وينسب القصور للنفس ويرى النقص منها فيما يبتلى به العبد من القضاء بعد اعتراف أنه من الله تخلقاً بأخلاق الشريعة وتحققاً بأن الكمال لا ينسب إلا لله ولا ينسب لغيره وإن كان أثرا من آثار قدرته لا لغيره ، مراعاة لمقام الأدب مع الله ، انظره . ورحم الله من قال من أهل الإشارات :

تذكر جميل فيك إذ كنت نقطة ولا تنس تصويرى لشخصك فى الحشا
وسلم لى التدبير واعلم بأننى أنفذ أحكامى وأفعل ما أشأ

(فذاك) أى فما أقامهم الله فيه هو (مراده) ومحبوبه ومختاره كيفما كان - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة - إن ربك فعال لما يريد - (بكل الخليفة) صامتها وناطقها علويها وسفليها ، لكن ينبغى لمن أقامه الله فى حالة مرضية شرعا وطبعاً أن يحمده ويشكره ، ولئن أقامه فى حالة منهى عنها كذلك أن يتضرع إلى الله ظاهرا وباطنا أن ينقذه من حالة مذمومة ويستعمله فى حالة محمودة ورحم الله من قال :

فإن أقامك عظيم المنه فى عمل موافق للسنة
فهو مقامك الذى يليق بك فلا ترم خلافة بشهوتك
لو شاء ربنا العظيم المالك ومن له التصريف فى الممالك
لكنك فى المطلوب من غير نصب وارضى بحكم الله والزم الأدب
وإن أقامك الهوى بالطبع فى عمل مخالف للشرع
فبادر الخروج لا تماطل واقطع بسيف العزم كل حائل

وفي [جد] أوصاني شيخى رضى الله عنه وقال لى : إياك والفرار من حال أقامك الله فيه فإنك لو أمنت النظر لوجدت الخيرة فيما اختاره الله لك ، وتأمل السيد عيسى عليه السلام لمسا فر من بنى إسرائيل حين عظموه وبجلوه كيف ابتلاه الله بأن عبد من دون الله فوق في حال أشد مما فر منه ، فقلت له فما سبب اختيار العبد مع سيده ، فقال لظنه أنه مخلوق لنفسه والحق تعالى ما خلق العبد إلا ليسبح بحمده ، ومن علم أنه مخلوق لله ترك التدبير والاختيار مع الله تعالى لأنه لا يعطى عبده إلا ما يصلح أن يكون له تعالى ، فلهذا الظن يقول العبد أريد كذا وأطلب كذا ولو اتسع علمه لعلم أن الله أعطى كل شيء خلقه بحيث لا يقبل الزيادة ، والتسليم أصل الأدب الإلهي كله والسلام اه . وفي الحكم : ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه : وعن بعض العارفين : منذ أربعين سنة ما أقامنى الله في حال فكرهته ولا نقلنى إلى غيره فسمخطته اه . وفي [جه] والمراد من الإنسان في كل وقت هو ما أجاب به الجنيد رضى الله عنه حين سئل ما مراد الله من العالم ؟ قال ما هم فيه ، أراد أنه لذلك خلقهم وليس المراد بالجواب أنه ليس إلا صورة التقلبات والحركات ، بل المراد من كلام الجنيد أن جميع تحركات العالم وتقلباته وقصوده وخواطره كلها مظاهر الألوهية لأنها آثار الأسماء والصفات ولهذا المعنى يقول من قال من العارفين ما في الكون كله إلا الكمال ما فيه صورة نقص أصلا لأن تلك كمال ألوهيته إنما النقص فيها أمر نسبي : وفي الحقيقة ما ثم إلا الكمال لأنها كمالات ألوهيته ، ثم قال رضى الله عنه : فكل من بلغ المعرفة عثر على هذه الحقيقة لا محالة وبالله التوفيق ، انظره . قال رحمه الله :

(وَلَا تَعْبَأَنَّ بِمَا تَرَى مِنْ شُرُورِهِمْ وَأَعْرِضْ عَنِ الْوَرَى وَقَابِلْ بِمُقَابِلَةٍ
وإِيَّاكَ أَنْ تَقَابِلَ الشَّرَّ بِالْجَزَا فَتُظْفَرُ حَتْمًا بِالشُّرُورِ الْمَدِيدَةِ
وَقَابِلْ شُرُورًا بِآلِيَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَعَفْوٍ وَصَفْعٍ عَنْ خَبِيثِ السَّيِّئَةِ)

(ولا تعبأن) يقال لا أعبا بكذا لا أبالي به (بما ترى) تبصر وتشاهد (من شرورهم) فإن الله تعالى هو المتجلى فيهم بما شاء من خير وشر - ألا له الخلق والأمر - وربك يخلق ما يشاء ويختار - والله خلقكم وما تعملون - (وأعرض) من أعرض عن الشيء صد عنه (عن) جميع ما يصدر من (الورى) الخليفة لحديث «أعرضوا عن الناس» ألم تر أنك إن ابتغيت الريبة في الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم (وقابل) ذلك (بغفلة) وتغافل . وفي [جص] «إياكم ومشاركة»^(١) الناس فإنها تدفن^(٢) الغرة وتظهر العرة «والغرة بضم معجمة: الصفات الجميلة والأعمال الحسنة تشبها بالبياض الذى في وجه الفرس ، والجرة بضم مهملة: الصفات الرديئة والأعمال السيئة تشبها بالقذر والخبث : قال تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - ورحم الله من قال :

خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين
ولن في الكلام لجمع الأنام تستحسن من ذوى الجاه لين^(٣)

(١) أى مقابلتهم بالشر . (٢) قوله تدفن بكسر فاء من دفن كضرب اه .

(٣) قوله «لين» بكسر لام : اليونة اه .

وفي [جه] وعليكم بالغفلة عن شر الناس وعدم المبالاة بما يجري منهم من الشرور ، وعليكم بالصفح والتجاوز عنهم فإن مناقشة الناس عما يبدونهم وعدم العفو عنهم يوجب للعبد عند الله البوار ^(١) في الدنيا والآخرة ، وكلما دنوت بمقابلة شر بمثله تزايدت الشرور وتنكسر بالعبد قوائمه في جميع الأمور فلا مقابلة للشر إلا الغفلة والعفو والمسامحة ، انظره . ولذا قال رحمه الله (وإياك أن تقابل الشر) إذا صلب من الناس (بالجزا) قصره للوزن أي بمثله مستدلا بقوله تعالى - وجزاء سيئة سيئة مثلها - وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به - ذاهلا عن قوله - ولئن صبرتم لهو خير للصابرين - وقوله - فمن عفا وأصلح فأجره على الله - وقوله - ولئن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور - (فتظفر حتما) وتجزى دائما (بالشرور المديدة) بدالين مهملتين الطويلة التي لا تنتهي أو بزاي مع مهمة من الزيادة . وفي [حص] : كل شيء ينقص إلا الشر فإنه يزداد فيه . قال الحنفى : أي من أصحاب النفوس الخبيثة . وفي [جه] والحذر الحذر لمن تحرك عليه شر الناس منكم أن يبادر إليه بالتحرك بالشر لمقتضى حرارة طبعه وظلمة جهله وعزة نفسه ، فإن المبادر للشر بهذا وإن كان مظلوما فاضت عليه بحور الشر من الخلق يستحق الهلاك به في الدنيا والآخرة ، وتلك عقوبة لإعراضه عن جناب الله أولا فإنه أو فرغ إلى الله بالتضرع والشكاية واعترف بعجزه وضعفه لرفع الله عنه ضرر الخلق بلا سبب أو بسبب لا تعب عليه فيه أو يشغلهم الله بشاغل يعجزون عنه ، فيما أن يفعل الله له هذا ، وإما أن ينزل عليه اللطف العظيم أو الصبر الجميل فيكابد غصص تلك الشرور بما هو فيه من اللطف والصبر حتى يرد عليه الفرج من الله تعالى فيكون مثابا دنيا وأخرى ، أما ثواب الدنيا فبمحمد العاقبة وظهور نصره في الخلق على قدر مرتبته ، وأما ثواب الآخرة فبالفوز بما لا غاية له من ثواب الصابرين الذي وعده الله تعالى قال سبحانه وتعالى - وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا - وقال سبحانه وتعالى - واعلموا أن الله مع الصابرين - وقال تعالى حاكيا عن نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام - إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين - وقال تعالى : وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين - إلى غير ذلك من الآيات ، وبعدم اعتبار الناس لما ذكرنا ترى الناس أبدا في عذاب عظيم من مكابدة شرور بعضهم بعضا ووقعوا بذلك في المهالك العظام في الدنيا والآخرة إلا من حفته عناية عظيمة إلهية ، فإن العامة لا يرون في تحريك الشر عليهم إلا صورة الشخص الذي حركه عليهم لغيبتهم عن الله سبحانه وتعالى ، وعن غالب حكمه فنهضوا في مقابلة الشرور بحولهم واحتياهم وصولة سلطان نفوسهم ، فطالت عليهم مكابدة الشرور وحبسوا في سجن العذاب على تعاقب الدهور ، فإن الكيس العاقل إذا انصب عليه الشر من الناس أو تحركوا له به رآه تجليا إلهيا لا قدرة لأحد على مقاومته إلا بتأييد إلهي ، فكان مقتضى ما دل عليه علمه وعقله الرجوع إلى الله بالحرب والالتماء إليه وتتابع التضرع والابتهاال لديه والاعتراف بعجزه وضعفه فنهض معتصما بالله في مقابلة خلقه فلا شك أن هذا يدفع عنه الشرور بلاتعب منه ولو انتهت عليه نيران الشر من الخلق لعجزوا عن الوصول إليه لأعتصامه بالله تعالى فإن من تعلق بالله تعالى لا يقوى له شيء قال سبحانه وتعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا - إلى قوله - فهو حسبه - وهذا الباب الذي ذكرناه كل الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت فمن أدام السير على هذا المنهاج سعد في الدنيا والآخرة ومن فارقه وكله ^(٢) الله إلى نفسه فنهض إلى مقابلة الشرور بحوله واحتياله فهلك كل الهالك في عاجله وآجله

وفما ذكرناه كفاية ، انظره . وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن نعامل الله وجميع ما في هذا الوجود بالأدب معه من ناطق وصامت كل بما يناسبه وذلك من أعظم أخلاق الرجال ، فنعامل الحق تعالى بالاعتراف له بالنعم وكثرة الذكر له وعدم الغفلة عن ملاحظة نظره تعالى إلينا وكثرة المراقبة لأبوابه تعالى ، وذلك لأن حاجتنا في الدنيا والآخرة لا تخرج إلا من بابه ، ونعامل الآيات بالتفكير في معانيها والاعتبار بها ، ونعامل الرسل وكتل ورثتهم من العلماء والصالحين بالافتداء بهم في مكارم الأخلاق واجتناب سفاسفها ، ونعامل الملائكة بدوام الطهارة الظاهر والباطنة وإزالة الروائح السكرية الحادثة من الأكل والشرب والحادثة من الأفعال والأقوال أو العقائد الرديئة كما ورد وكما أن الملائكة لا يؤذوننا فكذلك ينبغي لنا أن لا تؤذيهم ولا نغلي عليهم إلا خيرا فإن لم يتيسر لنا ذلك أكثرنا من الاستغفار وذكر الله عز وجل ، ونعامل السفهاء بالحلم لا بالمقابلة بالسفه فإن ذلك مما يقوى دخيرة الأذى لنا ولهم ، ثم إن ذلك يجر إلى أننا نصير سفهاء مثلهم من حيث المقابلة بالسفه ، ونعامل الجهلاء بالسياسة ولين القول والعفو والإعراض عن جهلهم علينا ، ونعامل شرار الناس ببشاشة الوجه ولو كان قلبنا يلعنهم ونكثر من البر والإحسان إليهم ما استطعنا فلعلنا نكفي شرهم إن شاء الله تعالى ثم يحصل لنا مع ذلك إن شاء الله ثواب منعهم من الإثم الحاصل من وقوعهم في أعراضنا ومنع السامعين لهم من سماع غيبتنا وتنقيص حالنا وكشف عورتنا ، ولا ينبغي أن أحب عباد الله إلى الله أشفقهم على عباده ومن ذلك شفقته عليهم أن يقوموا في شيء ينقص دينهم ، ونعامل الأولياء بالتسليم والتصديق لهم في كل ما يخبروننا به في حق الوجود ، لأن الله تعالى ما أعطاهم مقام الكشف حتى أحكموا مقام الصدق ولذلك سموا صادقين . ونعامل إخواننا من المريدين بالتفتيش عن أحوالهم الناقصة والأخذ عليهم في جميع حركاتهم المذمومة نصحاهم لكوننا مسئولين عنهم ، ونعامل أكابر الدولة بالكف عن ذكر مساوئهم في مجلسنا واحتمال جفاهم فإنهم ما ظلمونا حتى ظلمنا ولا ينبغي لأحد أحد أن يرى نفسه عليهم فإن الذي يراهم يرانا لأننا رعييتهم ، ونعامل أولادنا بالإحسان إليهم وعدم الغفلة عن تأديبهم وتعليمهم الأخلاق الحسنة وتبغيضهم في الأخلاق السيئة ، ونعامل زوجاتنا بحسن الخلق والتفهم لجهلنا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، ونعامل المال بالإنفاق في سبيل الله ووجوه الخير حتى يفارقنا وهو شاهد لنا لا علينا ، ولا يتم لنا ذلك إلا بأن ننفقه بانشرائح صدر ، فإن المتكره للإنفاق لا يكاد يكون له ثواب بل هو إلى الإثم أقرب ، انظره تردد :

(وقابل) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (شرورا) صدرت من الناس (التي) أي بالكلمة الطيبة التي (هي أحسن) قال تعالى - ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم - الآية ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « صل من قطعك وأحسن إلى من أساء إليك وقل الحق ولو على نفسك » وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن نعلم إخواننا طريق الخلاص إذا قام عليهم قائم يؤذيهم من جار أو شيخ بلد أو غير لاسيما إن تصدى للمرافعة فيهم عند المحاكم والقضاة والمساكين وغيرهم ، ومن أقرب الطرق إلى الخلاص من أذى هؤلاء أن نأمرهم بأن يحسنوا إليهم بالدنيا والملق والخدمة وليس هذا من الأمور المحرمة في شيء ، وقول الناس عمن أذاهم : إنه لا يزداد بالخضوع له إلا تمردا عليهم من تساويلات النفوس ، لأن الله تعالى يقول - ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - والله أصدق القائلين فمن عقل

العاقل أن يذل ويخضع ويحسن إلى من يوشى عليه ولو لم يكن بيده إلا لقمة واحدة دفعها له وذلك لأن جوع الإنسان مع عدم الشر أحسن من شبعه مع النكد والذي حرك النكد هو الذي بيده تسكينه فهو أولى بالإعطاء من الحاكم الذي يريد ذلك المظلوم أن يحتذى به ، ويقع لكثير من ضعفاء العقول أنهم يهرمون الخصم ويعطون الحكام ولو أنهم كانوا أعطوا الخصم بعض ما أعطوه الحكام لربما سد باب الأذى كما كان فتحه ، فاعلم ذلك واعذر من آذاك فإنه ما آذاك إلا لضيق حضيرته لكثرة ما حصل له من الأذى منك فيتنفس بأذاك ليستريح في نفسه ولو أنك فتحت عليه باب الراحة ولم تدخل عليه كربا لما آذاك قط ، والله عليم خبير اه . وفيه : أخذ علينا اليهود أن نداوى كل من بلغنا عنه أنه يكرهنا ويتقصنا بين الناس والمحبين بالكلام الحلو والتردد إليه بالبشاشة رحمة بأخينا أن لا ينقص رأس ماله بكرهه مسلم ، لانفرة من وقوعه في حقنا بالخصوص ، ويجب علينا التغافل عما بلغنا عنه ما أمكن حيث تعين ذلك طريقا علينا لسلامة الدين من النقص ، ولا نلتفت قط لصديق من نقل ذلك الكلام إلينا على وجه الإفساد فإن الله تعالى سباه فاسقاً ثم قال : وينبغي لنا أن نصرح بتكذيب الناقل ونقول له حاشا لله أن فلانا يغتاب الناس ويقع في أعراضهم وإن كان القلب يشهد بخلافه لأن موافقة الشرع والعمل به أولى مما يقضى به القلب إذ القاب لا يستفتى إلا في أمور لم يبين الشارع أحكامها فافهم . ثم اعلم يا أخى أنه لا ينبغي لعاقل في هذا الزمان أن يعاتب أحدا على ما بلغه عنه حقه ، فإنه ربما أعقب ذلك العتب ما هو أشد مما كان وقع بل العقل الصفيح فإن علم من دينه أنه إذا عاتبه ندم واعترف واستغفر عاتبه فعلم أنه لا ينبغي له أن يقابل من بلغه أنه يحط عليه بالكراهة له والحط عليه كذلك فإن بذلك يزداد الأمر وتتعظم الذخيرة ، عكس ما إذا قابلناه بالحلم والصفيح ، وربما يقع لمن يحط فينا الندم على حطه فينا إذا بلغه عنا أننا برأناه مما نقل وقلنا في حقه حاشا لله أن مثل فلان يقع في أعراض الناس ، وهذا من أعظم السياسات فاعمل عليه والله يتولى هداك اه (وعفو) فإن الله عفو يحب العفو قال تعالى - والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس - وروى : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم من كان أجره على الله فلا يقوم إلا العافون عن الناس » وفي [جص] : « من عفا عند القدرة عفا الله عنه عند العسرة » وفيه : « من عفا عن دم لم يكن له ثواب إلا الجنة » ورحم الله من قال :

لما عفوت ولم أحقد على أحد	أرحت نفسي من همّ العداوات
إني أحبي عدوى عند رؤيته	لأدفع الشر عنى بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه	كأنه قد ملا قلبي مسرات
ولست أسلم ممن لست أعرفه	فكيف أسلم من أهل المودات
الناس داء ، دواء الناس تركهم	وفي الجفاء لم قطع الأخوات
فسالم الناس تسلم من غوائلهم	وكن حريصا على كسب التقيات
وخالف الناس ما كنت بليت بهم	أصم أبكم أعمى ذا تقيات

وفي [جص] : « إذا مررت بأهل الشره فسلموا عليهم نطقاً عنكم شرهم ونأثرهم » وفي الحديث : « إنا لنكشر في وجوه قوم وقلوبنا تلغهم » (وصفيح) من صفح كمنع أعرض عنه وترك وعفا عن ذنبه قال تعالى - فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين - ورحم الله من قال :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب
وما الناس إلا واحد من ثلاثة
فأما الذي فوق فأعرف قدره
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا
ومن قال :

إذا كان دوني من بليت بجهله
وإن كان مثلي في عمل من العلا
وإن كنت أدنى منه في الفضل والحجا
أبيت لنفسي أن أقابل بالجهل
هديت إذا حلما وصفحا عن المثل
رأيت له حق التقدم في الفضل

وفي [ثيق] أخذ علينا العهد أن نعفو ونصفح عن جميع هذه الأمة المحمدية ولا نطالب أحدا منهم بحق في الدارين من مال وعرض لإكرامنا لمن هم عبيدته سبحانه وتعالى، ولمن هم من أمته صلى الله عليه وسلم وفي المثل السائر: لعين تجازي ألف عين وتكرم، فمن أخذ أحدا من هذه الأمة فما عرف قدر عظمة من هم عبيده ولا عظمة من هم من أمته صلى الله عليه وسلم. واعلم يا أخى أنه لا يتيسر لك العمل بهذا العهد إلا بعد انكشاف عيوبك لك يقينا لا ظنا وتخميننا فهناك ينشرح صدرك ضرورة للمطهرات والمكفرات، وأنت إذا رأيت في ثوبك نجاسة محسوسة فجاء شخص وغسلها عنك ملت إليه ضرورة فيحتاج العامل به إلى مجاهدة شديدة حتى يظهر له مساوى نفسه كهذه النجاسة المحسوسة سواء وإلا فمن لآلئمه المؤاخذه وعدم الصفح، وقد جاهدت نفسي نحو الثلاثين سنة حتى أجابت إلى بعض رائحة من ذلك، ثم قال: قال سيدى على الخواص: وإياك أن تؤذى من آذاك ولو بسوء الظن وتقول - وجزاء سيئة سيئة مثلها - وقرأ ما بعدها تجد الحق تعالى يقول - فمن عفا وأصلح فأجره على الله - ثم انظر في تسميته تعالى سيئة لينبيه العبد على العفو والمسامحة فلا يجازى أحدا بسيئة ولو في الصورة. واعلم يا أخى أن كل من تحقق بهذا العهد رجونا له من الله أن يرضى عنه خصماءه كلهم يوم القيامة فلا يطالبه أحد منهم بحق مجازاة له على ما فعله مع عباده سبحانه وتعالى، انظره. وأخبرني بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه أنه كان يستعمل هذا العهد لإمامنا من الله تعالى وابتغاء لرضى الله ورضاء رسوله صلى الله عليه وسلم ورضاء سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين، وحياء أن يعذب بسببه أحد من عباده تعالى ومن أمته صلى الله عليه وسلم ومن أصحاب سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين - رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى في ذريتي لى تبت إليك وإلى من المسلمين - ربنا أنتم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير - فقل كلما أصبحت أو أمسيت: اللهم إني أتصدق بعرضي وبجميع مالى من الحقوق على عبادك وعلى أمة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أصحاب سيدنا أبي الفيض أحمد بن محمد التجاني فلا أظلم من ظلمنى ولا أشتم من شتمنى ولا أضرب من ضربنى، أنت وليي في الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقني بالصالحين - ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم - آمين (عن خبيث) من خبث ككرم وزنا وضدا معنى (السليقة) كالطبيعة وزنا ومعنى. وفي [جه] وأما حلمه وعفوه فشأنه رضى الله عنه الصفح عن اشتغل بإذابته وعدم المؤاخذه له والنظر فيه بعين الحقيقة والتناس المعذرة له ويقول

إذا نظرت إلى الناس وما يجري عليهم من قدر الله عزهم وإنما يحيى الملام من عدم شهود أمر الله النافذ،
ويحزن مع ذلك عليهم ويشفق من حالهم مخافة أن يتركهم الهلاك بسبب تماديهم على فعلهم ذلك ، وكثيرا
ما يعاملهم حرصا على إزالة ضعفهم ومحو ما في قلوبهم ، وإذا شكى له أحد من أصحابه إذابة سلاه عن ذلك
وحمله على الحلم والعفو وحضه على الاشتغال بما يعنيه ولا يحب المعتنين بنصرة أنفسهم ولا المشتغلين
بملاحاة الرجال ، ولا يحب الغلظة ولا القلظة ولا أهلها ويقول : إن الخليم يحلم الله عليه ويستشهد بقوله
صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم في المستدرک من
ابن عمر قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » اه
ويترحم على الكبير والصغير وكل ضعيف مستضعف ويوصي من أتاه من الولاية بالعفو عن المساكين
ويقول لهم بضعفائكم ترحمون ولا عمل أحسن من ذلك لكم ومن عفا عني عنه ، ويعرض عن الجاهلين
ويصبر لجفوة الجافين ويعفو عن إذابة المؤذين بل يحسن إلى من أساء إليه ويحزن عليه بعد التجاوز عنه
ويتعطف عليه ولا يزال يلاطفه قولا وفعلًا ويعامله بالجميل وبألتي هي أحسن ويبر به ويحرص على إيصال الخير
له رحمة له وشفقة عليه حتى يستحي ذلك المسيء غاية الحياء ويخجل^(١) غاية الخجل ويتعجب من عفوه
عنه ثم تفضله عليه ومن سابق سيئاته التي عادت عليه كالحسنات لديه ، كما شاهدنا ذلك وقع له مع بعض
الإخوان فما زال يحلم عليه ويحسن إليه حتى كان أحب الأحياء إليه ، انظره : وفيه : فالذي أوصيكم به
وإياي المحافظة على قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا قاتلتموهم فاصبروا »
الحديث ، وهذا وإن ورد في ميادين الجهاد في قتال الكفار فهو منقلب في هذه الأزمنة في الصفع عن
شر الناس فن تمحي بقلبه أو أراد تحريك الشر منه على الناس ساطهم الله عليه من وجه لا يقدر على دفعهم ،
وعلى العبد أن يسأل الله العافية من تحريك شر الناس وفتنتهم فإن تحركوا عليه من غير سبب منه فالوجه
الأعلى الذي تقتضيه رسوم العلم بمقابلتهم بالإحسان في إساءتهم ، فإن لم يقدر فبالصفع والعفو عنهم إطفاء
لنيران الفتنة ، فإن لم يقدر فبالصبر لثبوت مجاري الأقدار لا يتحرك في شيء من إذايتهم لإساءتهم ،
فإن اشتعلت عليه نيران شرهم فليدافع بألتي أحسن بلين ورفق ، فإن لم يفد ذلك فعليه بالهرب إن قدر
والخروج عن مكانه ، فإن عوقت العوائق عن الارتحال ولم يجد قدرة فليدافع بالأقل فالأقل من الإذابة
فليفعل ذلك ظاهراً ويكثر التضرع إلى الله والابتهاال مرآ في رفع شرهم عنه مداوماً ذلك حتى يفرج الله
عليه ، وهذه الوجوه التي ذكرناها التي تقتضيه رسوم العلم ، انظره - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - والله تعالى أعلم وأحكم .

(١) قوله يخجل ينتج تهنية وجيم من خجل كحي اه .

(فهرست الجزء الثاني من شرح الدرة الخريدة على الياقوتة الفريدة)

صفحة	
٣	فصل في بعض الآداب المطلوبة من الإخوان
٥	مضامحة الإخوان عند الملاقاة
٥	البشاشة وطلاقة الوجه
٩	النهى عن المدابرة والمقاطعة
١١	التعاون على البر والتقوى
١٤	الهدية بين الإخوان تورث المحبة
١٧	تبصرة الإخوان في هبة العمال والسلطان
٢٤	النهى عن الغل والضغينة
٢٤	من تهاون بتضييع حقوق الإخوان ابتلاه الله بتضييع الحقوق الإلهية
٢٤	صفة الجنة وما أعد الله لأهلها وصفة جهنم أعادنا الله منها
٢٩	الفرار من الدعوى وعدم الانتفاء إليها
٣١	النهى عن ازدراء الإخوان والاشتغال بخاصة نفوسهم
٣٦	النهى عن الترهيب والعزوبة والتجرد عن أسباب المعيشة
٣٦	طلب التكسب والترغيب فيه
٣٦	طلب الخرفة والترغيب فيها
٣٦	الحراثة من أعظم أسباب المعاش وأكثرها أجرا
٣٦	أطيب الكسب التجارة بصدق
٤٥	النهى عن الغش والخداع في البيع والشراء
٤٧	النهى عن التهافت في البيع وجميع المعاملات
٤٧	ما يفعل الإنسان إذا عم الحرام جميع الخلائق
٥١	النهى عن التكفف والإلحاح في السؤال
٥٣	طلب الحلال واجب على كل مسلم
٥٩	القناعة من الدنيا أصل كل خير
٦٧	النهى عن أخذ الأجرة على الأمور الشرعية
٧٣	اجتناب التقصير في الطاعات والتشمير عن ساعد الجد في العبادات

صيفة

- ٧٦ مجاهدة النفس بترك الشهوات
٧٦ طلب الصمت وقلة الكلام
٧٦ النهى عن كثرة الأكل والشرب
٩١ النهى عن كثرة الكلام وما لا يفي
٩٤ حقيقة الغيبة والنهي عنها
٩٦ حقيقة النيمة والزجر عنها
٩٨ الحضور في الذكر عنوان قبوله وروحه
١٠٣ النهى عن الأيمان في المعاملات وطلب الاستثناء فيها
١٠٤ اجتناب الخللان الذين لا يوافقون على اتباع السنة
١٠٤ طلب الإخوان المعينين على الدين والدنيا
١٠٨ مصاحبة ذوى الصدق والإحسان
١١٥ مخالطة الخصوص تورث سلامة الصدر والعقل
١١٧ مخالطة العوام تذهب بهاء الوجه وهيئته
١١٩ مخالطة الأخيار ركن مؤسس لأهل الطريق وأصل كبير فيها
١٢١ طريق أهل الخير ليست بسبحة ولا بعلامة
١٢٢ ملاقة أهل الخير والصدق تشفى العليل
١٢٤ أصل كل خير اللقمة والخلطة الخ
١٢٥ فوائد الصيحة الخ
١٣١ من فوائد الصيحة التعاضد والتعاون على التقوى
١٣٣ ومنها سريان النور عند اجتماعهم للذكر الخ
١٣٣ ومنها تحمل الأذى والمصائب والشفاعة الخ
١٣٥ ومنها التودد والإيثار
١٣٨ ترك المراء والجدال والازدحام على الحظوظ الرديئة
١٤١ معرقة حسن ابتداء الصيحة وانتهائها
١٤١ مواساة الفقراء وعدم المن والأذى
١٤٣ المداراة ببذل المال وعدم المداينة
١٤٧ مساعدة الإخوان في الأمور الموافقة للسنة ومخالفتهم في الأمور المبتدعة
١٤٩ النهى عن إضمار السوء على الإخوان لفعلهم الأمور المذمومة
١٥٢ النهى عن تكلف الثياب الرفيعة للمباهاة إلا في العيد والجمعة وملاقة الوفود
١٥٢ النهى عن التكلف في النطق بالكلام
١٥٢ النهى عن التكلف للضيف في القرى وغيره
١٦٤ طلب النواضع مع جميع الخلائق

صحيحة

- ١٦٤ طلب الحياء من الله الخ
١٦٤ طلب الدين والرفق لكل مؤمن
١٦٤ حسن الخلق شيمة كل مؤمن
١٧٣ التبتيم والنهي عن الضحك وكثرته
١٧٣ النهي عن المزاح إلا ما كان حقاً وقليلًا فلا بأس به
١٧٦ طلب الإحسان إلى من أحسن إليك
١٧٩ خصوصية أهل الفضل بأرفع المجالس
١٧٩ طلب ستر عورات جميع المسلمين
١٨٢ طلب الإحسان إلى أهل العلم وعدم بغضهم
١٨٢ فضل العلم والعلماء
١٨٧ النهي عن مخالطة العلماء للسلطين والأمراء
١٨٧ النهي عن ترفه العلماء في المطعم والمشرب والملبس الخ
١٩٥ فصل في النهي عن إضاعة المال
١٩٥ النهي عن المعاملة بالربى
١٩٥ النهي عن الرقى وشرب الخمر
١٩٦ الصبر على المصيبة من أعظم أبواب الخير
٢٠٢ فصل في محبة الحق وأهله وكرهية الظلم وأهله
٢٠٣ من القلب عن محبة الظلم
٢٠٣ صيانة القلب عن بغض الحق وأهله
٢٠٣ طلب إضمار البغض لمن كان مجاهرًا بالمعاصي
٢٠٨ المؤمنون في الدنيا أغراض سهام المصائب
٢٠٨ طلب الصبر على المصائب وفضله
٢٠٨ انتظار الفرج من الله على المصائب
٢٠٨ قرع باب الله بالدعاء والتضرع والابتهال
٢١٧ مثل الدنيا كمثل أحلام نائم وظل زائل
٢٢٠ الشكر على النعمة والصبر على النقمة وكلاهما فيه خير للمؤمن
٢٢٥ الاعتراض على الناس وعدم النظر لما هم فيه
٢٢٥ الاعتراض على أهل الإمارات سيما السلطان الخ
٢٣٠ النهي عن مقابلة المسلمين بالشر والتغافل عما يبدو من شرورهم
٢٣٠ طلب العفو عن مساوى الناس
٢٣٠ العفو والصفح عن خبيث الطبيعة

اتهى الجزء الثانى وبه كمل النصف الأول من شرح «الدرة الحريدة على الياقوتة الفريدة» بحمد الله
وحسن هونه وتوفيقه الجميل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .
(ويتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث ، أوله : فصل فى التحذير من الرياسة)
